٢٧٩٣

Copyright © King Saud University

٢١٢
س٠ خ

السراج المنير في الاعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، اربعة اجزاء منه، تاليف محمد بن احمد الشربيني، شمس الدين - ٩٧٧هـ، كتبه محمد احمد الصاوى سنة ١٢٦٨هـ.

٤مج (٥١٠+٤٩٠+٦٢٩+٥٥٠ق)، مختلف المسطره مختلف المقاس.

٢٧٩٣

نسخة جيده، جزء منها ناقص الاخر، خطها نسخ معتاد (طبع).

١- الاعلام ٦ : ٢٣٤، معجم المطبوعات ١ : ١١٠٨

١- التفسير، القرآن وعلومه ١- الخطيب الشربيني، محمد ابن احمد سنة ٩٧٧هـ. ب- اسم الناسخ هـ- تاريخ النسخ د- تفسير الخطيب الشربيني.

Copyright © King Saud University

(١)

ق ٧٧٤٦ حتى ٧٧٨
٢١ / ١٤ / ١٤٠٠ هـ

مكتبة جامعة الرياض - قسم المخطوطات

الرقم ٣٧٩٣

العنوان السراج المنير في الاعانة على معرفة كلام ربنا الحكيم الخبير

المؤلف محمد بن احمد الشربيني

تاريخ النسخ ١٢٦٨هـ

اسم الناسخ محمد احمد الصاوي

عدد الأوراق ١٥٥ق

ملاحظات ٢١٢

ت . خ

King Saud University 1957

Copyright © King Saud University

سورة النمل مكية

وهي ثلاث او اربع او خمس وتسعون اية والف ومائة
وتسع واربعون كلمة واربعة الاف وسبعماية وتسعة
وتسعون حرفا بسم الله الذي كمل علمه فيهم بحكمته
الرحمن الذي عم بالهداية باوضح البيان الرحيم الذي من
بجنات النعيم على من اتبع الصراط المستقيم **طس**
قال ابن عباس هو اسم من اسما الله تعالى وقد سبق
الكلام في حروف الهجا وقرا حمزة والكسائي وشعبة
بامالة الطا والباقون بالفتح **تلك** اي هذه الايات
العالية المقام البعيدة المرام البعيدة النظام **ايات**
القران اي الكامل في قراته الجامع للاصول الناشر
للفروع الذي لا خلل فيه ولا فصم ولا صدع ولا وصم
وكتاب مبين اي مظهر الحق من الباطل فان قيل
كيف صح ان يشار لانه من احدهما مونث والاخر
مذكر باسم الاشارة المونث ولو قلت تلك هند وزيد
لم يجز اجيب من ثلاثة اوجه احدها ان المراد بالكتاب
هو الايات لان الكتاب عبارة عن الايات مجموعة فلما
كان الشيا واحدا صحت الاشارة اليهما باشارة الواحد
المونث الثاني انه لما ولي المونث ما تصح الاشارة

الكتفى

اكتفى به وحسن ولو ولي المذكر لم يحسن الا ترى انك
تقول جاءتني هند وزيد ولو اخرت هندا لم يجز بانيث
الفعل وقرا ابن كثير بالنقل وصلا وابتدا وحمزة
في الوقف لا غير والباقون بغير نقل وقوله تعالى **هدى**
وبشرى يجوز ان يكونا منصوبين على المصدر
بفعل مقدر من لفظها اي يهدي هدى ويبشر
بشرى وان يكون في موضع الحال من ايات
والعامل فيهما ما في تلك من معنى الاشارة وان
يكونا خبرا بعد خبرين وان يكونا خبرين مبتدا مضمر اي
هو هدى من الضلالة وبشرى **للمومنين** اي المصدقين
بالجنة كقوله تعالى يبشرهم ربهم برحمة منه وفضل
ويهديهم اليه صراطا مستقيما وانما خص به المومنين
وقيل المراد بالهدى الدلالة وانما خصه بالمومنين
لانه ذكر مع الهدى البشرى والبشرى انما يكون
للمومنين اولانهم تمسكوا به كقوله تعالى ويزيد الله
الذين اهتدوا هدى ولما كان وصف الايمان انما انت
منذر من يخشاها ولانه يزيد في هداهم كقوله تعالى
ويزيد الله الذين اهتدوا هدى ولما كان وصف
الايمان خفيا عما يصدقه من الامور الظاهرة بقوله

المرام

Copyright © King Saud University

سبحنه وتعالى الذين يقيمون الصلاة اي يجمع
حدودها الظاهرة والباطنة من المواقيت والطهارة
والشروط والاركان والخشوع والمراقبة والاحسا
اصلاحها لما بينهم وبين الخلايق ويوتون الزكاة
اي احسانا فيما بينهم وبين الخلايق وهم بالاخرة
هم يوقنون اي يوجدون الايقان حق الايجاد
وبالاستدلال ويجددونه في كل حين بما يوجد منهم
في الاقدام على الطاعة والاحجام عن المعصية
واعيد هم لما فصل بينه وبين الخبر ولما افهم التخصيص
ان ثم من يكذب بها ذكره بقوله سبحنه وتعالى ان
الذين لا يومنون اي لا يوجدون الايمان ويجددو
بالاخرة زينا اي بعظمتنا التي لا يمكن دفاعها
لهم اعمالهم اي بالقبيحة بتركيب الشهوات حتى
تعرضوا لعين الخوف من عاقبتها مع ظهور قباحتها
والاسناد اليه حقيقي عند اهل السنة لانه الموجد
الحقيقي والى الشيطان مجاز مسمى وعند المعتزلة
بالعكس قال الزمخشري في تفسيره ان اسناده
الى الشيطان حقيقة واسناده الى الله سبحنه
وتعالى مجاز فهم اي فتسبب عن ذلك انهم يعمهون
اي

اي يتحيرون ويترددون في اودية الضلال ويتمادون
في ذلك فهم كل لحظة في خبط جديد بعمل غير
سديد اولئك اي البعداء البغضاء الذين لهم اي
خاصة سوء العذاب اي اشده في الدنيا بالخوف والقتل
وهم في الاخرة هم الاخسرون اي اشد الناس خسارة
لانهم خسروا ما الخسارة سببه لمصيرهم الى النار المويد
عليهم ولما وصف سبحانه وتعالى القران بما اقتضى بيان
اهل الفوز والخسران ذكر حال المنزل عليه وهو
النبي صلى الله عليه وسلم مخاطبا له بقوله سبحانه
وتعالى وانك اي وانت اشرف الخلق واعلمهم و
اعظمهم واحكمهم لتلقى القران اي لتوتاه وتلقنه او
يلقى عليك بشدة من لدن اي من عند حكيم اي
بالغ الحكمة فلا شي من افعاله الا وهو في غاية
الاتقان عليم اي بالغ الحكمة فلا شي من افعاله
الا وهو في غاية الاتقان اي عظيم العلم واسعه
تامة شاملة والجمع بينهما مع ان العلم داخل
في الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتفاق
الفعل والاشعار بان علوم القران منها ما هو
كالعقايد والشرايع ومنها ما ليس كذلك

Copyright © King Saud University

كالقصص والاخبار عن المغيبات ثم شرع في بيان
تلك العلوم بقوله سبحانه وتعالى اذ قال موسى
عليه الصلاة والسلام اي اذكر قصته حين قال
لاهله اي زوجته بنت شعيب عليه الصلاة
والسلام عند مسيره من مدين الى مصر وهي
القصة الاولى من قصص هذه السورة قال
الزمخشري روي انه لم يكن مع موسى عليه الصلاة
والسلام غير امراته وقد كنى الله سبحانه وتعالى
عنها بالاهل فتبع ورود الخطاب على لفظ الجمع
وهو قوله سبحانه وتعالى امكثوا وكانا يسيران
وقد اشتبه الطريق عليهما والوقت وقت برد
وفي المثل الحلل يقوي الناس بمشاهدة نار
من بعد لما يرجى فيها من زوال الحيرة وامن
الطريق ومن الانقطاع بالنار فلا هبط لا فلذلك
بشرها فقال تعالى اني انست اي ابصرت
ابصارا حصل لي به الانس وازال عني
الوحشة نارا سآتيكم منها بخبر اي عن حال
الطريق وكانا قد اضلاها وعبر بلفظ الجمع كما في
قوله تعالى امكثوا فان قيل كيف جاء بسين

التسويف

التسويف اجيب بان ذلك عدة لاهله انه
ياتيهم به وان ابطا الاتيان وكانت المسافة
بعيدة فان قيل قال هنا سآتيكم منها بخبر
وفي الحمهورة الاتية لعلي اتيكم بخبر وهما
كالمتدافعين لان احدهما برح والاخر تيقن اجيب
بان الراجي قد يقول اذا قوي رجاه سافعل
كذا وسيكون كذا مع تجويزه الحقيقة او اتيكم بشهاب
قبس اي شعلة في راس فتيلة او عود قال البغوي
وليس في الاخبار وقال بعضهم الشهاب شي
ذو نور مثل العمود والعرب تسمي كل شي
ابيض ذي نور شهاب بالتنوين على ان القبس
بدل منه او وصف له لانه بمعنى المقبوس
والباقون باضافة الشهاب اليه لانه يكون مقتبسا
وغير مقتبس وهو من اضافة النوع الى جنسه
نحو ثوب خز اذ الشهاب شعلة من نار والقبس
قطعة منها يكون في عود او غيره كما مر فان قيل
لم جاء باو دون الواو اجيب بانه بنى
الرجا على انه ان لم يظفر بحاجته جميعا لم يعدم
واحدة منها اما هداية الطريق واما

Copyright © King Saud University

اقتباس النار بعبادة الله انه لا يكاد يجمع بين
حرمانين على عبده وما ادراه حين قال ذلك
انه ظافر على النار بحاجته الكلمتين جموعا
وهما القران عن الدنيا وعن الاخرة ثم انه عليه
الصلاة والسلام على اتيانه بذلك
اضاما لانها ليلة باردة بقوله سبحانه وتعالى
لعلكم تصطلون اي لتكونوا في حال من يرجى
ان يستدفي بذلك من البرد والطابدل من تا
الافتعال من صلي بالنار بكسر اللام وفتحها
فلما جاها اي تلك التي ظنها النار نودي
من قبل الله تعالى ان بورك اي هي المفسرة
لان النداء فيه معنى القول والمعنى قيل له
ان بورك والمصدرية اي بان بورك وقوله
سبحنه وتعالى من في النار اي موسى عليه
الصلاة والسلام ومن حولها اي الملائكة
هو نايب الفاعل لبورك والاصل بارك الله
من في النار ومن حولها وهذا تحية من الله
عز وجل لموسى عليه الصلاة والسلام
بالبركة ومذهب اكثر المفسرين ان المراد بالنار

النور

النور ذكر بلفظ النار لان موسى عليه الصلاة
والسلام حسبه نارا ومن في النار هم الملائكة
وذلك ان النور راه موسى عليه السلام كان
فيه الملائكة لهم زجل بالتسبيح والتقديس ومن
حولها هو موسى لانه كان بالقرب منها ولم
يكن فيها وقال سعيد بن جبير كانت النار بعينها
والنار احدى حجب الله تعالى كما جاء في الحديث
حجابه النار ولو كشفها لاحرقت سبحات وجهه
تنبيه بارك يتعدى بنفسه وبحرف الجر يقال
له باركك الله وبارك عليك وبارك فيك وبارك
لك قال الشاعر

فبوركت مولودا وبوركت ناشيا
وبوركت عند الشيب اذا انت

قال الزمخشري والظاهر انه عام في كل ذلك الارض
وفي ذلك الوادي وحوالهما من ارض الشام
ولقد جعل الله تعالى ارض الشام الموسومة
بالبركة لكثرتها مبعث الانبيا وكفاتهم احيا
وامواتا ومهبط الوحي عليهم وخصوصا
تلك البقعة التي كلم الله سبحنه وتعالى فيها

موسى عليه الصلاة والسلام وقوله سبحنه
وتعالى وسبحن الله رب العالمين من تمام
ما نودي به لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيها
وللتعجب من عظمة الله سبحنه وتعالى في ذلك
الامر فانه اتاه الندا كما ورد من جميع الجهات فسمعه
بجميع الحواس اوتعجبه موسى لما دعاه من عظمته
ولما تشوفت النفس الى تحقق الامر قال سبحنه
وتعالى تمهيد لما اراد سبحنه وتعالى اظهاره
على يد موسى عليه الصلاة والسلام من المعجزات
الباهرات يا موسى انه اي الشان العظيم الجليل
الذي لا يبلغ وصفه وحمله انا الله اي البالغ
في العظمة ما تقصر عنه الاوهام مفسرين
له ا والتكلم وانا خبر والله بيان له ثم
وصف الله تعالى نفسه بوصفين يدلان
على ما يفعله مع موسى عليه الصلاة والسلام
احدهما العزيز اي الذي يصل الى جميع
ما يريد ولا يرده عن مراده اراد والثاني
الحكيم اي الذي يفعل كل ما يفعله بحكمه وتدبيره
فان قيل هنا الندا يجوز ان يكون من عند
الله سبحانه وتعالى فكيف علم موسى
عليه

عليه السلام انه من الله سبحنه وتعالى
اجيب بانه سمع الكلام المنزه عن مشابهة
المخلوقين لان الندا اتاه من جميع الجهات وسمعه
بجميع الحواس كما مر فعلم بالضرورة انه صفة الله
تعالى موسى عليه الصلاة والسلام اية تدل
على قدرته ليعلم علم مشهود وهي قوله سبحنه
وتعالى والق عصاك فالقاها كما مر فصارت
في الحال بما اذن به القاهرة عظيمة جدا ومع
كونها في غاية العظم في نهاية الخفة والسرعة
في اضطرابها عند مجاولتها ما تريد فلما راها تهتز
اي تضطرب في تحركها مع كونها في غاية الكبر
كانها جان اي حية صغيرة في خفتها وسرعتها
فلاينا في ذلك كبر جثتها ولى اي موسى عليه
الصلاة والسلام ان التولية مشتركة بين
معاني فلذا بين المراد منها بقوله سبحانه
وتعالى مدبرا اي التفت هاربا منها مسرعا
جدا لقوله تعالى ولم يعقب اي لم يرجع على عقبه
ولم يلتفت الى ما وراءه بعد توليته تنبيه
قال الزمخشري والق عصاك معطوف على

يورك لان المعنى نودي ان بورك من في النار
وان الق عصاك كلاهما تفسير نودي والمعنى
قيل له بورك من في النار وقيل له الق عصاك
انتهى وانما احتاج الى تقدير وقيل الق لتكون
جملة مناسبة للجملة الخبرية التي عطفت
عليها كانه يرى في العطف تناسب الجمل
المتعاطفة والصحيح كما قال ابو حيان انه لا يشترط
ذلك ولما تشوفت النفس الى ما قيل له
عند هذه الحالة اجيب بانه قيل له
يا موسى لا تخف اي منها ولا من غيرها ثقة
بي ثم علل هذا النهي بقوله تعالى مبشرا
بالامر والرسالة اني لا يخاف لدي المرسلون
اي عندي اي من حية ولا من غيرها لانهم معصومون
من الظلم ولا يخاف من الناس العدل الا الظالم
وقوله سبحانه وتعالى الا من ظلم فيه وجهان
احدهما انه استثنا منقطع لان المرسلين
معصومون من المعاصي وهذا هو الصحيح و
المعنى لكن من ظلم من سائر الناس فانه
يخاف الا من تاب كما قال الله سبحانه
وتعالى

وتعالى ثم بدل اي بتوبة حسنا بعد سوء وهو
الظلم الذي كان عمله اي جعل الحسن بدل السوء
كالسحرة الذين امنوا بعد ذلك بموسى عليه
الصلاة والسلام فاني اي ارحمه بسبب اني
غفور اي من شاني ان امحوا الذنوب محوا ازيل
جميع اثارها رحيم اي اعامله معاملة الراحم
البليغ الرحمة والثاني انه استثنا متصل و
للمفسرين فيه عبارات قال الحسن ان موسى ظلم
بقتل القبطي ثم تاب فقال رب اني ظلمت نفسي
فاغفر لي وقال غيره ان ذلك محمول على ان ما
يصدر من الانبيا من ترك الافضل وقال بعض
النحويين الا هاهنا بمعنى ولا اي لا يخاف لدي
المرسلون ولا المذنبون التايبون لقوله تعالى
ليلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا اي
ولا الذين ظلموا ثم اراه الله تعالى بعد هذه
الاية اية اخرى ذكرها بقوله سبحنه وتعالى وادخل
يدك في جيبك اي فتحة ثوبك وهو ما قطع منه
ليحيط بعنقك وكان عليه مدرعة صوف لا
كم له وقيل الجيب القميص لانه يجاب

Copyright © King Saud University

اي يقطع تخرج بيضا اي بياضا عظيما قد يرى حداله
شعاع كشعاع الشمس فكانت الاية الاولى مما
غيره تقلب جوهرها الى جوهر شي اخس
حيواني وهذه غيره بنفسها بل تقلب
عرضها التي كانت عليه الى عرض اخر نوراني
ثم نفي عنها ذلك بسبب افة بقوله سبحنه
وتعالى من غير سوء اي برص ولا غيره من الافات
وقوله سبحانه وتعالى في تسع ايات كلام مستانف
وحرف الجر فيه متعلق بمحذوف والمعنى اذهب
في تسع ايات الى فرعون وقومه كقول القايل

فقلت الى الطعام فقال منهم
فريق يحسد الانس الطعاما

ويجوز ان يكون بمعنى والق عصاك وادخل
يدك في تسع ايات وعدادهن ولقايل ان
يقول كانت الايات احدى عشر اية ثنتان
منها العصا واليد والتسع الفلق والطوفان
والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة
والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم
وقيل في بمعنى من اي تسع ايات فتكون
العصا واليد من التسع ثم علل ارساله
اليهم

اليهم بالخوارق بقوله سبحنه وتعالى انهم كانوا
قوما فاسقين اي خارجين عن طاعتنا فلما جاتهم
اياتنا اي يد موسى عليه السلام مبصرة
اي بينة واحرة واضحة هادية الى الطريق
الاقوم قالوا هذا سحر اي خيال لا حقيقة مبين
اي واضح في انه ضال وجحدوا بها اي انكروا كونها ايات
موجبات لصدقه مع علمهم ببطلانهم لان الجحود
الانكار مع العلم واستيقنتها انفسهم اي علموا
انها من عند الله تعالى وتخلل علمها صميم قلوبهم
فكانت السنتهم مخالفة لما في قلوبهم ولذلك
اسند الاستيقان الى النفس ثم علل جحدهم ووصفهم
لها بخلاف وصفها بقوله سبحانه وتعالى ظلما
وعلوا اي شركا وتكبرا عن ان يومنوا بما جا به
موسى عليه الصلاة والسلام فانظر يا اشرف الخلق
كيف كان عاقبة المفسدين وهو الاغراق في الدنيا
بايسر سعي وايسر امر فلم يبق منهم عين تطرف
ولم يرجع منهم مخبر على كثرتهم وعظمتهم وتوقهم
والاحراق في الاخرة بالنار الموبدة القصة
الثانية قصة داود وسليمان عليهما

Copyright © King Saud University

الصلاة والسلام المذكورة في قوله سبحنه وتعالى
ولقد اتينا اي بما لنا من العظمة داود وسليمن
ابنه وهما من اتباع موسي عليهما الصلاة
والسلام وبعده بازمان متطاولة علما اي
جزا من العلم عظيما من منطق الطير والدواب
وتسبيح الجبال وغير ذلك لم يوته لاحد من قبلهما
ولما كان التقدير فعملا بمقتضاه عطف عليه
قوله تعالى وقالا شكرا عليه ودلالة على
شرف العلم وتنبيها لاهله على التواضع
الحمد لاحاطته بجميع اوصاف الكمال لله اي
الذي لا كفو له الذي فضلنا اي بما اتانا من
النبوة والكتاب وتسخير الشياطين والجن
والانس وغير ذلك على كثير من عباده المومنين
اي ممن لم يوت علما او مثل علمهما وفي ذلك
تحريض للعالم ان يحمد الله تعالى على ما
اتاه من فضله وليعتقد انه وان فضل على
كثير فقد فضل عليه كثير فلا يتكبر و
يفتخر ويشكر الله سبحنه وتعالى ثم انه
تعالى اشار الى فضل سليمن عليه الصلاة
والسلام بانه جمع الى ما اتاه ما كان

منح

منح به اباه بقوله سبحنه وتعالى وورث سليمن
داوود اباه عليهما الصلاة والسلام دون سائر
اولاده وكان لداوود تسعة عشر ابنا فاعطي
ما اعطي داوود من الملك وزيد له تسخير الريح
وتسخير الشياطين وقال مقاتل كان سليمن
اعظم ملكا من داوود واقضى منه وكان
داوود اشد تعبدا من سليمن وكان سليمن
شاكرا لنعم الله تعالى عليه وقال تحدثا بنعمة الله
ومنبها على ما شرفه الله تعالى به ليكون احذر
في قبول الناس ما يدعوهم اليه من الخير يا ايها
الناس علمنا اي انا وابي بتيسير امر واسهله
منطق الطير اي فهم ما يريده به كل طائر اذا
صوت فسمي صوت الطير منطقا لحصول الفهم
منه كما يفهم من كلام الناس روي عن كعب
الاحبار انه قال صاح ورشان عند سليمان
عليه الصلاة والسلام فقال اتدرون ما
يقول قالوا لا قال الله سبحنه وتعالى لدوا
للموت وابنوا للخراب وصاحت فاختة فقال
اتدرون ما تقول قالوا لا قال يقول كانذين

Copyright © King Saud University

تدان وصاح هدهد فقال اتدرون ما يقول
قالوا لا قال فانه يقول من لا يرحم لا يرحم
وصاح صرد فقال اتدرون ما يقول قالوا لا
قال فانه يقول استغفروا الله يا مذنبين
وصاح طيطوى فقال اتدرون ما يقول قالوا لا
قال فانه يقول كل حي ميت وكل جديد بال
وصاح خطاف فقال اتدرون ما يقول قالوا لا
قال فانه يقول قدموا خيرا تجدوه وهدرت
حمامة فقال اتدرون ما تقول قالوا لا قال
فانها تقول سبحان ربي الاعلى ملا سمايه وملا
ارضه وصاح قمري فقال اتدرون ما يقول
قالوا لا قال فانه يقول سبحان ربي الاعلى
والغراب يدعوا على العشار والحدا تقول
كل شي هالك الا الله والقطاة تقول من سكت
سلم والببغا تقول ويل لمن الدنيا همه
والضفدع يقول سبحان ربي القدوس
ويقول ايضا سبحان ربي المذكور بكل لسان
والباز يقول سبحان ربي وبحمده وعن
مكحول قال صاح دراج عند سليمن فقال
اتدرون

اتدرون ما يقول هذا قالوا لا قال فانه يقول
الرحمن على العرش استوى وروي عن فرقد السبخي
قال مر سليمان على بلبل فوق شجرة يحرك
راسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه اتدرون ما
يقول هذا البلبل قالوا الله ونبيه اعلم
قال يقول اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفا
وهو بالفتح والمد التراب وقال ابو عبيد
هو الدروس وفي حديث صفوان اذا دخلت
بيتي فاكلت رغيفا وشربت عليه فعلى الدنيا
العفا وروي ان جماعة من اليهود قالوا لابن
عباس انا سايلوك عن سبعة اشيا فان
اخبرتنا امنا وصدقنا قال اسيلوا تفقها
ولا تسالوا تعنتنا قال اخبرنا ما يقول القنبر
في صفيره والديك في صعيقه والضفدع في
نعيقه والحمار في نهيقه والفرس في صهيله
وما يقول الزرزور والدراج قال نعم قال اما
القنبر فيقول اللهم العن مبغضي محمد وال محمد
واما الديك فيقول اذكروا الله يا غافلين
واما الضفدع فيقول سبحان المعبود في لجج
البحار واما الحمار فيقول اللهم العن

Copyright © King Saud University

العشاء واما الفرس فتقول اذا التقى الصفان
سبوح قدوس رب الملايكة والروح واما الزرزور
فيقول اللهم اني اسيلك قوت يوم بيوم يا رزاق واما
الدراج فيقول الرحمن على العرش استوى قال
فاسلم اليهود وحسن اسلامهم ويروي ان
جعفر بن محمد الصادق عن ابيه عن جده عن
الحسين بن علي قال اذا صاح النسر قال ابن
ادم عش ما شيت اخره الموت واذا صاح
العقاب قال في البعد من الناس انس واذا صاح
القنبر قال الهي لعن مبغضي ال محمد واذا صاح
الخطاف قرا الحمد لله رب العالمين ويمد ولا الضالين
كما يمد القاري وقول سليمن عليه الصلاة و
السلام واوتينا من كل شي اي اتوا به الانبيا
والملوك وقال ابن عباس من امر الدنيا والاخرة
وقال مقاتل يعني النبوة والملك وتسخير الجن
والانس والرياح ان هذا اي الذي اتيناه
لهو الفضل المبين اي البين في نفسه لكلامي
بنظم الموضع لعلو قدر صاحبه روي ان سليمن
اعطي ملك مشارق الارض ومغاربها فملك

اربعين سنة وستة اشهر ملك جميع اهل الدنيا
من الجن والانس والدواب والطيور والسباع
واعطي مع ذلك منطق الطير كل شي وفي زمانه
صنعت الصنايع العجيبة فقوله ان هذا لهو
الفضل المبين تقرير لقوله الحمد لله الذي
فضلنا والمقصود منه الشكر والحمد كما قال صلى
الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم ولا فخر فان
قيل علمنا واوتينا وهو كلام المتكبر اجيب
بوجهين الاول انه يريد نفسه واباه كما مر الثاني
ان هذه النون يقال لها نون الواحد المطاع وكان
ملكا مطاعا ولما كان هذا مجرد خبر اتبعه ما
يصدقه بقوله تعالى وحشر اي جمع جمعا حتما
بعزة وسطوة واكراه امر امر لسليمن جنوده
ثم بين ذلك بقوله سبحنه وتعالى من الجن وبدا
بهم لعسر جمعهم ثم ثنى بقوله سبحانه وتعالى
والانس لشرفهم ثم اتبع من يعقل بما لا يعقل بقوله
سبحانه وتعالى والطير تقدم القسم الاول لشرفه
وذلك كان مسيره في بعض الغزوات فهم اي
فتسبب عن مسيره ذلك انهم يوزعون

Copyright © King Saud University

اي يكفون بحبس اولهم على اخرهم بادني امر واسهله
لينلاحقوا فيكونوا ذلك احذر بالهيبة واعون
على النصرة واقرب الى السلامه قال قتادة كان
كل صنف من جنوده وزعة ترادا ولها على اخرها
ليلا يتقدموا في المسير قال والوزاع الحابس
وهو النقيب وقال مقاتل يوزعون اي
يساقون وقال السدي يوقفون وقيل يجمعون
واصل الوزع الكف والمنع قال محمد بن كعب القرظي
كان عسكر سليمن عليه الصلاة والسلام
مائة فرسخ خمس وعشرون للانس وخمسة
وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش
وخمسة وعشرون للطير وقيل نسجت الجن له
بساطا من ذهب وحرير فرسخا في فرسخ وكان
يوضع كرسيه في وسطه فيقعد وحوله ست
مائة الف كرسي من ذهب وفضة فتقعد الانبيا
على كراسي الذهب والعلما على كراسي الفضة
والناس حولهم والجن والشياطين حول الناس
والوحش حولهم وتظلهم الطير باجنحتها حتى لا
يقع عليهم الشمس وكان له الف بيت قوارير
على

١١

على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة يعني حرة وسبع
مائة سرية فيامر الريح العاصف فترفعه فيامر الرخا أمة
فتسير به مسيرة شهر واوحى اليه وهو يسير
بين السما والارض اني قد زدت في ملكك ان لا
يتكلم احد من الخلايق بشي الا جات به الريح فاخبرتك
به فيحكي انه مر بحراث فقال لقد اوتي ال داود
ملكا عظيما فالقته الريح في اذنه فنزل ومشى
تتمنى الى الحراث وقال اني مشيت اليك ليلا تتمنى مالا
تقدر عليه ثم قال تسبيحة واحدة يقبلها الله
سبحنه وتعالى خير مما اوتي ال داوود سار او
استمر سايرا بمن معه **حتى اذا اتوا** اي اشرفوا
على وادي النمل روي عن كعب الاحبار انه
قال كان سليمان اذا ركب حمل اهله وخدمه
وحشمه وقد اتخذ مطابخ ومخابز فيها تنانير
الحديد وقدور عظام تسع كل قدر عشرة من
الابل يطبخ الطباخون ويخبز الخبازون وتخذ
ميادين للدواب فتجري بين يديه وهو بين
السما والارض والريح يهوي بهم فصار من
اصطخر يريد اليمن فسلك مدينة النبي

Copyright © King Saud University

صلى الله عليه وسلم فقال سليمن هذه دار
هجرة نبي يخرج في اخر الزمان طوبى لمن امن به
وطوبى لمن اتبعه ولما وصل الى مكة راى حول
البيت اصناما تعبد من دون الله سبحنه
وتعالى فلما جاوز سليمن البيت بكى فاوحى الله
سبحنه وتعالى الى البيت ما يبكيك فقال يا
رب ابكاني ان هذا نبي من انبيايك وقوم من
اوليايك مروا علي فلم يهبطوا ولم يصلوا عندي
والاصنام تعبد حولي من دونك فاوحى الله
سبحنه وتعالى اليه لا تبكي فاني سوف املاك
وجوها سجدا وانزل فيك قرانا جديدا و
ابعث منك نبيا اخر الزمان احب انبيايي
الي واجعل فيك عمارا من خلقي يعبدونني و
افرض على عبادي فريضة يدفون اليك دفيف
النسور الى وكرها ويحنون اليك حنين الناقة
الى ولدها وحنين الحمامة الى بيضها واطهرك
من الاوثان وعبدة الشياطين ثم سار سليمان
بجادي السرير من الطايف فاتى على
واد النمل هكذا قال كعب انه واد بالطايف
قال

٢٢

قال البقاعي وهو الذي تميل اليه النفس
فانه معروف عندهم الى الان بهذا الاسم وقال
قتادة ومقاتل هو واد بالشام وجرى عليه
البيضاوي وقيل واد كانت تسكنه الجن واوليك
النمل مراكبهم وقال نوف الحميري كان نمل ذلك
الوادي مثل الذباب وقيل كان كالبخاتي وقال
البغوي والمشهور انه النمل الصغير تنبيه وقف
الكسائي على وادي بالياء والباقون بغيرها فان
قيل لم عدي اتوا بعلى اجيب بانه يتوجه على
معنيين احدهما ان اتيانهم كان من فوق فاتى
بحرف الاستعلا والثاني ان يراد قطع الوادي و
بلوغ اخره من قولهم اتى على الشي اذا انفذه وبلغ
اخره كانهم ارادوا ان ينزلوا عند مقطع الوادي
لانهم ما دامت الريح تحملهم في الهوى لا يخاف
حطمهم ولما كانوا في امر هول منتظر وقربوا
من ذلك الوادي **قالت نملة** قال الشعبي كانت
تلك النملة ذات جناحين وقيل كانت نملة عرجا
فنادت يايها النمل ادخلوا اي قبل وصول ما رى
من الجيش مساكنكم ثم عللت امرها فقالت

Copyright © King Saud University

فقالت لا يحطمنكم يكسرنكم ويهشمنكم اي لا تبرزوا
فيحطمنكم فهو نهي عن البروز في صورة نهية
وهو ابلغ من التصريح بنهيهم لان من نهي كثيرا
عن شي كان لغيره اشد تهيبا سليمن وجنوده
اي لانهم لكثرتهم اذا صاروا في هذا الوادي
استعلوا عليه فضيقوه فلم يدعوا فيه
موضع شبر خاليا وهم اي سليمن
وجنوده لا يشعرون اي يحطمنكم لاشتغالهم
بما هم فيه من احوال الناس السير وقولها
هذا يدل على علمها بانهم لا يشعروا انهم ما انوا هم
لانهم اتباع نبي فهي رحما وانما خاطبتهم خطاب
من يعقل لانها لما جعلت قايلة والنمل
مقولا له كما يكون في اولي العقل اجرت خطابهم
والنمل اسم جنس مصروف واحده نملة ويقال
نملة ونمل بضم النون وسكون الميم ونملة
ونمل بضمها وعن قتادة انه دخل الكوفة فالتف
عليه الناس فقال سلوني عما شيتم وكان ابو
حنيفة رحمه الله تعالى حاضرا وهو غلام حديث
السن فقال سلوه عن نملة سليمان اكانت
ذكر

ذكرا ام انثى فسالوه فافحم فقال ابو حنيفة كانت
انثى فقيل له من اين عرفت فقال من كتاب الله
سبحانه وتعالى وهو قوله سبحانه وتعالى قالت
نملة ولو كانت ذكرا لقال قال نملة قال الزمخشري
وذلك ان النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها
على الذكر والانثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم
حمامة ذكر وحمامة انثى وهو وهي وهو انتهى ورد
هذا ابو حيان فقال ولحاق التا في قالت لا يدل
على ان النمل مونث بل يصح ان يقال في الذكر قالت
نملة لان النمل وان كان بالتا هو مما لا يتميز فيه
المذكر من المونث وما كان كذلك كاليمامة
والقملة مما بينه في الجمع وبين واحده تا التانيث
من الحيوان فانه يخبر عنه اخبار المونث ولا يدل
كونه يخبر عنه اخبار المونث على كونه ذكرا او انثى لان
التا دخلت فيه للفرق لا للدلالة على التانيث
له الحقيقي بل دالة على الواحد من هذا الجنس قال
وكان قتادة بصيرا بالعربية وكونه افحم يدل على معرفته
باللسان اذ علم ان النملة يخبر عنها اخبار المونث
وان كانت تطلق على الانثى والذكر اذ لا يتميز فيه

احد هذين ولحاق العلامة لاتدل فلا يعلم التذكير
والتانيث الا بوحي من الله سبحنه وتعالى انتهى
وقال الطيبي العجب من ابو حنيفة ان ثبت ذلك
عنه لان النملة والشاة كالحمامة تقع على الذكر و
الانثى واطال الكلام في ذلك فان قيل كيف
يتصور الحطم من سليمن وجنوده وكانت الريح
تحمل سليمن وجنوده على بساط بين السما
والارض تطوي لهم اجيب بان من جنوده
ركبانا ومنهم مشاة على الارض تطوى لهم وان
ذلك كان قبل تسخير الريح لسليمن ويروي ان
سليمان لما بلغ وادي النملة حبس جنوده حتى
دخل النمل بيوتهم فقد روي انه سمع كلامها من
ثلاثة اميال وقيل كان اسمها طاخية فائدة
قال اهل المعاني في كلام هذه النملة انواع من
البلاغة نادت ونبهت وسمت وامرت ونصت
وحذرت وخصت وعمت واشارت واعذرت
ووجهه نادت يا ايها سمت النمل امرت ادخلوا
نصت مساكنكم حذرت لا يحطمنكم خصت
سليمن عمت وجنوده اشارت وهم اعذرت

لا يشعرون ولما كان هذا امرا معجبا لما فيه من
جزالة الالفاظ وجلالة المعاني تسبب عنه
قوله فتبسم ضاحكا من قولها اي لما اوتيت من
الفصاحة والبيان وسرورا بما وصفت به
من العدل في انه وجنوده لا يوذي احدا وهم
يعلمون وبما اتاه الله من سمعه كلام النملة واحا طته
بمعناه تنبيه ضاحكا حال موكده لانها موكده
لانها مفهومة من تبسم وقيل هي حال مقدرة
فان التبسم ابتدا الضحك وقد يكون للغضب
ومن تبسم تبسم الغضبان فضاحكا مبنيا له
قال عنتره
لما راني قد قصدت اريده ابدي نواجذه لغير تبسم
وقال الزجاج اكثر ضحك الانبيا التبسم وقوله
ضاحكا اي متبسما وعن عايشة رضي الله عنها
قالت ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
مستجمعا قط ضاحكا حتى ارى منه لهواته انما
كان يتبسم وعن عبد الله بن الحارث بن جزء
قال ما رايت احدا اكثر تبسما من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقيل كان اوله التبسم

واخر الضحك ثم حمد الله تعالى على هذه النعمة وسال
ربه توفيق شكره لما تذكر ما اولاه ربه سبحانه
وتعالى بحسن تربيته من فهم كلامها الى ما
انعم عليه من غير ذلك وقال رب اي يا
المحسن الي اوزعني اي الهمني ان اشكر نعمتك
ومعناه اجعلني ازع شكر نعمتك اي اكفه
واحبسه حتى لا يلتفت مني فلا ازال شاكرا واوزع اشع
بفتح الزاي اصله اوزع فحذفت واوه كما اودع
ولما افهم ذلك تعلق النعمة به حقيقة بقوله
التي انعمت علي وافهم قوله وعلى والدي اي ان
كانت ايضا تعرف منطق واندرج ذكر والديه
لان النعمة على الولد نعمة على الوالدين خصوصا
النعمة الراجعة الى الدين فانه اذا كان تقيا
نفعهما بدعايه وشفاعته ودعا لهما كلما
دعوا وقالوا رضي الله عنك وعن والديك
لتبعه الشكر لغة فعل ينبي عن تعظيم المنعم
حيث انه منعم على الشاكر وغيره سوا كان
ذكرا باللسان ام اعتقادا ام محبة بالجنان ام
عملا وخدمة بالاركان كما قال القايل ٥
افادتكم النعما مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا

وعرفا

وعرفا صرف العبد جميع ما انعم الله تعالى به عليه
من السمع وغيره الى ما يحق خلق لاجله وهذا
لمن حفته العناية الربانية نسال الله الكريم
الفتاح ان يجعلنا ومن يلوذ بنا بعنايته روي
عن داود عليه الصلاة والسلام انه قال
يارب كيف اشكرك والشكر نعمة اخرى منك احتاج ج
عليها الى شكر اخر فاوحى الله تعالى اليه يا داود
اذا علمت ان ما لك من نعمة مني فقد شكرتني
والشكر ثلاثة اشيا الاول معرفة النعمة بمعنى
احضارها في الخاطر بحيث يتميز عندك انها نعمة
فرب جاهل يحسن اليه وينعم عليه وهو لا يدري
فلا جرم انه لا يصح منه الشكر الثاني قبول النعمة
بتلقيها من المنعم باظهار الفقر والفاقة فان ذلك
شاهد بقبولها حقيقة الثالث الثنا بها بان
تصف المنعم بالجود والكرم ونحوه مما يدل على
حسن تلقيك لها واعترافك بنزول مقامك
في الرتبة عن مقامه فان اليد العليا خير من اليد
السفلى ولما علم من كلامه ان الشاكر هو
المستغرق في الثنا على المنعم بما يجب عليه من

من العمل بحسب ما يقدر عليه وكان ذلك العمل
مما يجوز ان يكون زين لذلك العبد كونه حسنا
وهو ليس كذلك قال عليه الصلاة والسلام
مشير الى هذا المعنى وان اعمل صالحا اي في
نفس الامر وقيده بقوله تعالى ترضاه لان العمل
الصالح قد لا يرضى المنعم لنقص في العامل كما قيل اذا
اذا كان المحب قليل حظه فما حسناته الا ذنوب
وقوله سبحنه وتعالى وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين
يدل على ان دخول الجنة برحمته وفضله لا باستحقاق
العبد والمعنى ادخلني في جملتهم واثبت اسمي في
اسمائهم واحشرني في زمرتهم قال ابن عباس رضي
الله تعالى عنهما يريد مع ابراهيم واسحاق ويعقوب
ومن بعدهم من النبيين فان قيل درجات الانبيا
افضل من درجات الاوليا والصالحين فما السبب
في ان الانبيا يطلبون جعلهم من الصالحين فما
السبب وقد قال يوسف عليه السلام فاطر
السموات والارض انت وليي في الدنيا والاخرة
توفني مسلما والحقني بالصالحين وقال
ابراهيم توفني مسلما والحقني بالصالحين

اجيب

اجيب بان الصالح الكامل هو الذي لا يعصي
الله سبحانه وتعالى ولا يفعل معصية ولا يهم
بمعصية وهذه درجة عالية ثم ان سليمن
عليه الصلاة والسلام لما وصل الى المنزل الذي
قصده تفقد احوال جنوده كما تقتضيه العناية
بامور الملك وتفقد الطير اي طلبها وبحث عنها
والتفقد طلب ما فقد ومعنى الاية طلب ما فقد
من الطير فقال مالي لا ارى الهدهد اي هو
حاضر ام كان من الغايبين اي منقطع كانه لما
لم يره ظن حاضر ولم يره لساتر او غيره فقال
مالي لا اراه ثم احتاط فلاح له انه غايب فاضرب
عن ذلك واخذ بقوله ام هو غايب كانه يسال
عن صحة ما لاح له وهذا يدل انه تفقد جماعة من
الجند وتحقق غيبتهم وشك في غيبته وكان
سبب غيبة الهدهد على ما ذكره العلما على
ما ذكره العلما ان سليمن عليه الصلاة والسلام
لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج
الى ارض الحرم فتجهز للمسير واستصحب من الجن
والانس والشياطين والطيور والوحوش

Copyright © King Saud University

ساير عسكره ماية فرسخ فحملهم الريح فلما وافا
الحرم اقام به ما شا الله ان يقيم وكان ينحر
في كل يوم مدة مقامه بمكة خمسة الاف ناقة
وخمسة الاف بقرة وعشرين الف شاة وقال
لمن حضر من اشراف قومه ان هذا المكان يخرج
منه نبي عربي صفته كذا وكذا يعطى النصر على
جميع ما ناواه وتبلغ هيبته مسيرة شهر
القريب والبعيد عنده في الحق سوا لا تاخذه
في الله لومة لايم قالوا باي دين يدين يا نبي الله
قال بدين الحنفية وطوبى لمن ادركه وامن به
قالوا كم بيننا وبين خروجه يا نبي الله قال مقدار
الف عام فليبلغ الشاهد منكم الغايب فانه
سيد الانبيا وخاتم الرسل فاقام بمكة حتى
قضى نسكه ثم خرج منها صباحا ومشى نحو اليمن
فوافا صنعا وقت الزوال وذلك مسيرة
شهر فراى ارضا حسنا تزهر خضرتها فاحب
النزول ليصلي ويتغدا فلما نزل قال الهدهد
ان سليمن قد اشتغل بالنزول فارتفع نحو السما
فانظر

فانظر الى المدينة طولها وعرضها فنظر يمينا وشمالا
فراى بستانا لبلقيس فمال الى الخضرة فوقع فيه
فاذا هو بهدهد فهبط عليه وكان اسم
هدهد سليمان يعفور واسم هدهد اليمن
عنفير فقال عنفير هدهد اليمن ليعفور هدهد
سليمن من اين اقبلت والى اين تريد قال
اقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داوود
قال ومن سليمان قال ملك الانس والجن والشياطين
والطير والوحوش والرياح فمن انت قال من هذه
البلاد قال ومن ملكها قال امراة يقال لها
بلقيس وان لصاحبكم ملكا عظيما ولكن ليس
ملك بلقيس دونه فانها ملكت اليمن كله وتحت
يدها اثني عشر الف قايد تحت يد كل قايد ماية
الف مقاتل وهل انت منطلق معي حتى تنظر
الى ملكها قال اخاف ان يفقدني سليمان في
وقت الصلاة اذا احتاج الى الما قال الهدهد
اليماني ان صاحبك ان يسره تاتيه بخبر هذه
الملكة فانطلق معه ونظر الى بلقيس وملكها
وغاب الى وقت العصر وكان نزل

Copyright © King Saud University

سليمان على غير ما قال ابن عباس وكان الهدهد
دليل سليمان على الما وكان يعرف الما ويرى
الما تحت الارض كما يرى الزجاجة ويعرف بعده
وقربه فينقر الارض ثم تجي الشياطين فيسلخونها
كما يسلخ الاهاب ويستخرجون الما قال
سعيد بن جبير لما ذكر ابن عباس هذا قال له
نافع بن الازرق انظر ما يقول ان الصبي منا
يصنع الفخ ويحثوا عليه التراب فيجي الهدهد
ولا يبصر الفخ حتى يقع في عنقه فقال ابن
عباس ويحك ان القدر اذا جاء حال بين
البصر وفي رواية اذا نزل القضا والقدر
ذهب اللب وعمي البصر قال القايل

هي المقادير فدعني والقدر
ان كنت اخطات فما اخطى القدر
واذا اراد الله امرا بامرئ
وكان ذا عقل وسمع ونظر
يعبر الجهل فيعمي قلبه ٠
وصم سمعه وعقله ثم البصر
حتى اذا انفذ فيه حكمه

رد

رد عليه عقله ليعتبر
فلما دخل على سليمان وقت الصلاة سال الانس
والجن والشياطين على الما فلم يعلموه فتفقد الهدهد
فلم يجده فدعا عريف الطير فسال عنه فقال اصلح الله
الملك ما ادري اين هو وما ارسلته مكانا فغضب
سليمن عند ذلك وقال لاعذبنه اي بسبب غيبته
فيما اذن فيه عذابا شديدا اي بقا روحه ردعا
لامثاله اولاذبحنه اي بقطع حلقومه اوتاديبا لغيره
اوليايتني بسلطان مبين اي حجة واضحة واختلفوا٠
في تعذيبه الذي اوعده له على تاويل قال البغوي
اظهرها ان عذابه ان ينتف ريشه وذنبه ويلقيه
في الشمس ممعطا لا يمتنع من النمل والذباب
ولا من هوام الارض انتهى وقيل تعذيبه
ان يوذيه بما لا يحتمله ليعتبر به ابنا جنسه
وقيل كان عذاب سليمان للطير ان ينتف
ريشه ويشمسه وقيل ان يطلى بالقطران
ويشمس وقيل ان يلقى للنمل ياكله وقيل
ايداعه القفص وقيل التفريق بينه وبين
الفه وقيل لالزمنه صحبة الاضداد قال

قال الزمخشري وعن بعضهم اضيق السجون
معاشرة الاضداد وقيل لالزمنه خدمة
اضداده ثم دعا العقاب سيد الطير فقال علي
بالهدهد الساعة فرفع العقاب نفسه دون
السماء حتى التزق بالهوي فنظر الى الدنيا
كالقصعة بين يدي احدكم فالتفت يمينا
وشمالا فاذا بالهدهد مقبلا من نحو اليمن
فانقض العقاب نحوه يريده فلما راى الهدهد
ذلك علم ان العقاب يقصده بسوء فناشده
فقال بحق الذي قواك واقدرك على الا ما
رحمتني ولم تتعرض لي بسوء فولى عنه العقاب
وقال له ويلك ثكلتك امك ان نبي الله
حلف ان يعذبك او يذبحنك قال فما استثنى
قال بلى قال او ليأتيني بسلطان مبين
ثم طارا متوجهين نحو سليمن فلما انتهى
الى العسكر تلقاه النسر والطير فقالوا له
ويلك اين غبت في يومك هذا فلقد
توعدك نبي الله واخبروه بما قال فقال
الهدهد وما استثنى نبي الله عليه
الصلاة

الصلاة والسلام قالوا بلى قال او ليأتيني بسلطان
مبين قال فنجوت اذا ثم طار العقاب والهدهد
حتى اتيا سليمن وكان قاعدا على كرسيه فقال
العقاب قد اتيتك به يا نبي الله فمكث اي الهدهد
وقوله سبحنه وتعالى غير بعيد صفة للمصدر
اي مكثا غير بعيد فلما قرب الهدهد منه
رفع راسه وارخى ذنبه وجناحيه يجرهما
على الارض تواضعا لسليمن فلما دنا منه اخذ
براسه فمده اليه وقال اين كنت لاعذبنك
عذابا شديدا فقال له الهدهد يا نبي الله اذكر
وقوفك بين يدي الله تعالى فلما سمع سليمان
ذلك عفا عنه ثم ساله فقال ما الذي
ابطاك عني فقال احطت اي علما بما لم تحط به
اي انت مع اتساع علمك واستداد ملكك الهم الله
الهدهد فكافح سليمن بهذا الكلام على ما اوتي
من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمة والاحاطة
بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له في علمه وتنبيها
على ان في ادنى خلقه واضعفه من احاط
علما بما لم يحط به ليتحاقر اليه بنفسه ويتصاغر

Copyright © King Saud University

اليه علمه ويكون لطفا في ترك الاعجاب الذي هو
فتنة العلما، والاحاطة بالشي علما ان يعلم
من جميع جهاته لا يخفى منه معلوم قالوا وفيه
دليل على بطلان قول الروافضة ان الامام
لا يخفى عليه شي ولا يكون في زمانه اعلم منه
وقيل الضمير في مكث لسليمن وقيل غير
بعيد صفة للزمان اي زمان غير بعيد
وقرا عاصم بفتح الكاف والباقون بضمها
وهما لغتان الا ان الفتح اشهر وجيتك الان
من سبا بنبا اي خبر عظيم يقين اي محققة
وقرا ابو عمرو والبزي سبا بفتح الهمزة من غير
تنوين جعلاه اسما للقبيلة او البقعة
فمنعاه من الصرف للعلمية والتانيث
والباقون بالجر جعلوه اسما للحي والمكان
قال البغوي وجاء في الحديث ان النبي صلى
الله عليه وسلم سيل عن سبا فقال رجل
كان له عشرة من بنين تيامن منهم ستة
وتشام اربعة فقال سليمن وما ذاك قال
اني وجدت امراة تملكهم وهي بلقيس بنت
شراحيل

شراحيل من نسل يعرب بن قحطان وكان ابوها
ملكا عظيما عظيم الشان قد ولد له اربعون
ملكا هو اخرهم وكان يملك ارض اليمن كلها
وكان يقول لملوك الاطراف ليس احد منكم كفوي
وابى ان يتزوج منهم فزوجوه بامراة من الجن
يقال لها ريحانة بنت السكن فولدت بلقيس
ولم يكن له ولد غيرها قال البغوي وجا في الحديث
ان ابوي بلقيس كان جنيا فلما مات ابو بلقيس
طمعت في الملك وطلبت من قومها ان يبايعوها
فاطاعها قوم وعصاها اخرون وملكوا
عليها رجلا فافترقوا فرقتين كل فرقة من ارض
اليمن ثم ان الرجل الذي ملكوه اسا السير
في اهل مملكته حتى كان يمد يده الى حرم رعيته
ويفجر بهن فاراد قومه خلعه فلم يقدروا عليه
فلما رات بلقيس ذلك ادركتها الغيرة فارسلت
اليه تعرض نفسها عليه فاجابها الملك وقال ما
منعني ان ابتديك الخطبة الا الاياس منك
فقالت لا ارغب عنك انت كفو كريم فاجمع
رجال قومي واخطبني منهم فجمعهم وخطبها

Copyright © King Saud University

منهم فقالوا لا نراها تفعل ذلك فقال لهم انها
قد ابتدلت فيّ وانا احب ان تسمعوا قولها
فجاوها فذكروا لها قالت نعم احببت الولد
فزوجوها منه فلما زفت اليه خرجت في
اناس كثير من حشمها فلما جاءته اسقته الخمر
حتى سكر ثم حزت راسه وانصرفت من
الليل الى منزلها فلما اصبح الناس والملك قتيلا
وراسه منصوب على باب دارها فعلموا ان
تلك المناكحة كانت حيلة مكرا وخديعة منها
فاجتمعوا اليها وقالوا انت بهذا الملك
احق من غيرك فملكوها وعن الحسن عن ابي بكرة
قال لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان اهل فارس ملكوا عليهم امراة قال لن يفلح
قوم ولوا امرهم امراة وقوله تعالى **واوتيت**
يجوز ان يكون معطوفا على تملكهم ويجوز ان
يكون في محل نصب على الحال من مرفوع تملكهم
وجاز عطف الماضي على المضارع بمعناه
اي تملكهم وقد مضمرة عند من يرى ذلك
وقوله سبحانه وتعالى **من كل شي** عام
مخصوص

مخصوص بالعقل لانها لم توت ما اوتيه
سليمن فالمراد من كل شي يحتاج اليه الملوك
من الالة والعدة **ولها عرش** اي سرير **عظيم** اي ضخم
لما اجد لاحد مثله طوله ثمانون ذراعا وعرضه
اربعون ذراعا وارتفاعه ثلاثون ذراعا مضروب
من الذهب والفضة مكلل بالدر والياقوت الاحمر
والزبرجد الاخضر على سبعة ابواب كل باب
بيت مغلق فان قيل كيف يستعظم الهدهد
عرشها مع ما كان يرى من ملك سليمان وايضا
كيف سوى بين عرش بلقيس وعرش الرحمن
في الوصف بالعظيم اجيب عن الاول بانه
يجوز ان يستصغر حالها الى حال سليمن و
استعظم لها ذلك العرش ويجوز ان لا يكون
لسليمن مثله وان عظمت مملكته في كل شي
كما يكون لبعض الامرا الاطراف شي لا يكون
بالعظم بالنسبة الى ساير ما خلق من السموات
والارض فان قيل كيف خفي على سليمن تلك
المملكة العظيمة مع ان الانس والجن كانوا في طاعته
فانه عليه الصلاة والسلام كان ملك الدنيا

Copyright © King Saud University

كلها مع انه لم يكن بين سليمن وبين بلدة بلقيس
حال طيران الهدهد الا مسيرة ثلاثة ايام
احتجب بان الله سبحانه وتعالى اخفى
ذلك عنه لمصلحة راها كما اخفى مكان يوسف
عن يعقوب ولما كان الهدهد في خدمته
اقرب اهل ذلك الزمان الى الله سبحنه
وتعالى فحصل له من النورانية ما هوله قال
مستانفا وجدتها وقومها اي كلهم على
ضلال كبير وذلك انهم يسجدون للشمس
مستدين ذلك من دون الله اي من ادنى رتبة
للملك الاعظم الذي لا مثل له وزين لهم الشيطان
هذه القبيحة حتى صاروا يظنونها حسنة
ثم تسبب عن ذلك انه طريق الحق فلهذا
قال لعمالهم فصدهم عن السبيل اي الذي لا
سبيل الى الله غيره وهو الذي بعث به انبياوه
ورسله عليهم الصلاة والسلام ثم تسبب
عن ذلك ضلالهم فلهذا قال فهم اي بحيث
لا يهتدون اي لا يوجد لهم هدى بل هم في ضلال
صرف وعمى محض ان لا يسجدوا لله اي ان

يسجدو

يسجدوا له فزيدت لا وادغم فيها نون كما في
قوله تعالى لئلا يعلم اهل الكتاب والجملة
في موضع مفعول يهتدون باسقاط الى هذا
اذا قري بالتشديد وهي قراءة غير الكسائي
واما الكسائي فقرا بالتخفيف الا فالا فيها
للتنبيه وهي اداة استفتاح وما بعدها
حرف ندا ومناداه محذوف كما حذف من قال

الا يا اسلمي يا دارمي على البلا
ولا زال منهلا بجرعايك القطر

ويوقف الكسائي على الا وعلى يا وعلى اسجدوا
واذا ابتدا اسجدوا ابتدا بالضم ثم وصف الله
تعالى بما يوجب اختصاصه باستحقاق السجود
من التفرد بكمال القدرة والعلم حثا على السجود
له وردا على من يسجد لغيره سبحانه وتعالى
بقوله تعالى الذي يخرج الخبء وهو مصدر
بمعنى المخبو من المطر والنبات وغيرهما وخصه
بقوله تعالى في السموات والارض لان ذلك
منتهى مشاهدتنا فننظر ما يكون فيهما
بعد ان لم يكن من سحاب ومطر ونبات

Copyright © King Saud University

وتوابع ذلك من البرق والرعد وما يشرق من
الكواكب ويغرب الى غير ذلك من الرياح والحر
والبرد ومما لا يحصيه الا الله سبحانه وتعالى
ويعلم ما يخفون في قلوبهم وما يعلنون
بالسنتهم وقرا الكسائي وحفص بالتا الفوقية
فيهما والباقون باليا التحتية فالخطاب ظاهر
على قراة الكسائي لان ما قبلهم امرهم بالسجود
وخاطبهم والغيبة على قراة الباقين غير ظاهر
ايض لتقدم الضماير الغايبة في قولهم واعمالهم
وصدهم وفهم واما قراة حفص فتاويله
انه خرج الى الخطاب الحاضرين بعد ان تم
قصة اهل سبا ويجوز ان يكون التفاتا على
انه نزل الغايب منزلة الحاضر فخاطبه ملتفتا
اليه وقوله تعالى الله لا اله الا هو رب العرش
العظيم اي الذي هو اول الاجرام واعظمها
والمحيط بجملتها يحتمل ان يكون من كلام
الهدهد استدراكا لما وصف عرش بلقيس
بالعظم وان يكون من كلام الله سبحانه
وتعالى وردا عليه في وصفه عرشها

بالعظم

بالعظم فبين العظمتين بون عظيم فان قيل
من اين للهدهد التهدي الى معرفة الله سبحانه
وتعالى ووجوب المسجود له وانكار سجودهم
للشمس واضافته الى الشيطان وتزيينه اجيب
بانه لا يبعد ان يلهمه الله تعالى ذلك كما الهمه
وغيره من الطيور وساير الحيوانات المعارف
اللطيفة التي لا تكاد العقلا الرجاح العقلا
يهتدون لها خصوصا في زمن نبي سخرت
له الطيور وعلم منطقها وجعل ذلك معجزة
له وهذه اية سجدة واختلف في محلها
هل هو هذه الاية او عند قوله قبلها وما
يعلنون الجمهور على الاول ولما فرغ الهدهد
من كلامه قال له سليمان سننظر اي
نختبر ما تقوله اصدقت فيه فنعذرك ام كنت
من الكاذبين اي معروفا بالانخراط في سلكهم
فانه لا يجتري على الكذب عندي الا من كان
عريقا في الكذب فهو ابلغ من ام كذبت
وايض لمحافظة الفواصل ثم شرع فيما يختبره
به فكتب له كتابا فكتب على الفور في غاية

الوجازة قصد للاسراع في ازالة المنكر على تقدير
صدق الهدهد بحسب الاستطاعة ودل على
اسراعه في كتابته بقوله جوابا له اذهب بكتابي
هذا فكانه كان مهيا عنده فدفعه اليه
وامره بالاسراع فطار كانه البرق ولهذا اشار
بالفاء في قوله فالقه اليهم اي الذين ذكرت انهم
يعبدون الشمس وذلك للاهتمام بامر الدين
وقرا ابو عمرو وشعبة وخلاد بخلاف عنه
فالقه بسكون الها واختلس الكسرة قالون
وهشام بخلاف عنه والباقون باشباع
الكسرة ثم قال له اذا القته اليهم تول اي تنح
عنهم الى مكان تسمع فيه كلامهم ولا يصلون
معه اليك فانظر ماذا يرجعون اي يريدون
من الجواب وقال ابن زيد في الاية تقديم
وتاخير مجازها اذهب بكتابي هذا فالقه
اليهم ثم تول عنهم ماذا يرجعون فانظر ما
ذا يرجعون ثم تول عنهم اي انصرف الى
فاخذ الكتاب واتى الى بلقيس وكانت بارض
يقال لها مارب من صنعا على ثلاثة
ايام قال قتادة فوافاها في قصرها
وقد

وقد غلقت الابواب وكانت اذا رقدت غلقت
الابواب واخذت المفاتيح فوضعتها تحت راسها
فاتاها الهدهد وهي نائمة مستلقية على
قفاها فالقى الكتاب على نحرها وقيل على فقرها
فانتبهت فزعة وقال مقاتل حمل الهدهد
الكتاب بمنقاره حتى وقف على راس المراة
وحولها القادة والجنود فرفرف ساعة والناس
ينظرون اليه حتى رفعت المراة راسها فالقى الكتا
في حجرها وقال وهب بن منبه وابن زيد
كانت لها كوة مستقبلة الشمس تقع الشمس
فيها حين تطلع فاذا نظرت اليها سجدت لها
فجا الهدهد الكوة فسدها بجناحيه فارتفعت
الشمس ولم تعلم بها فلما استبطات الشمس
قامت تنظر اليها فرمى بالصحيفة اليها فاخذت
الكتاب وكانت قارية فلما رات الخاتم ارتعدت
وخضعت لان ملك سليمان كان في خاتمه
وعرفت ان الذي ارسل الكتاب اعظم ملكا
منها فقرات الكتاب وتاخر الهدهد فجات
حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت

Copyright © King Saud University

الملا من قومها وهم اثنا عشر الف قايد مع كل
قايد مائة الف مقاتل وقال ابن عباس
كان مع بلقيس مائة الف قيل ومع كل قيل
مائة الف والقيل الملك دون الملك الاعظم
وقال قتادة ومقاتل كان اهل مشورتها ثلثمائة
وثلاثة عشر رجلا كل رجل منهم على عشرة الاف
فلما جاؤوا واخذوا مجالسهم قالت لهم بلقيس
يايها الملؤ وهم اشراف الناس وكبراؤهم اني القي الي
اي بالقا ملق على وجه غريب كتاب اي صحيفة
مكتوب فيها كلام وجيز جامع قال الزمخشري
وكانت كتب الانبيا جملا لا يطنبون ولا يكثرون
ولما حوى هذا الكتاب من الشرف امرا
باهرا لم يعهد مثله وصفته بقولها كريم
وقال عطا والضحاك تسميته كريما لانه
كان مختوما روي انه صلى الله عليه وسلم
قال كرامة الكتاب ختمه وكان عليه الصلاة
والسلام يكتب الى العجم فقيل له انهم لا يقبلون
الا كتابا عليه خاتم فاصطنع له خاتما وعن
ابن المقفع من كتب الى اخيه كتابا ولم يختمه
فقد استخف به وقال مقاتل كريم اي حسن

وعن

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اي شريف
لشرف صاحبه وقيل تسميته كريما لانه كان مصدرا
ببسم الله الرحمن انه من سليمن اي بينت المكتوب
فقالت وانه بسم الله الرحمن الرحيم ان لا تعلوا
علي قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما لا تتكبروا
علي وقيل لا تتعظموا ولا ترفعوا علي اي لا تمتنعوا
على الاجابة فان ترك الاجابة من العلو والتكبر
واتوني مسلمين اي منقادين خاضعين فهو من
الاستسلام او مومنين فهو من الاسلام فان
قيل لم قدم سليمن اسمه على البسملة اجيب
بانه لم يقع منه ذلك بل ابتدا الكتاب بالبسملة
وانما كتب اسمه عنوانا بعد ختمه لان بلقيس
انما عرفت كونه من سليمن بقراءة عنوانه كما هو
المعهود ولذا قالت انه بسم الله الرحمن الرحيم
اي ان الكتاب فالتقديم واقع في حكاية الحال
واعلم ان قوله بسم الله الرحمن الرحيم مشتمل على
اثبات كونه عالما قادرا حيا مريدا حكيما رحيما
قال الطيبي وقال القاضي هذا كلام في غاية
الوجازة مع كمال الصانع واثبات كمال الدلالة
على المقصود لاشتماله على البسملة الدالة

على ذات الاله وصفاته صريحا والتزاما والنهي
عن الترفع الذي هو هو ام الرذايل والامر
بالاسلام الذي هو جامع لامهات الفضايل
فلما سكتوا عن الجواب قالت لهم يايها الملا
ثم بينت ما داخلها من الرعب من صاحب
هذا الكتاب بقولها افتوني اي تكرموا على
بالانابة عما افعله في امري هذا الذي اجبت
هذا الكتاب جعلت المشورة فتوى توسعا
لان الفتوى الجواب في الحادثة وقرا نافع
وابن كثير وابو عمرو في الوصل بابدال
الهمزة واوا والباقون بتحقيقها وفي
الابتدا الجميع ثم بالتحقيق ثم عللت
امرها لهم بقولها ما كنت قاطعة امرا
اي فاعلة وفاصلة غير مترددة فيه
حتى تشهدون فافادت بذلك بان
شانها دايما مشاورتهم في كل جليل وحقير
فكيف بهذا الامر الخطير وفي ذلك استعطام
بتعظيمهم واجلالهم وتكريمهم ودلالة على
غزارة عقلها وحسن ادبها ثم انهم اجابوها
عن ذلك بان قالوا مايلين الى الجواب نحن

اولو

اولوا قوة اي بالمال والرجال واولوا اي اصحاب
عزم في الحرب باس شديد والامر في كل من
المصادمة والمسالمة راجع وموكول اليك فانظري
اي تسبب لانه لا نزاع معك ماذا تامرين من
نطقك ونتبع امرك ولما علمت ان من سخر له
الطير على هذا الوجه لا يعجزه شي يريده قالت
جوابا لما احتسبت في جوابهم من ميلهم الى الحرب
سجالا لا يدري عاقبتها ان الملوك اي مطلقا
فكيف بهذا النافذ الامر العظيم القدر اذا دخلوا
عنوة بالقهر قرية افسدوها اي بالنهب والتخريب
وجعلوا اعزة اهلها اذلة اي اهانوا اشرافها
وكبراها كي يستقيم لهم الامر ثم اكد هذا
المعنى بقولها وكذلك اي ومثل هذا الفعل
العظيم الشان يفعلون اي خلقهم مستمر في
جميعهم فكيف بمن تطيعه الوحوش والطيور
وغيرهما تنبيه هذه الجملة من كلامها
وهو كما قال ابن عادل الظاهر ولهذا اجلست
عليه فيكون منصوبة بالقول ويحتمل ان يكون
من كلام الله سبحنه وتعالى تصديقا لها

Copyright © King Saud University

استينافية لا محل لها من الاعراب وهي معترضة
من قولها ولما بينت ما في المصارفة من الخطر
اتبعته بما عزمت عليه من المسالمة بقولها واني
مرسلة اليهم اي الى سليمن وقومه بهدية
وهي العطية على طريق الملاطفة وذلك ان
بلقيس كانت امراة كيسة قد سيست وساست
فقالت للملا من قومها اني مرسلة الى سليمن
وقومه بهدية اصانعه بها عن ملكي فاختبره
بها املك هو ام نبي فان يكن ملكا قبل
الهدية وانصرف وان يكن نبيا لم يقبل
الهدية ولم يرضه منا الا ان نتبعه على دينه
فذلك قولها فناظرة اي شي بما يرجع
المرسلون فاهدت اليه وصفاو وصايف
قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما البستهم
لباسا واحدا كي لا يعرف ذكر ام انثى وقال
مجاهد ومقاتل البست الغلمان لباس
الجوار والجوار لباس الغلمان واختلف
في عددهم فقال ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما ماية وصف وماية وصيفة وقال
مجاهد

مجاهد ومقاتل مايتي غلام ومايتي جارية و
قال قتادة ارسلت اليه بلبنة من ذهب
في حرير وديباج وقال ثابت البناني اهدت
اليه صفايح الذهب في اوعية الديباج وقيل
كانت اربع لبنات من ذهب وقال وهب
وغيره عمدت بلقيس الى خمسماية غلام وخمسماية
جارية فالبست الجواري لبس الغلمان الاقبية
والمناطق والبست الغلمان لباس الجواري
وجعلت في سواعدهم اساور من ذهب
وفي اعناقهم اطواقا من ذهب وفي اذانهم اقرا طا
وشنوفا مرصعات بانواع الجواهر وغواشيها
من الديباج الملونة وبعثت اليه خمسماية لبنة
من ذهب وخمسماية من فضة وتاجا مكللا
بالدر والياقوت المرتفع وارسلت اليه
المسك والعنبر وعمدت الى حقة فجعلت
فيها درة ثمينة غير مثقوبة وجزعة جزعية
مثقوبة معوجة الثقب ودعت رجلا من
اشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو
وضمت اليه رجالا من قومها اصحاب راي

Copyright © King Saud University

وعقل وكتبتمعهم كتابا لنسخت الهدية وقال ان
كنت نبيا فتميز بين الوصفا والوصايف واخبر
بما في الحقة قبل ان تفتحها والثقب الدرة
ثقبا مستويا وادخل خيطا في الخرزة المثقوبة
من غير علاج انس ولا جن وامرت بلقيس
الغلمان اذا كلمكم سليمن فكلموه بكلام
تانيث وتخنيث يشبه كلام النسا وامرت
الجواري ان يكلمنه بكلام فيه غلظة يشبه كلام
الرجال ثم قالت للرجل انظر الى الرجل اذا دخلت
عليه فان نظر اليك نظر غضب فاعلم انه نبي
مرسل فتفهم قوله ورد الجواب فانطلق
الرسول بالهدايا واقبل الهدهد مسرعا
الى سليمن فاخبره الخبر كله وامر سليمن
الجان ان يضربوا اللبنات الذهب والفضة
ففعلوا ثم امرهم ان يبسطوا من موضعه
الذي هو في تسعة فراسخ ميدانا واحدا
بلبنات الذهب والفضة ففعلوا ثم قال
اي الدواب احسن مما رايتم في البر والبحر
قالوا يا نبي الله انا راينا دوابا في بحر كذا وكذا
منقطعة مختلفة الوانها لها اجنحة واعراف

واعراف ونواصي قال علي بها الساعة فلقوا بها
فقال شدوها عن يمين الميدان وعن يساره
على لبنات الذهب والفضة والقوا لها علوفتها
فيها ثم قال للجن علي باولادكم فاجتمع خلق كثير
فاقامهم عن يمين الميدان وعن يساره ثم
قعد سليمن في مجلسه على سريره ووضع له
اربعة الاف كرسي على يمينه ومثلها على يساره
وامر الشياطين ان يصطفوا صفوفا وامر
الانس فاصطفوا فراسخ عن يمينه وعن يساره
فلما دنا القوم من الميدان ونظروا الى ملك سليمن
عليه الصلاة والسلام وراوا الدواب التي لم
ترى اعينهم مثلها تروث على لبن الذهب و
الفضة تقاصرت انفسهم ورموا ما معهم
من الهدايا وفي بعض الروايات ان سليمن
عليه الصلاة والسلام لما امر بفرش الميدان
بلبنات الذهب والفضة امرهم ان يتركوا على
طريقهم موضعا على قدر موضع اللبنات التي
معهم فلما راى الرسل موضع اللبنات التي معهم
خاليا وكل الارض مفروشة خافوا ان يتهموا

بذلك فطرحوا ما معهم في ذلك الموضع الخالي فلما
راوا الشياطين نظروا الى منظر عجيب ففزعوا
فقال لهم الشياطين جوزوا فلا باس عليكم فكانوا
يمرون على كردوس من الجن والانس والطير
والسباع والوحوش حتى وقفوا بين يدي سليمان
فنظر اليهم سليمن نظرا حسنا بوجه طلق
وقال ما وراكم فاخبره رييس القوم بما جاوا
له واعطاه كتاب الملكة فنظر فيه وقال اين
الحقه فاتي بها فحركها وجاء جبريل عليه السلام
فاخبره بما في الحقه فقال ان فيها درة ثمينة
غير مثقوبة وجزعة مثقوبة معوجة الثقب
فقال الرسول صدقت فاثقب الدرة وادخل
الخيط في الخرزة فقال سليمن عليه الصلاة
والسلام من لي بثقبها فسال سليمن الجن ثم
الانس فلم يكن عندهم علم بذلك ثم سال
الشياطين فقالوا ارسل للارضة فارسل
اليها فجات فاخذت شعرة من فيها فدخلت فيها
حتى خرجت من الجانب الاخر فقال لها سليمن
عليه الصلاة والسلام سلي حاجتك قالت
تصير

تصيير رزقي في الشجر فقال لك ذلك وروي انها
جات دودة تكون في الصفصاف فجعل لها ذلك
فاخذت الخيط بفيها ودخلت على الثقب وخرجت
من الجانب الاخر ثم قال من لهذا الخرزة يسلكها
بالخيط فقالت دودة بيضا انا لها يا رسول الله
فاخذت الدودة الخيط في فيها ودخلت الثقب
حتى خرجت من الجانب الاخر فقال لها سليمن
سلي حاجتك قال تجعل رزقي في الفواكه
قال لك ذلك ثم ميز بين الجواري والغلمان بان امرهم
ان يغسلوا وجوههم وايديهم فجعلت الجارية
تاخذ الما من الانية يضرب بها وجهه وكانت
الجارية تصب الماء صبا وكان الغلام يحدر الما
على ساعده حدرا فميز سليمان بينهما ثم رد
سليمن عليه الصلاة والسلام الهدية كما قال
تعالى فلما جا اي الرسول الذي بعثته والمراد به
الجنس قال ابو حيان وهو يقع على الجمع
والمفرد والمذكر والمونث سليمن ودفع اليه
ذلك قال اي سليمن عليه الصلاة والسلام
للرسول ولمن في خدمته استصغار المن معه

اتمدونني اي انت ومن ارسلك بمال وانما قصدي
لكم لاجل الدين تحقيرا لامر الدنيا واعلاما بانه
لا التفات بوجه ولا يرضيه شي دون طاعة
الله سبحنه وتعالى وقرا نافع وابو عمرو باثبات
اليا وصلا ووقفا ثم سبب عن ذلك قوله
استصغارا لما معهم فما اتاني الله اي الملك
الاعظم من الحكمة والنبوة والملك وهو الذي
يغني مطيعه عن كل شي سواه فهما ساله
اعطاه وقرا نافع وابو عمرو وحفص ايضا
اثباتها وقفا والباقون بحذف اليا وصلا ووقفا
واما الهاحمزة والكساي بمحضة وورش
بالفتح وبين اللفظين خير اي افضل مما
اتاكم اي من الملك الذي لا دين ولا نبوة فيه
بل انتم اي بجهلكم بالدين بهديتكم اي باهدا
بعضكم الى بعض تفرحون واما انا فلا افرح
بها وليست الدنيا من حاجتي لان الله سبحنه
وتعالى قد مكنني فيها واعطاني منها ما لم
يعط احدا ومع ذلك اكرمني بالدين والنبوة
ثم قال للمنذر بن عمرو امير الوفد ارجع
بهديتهم

بهديتهم وجمع في قوله اليهم اكراما لنفسه وصيانة
لاسمها عن التصريح بضميرها وتعميما لكل من يهتم
بامرها ويطيعها فلناتينهم بجنود لا قبل اي
طاقة لهم بها اي بمقابلتها ولنخرجنهم منها اي
من ارضهم وبلادهم وهي سبا اذلة وهم صاغرون
اي ذليلون لا يملكون شيا من المنعة فان قيل
فلناتينهم ولنخرجنهم قسم فلا بد ان يقع اجيب
بانه معلق على شرط محذوف لفهم المعنى اي
لم ياتوني مسلمين قال وهب وغيره من اهل
السير لما رجعت رسل بلقيس اليها من عند
سليمان عليه الصلاة والسلام قالت لهم
قد عرفت والله ما هذا بملك وما لنا به من
طاقة فبعثت الى سليمن اني قادمة عليك بملوك
قومي حتى انظر ما امرك وما تدعو اليه
من دينك ثم امرت بعرشها فجعلته داخل
سبعة ابواب داخل قصرها واغلقت الابواب
وجعلت عليها حراسا يحفظونه ثم قالت لمن
خلفت على سلطانها احتفظ بما وليتك وسرير
ملكي لا يخلص اليه احد حتى اتيك ثم امرت منادي يا

Copyright © King Saud University

ينادي في اهل مملكتها تؤذنهم بالرحيل وتجهزت
للمسير فارتحلت في اثني عشر الف قيل من ملوك
اليمن تحت كل قيل الوف كثير قال ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما فكان سليمن رجلا مهيبا
لا يبتدا بشي حتى يكون هو الذي يسال
عنه فخرج يوما فجلس على سرير ملكه فراى
رهجا قريبا منه فقال ما هذا قالوا بلقيس
وقد نزلت على مسيرة فرسخ فاقبل سليمن
حينئذ على جنوده بان قال يا ايها
الملا اي الاشراف ايكم وفي الهمزتين ما تقدم
ياتيني بعرشها قبل ان ياتوني مسلمين
اي مومنين وقال ابن عباس واختلفوا
في السبب الذي لاجله امر سليمن باحضار
عرشها فقال اكثرهم لان سليمن علم انها ان اسلمت
حرم مالها فاراد ان ياخذ سريرها قبل ان
يحرم عليه اخذه باسلامها وقيل ليريها
قدرة الله تعالى لبعض ما خصه به من
العجايب الدالة على عظيم القدرة وصدقه
في دعوى النبوة في معجزة ياتي بها في عرشها

وقال

وقال قتادة لانها اعجبته صفته لما وصفه
الهدهد فاحب ان يراه وقال ابن زيد
اراد ان يامر بتنكيره وتغييره فيختبر
بذلك عقلها قال عفريت من الجن وهو
المارد القوي قال اسمه كردي وقيل ذكوان
وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما العفريت
الداهية وقال الضحاك هو الخبيث وقال
الربيع الغليظ وقال الفرا القوي الشديد.
قيل ان الشيطان اقوى من الجن وان
المردة اقوى من الشياطين وان العفريت
اقوى منهما قال بعض المفسرين العفريت
من الرجال الخبيث المتكبر وقيل هو صخر
الجني وكان بمنزلة جبل يضع قدمه
عند منتهى طرفه وقوله سبحنه وتعالى
انا اتيك به قراه في الموضعين نافع باثبات
الالف من انا وصلا والباقون وصلا
لا وقفا ثم بين سرعة اسراعه بقوله تعالى
قبل ان تقوم من مقامك اي الذي تجلس
فيه للقضا قال ابن عباس رضي الله تعالى

عنهما كان له غداة كل مجلس يقضي فيه الى نصف
النهار ربما وثق الامر واكده بقوله تعالى
وانى عليه اي على الاتيان به سالما لقوى اي
على حمله لا يخطى عجزي عنه امين اي على ما
فيه من الجواهر وغيرها قال سليمن اريد اسرع
من ذلك قال الذي عنده علم من الكتاب
المنزل وهو علم الوحي والشرايع وقيل كتاب
سليمن وقيل اللوح المحفوظ والذي عنده علم
الكتاب جبريل قال البقاعي ولعله التوراة
والزبور انتهى وفي ذلك اشارة الى من خدم
كتاب الله معه كما ورد في شرعنا كنت
سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به
ويده التي يبطش بها ورجله الذي يمشي
عليها اي انه يفعل له ما يشا واختلفوا
في تعيينه فقال اكثر المفسرين هو اصف
ابن برخيا كاتب سليمن وقيل اسمه اسطوم
وكان صديقا عالما يعلم اسم الله الاعظم
الذي اذا دعي به اجاب واذا سيل به
اعطى وقيل ملك ايد الله تعالى به

به سليمن عليه الصلاة والسلام وعن ابن
لهيعة بلغني انه الخضر عليه السلام انا اتيك به
ثم بين فضله على العفريت بقوله قبل ان يرتد
اي يرجع اليك طرفك اي بصرك اذا طرفته
اجفانك فارسلته الى منتهاه ثم رددته فالطرف
تحريك اجفانك اذا نظرت موضعه في موضع
النظر ولما كان الناظر موصوفا بارسال
الطرف من نحو قوله ~ وكنت اذا ارسلت طرفك رايدا
لقلبك يوما اتعبتك المناظر ~ وصف برد الطرف
ووصف الطرف بالارتداد روي ان اصف
قال لسليمن عليه الصلاة والسلام عينيه
فنظر نحو اليمن ودعا اصف فبعث الله
سبحنه وتعالى الملايكة فحملوا السرير من تحت
الارض يخدون خدا حتى انخرقت الارض بالسرير
بين يدي سليمن عليه الصلاة والسلام وقال
الكلبي خر اصف ساجدا ودعا باسم الله
الاعظم فغار عرشها تحت حتى نبع تحت كرسي
سليمن عليه الصلاة والسلام بقدرة الله
تعالى وقيل كانت المسافة شهرين وقال
سعيد بن جبير يعني من قبل ان يرجع

Copyright © King Saud University

اليك اقصى من ترى وهو ان يصل اليك من
كان منك على مد بصرك وقال قتادة قبل
ان ياتيك الشخص من مد البصر وقال
مجاهد يعني دامة النظر حتى يرد البصر
خاسيا قال الزمخشري ويجوز ان يكون
هذا مثلا لاستقصار مدة المجي به كما تقول
لصاحبك افعل ذلك في لحظة وفي طرف
والتفت ترني وما اشبه ذلك تريد السرعة
انتهى واختلف في الدعا الذي دعي به
اصف فقال مجاهد ومقاتل يا ذا الجلال
والاكرام وقال الكلبي يا حي يا قيوم وروي
ذلك عن عايشة وروي عن الزهري قال دعا
الذي عنده علم من الكتاب يا الهنا واله كل
شي الها واحدا لا اله الا انت ايتني بعرشها
وعن الحسن الله والرحمن وقال محمد بن المنكدر
انما هو سليمان قال له عالم من بني اسرايل
اتاه الله تعالى علما وفهما انا اتيك به قبل
ان يرتد اليك طرفك قال سليمن هات
قال انت النبي بن النبي وليس احد اوجه
عند الله منك فان دعوت الله

ودعوت

ودعوت اليه كان عندك فقال صدقت ففعل
ذلك فجي بالعرش في الوقت قال الرازي
وهذا القول اقرب واستدل لذلك بوجوه
منها ان سليمان كان اعرف بالكتاب من غيره
لانه هو النبي فكان صرف اللفظ اليه اولى
ومنها ان احضار العرش في تلك الساعة اللطيفة
درجة عاليه فلو حصلت لاصف دون سليمن
لاقتضى ذلك قصور حال سليمن في اعين
الخلق ومنها انه قال هذا من فضل ربي فظاهره
يقتضي ان يكون ذلك المعجز قد اظهره الله سبحنه
وتعالى بدعا سليمن **فلما راه** اي راى سليمان
العرش **مستقرا عنده** اي حاصلا بين يديه
قال شاكرا لربه لما اتاه الله سبحانه وتعالى
هذه الخوارق **هذا** اي الاتيان المحقق **من**
فضل ربي اي المحسن الي لا بعمل استحق به
شيا فانه احسن الي باخراجي من العدم وتطويقي
للعمل بكل عمل نعمة يستوجب علي به الشكر
ولذلك قال **ليبلوني** اي ليختبرني **ااشكر**
فاعترف بكونه فضلا **ام اكفر** بظن اني اوتيته

Copyright © King Saud University

باستحقاق تنبيه هاهنا همزتان مفتوحتان
فنافع يسهل الهمزة الثانية وابن كثير وابو
عمرو وهشام بخلاف عنه وادخل بينهما
الفا والباقون بالتحقيق وعدم الادغام
ثم زاد في حث نفسه على الشكر لها بقوله
ومن شكر اوقع الشكر لربه فانما يشكر
لنفسه فان نفعه لها وان يستوجب
تمام النعمة ودوامها لان الشكر قيد
النعمة الموجودة وقيد النعمة المفقودة
ومن كفر اي بالنعمة فان ربي اي المحسن
الي بتوفيقي لما انا فيه من الشكر غني
عن شكره ولا يضره تركه شيا كريم اي
بادرار الانعام عليه فلا يقطعه عنه بسبب
عدم شكره ولما حصل العرش عنده قال
عليه الصلاة والسلام نكروا اي غيروا
لها عرشها اي سريرها الي حال لا تنكره
اذا راته قال قتادة ومقاتل هو ان
يزاد فيه وينقص وروي انه جعل اعلاه
اسفله وجعل مكان الجوهر الاحمر اخضر
ومكان الاخضر احمر اختبارا لعقلها
كما

كما اختبرنا بالوصف والوصايف والدرع وغير
ذلك واليه اشار بقوله ننظر اتهتدي الى
معرفته فيكون ذلك سببا لهدايتها في الدارين
الدين ام تكون من الذين شانهم انهم لا يهتدون
بل هم في غاية الغباوة ولا يتجدد لهم اهتدا
وقال وهب ومحمد بن كعب انما حمل سليمن على
ذلك ان الشياطين خافت ان يتزوجها سليمن
عليه الصلاة والسلام فتفشي له اسرار الجن امها
لان امها كانت من الجن واذا ولدت له ولدا
لا ينفكون عن تسخير سليمن وذريته من بعده
فاساوا الثنا عليها ليزهدوه فيها فقالوا ان
في عقلها شيا وان رجلها كحافر الحمار وانها
شعرة الساقين فاراد سليمن عليه الصلاة
والسلام ان يختبر عقلها بتنكير عرشها وينظر
الي قدميها ببنا الصرح ثم اشار الى سرعة
مجيئها اشارة الى خضوعها بالتعبير بالفا
في قوله فلما جات وكانت قد وضعت عرشها
في بيت خلف سبعة ابواب ووكلت به
حراسا اشد قيل لها وقد رات عرشها

بعد تنكيره **اهكذا عرشك** اي مثل هذا عرشك
قالت كانه هو قال مقاتل عرفته ولكنها اشتبهت
عليهم كما شبهوا فيها وقال عكرمة كانت حكيمة
لم تقل نعم خوفا من ان تكذب ولم تقل لا خوفا
من التكذيب فقالت كانه هو فعرف سليمن
كمال عقلها حيث لم تقر ولم تنكر وقيل اشتبه
عليها امر العرش لانها خلفته في بيت خلف
سبعة ابواب مغلقة والمفاتيح معها
قيل لها فانه عرشك فما اغنى عنك اغلاق
الابواب وقوله تعالى **واوتينا العلم من**
قبلها فيه وجهان احدهما انه من كلام بلقيس
والضمير في قبلها راجع للمعجزة والحالة الدالة
عليها السياق والمعنى واوتينا العلم بنبوة
سليمن من قبل ظهور هذه المعجزة او من
قبل هذه الحالة وذلك لما رات قبل ذلك
من امر الهدهد ورد الهدية والرسل
من قبلها من قبل الاية في العرش **وكنا**
مسلمين اي منقادين طايعين لامر سليمن
والثاني انه من كلام سليمن واتباعه

فالضمير

فالضمير في قبلها عايد على بلقيس فكان سليمن
وقومه قالوا انها قد اصابت في جوابها وهي
عاقلة وقد رزقت الاسلام ثم عطفوا على
ذلك قوله تعالى واوتينا العلم من قبلها بالله
وبقدرته على ما يشا من قبل هذه المراة في مثل
علمها وغرضهم من ذلك شكر الله سبحانه وتعالى
ان خصهم بمزيد التقديم في الاسلام قاله مجاهد
وقيل معناه واوتينا العلم باسلامها
ومجيها طايعة من قبل مجيها وكنا مسلمين
طايعين لله عز وجل واختلف في قوله سبحنه
وتعالى **وصدها ما كانت تعبد من دون الله**
على ثلاثة اوجه احدها ضمير الباري سبحنه
وتعالى والثاني ضمير لسليمن اي منعها ما كانت
تعبد من دون الله وهو الشمس وعلى هذا
فما كانت تعبد منصوب على نزع الخافض
اي وصدها الله سبحانه وتعالى او سليمان
عليه الصلاة والسلام على ما كانت تعبد
من دون الله سبحنه وتعالى قاله الزمخشري
تجوزا له قاله ابو حيان وفيه نظر من حيث

Copyright © King Saud University

انه حذف الجار ضرورة كقوله تمرون الديار فلم
يعرجوا وقد تقدم ايات كثيرة من هذا النوع
الثالث ان الفاعل هو ما كانت اي صدها
ما كانت تعبد عن الاسلام اي صدها عبادة
الشمس عن التوحيد وقوله تعالى انها كانت من
قوم كافرين استينافا اخبر الله سبحنه وتعالى
انها كانت من قوم يعبدون الشمس نشات
بينهم ولم تعرف العبادة ولم تعرف الا من عبادة ولم
الشمس ولما تم ذلك فكانه قيل هل كان بعد
ذلك اختبار فقيل نعم قيل لها اي قايل من
جنوده سليمان عليه الصلاة والسلام
فلم يمكنها المخالفة ادخل الصرح وهو مسطح
من الزجاج ابيض شفاف تحته ما جاري فيه
سمك اصطنعه سليمان عليه الصلاة والسلام
ولما قالت له الشياطين ان رجلها كحافر الحمار
وهو مشعر الساقين فاراد ان ينظر الى ساقها
من غير ان يسالها كشفها وقيل الصرح صحن
الدار واجري تحته الما والقى فيه كل شي من دواب
البحر السمك والضفدع وغيرهما ثم وضع
سريره

سريره في صدره وجلس عليه وعكف عليه الطير
والجن والانس وقيل اتخذ صحنا من قوارير وجعل
تحتها تماثيل من الحيتان والضفادع وكان
الواحد اذا راه ظنه ماء فلما راته حسبته لجة
وهي معظم الما وكشفت عن ساقيها لتخوضه
فنظر اليها سليمن عليه الصلاة والسلام فراها
احسن الناس ساقا وقدما الا انها شعرا
الساقين فلما راه سليمان عليه الصلاة والسلام
تصرف نظره عنها ونادها بان قال لها انه
اي هذا الذي ظننتيه ما صرح ممرد اي مملس
ومنه الامرد لملاسة وجهه من الشعر
من اي كاين من قوارير اي زجاج وليس بما
ثم ان سليمن عليه الصلاة والسلام دعاها
الى الاسلام وكانت قد رات حال العرش و
الصرح فاجابت بان قالت رب اي ايها المحسن
اني ظلمت نفسي اي بما كنت فيه من العمى
بعبادة غيرك عن عبادتك واسلمت مع سليمان
لله اي مقرة له بالالوهية والربوبية على
سبيل الوحدانية ثم رجعت اشارة المعجزة
عن معرفة الذات حق المعرفة الى الافعال

Copyright © King Saud University

التي هي بحر المعرفة فقالت لله رب العالمين فمت
ان حصت اشارة الى الترقي من حضيض دركات
الفهم الى اوج دركات الهوى وقيل انها بلغت
سليمن عليه الصلاة والسلام يريد ان يفرقني
وكان القتل اهون من هذا فقولها ظلمت
نفسي اي بذلك الظن واختلفوا في امرها
بعد اسلامها هل تزوجها سليمن عليه الصلاة
والسلام فالذي عليه اكثر المفسرين فبارات
انه تزوجها وكره ما راي من شعر ساقيها
فسال الانس ما يذهب هذا فقالوا الموسى
فقالت المراة لا يمسني حديدة قط فسال
الجن فقالوا لا ندري فسال الشياطين
فقالوا انا نحتال لك حتى تكون كالفضة
البيضا فاتخذ النورة والحمام فكانت
النورة والحمامات من يومئذ فلما تزوجها
سليمن عليه الصلاة والسلام احبها حبا
شديدا واقرها على ملكها وامر الجن
فابتنوا لها بارض اليمن ثلاثة حصون
لم يرى الناس مثلها ارتفاعا وحسنا سيلحين

قال

قال الحطيبي مومنة باليمن وغمدان قال في
النهاية هو بضم الغين وسكون الميم البنا العظيم
وبينون وكان يزورها في كل شهر مرة يقيم
عندها ثلاثة ايام وولدت له وقيل انها لما
اسلمت قال لها سليمن عليه الصلاة والسلام
اختاري رجلا من قومك ان ازوجك له قالت
ومثلي يا نبي الله ينكح الرجال لقد كان في قومي
من الملك والسلطان ما كان قال نعم انه لا يكون
في الاسلام الا ذلك ولا ينبغي لك ان تحرمي ما
احل الله سبحانه وتعالى فقالت ان كان
ولا بد فزوجني ذا تبع ملك همدان فزوجه
بها ثم ردها الى اليمن وسلط زوجها ذا تبع
على اليمن وامر زوبعة امير جن اليمن ان
يطيعه فبنا له المصانع ولم يزل امير حتى مات
سليمان عليه الصلاة والسلام فلما ان حال
الحول وبينت الجن موت سليمن عليه
الصلاة والسلام اقبل رجل منهم فسلك
تهامة حتى اذا كان في جوف اليمن صرخ
باعلا صوته يا معشر الجن ان الملك عليه

Copyright © King Saud University

عليه الصلاة والسلام قد مات فارفعوا ايديكم فرفعوا
ايديهم وتفرقوا وانقضى ملك ذا تبع وملك
بلقيس مع ملك سليمن وقيل ان الملكة وصل الى
سليمن وهو ابن ثلاث عشر سنه ومات وهو
ابن ثلاث وخمسين سنه سبحان من يديم
ملكه وبقاه ولما اتم سبحنه وتعالى قصة
سليمن وداود عليهما الصلاة والسلام
ذكر قصة صالح عليه الصلاة والسلام وهي
القصة الثالثة بقوله سبحنه وتعالى ولقد
ارسلنا اي بمالنا من العظمة الى ثمود اخاهم
اي من القبيلة صالحا ثم ذكر المقصود من
الرسالة بما لا اعدل منه ولا احسن بقوله
سبحانه وتعالى ان اعبدوا الله اي الملك الاعظم
وحده ولا تشركوا به شيا ثم تعجب منهم
بما اشارت اليه الفا واذا المفاجاة من
المبادرة الى الافتراق بما يدعوا الي الاجتماع
بقوله سبحانه وتعالى فاذا هم اي ثمود
فريقان وبين بقوله سبحانه وتعالى
يختصمون انها فرقة افتراق بكفر وايمان

لافرقة اجتماع في هدى وعرفان ففريق صدق
صالحا واتبعه وفريق استمر على شركه و
كذب به وكل فريق يقول انا على الحق وخصمي
على الباطل استعطف صالح عليه الصلاة والسلام
على المكذبين بان قال لهم يا قوم لم تستعجلون
اي تطلبون العجلة الحالة بالسيئة اي اساتها
ثابتة وهي العقوبة التي انذركم بها من كفر قبل الحالة
الحسنة من الخيرات التي ابشركم بها في الدنيا والاخرة
ان امنتم والاستعجال طلب الاتيان بالامر قبل
الوقت المضروب واستعجالهم لذلك لاصرارهم
على سيئته وقولهم استهزا ايتنا بما تعدنا
وكانوا يقولون ان العقوبة التي يعدها صالح
ان وقعت على زعمه تبنا ح واستغفرنا فحينئذ
يقبل الله توبتنا ويدفع العذاب عنا فخاطبهم
صالح عليه الصلاة والسلام على حسب
عقولهم واعتقادهم فقال لولا اي هلا ولم لا
تستغفرون الله اي تطلبون غفرانه قبل نزول
العذاب فان استعجال الخير اولى من استعجال
الشر لعلكم ترحمون تنبيها لهم على الخطا فيما

Copyright © King Saud University

فيما قالوه فان العذاب اذا نزل بهم لا تقبل
توبتهم تنبيه وصف العذاب بانه سيئة
مجاز لما لان العقاب من لوازمها ولانه يشبهه
في كونه مكروها واما وصف الرحمة بانها حسنة
فقيل حقيقة وقيل مجاز ثم ان صالحا عليه
الصلاة والسلام لما قرر لهم هذا الكلام الحق
اجابوه بكلام فاسد بان قالوا افظاظة و
غلظة اطيرنا اي تشامنا بك وبمن معك
اي وبمن امن بك وذلك ان الله تعالى قد
امسك عنهم المطر في ذلك الوقت وقحطوا
فقالوا لحصل بنا هذا الضر والشدة من
شومك وشوم اصحابك قال الزمخشري
كان الرجل يخرج مسافرا فيمر بطاير فيزجره
فان مر سانحا تيمن وان مر بارحا تشام
قال الجوهري السنيح ما ولاك ميامنه
من ظبي او طير او غيرهما وبرح الظبي بروحا
اذا ولاك مياسره يمر من ميامنك الى مياسرك
مياسرك والعرب تتطير بالبارح وتتفال
بالسانح فلما نسبوا الخير والشر الى الطاير
المستعير

المستعير لما كان بسببهما وهو قدرة الله تعالى
وقسمته تنبيه اصل اطيرنا تطيرنا ادغمت
التاء في الطاء فاجتلبت همزة وصل ثم اجابهم
صالح عليه الصلاة والسلام بان قال لهم
طايركم اي ما يصيبكم من خير وشر عند الله
اي الملك الاعظم المحيط بكل شيء علما وقدرة
وهو قضاؤه وقدره وليس شيء منه بيد
غيره وسمي طايرا لسرعة نزوله بالانسان
فانه لا شيء اسرع من قضا محتوم وقال ابن
عباس رضي الله تعالى عنهما الشوم اتاكم من
عند الله سبحانه وتعالى بكفركم وقيل طايركم
عند الله سمي طايرا لسرعة صعوده الى
السما ومنه قوله تعالى وكل انسان الزمناه
طايره في عنقه بل انتم قوم تفتنون قال ابن
عباس رضي الله تعالى عنهما تختبرون بالخير
والشر كقوله ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال
محمد بن كعب تعذبون وقيل يفتنكم الشيطان
بوسوسته اليكم الطيرة ولما اخبر الله سبحانه
وتعالى عن عامة هذا الفريق بالشر اخبر

Copyright © King Saud University

عن شرهم بقوله سبحانه وتعالى وكان في المدينة
اي مدينة ثمود وهي الحجر تسعة رهط اي
رجال وانما جاز تمييز التسعة بالرهط لانه في
معنى الجماعة فان قيل تسعة انفس او رجال
كما قدرته والفرقة بين الرهط والنفر ان
الرهط من الثلاثة الى العشرة او من السبعة
الى العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة
عن وهب الهذيل بن عبد رب بن غنم بن
بنان بن مهرج مصدع بن مهرج عمير بن كوديه
عاصم بن مخومة سبيط صدقة سمعان بن
صفي قدار بن سالف وهم الذين سعوا
في عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا
من ابناء اشرافهم ورؤسائهم قدار بن سالف
وهو الذي تولى عقر الناقة وقوله يفسدون في
الارض ولا يصلحون اشارة الى عموم فسادهم ودوامه
وقوله قالوا تقاسموا يحتمل ان يكون مؤكدا
للاول ويحتمل ان لا يكون وهو الاولى لان
بعض المفسدين قد يندر منه بعض الصلاح
فنفى عنهم ذلك فليس شانهم الا الفساد
المحض ..

المحض الذي لا يخالطه شي من الصلاح ولما
اقتضى السياق السوال عن حالهم اجاب
بقوله قالوا تقاسموا اي قال بعضهم لبعض
احلفوا بالله اي الملك العظيم لنبيتنه اي
صالحا واهله اي من امن به لتنبيه محل
تقاسموا جزم على الامر ويجوز ان يكون فعلا
ماضيا وح يجوز ان يكون مفسرا لقالوا كانه قيل
ما قالوا فقيل تقاسموا ويجوز ان يكون حالا على
اضمار قد اي قالوا ذلك متقاسمين واليه ذهب
الزمخشري ثم لنقولن اي بعد هلاكهم صالح ومن
معه لوليه اي المطالب بدمه اي بقي منهم احد
ما شهدنا اي ما حضرنا مهلك اي اهلاك
اهله اي اهل ذلك الولي فضلا ان يكون باشرنا
او اهل صالح عليه الصلاة والسلام فضلا عن
ان يكون شهدنا مهلكهم او باشرنا قتله ولا
موضع اهلاكه وقرا حمزة والكسائي بعد اللام
من لنبيتنه بتا فوقية مضمومة وبعد التاء
مفتوحة بتا فوقية مضمومة وبعد اللام من
ليقولن بنون مفتوحة ونصب اللام من ليقولن

Copyright © King Saud University

وقرعاصم مهلك بفتح الميم والباقون بضمها
وكسر اللام حفص وفتحها الباقون ولما صمموا
على هذا الامر وظموا انفسهم على المبالغة في الحلف
بقولهم **وانا لصادقون** اي في قولنا ما شهدنا
مهلك ذلك فان قيل كيف يكونون صادقين
وقد جحدوا ما فعلوا فاتوا بالخبر على خلاف
المخبر به اجيب على التفسير الثاني بانهم اعتقدوا
بانهم اذا بيتوا صالحا وبيتوا الكل اهله فجمعوا
بين البياتين ثم قالوا ما شهدنا مهلك
اهله فذكروا احدهما كانوا صادقين لانهم
فعلوا البياتين جميعا لا احدهما وفي هذا دليل
قاطع على ان الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون
الشرع ونواهيه ولا يخطر ببالهم الا انهم قصدوا
قتل نبي الله ولم يرضوا لانفسهم ان يكونوا
كاذبين حتى سووا للصدق في خبرهم حيلة
لا ينقصون فيها عن الكذب ولما كان منهم عمل
من لم يظن ان الله عالم قال الله تعالى محذرا امثالهم
عن امثال ذلك **ومكروا مكرا** وهو ما اخفوه
من تدبيرهم القتل بصالح واهله **ومكرنا مكرا**
اي

اي جزيناهم على مكرهم بتعجيل العقوبة **وهم لا
يشعرون** اي لا يتجدد لهم شعور بما قدرنا له
عليهم شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة وقيل
ان الله تعالى اخبر صالح بمكرهم فتحرز عنهم فذاك
مكر الله تعالى في حقهم **فانظر كيف كان عاقبة
مكرهم** في ذلك **انا دمرناهم** اي اهلكناهم **وقومهم
اجمعين** روي انه كان لصالح مسجد في الحجر في
شعب يصلي فيه فقالوا زعم صالح انه يفرغ
منا الى ثلاثة فنحن نفرغ منه ومن اهله قبل الثلاثة
فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلي قتلناه
ثم رجعنا الى اهله فقتلناهم فبعث الله تعالى
صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت
الصخرة عليهم اي على فم الشعب فلم يدر قومهم
اين هم ولم يدروا ما فعل الله بهم وبقومهم
وعذاب الله تعالى كلا منهم في مكانه بصيحة
جبريل عليه السلام ورمي الملائكة بحجارة يرونها
ولا يرونهم وقال ابن عباس ارسل الله تعالى
الملائكة تلك الليلة الى دار صالح يحرسونه فاتى
التسعة دار صالح شاهرين سيوفهم فرمتهم

Copyright © King Saud University

الملايكة بالحجارة من حيث يرون الحجارة ولا يرون
الملايكة فقتلتهم وقال مقاتل نزلوا في سفح الجبل
ينتظر بعضهم بعضا ليأتوا دار صالح فجثم عليهم
الجبل فاهلكهم واهلك الله تعالى قومهم بالصيحة
فتلك بيوتهم اي ثمود كلهم خاوية خالية
من خوى البطن اذا خلا او ساقطة منهدمة
من خوى النجم اذا سقط تنبيه خاوية
منصوبة على الحال والعامل فيها معنى
اسم الاشارة وقرا الكوفيون ان تمرناهم بفتح
الهمزة اما على حرف الجر اي لانا دمرناهم واما
ان يكون خبر مبتدا محذوف اي لانا دمرناهم
اي العاقبة تدميرنا اياهم وقيل غير ذلك و
الباقون بالكسر الهمزة على الاستيناف وهو
تفسير للعاقبة وقرا ورش وابو عمرو وحفص
بيوتهم بضم البا الموحدة وكسرها الباقون
ولما ذكر تعالى هلاكهم اتبعه بقوله سبحنه وتعالى
بما ظلموا اي بسبب ظلمهم وهو عبادتهم من لا
يستحق عبادة وتركهم من يستحقها ان راوا
في التهويل في قوله تعالى ان في ذلك اي هذا
الامر

الهول الباهر للعقول الذي فعل بثمود لاية
اي عبرة عظيمة ولكنها لقوم يعلمون قدرتنا
فيتعظون اما من لا علم عنده فقد نادى على
نفسه في عداد البهايم ولما ذكر سبحانه وتعالى
الذين اهلكهم اتبعه بذكر الذين انجاهم فقال
وانجينا اي بعظمتنا وقدرتنا الذين امنوا
وهم الفريق الذين كانوا مع صالح كلهم وكانوا
يتقون اي متصفين بالتقوى ايضا فكانوا
مجبولون عليه فيجعلون بينهم وبين ما يسخط
الله وقاية من الاعمال الصالحة ولما ذكر الله تعالى
قصة صالح اتبعها قصة لوط عليهما الصلاة
والسلام وهي القصة الرابعة بقوله سبحنه
وتعالى ولوطا وهو اما منصوب عطفا على
صالحا اي وارسلنا لوطا واما عطفا على الذين
امنوا اي وانجينا لوطا واما باذكر مضمرة ويبدل
له منه على هذا اذ اي حين قال لقومه اي
الذين كان سكن فيهم لما فارق عمه ابرهيم الخليل
عليهما الصلاة والسلام وصاهرهم وكانوا
يأتون الاحداث سكر موبخا اتاتون الفاحشة
يا

Copyright © King Saud University

اي للفعلة المتناهية في الفحش وانتم تبصرون
من بصر القلب اي تعلمون فحشها واقتراف
القبايح من العالم بقبحها اعظم او يبصرها
بعضكم من بعض لانهم كانوا في ناديهم يرتكبونها
معلنين لا يستتر بعضهم من بعض خلاعة
ومجانة وانهماكا في المعصية قال الزمخشري
وكان ابا نواس بنى على مذهبهم قوله

وبح باسم ما ياتي وذرني من الكنى
فلا خير في اللذات من دونها ستر

وتبصرون اثار العصاة قبلكم وما نزل بهم
فان قيل اذا فسر تبصرون بالعلم وبعده
بل انتم قوم تجهلون فكيف يكون علما جهلا
اجيب بانهم يفعلون فعل الجاهلين بانها
فاحشة مع علمهم بذلك او يجهلون العاقبة
او ان المراد بالجهل السفاهة والمجانة التي
كانوا عليها ثم عين ما ابهمه بقوله سبحانه وتعالى
اينكم لتاتون وقال الرجال اشارة الى ان فعلهم
هذه مما يعي الوصف ولا يبلغ كنه قبحها

ولا

ولا يصدق ذو عقل ان احدا يفعلها ثم علل
ذلك بقوله سبحانه وتعالى شهوة اي ان الا
بهم الى رتبة البهايم التي ليس فيها قصد ولا غرض
وقال من دون النسا اشارة الى انهم اساوا
من الطرفين في الفعل والترك وقوله سبحانه
وتعالى بل انتم قوم تجهلون وتقدم في جواب
تبصرون تفسيره فان قيل تجهلون صفة
لقوم والموصوف لفظه لفظ الغايب فهلا
طابقت الصفة الموصوف اجيب بانه قد
اجتمعت الغيبة والمخاطبة فغلبت المخاطبة
لانها اقوى وارسخ اصلا من الغيبة وقرا اينكم
نافع وابن كثير وابو عمرو بتسهيل الهمزة
الثانية المكسورة كالياء وخففها الباقون
وادخل بينهما قالون وابو عمرو الفا وهشام
بخلاف عنه ولما بين سبحانه وتعالى جهلهم
بين انهم اجابوا بما لا يصلح ان يكون جوابا
بقوله سبحانه وتعالى فما كان جواب قومه
اي لهذا الكلام الحسن لما لم يكن لهم حجة ولا
شبهة لهم في دفعه الا ان قالوا اي

Copyright © King Saud University

عدولا الى المغالبة وتماديا في لخبث اخرجوا آل
لوط اي اهله قالوا من قريتكم مفاعلة باسكا نه
عندهم وعللوا ذلك بقوله سبحنه وتعالى انهم
اناس يتطهرون اي ينزهون عن القاذورات
كلها فينكرون هذا العمل القذر ويغيظنا انكارهم
وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هو استهزا
اي قالوه تهكما بهم ولما وصلوا في الخبث الى هذا
الحد سبب الله سبحنه وتعالى عن قولهم
وفعلهم قوله سبحنه وتعالى فانجيناه واهله
اي كلهم من ان يصلوا اليهم باذي او يلحقهم من
عذابنا الا امراته قدرناها اي قضينا عليها
وجعلنا بتقديرنا من الغابرين اي الباقين
في العذاب وقرا شعبة بتخفيف الدال والباقون
بالتشديد وامطرنا عليهم مطرا هو حجارة
السجيل اهلكتهم وكذلك تسبب عنه
قوله سبحنه وتعالى فسا اي فبئس مطر
المنذرين بالعذاب مطرهم ولما تم سبحنه
وتعالى هذه القصص الدالة على قدرته
وعظيم شانه وما خص به رسله من
الايات

من الايات والانتصار من العدا امر نبيه محمد
صلى الله عليه وسلم ان يحمده على هلاك الامم
الخالية بقوله سبحنه وتعالى قل يا افضل الخلق
الحمد اي الوصف بصفات الكمال لله على هلاك
هولا العدا البغضا وان يسلم على من اصطفا
بالعصمة من الفواحش والنجاة من الهلاك
بقوله سبحنه وتعالى وسلام على عباده الذين
اصطفى اي اصطفيناهم واختلف فيه فقال
مقاتل هم الانبيا والمرسلون بدليل قوله سبحنه
وتعالى على المرسلين وقال ابن عباس في رواية
ابي مالك هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل هم كل المومنين من السابقين واللاحقين
تنبيه سلام مبتدا وسوغ الابتدا به
كونه دعا الله تعالى اهلكهم ولم تغن عنهم
الهتهم من الله شيا قال تعالى الله اي الذي
له الجلال والاكرام خير اي لعباده الذين
اصطفاهم فانجاهم اما يشركون اي الكفار من
الالهة خير لعبادها فانهم لا يغنون عنهم شيا
تنبيه لفظ من لفظ السبعة في هاتين

الهمزتين وجهان الاول تحقيق همزة الاستفهام
ايضا وتسهيل همزة الوصل الفاصل المد
والثاني تحقيق يشركون بالياء التحتية
بالغيبة حملا على ما قبله من قوله تعالى
وامطرنا عليهم مطرا وما بعده من قوله
تعالى بل اكثرهم والباقون بالتاء الفوقية على
الخطاب وهو التفاوت للكفار بعد خطاب
نبيه صلى الله عليه وسلم وهذا تبكيت
للكفار بحالهم لانهم اثروا عبادة الاصنام
على عبادة الله تعالى ولا يوثر عاقل شيا
على شي لا لزيادة خير فقيل لهم هذا الكلام
تنبيها لهم على نهاية ضلالهم وجهلهم
وتهكما بهم وتسفيها لرايهم اذ من المعلوم
انه لا خير فيما اشركوه راسا حتى يوازون بينه
وبين من هو مبتدا كل خير وروي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قراها
قال بل الله خير وابقى واجل واكرم ثم عدد
سبحنه وتعالى انواعا من الخيرات والمنافع
التي اثار رحمته وفضله الاول منها

قوله

قوله تعالى ام من خلق السموات والارض اي
التي هي اصول الكاينات ومبادي المنافع فان
قيل ما الفرق بين ام وام في اما يشركون وام
من خلق اجيب بان تلك متصلة لان المعنى
ايهما خير ام الالهية قال بل ام من خلق السموات
والارض خير تقريرا لهم بان من قدر على خلق
العالم خير من جماد لا يقدر على شي وانزل لكم
اي لاجلكم خاصة وانتم تكفرون وتنسون ما
تفردها من ذلك بغيره من السما ما هو للارض
كالما الدافق للارحام فانبتنا به حدايق
جمع حديقة وهي البستان وقيل القطعة من
الارض ذات الما قال الراغب سميت بذلك
تشبيها بحدقة العين في الهيئة وحصول
الما فيها وقال غيره سميت بذلك لاحداق
الجدران بها قال ابن عادل وليس بشي
لانها يطلق عليها ذلك مع عدم الجدران
ذات بهجة اي بها وحسن ورونق وسرور
على تقارب اصولها مع اختلاف انواعها
وتباين طعومها واشكالها ومقاديرها

Copyright © King Saud University

والواها ولما اثبت الانبات به نفاه عن غيره
لقوله سبحانه وتعالى ماكان اي ما صح وما
تصور بوجه من الوجوه لكم وانتم احيا
فضلا عن شركايكم الذين هم اموات بل اموات
ان تنبتوا شجرها اي شجر تلك الحدايق االه
مع الله اعانه على ذلك اي ليس معه اله بل
هم اي في ادعايهم معه سبحانه وتعالى شريكا
قوم يعدلون اي عن الحق الذي لا مرية فيه
الى غيره وقيل يعدلون عن هذا الحق الظاهر
ونظير هذه الاية اول سورة الانعام الثاني
منها قوله سبحانه وتعالى ام من جعل
الارض قرارا وهو بدل من ام من خلق
السموات والارض حكمها حكمه وقرارا لا تميد
باهلها وكان القياس ان يقتضي ان تكون
هاوية او مطربة كما يضطرب ما هو معلق
بالهوي ولكن الله سبحانه وتعالى ابدا
بعضها من الما بحيث يتاتى استقرار الانسان
والدواب عليها وجعل خلالها اي وسطها
انهارا اي جارية على حالة واحدة فلو اضطربت
الارض

الارض اد ني اضطراب لتغيرت مجاري الما ثم
ذكر سبحنه وتعالى سبب القرار بقوله سبحنه
وتعالى وجعل لها رواسي اي جبالا اثبت بها
الارض على ميزان دبره سبحنه وتعالى في
مواضع من ارجايها بحيث اعتدلت جميع
جوانبها فامتنعت من الاضطراب ولما
كان بعض مياه الارض عذبا وبعضه ملحا
مع القرب جدا بين الله سبحنه وتعالى
ان احدهما لم يختلط بالاخر بقوله سبحنه وتعا
وجعل بين البحرين العذب والملح حاجزا من
قدرته يمنع احدهما ان يختلط بالاخر االه مع
الله اي المحيط علما وقدرة معين له على ذلك
بل اكثرهم اي الذين ينتفعون بهذه المنافع
لا يعلمون توحيدهم بل هم كالبهايم لاعراضهم
عن هذا الدليل الواضح تنبيه في قراة الله
سئل اينكم الثالث منها قوله سبحنه وتعا
ام من يجيب المضطر اي المكروب وهو الذي
احوجه مرضا وفقرا ونازلة من نوازل
الدهر الى اللجا والتضرع الى الله سبحنه

Copyright © King Saud University

سبحنه وتعالى اذا دعاه وقت اضطراره وعن
ابن عباس هو المجهود وعن السدي هو الذى
لاحول له ولاقوة فان قيل هذا يعم كل مضطر
وكل مضطر يدعوا فلا يجاب اجيب بان اللام
فيه للجنس لا للاستغراق ولا يلزم منه اجابة
كل مضطر وقوله سبحنه وتعالى ويكشف
السوء كالتفسير للاستجابة وانه لا يقدر احد
على كشف ما وقع له من فقر الى غنى ومرض
الى صحة الا القادر الذى لا يعجزه شي والقاهر
الذي لا ينازع والاضافة في قوله سبحنه وتعالى
ويجعلكم خلفا الارض يعني في انه يخلف
بعضكم بعضا لا يزال يجدد ذلك باهلاك
قرن وانشا اخر الى قيام الساعة االه مع
الله اي الملك الذى لا كفو له ثم استانف
التبكيت تعظيما له ومواجها به بقوله تعالى
قليلا ما يذكرون اي يتعظون وقرا ابو عمرو
وهشام بالياء التحتية على الغيبة والباقون
بالخطاب وفيه ادغام التا في الذال وما
زايدة التقليل القليل الراجع نها قوله

سبحنه

سبحنه وتعالى امن يهديكم اي يرشدكم الى مقاصدكم
في ظلمات البر بالنجوم والجبال والرياح والبحر
بالنجوم والرياح ومن يرسل الرياح اي التى
هي دلايل السير نشرا اي تنشر السحاب وتجمعها
بين يدي رحمته اي التى هي في المطر تسمية للمسبب
باسم السبب والرياح التى تهتدي بها في المقاصد
اربع التي من تجاه الكعبة الصبا ومن وراءها
الدبور ومن جهة يمينها الجنوب ومن شمالها
الشمال ولكل منها طبع فالصبا حارة يابسة
والدبور باردة رطبة والجنوب حارة رطبة
والشمال باردة يابسة وهي ريح الجنة التى
تهب على اهلها جعلنا الله تعالى ووالدينا
ومشايخنا واصحابنا ومن انتفع بشي من
هذا التفسير ودعالنا بالمغفرة منهم وقرا نافع
وابن كثير وابو عمرو نشرا بضم النون وسكون
الشين وحمزة والكسائي بفتح النون
وسكون الشين وعاصم بالبا الموحدة
مضمومة وسكون الشين ولما انكشف بما
مضى من الايات ما كانوا في ظلامه من واضح

الشبهات واتضحت الادلة ولم يبق لاحد في شي
من ذلك كرر سبحنه وتعالى الانكار في قوله سبحنه
وتعالى ءاله مع الله اي الذي كمل علمه تعالى الله اي
الفاعل القادر المختار عما يشركون به غيره واين
رتبة العجز من رتبة القدرة الخامس قوله تعالى
امن يبدا الخلق اي كلهم من الارحام من نطفة
ما علمتم منهم وما لم تعلموا ثم يعيده اي بعد الموت
لان الاعادة اهون عليه فان قيل كيف قيل لهم
ثم يعيده اجيب بانهم كانوا مصرين بالابتدا
فلما كان الكلام مقرونا لدلالة الظاهر صاروا
كانهم لا عذر لهم في الانكار على الاعادة لقيام
البراهين عليها ولما كان الامطار والانبات
من اول ما يكون على الاعادة قال مشيرا اليها
على وجه عم جميع ما مضى ومن يرزقكم من
السما اي بالمطر والحر والبرد وغيرهما مما له سبب
في التكوين او التلوين والارض اي بالنبات
والمعدن والحيوان وغيرهما مما لا يعلمه الا الله
تعالى وعبر عنها بالرزق لان به تمام النعمة
اله مع الله اي الذي له صفات الجلال
والاكرام

والاكرام ولما كانت هذه كلها براهين ساطعة
ودلالة قاطعة امر الله سبحانه وتعالى رسوله
صلى الله عليه وسلم اعراضا عنهم بقوله سبحنه
وتعالى قل اي لهولا المدعين للعقول هاتوا
برهانكم اي حجتكم على نفي شي من ذلك عن الله تعا
او على اثبات شي منه لغيره ان كنتم صادقين
اي في انكم على حق في ان مع الله تعالى غيره واضاف
سبحانه وتعالى البراهين اليهم تهكما بهم وتنبيها
على انهم بعدوا في الضلال واغرقوا في المحال
ثم انهم سالوه عن وقت قيام الساعة فنزل
قل اي لهم لا يعلم من في السموات والارض
من الملايكة والناس الغيب اي ما غاب عنهم وقوله
سبحانه وتعالى الا الله مستثنا منقطع اي لكن
الله يعلمه ولما كان الله سبحانه وتعالى منزها
عن ان يحويه مكان جعل الاستثنا هذا منقطعا
فان قيل من حق المنقطع النصب اجيب
بانه رفع بدلا على لغة بني تميم يقولون ما
في الدار احد الا حمار يريدون ما فيها الا حمارا
كان احدا لم يذكر ومنه قولهم ما اتاني

زيدا لا عمرو وما عاته لحوانكم الا اخوانه فان قيل
ما الداعي الى المذهب التميمي على الحجازي
اجيب بانه دعت اليه حاجة سرية
حيث اخرج المستثنى مخرج قوله الا اليعافير
بعد قوله ليس بها انيس اليعافير ولا العيس
ليؤول المعنى الى قولك ان كان الله ممن في
السموات والارض فهم يعلمون الغيب
بمعنى ان علمهم الغيب في استحالته كاستحالة
ان يكون الله منهم كما ان المعنى ما في كانت
اليعافير انيسا ففيها انسانيا لخلوها
عن الانيس ويصح كونها متصلا والظرفية
في حقه تعالى مجاز بالنسبة الى علمه الحقيقة
والمجاز كما قال به امامنا الشافعي رضي الله
عنه وان منعه بعضهم ومن ذلك قول
المتكلمين الله تعالى في كل مكان على معنى ان
علمه في كل الاماكن كلها فكان ذاته فيها وعلى
هذا فيرتفع على البدل والصفة والرفع
افصح من النصب لانه متعجب وعن عائشة
رضي الله تعالى عنها من زعم انه يعلم
ما في

ما في غد فقد اعظم الفرية على الله والله تعالى
يقول قل لا يعلم من في السموات والارض
الغيب الا الله وما يشعرون وعن بعضهم
اخفى غيبه عن الخلق ولم يطلع عليه احد لئلا
يأمن من عبيده مكره وقوله تعالى وما
يشعرون صفة لاهل السموات والارض
نفى ان يكون لهم علم الغيب وان اجتمعوا
وتعارفوا ايان اي اي وقت يبعثون اي
ينشرون وقوله تعالى بل بمعنى هل
ادرك اي بلغ وتناهى علمهم في الآخرة اي نهي
حتى سالوا عن وقت مجيئها ليس الامر
كذلك بل هم في شك اي ريب منها كمن تحير في
الامر لا يجد عليه دليلا بل هم منها عمون لا يدركون
دلائلها لاختلال بصائرهم وهذا وان اختص
بالمشركين ممن في السموات والارض نسب الى
جميعهم كما يسند فعل البعض الى الكل فان قيل
هذه الاضرابات الثلاثة ما معناها اجيب
بانها تنزيل لاحوالهم وصفهم اولا بانهم لا يشعرون
وقت البعث ثم بانهم لا يعلمون ان القيمة

Copyright © King Saud University

كاينة ثم بانهم يخبطون في شك ومرية فلا يزيلونه
والازالة مستطاعة بما هو اسوء حالا وهو العمى
وان يكون مثل البهيمة قد عكف همه على بطنه
وفرجه لا يخطر بباله حقا ولا باطلا ولا يفكر
في عاقبته وقد جعل الاخرة مبدا عماهم ومنشاه
فلذلك عداه بمن دون عن لان الكفر بالعاقبة
والجزا هو الذي جعله كالبهايم لا يتدبرون ولا
يتبصرون الاضرابات الثلاث ووصفهم بالاستحكام
علمهم في علم الاخرة تهكما وقرا ابو عمرو وابن كثير
بقطع الهمزة مفتوحة وسكون اللام قبلها
وسكون الدال بعدها والباقون بكسر
اللام واسقاط الهمزة بعدها وتشديد
الدال وبعدها الف بمعنى تتابع حتى استحكم
او تتابع حتى انقطع من تدارك بنو فلان اذا
تتابعوا في الهلاك **وقال الذين كفروا اذا كنا ترابا
واباونا** ايكون واباونا الذين طال عليهم العهد بهم
اينا لمخرجون كالنبات والعامل في اذا محذوف
يدل عليه لمخرجون تقديره نبعث ونخرج لان
بين يدي عمل اسم المفعول فيه عقبات

وهي

وهي همزة الاستفهام بادخاله على اذ وان جميعا
انكار وجحود عقب جحود ودليل على كفر
موكد مبالغ فيه والضمير في اذا لهم ولابايهم
لان كونهم ترابا قد تناولهم واباهم تنبيه
اباونا عطفا على اسم كان وقام الوصف بالخبر
مقام الفصل بالتوكيد وقرا نافع بالخبر اينا
وبالاستفهام في اينا وابن عامر والكسائي
بالاستفهام في الاول والثاني وهو على مذاهبهم
من التسهيل والتخفيف والمد والقصر فذهب
قالون وابو عمرو بالتسهيل في الهمزة الثانية
وادخال الف بينها وبين همزة الاستفهام
ومذهب ورش وابن كثير بالتسهيل وعدم
الادخال ومذهب هشام الادخال وعدمه
مع التخفيف ومذهب الباقين التخفيف وعدم
الادخال ثم قال الكفار الدليل في زعمهم على
ذلك فقالوا تعليلا لاستبعادهم **لو وعدنا هذا**
الاخراج من القبور كالنا اول مرة **نحن واباونا
من قبل** اي قبل محمد فقد مرت الدهور على
هذا الوعد ولم يقع منه شي فذلك دليل

علي انه لا حقيقة له فكانه قيل فما فايدة المراد به
فقالوا ان اي ما هذا الا اساطير الاولين اي
احاديثهم واكاذيبهم التي كتبوها ولا حقيقة لها
تنبيه اساطير الاولين جمع اسطورة بالضم ما
سطر من الكذب فان قيل لم قدم في هذه الاية
هذا علي نحن واباونا وفي الاخرى قدم نحن
واباونا علي هذا اجيب بان التقديم دليل
علي ان المقدم هو الغرض المقصود بالذكر وان الكلام
انما سيق لاجله ففي احدى الايتين دليل علي
ان ايجاد البعث بذلك الصدد ثم امر الله
تعالي نبيه صلى الله عليه وسلم ان يرشدهم
بما في صورة التهديد بقوله سبحنه وتعالى
قل سيروا في الارض اي ايها العمي الجاهلون فانظروا
كيف كان عاقبة المجرمين بانكارهم وهي هلاكهم
بالعذاب فانكم ان نظرتم وتاملتم اجارة حق
التامل اسرع بكم ذلك الي التصديق فنجوتم والا
هلكتم كما هلكوا واراد المجرمين الكافرين فان
قيل فلم يقل عاقبة الكافرين اجيب بان هذا
يحصل به التخويف لكل العصاة ثم ان الله
تعالي

تعالى صبر نبيه صلى الله عليه وسلم ما ناله
من خلافهم في عمارهم عن السبيل الذي هدى
الله الدليل بقوله تعالى ولا تحزن عليهم اي عدم
ايمانهم فانما عليك البلاغ ولا تكن في ضيق مما يمكرون
اي لا تهتم بمكرهم عليك فانا ناصرك عليهم وجاعل
لك تدميرهم في تدبيرهم لطعام قوم صالح تنبيه
الضيق الحرج يقال ضاق الشيء ضيقا وضيقا
بالفتح والكسر وقيل لهذا قرا ابن كثير بكسر الضاد
والباقون بالفتح ولما اشار تعالى الي انهم لم
يبقوا في المبالغة في التكذيب بالساعة
وجها اشار بقوله تعالي الي انهم بالوعيد بالساعة
وغيرها من عذاب الله اشد مبالغة بقوله
تعالى ويقولون بالمضارع المؤذن بالتجدد
كل حين للاستهزاء متى هذا الوعد اي العذاب
والبعث والمجازاة الموعود بها وسموه وعدا
اظهار المحبته تهكما به ان كنتم اي انت ومن
تبعك صادقين فيه ثم امر الله سبحنه وتعالى
نبيه صلى الله عليه وسلم ان يجيبهم بقوله
تعالى قل لهم عسى ان يكون ردف لكم اي

Copyright © King Saud University

تبعكم وردفكم ولحقكم فاللام مزيدة على هذا
للتاكيد كالبا في ولا تلقوا بايديكم ويصح ان
يضمن ردف معنى فعل فيتعدي باللام
نحو دنا وقرب وازدف ولهذا فسره ابن
عباس وقد عدي بمن في قول القايل فلما
ردفنا من عمير وصحبه تولوا سراعا والمنية
تعنق يعني دنونا من عمير **بعض الذي تستعجلون**
اي فحصل لهم القتل ببدر وباقي العذاب
ياتي بعد الموت تنبيه عسى ولعل وسوف
في مواعيد الملوك كالجزم بها وانما يطلقونه
اظهارا لوقارهم واشعارا بان الرمز منهم
كالتصريح من غيرهم وعليهم جرى وعد الله
ووعيده ولما كان التقدير فان ربك لا يعجل
على هذا المعاصي بالانتقام مع تمام قدرته
عطف عليه **وان ربك** اي المحسن اليك بالحكم
على استك **لذو فضل** اي تفضل وانعام **على**
الناس كافة **ولكن اكثرهم لا يشكرون** اي لا
يعرفون حق النعمة فيه ولا يشكرونه بل
يستعجلون بجهلهم العذاب قال ابن عادل
وهذه

وهذه الاية تبطل قول من قال لا نعمة لله على
الكفار **وان ربك** اي والحال انه **ليعلم ما تكن** اي
تضمر وتستر وتخفي **صدورهم** اي الناس كلهم فضلا
عن قومك **وما يعلنون** اي يظهرون من عداوتك
وغيرها فيجازيهم على ذلك **وما من غايبة في السما**
والارض اي في اي موضع كان منهما وافردهما
دلالة على ارادة الجنس الشامل لكل فرد
تنبيه في هذه التا قولان احدهما للمبالغة
كراوية وعلامة وقولهم ويل للشاعر من
راوية كانه تعالى قال وما من شي شديد
الغيبوبة والخفا الا وقد علمه الله تعالى والثاني
انها كالتا الداخلة على المصادر نحو العاقبة
والعافية قال الزمخشري ونظيرها الذبيحة
والنطيحة والرمية انهما اسما غير صفات
الا في كتاب هو اللوح المحفوظ كتب فيه ذلك
قبل ايجاده لانه لا يكون شي الا بعلمه وتقديره
مبين اي ظاهر لمن ينظر فيه من الملايكة ولما
تمم تعالى الكلام في اثبات المبدا والمعاد ذكر
بعده ما يتعلق بالنبوة بقوله سبحانه وتعالى

Copyright © King Saud University

ان هذا القران اي الاتي به هذا النبي الامي الذي لم يعرف
قبله علما ولا خالطه علما **يقص على بني اسرايل**
اي الموجودين في زمان نبينا صلى الله عليه وسلم
اكثر الذي هم فيه يختلفون اي من امور الدين وان
بالغوا في كتمه كقصة الزاني المحصن في اخفايهم ان
حده الرجم وقصة عزير والمسيح واخراج النبي
صلى الله عليه وسلم لان ذلك لا يكون الا من عند
الله ثم وصف تعالى وفضل هذا القران
بقوله سبحانه وتعالى **وانه لهدي** اي من الضلالة
لما فيه من الدلايل على التوحيد والحشر والنشر
والنبوة وشرح صفات الله تعالى **ورحمة**
اي نعمة واكرام **للمومنين** اي الذين طبعهم على
الايمان وهو صفة لهم راسخة كما انه للكافرين
وقر اذانهم وعمى في قلوبهم ولما ذكر الله سبحنه
وتعالى دليل فضله اتبعه دليل عدله
بقوله سبحنه وتعالى **ان ربك** اي المحسن
بما لم يصل اليه احد **يقضي بينهم** اي بين جميع
المختلفين **بحكمه** اي الذي هو اعدل حكم واتقنه
وانفذه فان قيل القضا والحكم شي واحد

في

في قوله سبحنه وتعالى يقضي بحكمه اي بما يحكم
به كقوله يقضي بقضايه ويحكم بحكمه اجيب
بان معنى قوله تعالى بحكمه اي بما يحكم به وهو
عدله لانه لا يقضي الا بالعدل فسمي المحكوم به حكما
او اراد بحكمته **وهو** اي والحال انه هو **العزيز**
اي فلا يرد له امر **العليم** فلا يخفى عليه سر ولا جهر
فلما اثبت له تعالى العلم والحكمة والعظمة والقدرة
تسبب عن ذلك قوله سبحانه وتعالى **فتوكل على
الله** اي ثق به لتدع الامور كلها اليه وتستريح من
تحمل المشاق وثوقا بنصره ثم علل ذلك بقوله
سبحنه وتعالى **انك على الحق المبين** اي البين في
نفسه الموضح لغيره فصاحب الحق حقيقة
بالوثوق بحفظ الله سبحانه وتعالى ونصره
وقوله سبحانه وتعالى **انك لا تسمع الموتى** تعليل
اخر للامر بالتوكل من حيث انه يقطع طمعه من
معاضدتهم وانما شبهوا بالموتى لعدم انتفاعهم
باسماع ما يتلى عليهم كما شبهوا بالصم في قوله
سبحنه وتعالى **ولا تسمع الصم الدعا اذا ولوا
مدبرين** اي معرضين فان قيل ما معنى قوله

Copyright © King Saud University

سبحنه وتعالى ولوا مدبرين اجيب بانه تاكيد
لحال الاصم لانه اذا تباعد عن حال الداعي بان تولى عنه
مدبرا كان ابعد عن ادراك صوته وقرا ابن كثير
ولا يسمع باليا التحتية المفتوحة وفتح الميم والباقون
بالتا الفوقية مضمومة وكسر الميم وميم الصم
بالنصب وسهل نافع وابن كثير وابو عمرو والهمزة
الثانية من الدعاء اذا كاليا مع تحقيق الاولى
والباقون بتحقيقها وهم على مراتبهم في المد
ثم قطع طمعه عن ايمانهم بقوله تعالى وما انت
بهادي العمي اي في ابصارهم وبصايرهم
مزيلا لهم وناقلا ومبعدا عن ضلالتهم اي عن
الطريق بحيث يحفظهم عن ان يضلوا عنها اصلا
فان هذا لا يقدر عليه الا الحي القيوم وقرا حمزة
تهدي بتا فوقية وسكون الها والعمي بنصب
اليا والباقون بالبا الموحدة مكسورة وفتح
الها بعدها الف والعمي بكسر اليا ولما كان هذا
ربما اوقف عن دعايهم رجاه في انقيادهم وارعوايهم
بقوله سبحنه وتعالى ان اي ما تسمع اي اسماع
انتفاع على وجه الكمال في كل حال الا من يومن

اي من علمنا انه يصدق باياتنا بان جعلنا فيه
قابلية السمع ثم تسبب عنه قوله دليلا
على ايمانه فهم مسلمون اي مخلصون في غاية الطواعية
لك كما في قوله تعالى بلى من اسلم وجهه لله يعني
جعله سالما خالصا ثم ذكر تعالى ما يوعدون
مما تقدم استعجالهم له استهزا بقوله تعالى
واذا وقع القول عليهم اي مضمون القول
وهو ما وعدوا به من قيام الساعة والعذاب
ووقوعه حصوله او اطلق المصدر على
المفعول اي المقول اخرجنا بما لنا من العظمة
لهم حين مشارفة العذاب والساعة
وظهور اشراطها حين لا تنفع التوبة دابة
من الارض وهي الجساسة جاء في الحديث
ان طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب
ولا يفوتها هارب وروي ان لها اربع
قوايم وزغبا وهو شعر اصفر على ريش
الفرخ وريشا وجناحين وعن ابن جريج
في وصفها فقال راسها راس الثور وعينها
عين الخنزير واذنها اذن فيل وقرنها قرن

Copyright © King Saud University

ابل وعنقها عنق نعامه وصدرها صدر اسد
ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هرة وذنبها
ذنب كبش وخفها خف بعير وما بين المفصلين
اثنى عشر ذراعا بذراع ادم عليه الصلاة والسلام
وروي انها لا تخرج الا راسها وراسها يبلغ عنان
السما ويبلغ السحاب وعن ابي هريرة فيها من
كل لون وما بين قرنيها فرسخ للراكب وعن الحسن
لا يتم خروجها الا بعد ثلاثة ايام وعن علي كرم الله
وجهه انها تخرج ثلاثة ايام والناس ينظرون
فلا تخرج الا ثلثها وروي انه صلى الله عليه وسلم
سيل عن اين تخرج الدابة فقال من اعظم المساجد
حرمة واكرمها على الله فما يهولهم الا خروجها
من بين الركن حذا دار بني مخزوم عن يمين
الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم
يقفون نظارة وقيل تخرج من الصفا
ولما كان التعبير بالدابة تفهم انها كالحيوانات
العجم لا كلام لها قال تكلمهم اي بالعربية
كما قال مقاتل بكلام يفهمونه بلسان
طلق ذلق فتقول ان الناس كانوا باياتنا
لا

٥٥

لا يوقنون اي الناس كانوا لا يوقنون بخروجي لان
خروجها من الايات وتقول الا لعنة الله على
الظالمين وعن السدي تكلمهم ببطلان الاديان
كلها سوى دين الاسلام وعن ابن عمر وتستقبل
المغرب فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل
المشرق ثم الشام ثم اليمن فتفعل مثل ذلك
وروي تخرج من اجياد روي بينما عيسى عليه
السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب
الارض تحتهم تحرك القناديل وتنشق الصفا
مما يلي المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها
عصى موسى عليه الصلاة والسلام وخاتم
سليمن عليه الصلاة والسلام وحا فتضرب
المومن في مسجده او فيما بين عينيه بعصى
موسى فتنكت نكتة بيضا فتفشوا تلك
النكتة في وجهه حتى يضي لها وجهه
او تترك وجهه كانه كوكب دري وتكتب بين
عينيه مومن وتنكت الكافر بالخاتم في انفه
فتفشوا النكتة حتى يسود لها وجهه
وتكتب بين عينيه كافر وروي فتجلوا وجه

لعله بخطم

المومن بالعصا وتخطم وجه انف الكافر بالخاتم
ثم تقول لهم يا فلان انت من اهل الجنة وانت
يا فلان من اهل النار وعن ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا
بالاعمال ستا قبل طلوع الشمس من مغربها والدجال
والدخان والدابة وخاصة احدكم وامر
العامة وقال صلى الله عليه وسلم ان اول
الاية خروجا طلوع الشمس من مغربها
وخروج الدابة على الناس ضحى وايهما كانت
قبل صاحبتها فالاخرى على اثرها وقال
صلى الله عليه وسلم ان اول الاية خروجا
طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة
على الناس ضحى وايهما كانت قبل صاحبتها
فالاخرى على اثرها وقال صلى الله عليه
وسلم للدابة ثلاث خروجات من الدهر
فتخرج خروجا باقصى اليمن فيفشوا ذكرها
في البادية ولا تدخل ذكرها القرية يعني مكة
ثم تمكث زمانا طويلا ثم تخرج خرجة اخرى
قريبا من مكة فيفشوا ذكرها بالبادية

ويدخل

ويدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم تبنا الناس
يوما في اعظم المساجد على الله حرمة واكرمها
على الله عز وجل يعني المسجد الحرام لم يرعهم
الا وهي في ناحية المسجد تدنوا وتربوا قال
الراوي ما بين الركن الاسود الى باب الركن
الاسود الى بني مخزوم عن يمين الخارج في وسط
من ذلك فارفض الناس عنها وثبت لها عصابة
عرفوا انهم لم يعجزوا الله فخرجت عليهم تنفض راسها
من التراب ثم مرت فخطت على وجوههم حتى تركتها
كانها الكواكب ثم في الارض لا يدركها طالب
ولا يعجزها هارب حتى ان الرجل ليقوم فيتعوذ
منها بالصلاة فتاتيه من خلفه فتقول يا
فلان الان تصلي فيقبل عليها بوجهه فتسمه
في وجهه فيتجاور الناس في ديارهم ويصطحبون
في اسفارهم ويشتركون في الاموال يعرف
الكافر من المومن فيقال للمومن يا مومن
وللكافر يا كافر وعن علي رضي الله تعالى عنه
انه قال ليس بدابة لها ذنب ولكن لها لحية
يشير الى انه رجل والاكثرون على انها

Copyright © King Saud University

انها دابة وعن ابن عباس انه قرع الصفا
بعصاة وهو محرم وقال ان الدابة
لتسمع قرع عصاي هذه وعن ابي هريرة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بيس
الشعب شعب جياد مرتين او ثلاثا قيل
ولم ذاك يا رسول الله قال تخرج منه الدابة
فتصرخ ثلاث صرخات تسمعها من بين
الخافقين وقال وهب وجهها وجه الرجل
وساير خلقها خلق الطير فتخبر من راها
ان اهل مكة كانوا بمحمد والقران لا يوقنون
وقراء الكوفيون بفتح الهمزة من ان على
تقدير البا اي بان الناس والباقون بكسرها
على الاستينا ويوم نحشر اي الناس على
وجه الاكراه قال ابو حيان الحشر الجمع
على من كل امة اي قرن فوجا اي جماعة
ممن يكذب باياتنا اي وهم روساوهم
المتبعون فهم يوزعون اي يجمعون برد
اخرهم الى اولهم واطرافهم على اوساطهم ليلا
يتلاحقوا ولا يشذ منهم احد

ولا

ولا يزالون كذلك حتى اذا جاؤا الى مكان الحساب
قال اي الله تعالى لهم اكذبتم اي انبيائي باياتي
التي جاؤا بها والحال انكم لم تحيطوا بها اي من
جهة تكذيبكم علما اي من غير فكر ولا نظر يؤدي
الى الاحاطة بمعانيها وما اظهرت لاجله
حتى تعلموا ما يستحقه وما يليق بها بدليل
لا مرية فيه وام في قوله ام ماذا منقطعة وتقدم
حكمها وماذا يجوز ان يكون برمته استفهاما
منصوبا بتعملون الواقع خبرا عن كنتم وان
يكون ما استفهامية مبتدا وذا موصول
خبره والصلة كنتم تعملون وعايده محذوف
اي شي الذي كنتم تعملون ووقع القول اي
وجب العذاب الموعود عليهم بما ظلموا اي بسبب
ما وقع منهم من الظلم من صريح التكذيب وما
ينشا عنه من الضلال الظلم من صريح الضلال
في الاقوال والافعال فهم لا ينطقون قال
قتادة كيف ينطقون ولا حجة لهم نظيره
قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن
لهم فيعتذرون وقيل لا ينطقون لان

Copyright © King Saud University

افواههم مخوفة ثم انه تعالى خوفهم باحوال القيمة
ذكر كلما يصلح ان يكون دليلا على التوحيد
والحشر والنبوة مبالغة في الارشاد الى
سنن الايمان والمنع من الكفر فقال **ألم يروا**
مما يدلهم على قدرتنا على بعثهم بعد الموت
وعلى كل من اختراهم **انا جعلنا** اي بعظمتنا
الدالة على نفوذنا وفعلنا بالاختيار **الليل**
اي مظلما **ليسكنوا فيه** عن الانتشار **والنهار**
مبصرا اي يبصر فيه ليبصروا فيه ويبتغوا
من فضل الله فحذف من الاول ما ثبت نظيره
في الثاني اي ومن الثاني ما ثبت نظيره
في الاول اذ التقدير جعلنا الليل مظلما كما مر
لتسكنوا فيه والنهار مبصرا لتتصرفوا فيه كما
مر فحذف مظلما لدلالة مبصرا وليتصرفوا
لدلالة لتسكنوا فيه وقوله تعالى مبصرا
كقوله تعالى اية النهار مبصرة وتقدم الكلام
على ذلك في الاسرا قال الزمخشري فان قيل
ما للتقابل لم يراع في قوله ليسكنوا ومبصرا
حيث كان احدهما علة والاخر حالا قلت

نحو

هو مراعي من حيث المعنى وهكذا النظم المطبوع
غير المتكلف لان المعنى مبصرا ليبصروا فيه تقلب
طرق التقلب في المكاسب والجانب يغتنم بان
السكون في الليل هو المقصود ولانه وسيلة
الى جلب المنافع الدينية والدنيوية **ان في ذلك**
اي هذا المذكور **لايات** اي دلالات بينة على التوحيد
والبعث والنبوة وغير ذلك وخص المومنين
بقوله تعالى **لقوم يومنون** لانهم المنتفعون به
وان كانت الادلة للكل كقوله تعالى هدى
للمتقين ولما ذكر تعالى هذا الحشر الخاص
والدليل على مطلق الحشر ذكر الحشر العام
بقوله تعالى **ويوم ينفخ** اي باليسير امر **في الصور**
اي القرن ينفخ فيه اسرافيل **ففزع** اي فصعق
كما قال تعالى في اية اخرى فصعق **من في السموات**
ومن في الارض اي كلهم فماتوا والمعنى انه يلقي
عليهم الفزع الى ان يموتوا وقيل ينفخ اسرافيل
في الصور ثلاث نفخات نفخة الفزع ونفخة الصعق
ونفخة القيام لرب العالمين فان قيل لم قال
تعالى ففزع ولم يقل فيفزع اجيب

اجيب بان في ذلك نكتة وهي الاشعار بتحقيق
الفزع وثبوته وان كان لا محالة واقع على
اهل السموات والارض لان الفعل الماضي يدل
على وجود الفعل وكونه مقطوعا به والمراد
فزعهم عند النفخة الاولى حين يصعقون **الا من**
شا الله اي المحيط علما وقدرة وعزة وعظمة
ان لا يفزع روي انه صلى الله عليه وسلم
سال جبريل عنهم فقال هم الشهدا لانهم احيا
عند ربهم لا يصل الفزع اليهم وعن مقاتل
هم جبريل وميكاييل واسرافيل وملك الموت
فيقول سبحانك ربي تباركت وتعاليت
بقي جبريل وملك الموت فيقول مت يا ملك
الموت فيقول يا جبريل من بقي فيقول تباركت
وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام وجهك الباقي
الدايم وجبريل الميت الفاني قال يا جبريل لا
بد من موتك فيقع ساجدا يخفق بجناحيه
فيروى ان فضل خلقه على فضل ميكاييل
كالطود العظيم ويروى انه يبقى بعد هولا
الاربعة حملة العرش ثم روح اسرافيل
ثم

ثم روح اسرافيل ثم روح ملك الموت وعن
الضحاك هم روحان والحور والحور وما لك
والزبانية وقيل عقارب النار وحياتها **وكل**
اي من فزع ومن لم يفزع **اتوه** اي بعد ذلك
للحساب بنفخة اخرى يعيدهم بها وفي ذلك دليل
على تمام قدرته تعالى في كون اقامهم بما به اماتهم
داخرين اي صاغرين وقرا حفص وحمزة بقصر
الهمزة وفتح التا على انه فعل ماض ومفعوله
الها فالتعبير به لتحقق وقوعه والباقون بمد
الهمزة وضم التا على انه اسم فاعل مضاف للهاء
وهنا حمل على معنى كل وهي مضافة تقديرا اي
وكلهم ولما ذكر تعالى دخورهم اتبعه بدخور
ما هو اعظم منهم بقوله تعالى **وترى الجبال** اي
تبصرها وقت النفخة والخطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم لكونه انفذ الناس بصرا وانورهم بصيرة
ولكل احد **تحسبها** اي تظنها **جامدة** اي قايمة
ثابتة في مكانها لا تتحرك لان الاجرام الكبار اذا
تحركت في سمت واحد لا يكاد تبين حركتها **وهي تمر**
اي تسير حتى لا تقع على الارض فتستوي بها

Copyright © King Saud University

مسوسة ثم تصير كالعهن ثم تصير هباء منثورا
واشار تعالى الى ان سيرها خفي وان كان حثيثا
بقوله تعالى مر السحاب اي مرا سريعا لا يدرك
على ما هو عليه لانه اذا اطبق الجو لا يدرك سيره
مع انه لا شك فيه والا لم تنكسف الشمس بله
به لبس وكذلك كبير الجرم او كثير العدد يقصر عن
الاحاطة به لبعد ما بين اطرافه لكثرته البصر
بكونه سايرا والناظر الحاذق فطنه واقفا
وقرا تحسبها بكسر السين نافع وابن كثير وابو عمرو
والكساي وفتحها الباقون وقوله تعالى صنع الله
مصدر موكد لمضمون الجملة قبله اضيف الى فاعله
بعد حذف عامله اي صنع الله ذلك صنعا
ثم زاد في التعظيم بقوله والاعلى تمام الاحكام
في ذلك الصنع الذي اتقن اي احكم كل شيء
صنعه ولما ثبت هذا على اوجه هذا المتقن
والنظام الامكن انتج قطعا قوله تعالى انه
اي الذي احكم هذه الامور خبير بما يفعلون اي
عالم بظواهر الاحوال وبواطنها ليجازيهم عليها
كما قال تعالى من جاء بالحسنة اي الكاملة وهي
الايمان

الايمان وعن ابن عباس الحسنة كلمة الشهادة
فله خير اي افضل منها مضاعفا اقل ما يكون
عشرة اضعاف الى ما لا يعلمه الا الله تعالى وقيل
له خير حاصل من جهتها وهو الجنة وفسر
الجلال المحلي الحسنة بلا اله الا الله وقال وله خير
منها اي بسببها وليس التفضيل اذ لا فعل خير منها
وهذا يناسب القول الثاني وهم اي الجايون بها
من فزع يومئذ اي يومئذ اذا وقعت هذه الاحوال
العظيمة امنون اي حتى لا يحزنهم الفزع الاكبر
وقرا يفعلون ابن كثير وابو عمرو وهشام
بالياء التحتية على الغيبة والباقون بالفوقية
على الخطاب وقرا وهم من فزع يومئذ امنون
الكوفيون بتنوين العين والباقون بغير تنوين
وهو اعم فانه يقتضي الامن من جميع فزع
ذلك اليوم واما قراءة التنوين فيحتمل معنيين
من فزع واحد وهو خوف العذاب واما ما
يلحق الانسان من الرعب ومشاهدته فلا
ينفك منه احد ومن فزع شديد مفرط
الشدة ولا يكتنهه الوصف وهو خوف النار

Copyright © King Saud University

وقرا الباقون نافع والكوفيون بفتح الميم من يومئذ
والباقون بكسرها فان قيل اليس قال تعالى
في اول الاولية ففزع من في السموات ومن في
الارض الا من شاء الله فليس نفي الفزع ها هنا
اجيب بان الفزع الاول لا يخلو منه احد
عند الاحساس لشدة تقع وهول يفجا الا ما
استثنى وان كان المحسن امن من لحاق الضرر
والضرورية واما الثاني فهو الخوف من الله تعالى
ومن جا بالسيئة اي التي لا سيئة مثلها وهي الترك
لقوله تعالى فكبت اي بايسر من وجوههم في النار
بان وليها مع انه ورد في الصحيح
ان مواضع السجود التي اشرفها الوجه
لا سبيل للنار عليها والوجه اشرف ما في
الانسان فاذا هان كان ما سواه اولي بالهوان
والمكتوب عليه منكوس ويقال له تبكيتا هل
اي ما تجزون الا جزا ما كنتم تعملون اي من
الشرك والمعاصي تنبيه جعل مقابلة الحسنة
بالثواب والسيئة بالعقاب من جملة الحكامة
للاشيا واتقانه لها واجرائه لها على قضايا
الحكمة

الحكمة انه عليم بما يفعل العباد وبما يستوجبون
عليه فيكافيهم على حسب ذلك فانظر الى بلاغة
هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه واخذ
بعضهم بحجزة بعض كانما افرغ افراغا واحدا
والامر ما اعجز القوي واخرس الشقاشق
والادعا ثم امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه
وسلم ان يقول لقومه انما امرت اي بامر من لا
يرد له امر ان اعبد اي بجميع ما امركم به رب
اي موجد ومدبر هذه البلدة اي مكة التي
تخرج الدابة منها فيفزع كل من راها ثم تؤمن
اهل السعادة اخصه بذلك لا اعبد شيئا مما
تعبدونه الذي حرمها اي جعلها الله تعالى
حرما امنا لا يسفك فيها دم ولا يظلم فيها
احد ولا يصاد صيدها ولا يختلى خلاها
ولما خصص مكة بهذه الاضافة تشريفا
لها وتعظيما لشانها قال احترازا عما قد يتوهم
وله كل شي اي من غيرها مما اشركتموه به
وغيره خلقا وملكا ولما كان نوره بما قالوا
نحن نعبده بعبادة من يرجوم يقربنا اليه

Copyright © King Saud University

نلغي غيره الدين الذي تكون به العبادة بقوله تعالى
وامرت اي مع الامر بالعبادة له وحده ان اكون
اي كونا هو في غاية الرسوخ من المسلمين اي
المنقادين لجميع ما يامر به كتابه انبياءه ثابتا
على ذلك غاية الثبات وان اي امرت ان اتلو القران
القران عليكم تلاوة الدعوة الى الايمان وان
اواظب على تلاوته لتنكشف لي حقايقه في
تلاوته شيا فشيا فمن اهتدى اي باتباع هذا
القران الداعي الى الجنان فانما يهتدي لنفسه اي
لاجلها لان ثواب هدايته له ومن ضل اي عن
الايمان الذي هو الطريق المستقيم فقل اي له
انما انا من المنذرين اي المخوفين له عواقب
صنعه فلا علي من وبال ضلاله شي اذ ما على
الرسول الا البلاغ وقد بلغت وقل اي انذارا لهم
وترغيبا وترجية وترهيبا الحمد اي الاحاطة
باوصاف الكمال لله اي الذي له العظمة كلها على
نعمة النبوة وعلى ما علمني ووفقني للعمل به
سيريكم اياته القاهرة في الدنيا كوقعة بدر
وخروج دابة الارض وفي الاخرة بالعذاب

الاليم

الاليم فتعرفونها اي فتعرفوا انها ايات الله ولكن
حين لا ينفعكم المعرفة وما ربك اي المحسن اليك
بجميع ما اقامك فيه من هذه الامور العظيمة
والاحوال الجسيمة بغافل عما تعملون فلا تحسبوا تاخير
عذابكم لغفلته عن اعمالكم وقرا نافع وابن عامر
وحفص بالتا على الخطاب لان المعنى عما تعمل انت
واتباعك من الطاعة وهم من المعصية والباقون
باليا على الغيبة وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري
من ان من قرا طسم كان له من الاجر عشر حسنات
بعدد من صدق سليمان وكذب به وهودا وشعيبا
وصالحا وابراهيم ويخرج من قبره وهو ينادي
لا اله الا الله حديث موضوع سورة القصص مكية
الا قوله تعالى ان الذي فرض الاية نزلت
بالجحفة والا الذين اتيناهم الكتاب الى لا نبتغي
الجاهلين وهي سبع او ثمان وثمانون اية
والف واربعماية واحدى واربعون كلمة
وخمسة الاف وثمانماية حرف وتسمى سورة
لاشتمالها على قصة موسى فقط من حين ولد
الى ان اهلك الله تعالى فرعون وخسف بقارون

Copyright © King Saud University

كما سميت سورة نوح وسورة يوسف لاشتمالها
على قصتهما ولا يقال سميت بذلك لذكر القصص
فيها في قوله تعالى فلما جاءه وقص عليه القصص
لان سورة يوسف فيها ذكر القصص مرتين
الاولى نحن نقص عليك احسن القصص والثانية
قوله تعالى لقد كان في قصصهم فكان سورة
يوسف اولى بهذا الاسم لانه ذكر فيها القصص
سبعة انبيا وهذه ليس فيها الا قصة واحدة
فكان ينبغي بالعكس وان تسمى سورة هود
القصص وهذه سورة موسى بسم الله
الذي اختص بالكبريا والعظمة الرحمن
الذي عم بنعمه اهل الايمان والكفر الرحيم
الذي خص بنعمه بعد البعث اهل الايمان
طسم تقدم الكلام على اوايل السوره
اول البقرة تلك اي هذه الايات العالية
الشان ايات الكتاب اي المنزل على قلبك الجامع
لجميع المصالح الدنيوية والاخروية والاضافة
بمعنى من المبين اي المظهر الحق من الباطل

اي

اي نقص قصا متتابعا متواليا بعضه في اثر
بعض عليك بواسطة جبريل عليه السلام
من نبا اي خبر موسى وفرعون بالحق اي الصدق
الذي يطابقه الواقع تنبيه يجوز ان يكون
مفعولا نتلوا عليك شيا من نبا موسى ويجوز
ان يكون من مزيدة على راي الاخفش اي نتلوا
عليك نبا موسى وبالحق يجوز ان يكون حالا
من فاعل نتلوا ومن مفعوله اي نتلوا عليك
بعض خبرهما ملتبسين او ملتبسا بالحق ثم نبه
على هذا البيان كما سبق انما ينفع اولي الاذعان
بقوله تعالى لقوم يومنون فغيرهم لا ينتفع بذلك
ولما كان كانه قيل ما هذا المقصود من هذا
فقال ان فرعون ملك مصر الذي ادعى الالهية ملك
علا اي بادعا الالهية وتجبره على عبادة الله
وقهره لهم في الارض اي مصر واطلاقها يدل على
تعظيمها وانها كجميع الارض لاشتمالها على ما قل
ان يشتمل عليه غيرها وجعل اي بما جعلنا له من
نفوذ الكلمة اهلها اي اهل الارض المراده شيعا
اي فرقا يتبع كل فرقة شيا يتبعونه على ما يريد

ويطيعونه لايملك احدا منهم ان يكون عتقه او
اصنافا في استخدامه يسخر صنفا في بنا وصنفا
في حفر وصنفا في حرث ومن لم يستعمله ضرب
عليه الجزية او فرقا مختلفة قد اغرى بينهم العداوة
والبغضا وهم بنوا اسرايل والقبط وقوله تعالى
يستضعف طايفة منهم يجوز فيه ثلاثة اوجه
ان يكون حالا من فاعل جعل اي جعلهم كذلك
حالة كونه مستضعفا طايفة منهم وان يكون
صفة لشيعا وان يكون استينافا بيانا لحال
الاهل الذين جعلهم فرقا واصنافا وهم بنوا اسرايل
الذين كانت حياة اهل مصر على يدي واحد منهم
وهو يوسف عليه السلام وفعل معهم من الخير
ما لم يفعله والد مع ولده ومع ذلك كافوه في
اولاده واولاد اخوانه بان استعبدوهم ثم ما
كفاهم ذلك حتى ساموهم على يد العنيد سو
العذاب قال البقاعي وهذا حال الغربا بينهم
قديما وحديثا ثم بين الاستضعاف بقوله تعالى
يذبح ابناهم اي عند الولادة وكل بذلك اناسا
ينظرون كلما ولدت امراة ذكرا ذبحوه وسبب
ذلك.

ذلك ان كاهنا قال له يولد مولود في بني اسرايل
يذهب ملكك على يديه فولد تلك الليلة اثنى عشر
غلاما فقتلهم وبقي في هذا العذاب في بني اسرايل
سنين كثيرة وكان ذلك في غاية حمق فرعون
فانه ان صدق الكاهن لم يدفع القتل الكاين
وان كذب فما وجه القتل ويستحيي نساهم
اي يريد حياة الاناث فلا يذبحهن وقال السدي
ان فرعون راى في منامه نارا اقبلت من بيت
المقدس الى مصر فاحرقت القبط دون بني اسرايل
فسال عن رؤياه فقيل يخرج من هذا البلد من بني
اسرايل رجل يكون هلاك مصر على يده فامر
بقتل الذكور وقيل ان الانبيا الذين كانوا قبل
موسى عليه السلام بشروا بمجيئه فسمع فرعون
ذلك فامر بذبح بني اسرايل انه اي فرعون كان
من المفسدين ولذلك اجترا على قتل خلق كثير
من اولاد الانبيا لتخيل فاسد قال وهب
ذبح فرعون في طلب موسى سبعين الفا من بني
اسرايل وقوله تعالى ونريد ان نمن عطف

على قوله ان فرعون علا في الارض لانها نظير
تلك في وقوعها تفسير النبا موسى وفرعون
واقتصاصا ونريد حكاية حال ماضية اي
نقضي بقدرتنا وعلمنا ما يكون جديرا ان نمن
به **على الذين استضعفوا** اي حال استضعافهم
وهوانهم بهذا الفعل الشنيع ولم يراقب فيهم
مولاهم **في الارض** اي ارض مصر فذلوا واهينوا
وبريهم في انفسهم واعد لهم فوق ما يحبون
وفوق ما يؤملون **ونجعلهم ايمة** اي مقدمين
في الدين والدنيا علما يدعون الى الجنة عكس ما
ياتي من عاقبة الى فرعون وقال مجاهد دعاه
الى الخير قال قتادة ولاة وملوكا بقوله تعالى
جعلكم ملوكا وقيل يقتدى بهم في الخير **ونجعلهم**
اي بعظمتنا وقدرتنا **الوارثين** اي لملك مصر
لا ينازعهم فيه احد من القبط يخلفونهم في
مساكنهم **ونمكن** اي نوقع التمكين **لهم في الارض**
اي كلها لاسيما ارض مصر والشام باهلاك
اعدائهم وتابيد ملكهم وتابيدهم بكلمة الله
ثم بالانبيا من بعده صلوات الله وسلامه
عليهم

عليهم اجمعين بحيث يسلطهم بسببهم على من
سواهم بما يؤيدهم به من الملايكة ويظهر لهم
من الخوارق **ونري** اي بما لنا من العظمة **فرعون**
اي الذي كان هذا الاستضعاف منه **وهامان**
وزيره **وجنودهما** اي الذين كانا يتوصلان بهم
الى ما يريدانه من الفساد يقوى كل منهم بالاخر
في الارض فعلوا وطغوا وقوله تعالى **منهم**
اي المستضعفين متعلق بنري او بنريد لا
بيحذرون لان ما بعد الموصول لا يعمل فيما قبله
ما كانوا يحذرون اي من ذهاب ملكهم وهلاكهم
على يد مولود منهم وقرا حمزة والكسائي ويرى
باليا المفتوحة وفتح الرا مع الامالة وسكون
اليا بعد الرا ورفع فرعون وهامان وجنودهما
مضارع راى مسندا الى فرعون وما عطف
عليه فلذلك رفعوا وقرا الباقون بالنون مضمومة
وكسر الرا وفتح اليا بعدها ونصب الاسما الثلاثة
مضارع اري فلذلك نصب فرعون وما
عطف عليه مفعولا اول وما كانوا هو الثاني
ثم ذكر تعالى ولي نعمة من بها على الذين

استضعفوا بقوله تعالى **واوحينا** اي وحي الهام
او منام **الى ام موسى** لا وحي نبوة قال قتادة
قذفنا في قلبها واسمها يوخي وهي بنت لاوي
ابن يعقوب وهذا هو الذي امضينا في قضائنا
ان يسمي بهذا الاسم وان يكون هلاك فرعون
وزوال ملكه على يده بعد ان ولدته وخافت
ان يذبحه الذابحون **ان ارضعيه** كنت امنه
عليه ولم يشعر بولادته غير اخته قيل ارضعته
ثمانية اشهر وقيل ثمانية وار بعة اشهر
وقيل ثلاثة اشهر كانت ترضعه وهو لا يبكي
ولا يتحرك وقد روي انها ارضعته ثلاثة اشهر
في تابوت من بردي مطلو من داخله بالقار
فاذا خفت عليه اي منهم ان يصيح فيسمع فيذبح
فالقيه اي بعد ان ترضعيه في شي تلقيه من الماء
في اليم وهو البحر ولكن اراد هنا النيل **ولا
تخافي** اي لا يتجدد ذلك خوفا اصلا من ان يغرق
او يموت من ترك الرضاع **ولا تحزني** اي ولا
يوجد لك حزن لوقوع فراقه فان قيل ما المراد
بالخوفين حتى اوجب احدهما دون عن
الاخر

الاخر اجيب بان الخوف الاول هو الخوف عليه
من القتل لانه كان اذا صاح خافت عليه ان
يسمع الجيران صوته فينموا عليه واما الثاني
فالخوف من الغرق ومن الضياع ومن الوقوع
في بعض العيون المثبوتة من قبل فرعون في
تطلب الولدان وغير ذلك من المخاوف فان
قيل ما الفرق بين الخوف والحزن اجيب
بان الخوف غم يلحق الانسان المتوقع والحزن
غم يلحقه لواقع وهو فراقه والاخطار به فنهيت
عنهما جميعا واومنت بالوحي لها ووعدت ما
يسليها ويطمين قلبها ويملاها غبطة وسرورا
وهو رده اليها كما قال تعالى **انا رادوه اليك**
فان المقتضي للخوف والحزن ثم زادها بشرى
واي بشرى وقوله تعالى **وجاعلوه من المرسلين**
اي الذين هم خلاصة المخلوقين وروي عطا
والضحاك عن ابن عباس قال ان بني اسرايل
لما كثروا بمصر استطالوا على الناس وعملوا
بالمعاصي ولم يامروا بمعروف ولم ينهوا عن منكر
فسلط الله عليهم القبط فاضعفوهم

الى ان نجاهم الله على يد نبيه وكليمه قال ابن
عباس ان ام موسى لما تقارب ولادتها وكانت
قابلة من القوابل التي وكلهن فرعون بحبالى
بني اسراييل مصافية لام موسى فلما ضربها
الطلق ارسلت اليها فقالت قد نزل بي
فلينفعني حبك اياي اليوم قالت فعالجت
قبالها فلما ان وقع موسى بالارض هالها نور
بين عيني موسى فارتعش كل مفصل منها
ودخل حب موسى قلبها ثم قالت لها يا هذه
ما جيت اليك حين دعوتني الا ومن ورايي
قتل مولودك ولكن وجدت لابنك هذا
حبا شديدا ما وجدت حب شي مثل حبه
فاحفظي ابنك فاني اراه هو عدونا فلما
خرجت القابلة من عندها ابصرها بعض
العيون فجا الى بابها ليدخلوا على ام موسى
فقالت اخته يا اماه هذا الحرس بالباب
فلفت موسى في خرقة فوضعته في تنور
وهو مسجور وطاش عقلها فلم تعقل
ما تصنع قال فدخلوا فاذا التنور
مسجورا

مسجورا وام موسى لم يتغير لها لون فقالوا
ما ادخل عليك القابلة فقالت هي مصافية لي
دخلت علي زايرة فخرجوا من عندها فرجع اليها
عقلها فقالت لاخت موسى فاين الصبي قالت
لا ادري فسمعت بكا الصبي من التنور فانطلقت
اليه وقد جعل الله تعالى عليه النار بردا وسلاما
فاحتملته قال ثم ان ام موسى لما رات الحاح
فرعون في طلب الولدان خافت على ابنها فقذف
الله في نفسها ان تتخذ له تابوتا صغيرا فقال
لها النجار ما تصنعين بهذا التابوت قالت ابن
لي اخبوه في هذا التابوت وكرهت الكذب قال ولم
قالت اخشى عليه من كيد فرعون فلما اشترت
التابوت وحملته وانطلقت انطلق النجار الى
الذباحين ليخبرهم بامر موسى فلما هم بالكلام امسك
الله لسانه فلم ينطق الكلام وجعل يشير بيديه فلم
يدر ما يقول فلما اعياهم امره قال كبيرهم اضربوه
فضربوه واخرجوه فلما اتى النجار الى موضعه
رد الله تعالى لسانه فتكلم فانطلق ايضا
يريد الامنا فاتاهم ليخبرهم فاخذ الله لسانه

Copyright © King Saud University

وبصره فلم يطق الكلام ولم يبصر شيا فضربوه و
اخرجوه فوقع في وادي يهوي فيه فجعل الله عليه
ان رد لسانه وبصره ان لا يدل عليه وان يكون
معه يحفظه حيث ما كان فعرف الله تعالى منه
الصدق فرد الله عليه لسانه وبصره فخر لله ساجدا
فقال دلني على هذا العبد الصالح فدل عليه فخرج
من الوادي وامن به وصدقه وعلم ان ذلك من
الله عز وجل وقال وهب بن منبه لما حملت ام
موسى بموسى كتمت امرها جميع الناس
فلم يطلع على حملها احد من خلق الله وذلك شي
ستره الله لما اراد ان يمن به على بني اسرايل
فلما كانت السنة التي يذبح فيها بعث فرعون
الى القوابل وتقدم اليهن وفتشن تفتيشا
لم يفتشهن قبل ذلك وحملت ام موسى
فلم تنلبت ام موسى ولم يتغير لونها ولم
يظهر لبنها وكانت القوابل لا يتعرضن لها
فلما كانت الليلة التي ولد فيها ولدته ولا رقيب
عليها ولا قابلة ولم يطلع عليها احد الا اخته
مريم فلما خافت عليه عملت له تابوتا مطبقا

ثم

ثم القته في البحر ليلا فالتقطه بالتابوت صبيحة
الليل ال اي اعوان فرعون فوضعوه بين يديه
قال ابن عباس وغيره وكان لفرعون يومئذ
بنت فلم يكن له ولد غيرها وكانت الناس
عليه وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها الى
فرعون وكان بها برص شديد وكان فرعون
قد جمع لها اطبا مصر والسحر فنظروا في امرها
فقالوا ايها الملك لا تبرى الا قبل البحر يوجد فيه
شبه الانسان فيوخذ من ريقه فليلطخ به
برصها فتبرا من ذلك وذلك في يوم كذا وساعة
كذا حين تشرق الشمس فلما كان يوم الاثنين
غدا فرعون الى مجلس له على شفير النيل ومعه
امراته اسيه بنت مزاحم واقبلت ابنة فرعون
في جوارها حتى جلست على شاطي النيل مع
جوارها تلاعبهن وتنضح الما على وجوههن
اذ اقبل النيل بالتابوت يضربه الامواج فقال
فرعون ان هذا الشي في البحر قد تعلق بالشجر
ايتوني به فابتدروه بالسفن من كل جانب
حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم

Copyright © King Saud University

يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه
فدنت اسية فرات في جوف التابوت نورا لم يره
غيرها فعالجته ففتحت الباب فاذا هو بصبي
صغير في مهده واذا نور بين عينيه وقد
جعل الله رزقه في ابهامه يمصه لبنا فالقى
لموسى المحبة في قلب اسية واحبه فرعون
وعطف عليه واقبلت بنت فرعون فلما اخرجوا
الصبي من التابوت عمدت بنت فرعون الى ما
يسيل من ريقه فلطخت به برصها فبرات
فقبلته وضمته الى صدرها فقال الغواة من
قوم فرعون ايها الملك انا نظن ان ذلك
المولود الذي يحذر منه من بني اسرايل
هذا رمي به البحر فرقا منك فاقتله فهم
فرعون بقتله قالت اسية قرة عين لي ولك
واستوهبت موسى من فرعون وكانت لا تلد
فوهبه لها قال فرعون اما انا فلا حاجة لي فيه
وفي حديث قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لو قال يومئذ قرة عين لي كما هو لك
لهداه الله كما هداها قاله الزمخشري
وهذا

وهذا على سبيل الفرض والتقدير اي لو كان غير
مطبوع على قلبه كاسية لقال مثل قولها
ولاسلم كما اسلمت هذا ان صح الحديث تاويله
والله اعلم بصحته اهـ ثم قال لاسيه ما تسميه
قالت نسميه موسى لانا وجدناه في الما والشجر
فمو هو الما وسي هو الشجر فذلك قوله تعالى
فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا اي يطول
خوفهم منه بمخالفته لهم في دينهم وحملهم على
الحق وقتل رجالهم وحزنا اي بزوال ملكهم لانه
يظاهر فيهم الايات التي يهلك الله تعالى بها من
يشا منهم ويستعبد نساهم ثم يظفر بهم كلهم حتى
يهلكهم الله تعالى بالغرق على يده اهلاك نفس
واحدة فيعم الحزن والنواح اهل ذلك الاقليم
كله تنبيه في هذه اللام الوجهان المشهوران
احدهما انها للعلة المجازية دون الحقيقة
لانه لم يكن داعيهم الى الالتقاط ان يكون لهم عدوا
وحزنا ولكن المحبة والتبني غير ان ذلك لما
كان نتيجة الالتقاط لهم وثمرته شبه بالداعي
الذي يفعل الفعل الفاعل لاجله وهو الاكرام

Copyright © King Saud University

الذي هو نتيجة المجي والتابوت الذي هو غرض الضرب
ليتادب ويحتمل ان هذا اللام حكمها حكم الاسد
حيث استعيرت لما يشبه التقليل كما استعار الاسد
لمن يشبه الاسد والتاني انها للعاقبة والصيرورة
لانهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوا وحزنا ولكن صار
عاقبة امرهم الى ذلك وقرا حمزة والكسائي بضم الحا
وسكون الزاي والباقون بفتحهما وهما لغتان
بمعنى واحد كالعدم ثم بين تعالى ان هذا الفعل
لا يفعله الا احمق مقهورا ومفعل مخذول الا يكاد
يصيب بقوله تعالى ان فرعون وهامان وزيره وجنودهما
اي كلهم على طبع واحد كانوا خاطيين اي في كل
شي فلا يبعد منهم ان قتلوا الاجله ثم اخذوه يربونه
ليكبر ويفعل بهم ما كانوا يحذرونه او مذنبين
فعاقبهم الله تعالى بما ولى عدوهم على ايديهم
وقال وهب لما وضع التابوت بين يدي فرعون
فتحه فوجد فيه موسى فلما نظر اليه قال كيف اخطا
هذا الغلام الذبح وكان قد فرعون قد استنكح
امراة من بني اسرايل يقال لها اسية بنت مزاحم
وكانت من خيار النسا ومن بنات الانبيا وكانت اما
للمساكين.

للمساكين وترحمهم وتتصدق عليهم وهي المذكورة
في قوله تعالى وقالت امراة فرعون اي له وهي قاعدة
لجنبه هذا الوليد اكبر من ابن سنة وانما امرت ان
تذبح الولدان لهذه السنة فدعه قرة عين لي اي به
ولك اي يا فرعون لانهما لما راياه اخرج من التابوت
احباه وروي انها قالت انه اتانا من ارض اخرى
ليس من بني اسرايل ولما اثبتت له انه ممن تقر
به العيون قالت لا تقتلوه اي انت بنفسك ولا احد
ممن تامره بذلك ثم عللت ذلك او استانف بقوله
عسى ان ينفعنا ولو كان له ابوان معروفان
فان فيه مخايل اليمن ودلايل اليمن والنفع وذلك
لما رات النور بين عينيه وارتضاعه ابهامه
لبنا وبروه البرصا بريقه او نتخذه ولدا اي لم نعرف له
ابوان فيكون نفعه اكثر فانه اهل لان تتشرف به الملوك
تنبيه التاء في قرة عين مجرورة ووقف عليها ابن كثير
وابو عمرو والكسائي بالها والباقون بالتا وهي
خبر مبتدا مضمر اي هو قرة عين والعامة
من القرا والمفسرين واهل العلم على ولك ونقل
ابن الانباري بسنده الى ابن عباس انه وقف على
لا

Copyright © King Saud University

لاي هو قرة عين لي ولك لا اي ليس هو قرة عين
ثم يبتدي بقوله تقتلوه قال ابن عادل
وهذا لا ينبغي ان يصح عنه وكيف يبقى تقتلوه
من غير نون رفع ولا مقتضى لحذفها فلذلك
قال الفراء هو لحن وقوله تعالى وهم لا يشعرون
جملة حالية من كلام الله تعالى اي لا شعور
لهم اصلا لان من لا يكون له علم الا بالاكتساب
فكيف اذا كان مطبوعا على قلبه واذا كانوا
كذلك فلا شعور لهم بما يؤول اليهم امرهم
معه من الامور الهائلة المؤدية الى هلاك
المفسدين وقيل ان ذلك من كلام امراة
فرعون كانها لما رات ملاه اشاروا بقتله قالت
له افعل انت ما اقول لك ولقومك لا
يشعرون انما التقطناه قاله الكلبي ولما
اخبر تعالى عن حالها فارقته بقوله تعالى
واصبح اي عقب الليلة التي حصل فيها
الفرقة فراقه فؤاد ام موسى اي قلبها الذي
زاد احتراقه شوقا وخوفا وحزنا وهذا
يدل على هذا انها القته ليلا واختلف في
معنى قوله فارغا فقال اكثر المفسرين خاليا من
كل

كل شيء الا من ذكر موسى وهمه وقال الحسن
اي ناسيا للوحي الذي اوحى الله تعالى اليها حين
امرها ان تلقيه في البحر ولا تخافي ولا تحزني و
العهد الذي عهد ان يرده اليها ويجعله من
المرسلين فجاءها الشيطان وقال كرهت ان يقتل
فرعون ولدك فيكون لك اجره وثوابه وتوليت
انت قتله فالقيتيه في البحر واغرقتيه وقال
الزمخشري اي صفرا من العقل والمعنى انها حين
سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها لما دهمها
من فرط الجزع والدهش ونحوه وقوله تعالى
وافئدتهم هواء اي جوف لا عقل فيها وذلك ان
القلوب مراكز العقول الا ترى الى قوله تعالى فتكون
لهم قلوب يعقلون بها وقوله تعالى ان هي المخففة
من الثقيلة واسمها محذوف اي انها كادت
اي قاربت لتبدي اي تقع منها الاظهار لكل
ما كان من امره مصرحة به اي بامر
موسى عليه السلام من انها ولدها وقال
عكرمة عن ابن عباس كادت تقول وابناه
وقال مقاتل لما رات التابوت يرفعه موج

Copyright © King Saud University

ويضعه اخر خشيت عليه الغرق فكادت تصيح
من شفقتها وقال الكلبي كادت تظهر انه ابنها
حين سمعت الناس يقولون لموسى بعدما
شب موسى ابن فرعون فشق عليها فكادت
تقول هو ابني وقيل ان الهاء عايدة الى الوحي
اي كادت لتبدي بالوحي الذي اوحي الله تعالى
اليها ان يرده عليها وجواب لولا ان ربطنا محذوف
اي لابدت كقوله تعالى وهم بها لولا ان راى
برهان ربه والمعنى لولا ان ربطنا على قلبها
بالعصمة والصبر والتثبت وقوله تعالى
لتكون من المومنين متعلق بربطنا اي من
المصدقين بوعد الله تعالى وهو قوله
تعالى انا رادوه اليك ثم اخبر قوله تعالى
عن فعلها في تصرفي خبره بعد ان اخبر عن
كتمها بقوله تعالى وقالت اي امه لاخته اي بعد
ان اصبحت على تلك الحالة تدخل عليها امره
قصيه اي اتبعي اثره وتشممي خبره سرا
وجبرا ففعلت فبصرت به اي ابصرت عن جنب
اي من مكان بعيد اختلاسا وهم لا يشعرون
جملة حالية ومتعلق الشعور محذوف اي
انها

اي انها اخته وانها ترقبه بل هم في غاية الغفلة
التي هي في غاية البعد عن رتبة الالهية او انها
تقصه او انه سيكون لهم عدوا وحزنا ثم ذكر
تعالى اخذ الاسباب في رده بقوله تعالى وحرمنا
اي منعنا بعظمتنا عليه المراضع جمع مرضعة
وهن من يكتري للارضاع من الاجانب اي حكمنا
بمنعه من الارتضاع منهن فاستعير التحريم
للمنع لانه منع فيه رحمة قال الرازي في اللوا مع
تحريم منع لا تحريم شرع من قبل اي من قبل ان
تأمر به امه اخته بما استمالته او قبل قصها
اثره وقبل ولادته فحكمنا وقضينا وهو انه
تعالى غير طبعه عن لبن ساير النسا فلذلك
لم يرتضع او احدث في لبنهن طبعا ينفر عنه
طبعه او وضع في لبن امه لذة تعود بها فكان
يكره لبن غيرها فلما رات اخت موسى التي
ارسلتها امها في طلبه لانه لا يقبل ثدي امراة
وفي القصة ان موسى مكث ثمان ليال لا يقبل
ثديا ويصيح فقالوا لها هل عندكم مرضعة تدلينا
عليها لعله يقبل ثديها قال ابن عباس ان امراة

Copyright © King Saud University

فرعون كان همها من الدنيا ان تجد له مرضعة فكلما
اتوه بمرضعة لم يأخذ ثديها فدنت اخته منه
بعد نظرها له فقالت لما رأتهم في غاية الاهتمام
برضاعه هل لكم حاجة في ان ادلكم على اهل بيت
ولم تقل على امرأة لتوسع دائرة النظر يكفلونه
لكم اي يأخذونه ويعولونه ويقومون بجميع
مصالحه من الرضاع وغيره لاجله ثم ابعدت
التهمة عن نفسها وقالت وهي امرأة قتل ولدها
فاحب شي اليها ان تجد صغيرا ترضعه ثم
زادتهم رغبة بقولها وهم له ناصحون اي ثابتا
نصحهم له لا يغشونه نوعا من الغش قال
البغوي والنصح ضد الغش وهو تصفية
العمل من شوائب الفساد قال السدي لما
قالت ذلك اخذوها وقالوا قد عرفت هذا
الغلام فدلينا على اهله فقالت ما اعرفه وقالت
انما اردت وهم للملك ناصحون فتخلصت منهم بذلك
قال ابن عادل وهذا يسمى عند اهل البيان
الكلام الموجه ومثله لما سيل بعضهم وكان
بين اقوام يحب عليا دون غيره وبعضهم
يحب ابا بكر وبعضهم عمر وبعضهم عثمان فقيل
ثم

ايهم احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
من كانت ابنته تحته وقيل لما تفرسوا انها قرابته
قالت انما قلت هذا رغبة في سرور الملك واتصالنا
به وقيل انها لما قالت ذلك قالوا لها قالت اي قالوا
ولامك ابن قالت نعم هارون وكان ولد في سنة
لا يقتل فيها قالوا صدقت فاتنا بها فانطلقت
الى امها فاخبرتها بحال ابنها وجاءت بها اليهم فلما وجد
الصبي ريح امه قبل ثديها وجعل يمصه حتى امتلا
جوفه ريا فقالوا اقيمي عندنا فقالت لا اقدر على
فراق بيتي ان رضيتم ان اكفله في بيتي والا فلا
حاجة لي فيه واظهرت الزهد فيه نفيا للتهمة
فرضوا بذلك فرجعت به الى بيتها فذلك قوله
تعالى فرددناه الى امه ثم علل بقوله تعالى كي تقر
عينها اي تبرد وتستقر واصل قرة العين
من القر وهو البرد اي بردت ونامت بخلاف
سخنت عينه يقال اقر الله عينك من الفرح
واسخنها من الحزن فلهذا قالوا دمعة
الفرح بارده ودمعة الحزن حاره هذا قول
الاصمعي قال ابو تمام
فاما عيون العاشقين فاسخنت

واما عيون النساء منهن فقرت وقال ابو العباس
ليس كما قال الاصمعي بل كل دمع حار فمعنى اقر الله
عينك صادفت سرورا فنامت وذهب سهرها
وصادفت ما يرضيك اي بلغك الله اقصى املك
حتى تقر عينك من النظر الى غيره استغنا ورضا
بما في يدك **و**لا اي ولا **تحزن** اي بفراقه **ولتعلم** اي
علما هو عين اليقين كما كانت عالمة به علم
غيب **ان وعد الله** اي الامر الذي وعدها به
الذي له الكمال كله في حفظ وارساله **حق**
اي هو في غاية الثبات في مطابقة الواقع
ولكن اكثرهم اي اكثر الفرعون وغيرهم **لا يعلمون**
ان وعد الله حق فيرتابون فيه او لا يعلمون
ان الله وعدها رده اليها قال الضحاك
لما قبل ثديها قال هامان انك امه قالت لا قال
فما له قبل ثديك من بين النسوة قالت ايها
الملك اني امراة طيبة الريح حلوة اللبن
فما شم ريحي صبي الا اقبل على ثديي قالوا صدقت
فلم يبق احد من الفرعون الا اهدى اليها واتحفها
بالذهب والجوهر واجرى عليها اجرها قال
السدي وكانوا يدفعون اليها كل يوم دينارا
فان

فان قيل كيف حل لها ان تاخذ الاجر على ارضاع
ولدها اجيب بانها ما كانت تاخذه على انه اجر
على الرضاع ولكنه مال حربي كانت تاخذه على الاستبا[حة]
نكث عندها الى ان فطمته واستمر عند فرعون ياكل
من ماكوله ويشرب من ماله ويلبس من ملبوسه
الى ان اكمل كما قال تعالى حكاية عنه في سورة الشعرا
الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين
ولما بلغ اشده وهو ثلاثون سنة او ثلاث كما قال
مجاهد وغيره **واستوى** اي بلغ اربعين سنة كما رواه
سعيد بن جبير عن ابن عباس وقيل الغندل في
السن وتم استحكامه بانتها شبابه وهو من الكهل
ما بين احدى وعشرين الى اثنين واربعين **اتيناه** اي
ابتدا من غير اكتساب اصلا خرقا للعادة اسوة اخوانه
من الانبيا **حكما** اي عملا محكما بالعلم **وعلما** اي فقها
في الدين تهيئة لنبوته وارصادا للرسالة وقيل
المراد بالعلم علم التوراة والحكم السنة قال الزمخشري
وحكمة الانبيا سنتهم قال الله تعالى واذكرن ما يتلى في
بيوتكن من ايات الله والحكمة وقيل معناه اتيناه
سيرة الحكما العلما وسمتهم قبل البعث فكان لا يفعل
فعلا يستجهل فيه قال البقاعي واختار الله

تعالى هذا السن للارسال فيكون من جملة الخوارق
لان به يكون الابتدا الانتكاس الذي قال الله تعالى
فيه ومن نعمره اي الى كمال سن الشباب ننكسه في الخلق
اي نوقفه فلا يزداد بعد ذلك في قواه الظاهرة و
الباطنة شي او لا يوجد فيه غريزة لم تكن موجودة اصله
عشر سنين ثم تاخذ في النقصان هذه عادة الله في
جميع بني ادم الا الانبيا فانهم في حد الوقوف يوتون
من نجائب العلوم ما تنبض عنه الوصف بغير اكتساب
بل غريزة يغرزها الله تعالى فيهم حينئذ ويوتون
ويونون من قوة الابدان ايضا بمقدار ذلك في انتكاس
غيرهم يكون نموهم وكذا من لحقه الله تعالى بهم من
صالحي اتباعهم كما قال تعالى وكذلك اي مثل هذا الجزا
العظيم نجزي المحسنين اي كلهم على احسانهم ولما اخبر
تعالى بتهيئته للنبوة اخبر بما هو سبب للهجرة
وكانها سنة بعد ابراهيم عليه السلام بقوله تعالى
ودخل اي موسى المدينة قال السدي هي مدينة
منوف من ارض مصر وقال مقاتل كانت قرية تدعى
حابين على راس فرسخين من مصر وقيل مدينة عين
شمس وقيل غير ذلك على حين غفلة من اهلها وهو
بوقت

وهو وقت القايلة واشتغال الناس بالقيلولة و
قال محمد بن كعب القرظي دخلها فيما بين المغرب والعشا
وقيل يوم عيد لهم وهم مشتغلون فيه بلهوهم وقيل
لما شب وعقل اخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم فاخافوه
فلا يدخل قرية الا على تغفل واختلف في السبب الذي من
اجله دخل المدينة في هذا الوقت قال السدي وذلك
ان موسى كان يسمى ابن فرعون فكان يركب مراكب
فرعون ويلبس مثل ملابسه فركب فرعون يوما و
ليس عنده موسى فلما جاء موسى قيل له ان فرعون
قد ركب فركب في اثره فادركه المقيل بارض منوف
فدخلها نصف النهار وليس في طرقها احد وقال ابن
ابن اسحاق كان لموسى شيعة من بني اسرايل
يسمعون منه ويقتدون برايه فلما عرف ما هو عليه
من الحق اي فراق فرعون وقومه في خالفهم في دينه
فاخافوه فكان لا يدخل قرية الا خايفا مستخفيا وقال
ابن زيد لما علا موسى فرعون بالعصا في صغره فاراد
فرعون قتله فقالت امراة فرعون هو صغير فترك
قتله وامر باخراجه من مدينته فلم يدخل عليهم الا
بعد ان كبر وبلغ اشده فوجد فيها اي المدينة رجلين

يقتتلان اي يفعلان مقدمات القتل مع الملازمة من
الخنق والضرب وهما اسرايلي وقبطي ولهذا قال تعالى
مجيبا لمن كان يسال عنهما وهو منظر اليهما هذا من
شيعته اي من بني اسرايل وهذا من عدوه اي من القبط
قال مقاتل كانا كافرين الا ان احدهما من القبط والآخر
من بني اسرايل لقول موسى عليه السلام انك لغوي
مبين والمشهور ان الاسرايلي كان مسلما قيل انه
السامري والقبطي طباخ فرعون وكان فرعون القبطي
يسخر الاسرايلي ليحمل الحطب الى المطبخ وقال سعيد
ابن جبير عن ابن عباس لما بلغ موسى اشده لم يكن
احد من آل فرعون يخلص الى احد من بني اسرايل
بظلم حتى امتنعوا كل الامتناع وكان بنو
اسرايل عزوا لمكان موسى لكونه ربيب
الملك مع انه رضيع منهم لا يظنون ان سبب
ذلك الا الرضاع فاستغاثه اي طلب منه الذي من
شيعته اي ان يغيث على الذي من عدوه
للفرعوني يخلي سبيله فغضب موسى عليه السلام
واشتد غضبه وقال للفرعوني خل سبيله
فقال انما اخذته ليحمل الحطب الى مطبخ ابيك

فنازعه

فنازعه فقال الفرعوني لقد هممت ان احمله عليك
وكان موسى عليه السلام قد اوتي بسطة في الخلق
وشدة في القوة والبطش فوكزه موسى اي دفعه
بجمع كفه والفرق بين الوكز واللكز ان الاول بجميع الكف
والثاني باطراف الاصابع وقيل بالعكس وقيل اللكز في
الصدر والوكز في الظهر فقضى اي فاوقع القضا الذي
هو القضا على الحقيقة وهو الموت الذي لا يتحول
منه مخلوق عليه فقتله وفرغ منه وكل شيء فرغت
منه فقد قضيته وقضيت عليه وخفي هذا على الناس
لما هم فيه من الغفلة فلم يشعر به احد فندم موسى
عليه السلام عليه ولم يكن قصده القتل فدفنه
في الرمل قال هذا اي قتله من عمل الشيطان
اي لانه لم اومر به على الخصوص ولم يكن من قصدي
وان كان المقتول كافرا ثم اخبر عن حال الشيطان
ليحترز منه بقوله انه عدو فينبغي الحذر منه مضل
لا يفوز الى خير اصلا مبين اي عداوته واضلاله
في غاية البيان ما في شيء منهما خفي ولما لم يكن في
قتله الا الندم لعدم اذن خاص قال رب اي
يا محسن الي اني ظلمت نفسي اي بالاقدام على

Copyright © King Saud University

ما لم تامرني فيه بالخصوص وان كان مباحا فاغفر
اي امح هذه الهفوة عنها وانه هالي اي لاجلي
لا تواخذني فغفر له اي لوقع المحو لذلك كما سال كراما
له انه هو اي وحده الغفور اي البالغ في صفة
الستر لكل من يريد الرحيم اي العظيم الرحمة بالاحسان
بالتوفيق الي الافعال المرضية لمقام الالهية ولاجل
ان هذه صفته رده الي فرعون وقومه حين ارسله
اليهم فلم يقدروا علي مواخذته بذلك بقصاص
ولا غيره بعد ان نجا منهم قبل الرسالة علي غير قياس
لم تشكر ربه علي هذه النعمة التي انعم بها عليه بان
قال رب اي ايها المحسن الي بما انعمت علي اي
بسبب انعامك علي بالمغفرة فلن اكون اي ان
عصمتني ظهيرا اي عونا وعشيرا وخليطا للمجرمين
قال ابن عباس للكافرين وهو اما صحبة فرعون
وانتظامه في جملته وتكثير سواده حيث كان يركب
بركوبه كالولد مع الوالد وكان يسمي ابن فرعون
واما بظاهره واما مظاهره من اول مظاهرته
الي الجرم والاثم كما في مظاهرة الاسرايلي المودية
الي القتل الذي لم يومر به وهذا نحو قوله تعالى ولا
تركنوا

عنها

ولا تركنوا الي الذين ظلموا وعن عطا ان رجلا قال
له ان اخي يضرب بقلمه ولا يعدو رزقه قال الراس
من يكتب له قال خالد بن عبد الله القسيري
قال فاين قول موسى وتلا هذه الاية وفي الحديث
ينادي مناد يوم القيمة اين الظلمة واشباه الظلمة
حتى من لاق لهم دواه وبري لهم قلما فيجمعون
في تابوت من حديد فيرمي بهم في جهنم وقول
ابن عباس يدل علي ان الاسرايلي الذي اعانه
موسى عليه السلام كان كافرا وهو قول مقاتل
وقال قتادة اني لا اعين بعدها علي خطية
وقيل بما انعمت علي من القوة فلن استعملها
الا في مظاهرة اوليايك واهل طاعتك و
الايمان بك قال ابن عباس لم يستثن اي لم يقل
فلن اكون ان شا الله فابتلي به في اليوم الثاني
كما قال تعالى فاصبح في المدينة اي الذي قتل القتيل
فيها خايفا اي بسبب قتله له يترقب اي ينتظر
ما يناله من جهة القتيل قال البغوي والترقب
انتظار المكروه وقال الكلبي ينتظر متى يوخذ
به فاذا اي ففجاه الذي استنصره اي طلب

نصرته من شيعته بالامس اي اليوم الذي يلي يوم
الاستصراخ يستصرخه اي يطلب ان يزيل ما
يصرخ بسببه من الضر من قبطي اخر كان يظلمه
فكانه قيل فما قال له موسى بعد ما اوقعه
فيما يكره فقيل قال له اي لهذا المستصرخ موسى
انك لغوي اي صاحب ضلال بالغ مبين اي
واضح الضلال غير خفية لكون ما وقع بالامس
لم يكفك عن الخصومة لمن لا تطيقه وان كنت مظلوما
ثم دنا منهما لينصره فلما ان اراد اي شا فانه مزيدة
ان يبطش اي موسى عليه السلام بالذي هو عدو لهما
اي لموسى والاسرائيلي لانه لم يكن على دينهما
ولان القبط كانوا اعدا بني اسرائيل بان ياخذه
بعنف وسطوة ليخلص الاسرائيلي منه قال
اي الاسرائيلي الصغري لاجل ما راي من غضبه
وتكلمه ظانا انه يريد البطش به يا موسى ناصا
عليه اتريد ان تقتلني اي اليوم وانا من شيعتك
كما قتلت نفسا بالامس اي من شيعة اعدائنا و
الذي يدل على ان الاسرائيلي هو الذي قال له هذا
الكلام السياق وعليه الاكثرون لانه لم يعلم
بقتل

بقتل القبطي غير الاسرائيلي وقيل انما قال موسى
للفرعوني انك لغوي مبين بظلمك ويناسبه
قوله تعالى ان اي ما تريد الا ان تكون جبارا اي
قاهرا عاليا فلا يليق ذلك الا بقول الكافر وان
الاسرائيلي انه كان كافرا قال ابو حيان وشان
الجبار ان يقتل بغير حق في الارض اي التي
تكون بها فلا يكون فوقك احد وما تريد اي
تتخذ ذلك ارادة ان تكون اي كونا لك كالجبلة
من المصلحين اي الفريقين في الصلاح فان الصلح
بين الناس لا يصل الى القتل على هذه الصور فلما
سمع القبطي هذا ترك الاسرائيلي وكان القبط
لما قتل ذلك القبطي ظنوا في بني اسرائيل
فاغروا فرعون بهم وقالوا ان بني اسرائيل قتلوا منا
رجلا فخذ لنا بحقنا فقال ابغوا لي قاتله ومن
يشهد عليه فان الملك وان كان صفوه مع
قومه لا يستقيم له ان يقضي بغير بينة ولا تثبت
فلما قال هذا لغوي هذه المقالة علم القبطي
ان موسى هو الذي قتل الفرعوني فانطلق
الى فرعون فاخبره بذلك فامر فرعون بقتل
موسى قال ابن عباس فلما ارسل

فرعون الذباحين لقتل موسى لخذوا الطريق
الاعظم وجاء رجل اي ممن يحب موسى عليه
السلام واختلف في اسمه فقيل حزقيل مومن
ال فرعون وقيل شمعون وقيل سمعان وكان ابن
عم فرعون من اقصى المدينة اي ابعدها مكانا يسعى
اي يسرع في مشيه فاخذ طريقا قريبا حتى سبق
الى موسى فاخبره وانذره حتى اخذ طريقا اخر
فكانه قيل فما قال الرجل له فقيل قال مناديا
لموسى تعطفا وازالة للبس يا موسى ان الملا اي
اشرف القبط الذين في ايديهم الحل والعقد لان لهم
القدرة على الامر والنهي يأتمرون بك اي يتشاورون
في شانك ليقتلوك حتى وصل حالهم في
تشاورهم الان كل منهم يامر الاخر ويأتمر بامره
لانهم سمعوا انك قتلت صاحبهم فاخرج اي من
هذه المدينة ثم علل ذلك بقوله على سبيل التاكيد
ليزيل ما يطرقه من احتمال عدم القتل لكونه
عزيزا عند الملك اني لك من الناصحين اي
العريقين في نصحك فخرج اي موسى مبادرا منها
اي المدينة لما علم صدق قوله مما تحققه من
القراين حال كونه خايفا على نفسه من ال

فرعون

فرعون يترقب اي يكثر الالتفات بادارة رقبته في
الجهات ينظر هل يتبعه احد ثم دعا الله تعالى بان
قال رب اي ايها المحسن الي بالنجاة وغير ذلك من وجوه
البر نجني اي خلصني من القوم الظالمين اي الذين
يضعون الامور في غير مواضعها فيقتلون من لا
يستحق القتل مع قولهم فاستجاب الله دعاه
فوفقه لسلوك الطريق الاعظم نحو مدين فكان
ذلك سبب نجاته وذلك ان الذين انتدبوا اليه
قطعوا بانه لا يسلك الطريق الاكبر جريا على عادة
الخايفين الهاربين وفي القصة ان فرعون لما
بعث في طلبه قال اركبوا ثنيات الطريق فانبثوا
فيما ظنوه يمينا وشمالا ففاتهم ولما توجه اي اقبل
بوجهه قاصدا تلقاء اي الطريق الذي يلاقي
سالكه ارض مدين قال ابن عباس خرج وما
قصد مدين ولكنه سلم نفسه الى الله تعالى ومشى
من غير معرفة فهداه الله تعالى الى مدين وقيل
وقع في نفسه ان بينهم وبينه قرابة لانهم من
ولد مدين بن ابراهيم وكان من بني اسرائيل
سميت البلدة باسمه فخرج ولم يكن له علم

Copyright © King Saud University

بالطريق بل اعتمد على فضل الله تعالى وقيل جاءه
جبريل عليه السلام وعلمه الطريق قال ابن اسحق
خرج من مصر الى مدين خايفا بلا زاد ولا ظهر
وبينهما مسيرة ثمانية ايام ولم يكن له طعام الا
ورق الشجر قال عسى ربجدير وحقيق ربي
اي المحسن الي ان يهديني سوا اي عدل وسط
السبيل اي الطريق التي يطلعني الله تعالى عليها
من غير اعوجاج وقال ذلك قبل ان يعرف الطريق
اليها قيل فلما دعا جاءه الملك بيده عنزة فانطلق
به الى مدين قال المفسرون خرج موسى من مصر
ولم يكن له طعام الا ورق الشجر والبقل حتى
ترى خضرته في بطنه وما وصل الى مدين حتى
وقع خف قدميه قال ابن عباس هو اول ابتلا
من الله تعالى لموسى عليه السلام ولما ورد
اي وصل ماء مدين وهو بير كان يستقي منها
الرعاة مواشيهم وجد عليه اي الماء امة اي جماعة
كثيرة من الناس مختلفين يسقون اي مواشيهم
ووجد من دونهم اي في مكان سواهم اسفل من
مكانهم امراتين عبر بذلك لما جعل لها سبحانه
بين

من المروة ومكارم الاخلاق كما يعلم من امعن
النظر فيما يذكر عنهما تذودان اي يحبسان ويمنعان
اغنامهما اذا افزعت من العطش الى الما حتى يفرغ
الناس ويخلو لهما البير وقال الحسن يكفان الغنم
لئلا يختلط بغنم الناس وقال قتادة يكفان الناس
عن اغنامهما وقيل لئلا تختلط بالرجال وقيل كانتا
تذودان عن وجوههما نظر الناظرين لتسترهما
وقيل غير ذلك فكانه قيل فما قال موسى لهما قيل
قال لهما رحمة لهما ما خطبكما اي ما شانكما لا
تسقيان مواشيكما مع الناس قالتا لا نسقي مواشينا
وحذف للعلم به حتى يصدر اي ينصرف ويرجع
الرعا اي عن الماء حذف الزحام فنسقي وقرا ابو
عمرو وابن عامر بفتح اليا وضم الدال والباقون
بضم اليا وكسر الدال مضارع اصدر يعدى بالهمز
تنبيه المفعول محذوف اي يصدرون مواشيهم
عن الحوض وابونا شيخ كبير اي لا يستطيع لكبره ان
يسقي فاضطرنا الى ما ترى تنبيه اختلف في
ابيهما فقال مجاهد والضحاك والسدي والحسن
ابوهما هو شعيب النبي صلى الله عليه وسلم وانه

Copyright © King Saud University

عاش عمرا طويلا بعد هلاك قومه حتى ادركه موسى
عليه السلام وتزوج ابنته وقال وهب وابن
جبير هو يثرون بن اخي شعيب وكان شعيب
قد مات قبل ذلك بعد ما كف بصره فدفن ما
بين المقام وزمزم وقيل رجل ممن امن بشعيب
قال فلما سمع موسى قولهما رحمهما فاقتلع
صخرة من راس بير اخر كانت بقربهما لا يطيق
رفعها الا جماعة من الناس وقال ابن اسحاق
ان موسى زاحم القوم ونحاهم عن راس البير
فسقى غنم المراتين ويروى ان القوم لما
رجعوا باغنامهم غطوا راس البير لا يرفعه
الا عشرة نفر وقيل اربعون وقيل مائة
فجاء موسى ورفع الحجر وحده وسقى غنم
المراتين ويقال انه سالهم دلوا من ماء
فاعطوه دلوهم وقالوا استق بها وكانت
لا ينزعها الا اربعون فاستقى بها وصبها
في الحوض ودعى فيه بالبركة فروى منه
جميع الغنم فان قيل كيف ساغ لنبي الله
تعالى شعيب ان يرضى لابنتيه
بالسقي بالمباشرة لجيب بان
الناس

الناس اختلفوا فيه هل هو شعيب او غيره واذا قلنا
بانه هو كما عليه الاكثر فليس ذلك محظورا فلا يأباه الدين
والناس مختلفون في ذلك بحسب عاداتهم المروة فيها متباينة
واحوال العرب والبدو تباين احوال العجم والحضر لاسيما
اذا دعت الى ذلك ضرورة فسقى اي موسى عليه السلام
لهما والمفعول محذوف اي غنمهما لما علم ضرورتهما
انتهازا لفرصة الاجر وكرم الخلق في مساعدة الضعيف
مع ما به من النصب والجوع وسقوط خف القدم ولكنه
رحمهما واغاثهما وكفاهما امر السقي في مثل تلك الزحمة
بقوة قلبه وقوة ساعده وما اتاه الله تعالى من الفضل
في متانة الفطرة وصلابة الجبلة ثم تولى اي
انصرف جاعلا ظهره يلي ما كان يليه وجهه الى الظل
اي ظل سمرة فجلس في ظلها ليقيل ويستريح مقبلا
على الخالق بعد ما قضى من نصيحة الخلائق وهو جائع
قال الضحاك لبث سبعة ايام لم يذق طعاما الا
بقل الارض فقال رب اني واكد الافتقار بالالصاق
باللام دون الى بقوله لما انزلت الي من خير قليل او
كثير غث او سمين فقير اي محتاج سائل تنبيها لما
انزلت الي من خير الدنيا وهو النجاة من الظالمين

Copyright © King Saud University

وليس في الشكوى الى الغني المطلق نقص قال ابن
ابن عباس سال الله تعالى فلقة خبز يقيم به صلبه
وقال الباقر لقد قالها وانه لمحتاج الى شق وقال
سعيد بن جبير عن ابن عباس لقد قال موسى ذلك
وهو اكرم خلقه عليه وانه قد بلغ به من الضر
ان اخضر بطنه من اكل البقل وضعف حتى لصق
بطنه بظهره وانما قال ذلك في نفسه مع ربه
وهو اللايق به وقيل رفع به صوته لاسماع
المراتين وطلب الطعام وهذا لا يليق بموسى
عليه السلام فانظر الى هذا النبي عليه السلام
وهو خلاصة ذلك الزمان ليكون لك في ذلك اسوة
وتجعله اماما وتدوم وتقول ما لقي الانبيا والصالحون
من الضيق والاهوال في سجن الحياة الدنيا
صونا لهم منه واكراما من ربهم عنها رفعة لدرجاتهم
واستهانة لها وان ظنه الجاهل المغرور على غير ذلك
وفي القصة ترغيب في الخير وحث على المعاونة على
البر وبعث على بذل المعروف مع الجهد فلما رجعتا
الى ابيهما سريعا قبل الناس واغنامهما حفل
بطان قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا
صالحا

٢٥٧

صالحا رحيما فسقى لنا اغنامنا فقال لاحديهما
اذهبي فادعيه لي فجاءته احداهما ممتثلة امر ابيهما
وقوله تمشي حال وقوله على استحيا حال اخرى اي
مستحيية اما من جات واما من تمشي قال عمر بن الخطاب
ليست بسلفع من النساء خراجة ولاجة ولكن جاءته
مستترة واضعة كم درعها على وجهها استحيا ثم
استانف الاخبار بما تشوق اليه السامع بقوله تعالى
قالت واكدت اعلاما بما لابيها من الرغبة الى لقايه
ان ابي وصورت حاله بالمضارع بقولها يدعوك
ليجزيك اي يعطيك مكافاة لك لان المكافاة من شيم
الكرام اجر ما سقيت لنا اي مواشينا قال ابن اسحق
اسم الكبرى صفورا والصغرى لينا وقال غيره
صفرا وصفيرا وقال الضحاك صافورا وقال الاكثرون
التي جات لموسى الكبرى وقال الكلبي هي الصغرى
قال الرازي وليس في القران دلالة على شي من هذه
التفاصيل فان قيل في الاية اشكالات احدها كيف
ساغ لموسى عليه السلام ان يعمل بقول امراة وان
يمشي معها وهي اجنبية فان ذلك يورث التهمة
العظيمة وقال صلى الله عليه وسلم اتقوا مواضع

Copyright © King Saud University

النهم وثانيهما انه سعى اغنامهما تقربا الى الله
تعالى فكيف يليق به اخذ الاجرة عليه وذلك
غير جايز في الشريعة وثالثها انه عرف فقرهما
وفقر ابيهما وانه عليه السلام كان في نهاية
القوة بحيث يمكنه الكسب باقل سعي فكيف
يليق بمروة مثله طلب الاجرة على ذلك القدر
من الشيخ الفقير والمراة الفقيرة ورابعها
كيف يليق بالنبي شعيب عليه السلام ان يبعث
ابنته الشابة الى رجل شاب قبل العلم بكون الرجل
عفيفا او فاسقا اجيب عن الاول بان الخبر يعمل
فيه بقول المراة فان الخبر يعمل فيه بقول الواحد
حرا كان او عبدا ذكرا كان او انثى وهي ما كانت
مخبرة الا عن ابيها واما المشي مع المراة بعد الاحتياط
والتورع فلا باس به وعن الثاني بان المراة لما قالت
ذلك لموسى عليه السلام ما ذهب اليهم طلب
للاجرة بل للتبرك بذلك الشيخ لما روي انه لما دخل
على شعيب عليه السلام اذ هو بالعشا مهيا
فقال اجلس يا شاب فتعش فقال موسى اعوذ
بالله فقال شعيب ولم ذاك الست بجايع قال بلى

ولكن

ولكن اخاف ان يكون هذا عوضا لما سقيت لهما
وانا من اهل بيت لا نطلب على عمل من اعمال الاخرة
عوضا من الدنيا وفي رواية لا نبيع ديننا بدنيانا
ولا ناخذ بالمعروف ثمنا فقال له شعيب لا والله يا
شاب ولكنها عادتي وعادة ابائي نقري الضيف
ونطعم الطعام فجلس موسى فاكل وايضا فليس
بمنكر ان الجوع قد بلغ الى حيث ما كان يطيق تحمله
ففعل ذلك اضطرارا وهو الجواب عن الثالث
فان الضرورات تبيح المحظورات وعن الرابع بان
شعيبا عليه السلام كان يعلم طهارة ابنته
وبراءتها اما بوحي او بغيره فكان يامن عليها
قال عمر بن الخطاب فقام يمشي والجارية امامه
فهبت الريح فوصفت ردفها فكره موسى عليه
السلام ان يرى ذلك منها فقال لها امشي خلفي
وقال موسى اني من عنصر ابراهيم فكوني خلفي حتى
لا يرفع الريح ثيابك فارى ما لا يحل وفي رواية
كوني خلفي ودليني على الطريق برمي الحصا
لان صوت المراة عورة فان قيل لم خشي موسى
عليه السلام ان يكون ذلك اجرة له على عمله

ولم يكره مع الخضر ذلك حتى قال لو شئت لاتخذت عليه
اجرا اجيب بان اخذ الاجرة على الصدقة لا يجوز
واما الاستيجار ابتداء فغير مكروه فلما جاءه اي موسى
شعيبا وقص اي موسى عليه السلام عليه
القصص اي حدثه حديثه مع فرعون وآله في كفرهم
وطغيانه واذلالهم لعباد الله تعالى تنبيه القصص
مصدر كالعلل سمي به المقصوص قال الضحاك
قال له الضحاك من انت يا عبد الله قال انا موسى بن
عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وذكر له
جميع امره من لدن ولادته وامر القوابل والمراضع
والقذف في اليم وقتل القبطي وانهم يطلبونه ليقتلوه
ليقتلوه ثم ان شعيبا عليه السلام امنه بان
قال له لا تخف نجوت من القوم الظالمين اي فان
فرعون لا سلطان له بارضنا فان قيل ان المفسرين
قالوا ان فرعون يوم ركب خلف موسى ركب في
الف الف وستمائة الف والملك الذي هذا شانه
كيف يعقل ان لا يكون في ملكه قرية على بعد ثمانية
ايام اجيب بان هذا ليس بمحال وان كان نادرا
فلما امنه واطمان قالت احداهما اي المراتين وهي التي
دعته

دعته الى ابيها مستترة بالنداء باداة البعد الى استصغارها
لنفسها وجلالة ابيها يا ابت استاجره اي اتخذه اجيرا
ليرعى اغنامنا ان خير من استاجرت القوي الامين
اي خير من استعملت من قوي على العمل المسنى من الاشياء واد
الامانة قال ابو حيان وقولها قول حكيم جامع
لا يزاد عليه لانه اذا اجتمعت هاتان الخصلتان
اعني الكفاية والامانة في القائم بامرك فقد فرغ
بالك وتم مرادك وقد استغنت بارسال هذا الكلام
الذي سياقه سياق المثل والحكمة ان تقول استاجره
لقوته وامانته وانما جعل خير من استاجرت اسما
والقوي الامين خبرا مع ان العكس اولى لان العناية
هي سبب التقديم وقد صدقت حتى جعل لها ما
هو احق بان يكون خبرا اسما وورد الفعل بلفظ الماضي
للدلالة على انه امر قد جرب وعرف وعن ابن عباس
ان شعيبا اختطفته الغيرة فقال وما علمك بقوته
وامانته فذكرت اقلال الحجر ونزع الدلو وانه صوب
اي خفض راسه حتى بلغته رسالة ابيها اليه
وامرها بالمشي خلفه وعن ابن مسعود افرس
الناس ثلاثة بنت شعيب وصاحب يوسف

Copyright@King Saud University

في قوله عسى ان ينفعنا وابو بكر في عمر ولما العلمته
ابنته بذلك قال لموسى عليه السلام عند ذلك
اني اريد يا موسى والتاكيد لان الغريب قلما
يرغب فيه اولما تقدم لاسيما من الروسا ثم الرغبه
ان انكحك احدى ابنتي هاتين اي الحاضرتين اللتين
سقيت لهما ليتاملهما فينظر من يقع اختياره عليه
منهما ليعقد له عليها قال اكثر المفسرين انه زوجه
الصغرى منهما وهي التي ذهبت لطلب موسى واسمها
صفورة على خلاف تقدم في اسمها وقوله هاتين
فيه دليل على انه كانت له غيرهما وقوله وقوله
على ان تاجرني ثماني حجج اما من اجرته اذا كنت له اجيرا
كقولك ابوته اذا كنت له ابا وثماني حجج ظرفه اي
ترعى غنمي ثماني حجج واما من اجرته كذا اذا اثبته
اياه اي تجعل ثوابي من تزويجها ان تعمل اجرك
على ذلك وثواب ثماني حجج تقول العرب اجرك الله
اي اثابك ومنه تعزية رسول الله صلى الله عليه
وسلم اجركم الله ورحمكم وثماني حجج مفعول به.
ومعناه رعية ثماني حجج فان قيل كيف صح
ان ينكحه احدى ابنتيه من غير تمييز اجيب
بان..

بان ذلك لم يكن عقدا ولكن مواعدة ومواضعة
امر قد عزم عليه ولو كان عقدا لقال انكحتك
ولم يقل اني اريد ان انكحك وقد مرت الاشارة الى ذلك
والحجج السنون واحدها حجة فان اتممت عشرا اي
عشر سنين وقوله فمن عندك يجوز ان يكون في محل رفع
خبر المبتدا محذوف تقديره فهي من عندك او نصب
اي فقد زدتها من عندك او تفضلت بها من عندك
وليس ذلك بواجب عليك تنبيه هذا اللفظ
يدل على ان العقد وقع على اقل الاجلين والزيادة
كالتبرع فالعقد انما وقع على معين ودلت
الاية على ان العمل قد يكون مهرا كالمال وعلى ان
عقد النكاح لا يفسد بالشروط التي لا يوجبها
العقد ان كان وقع بالشرط هذه الزيادة في العقد.
ولما ذكر له ذلك اراد ان لا يعلمه ان الامر بعد
الشرط بينهما على المسامحة فقال وما اريد ان
اشق عليك اي ادخل عليك مشقة بمناقشة
ومراعاة اوقات ولا في اتمامكم عشرا ولا غير ذلك ثم
اكد تعين المساهلة بقوله ستجدني وفتح اليا
نافع عند الوصل والباقون بسكونها ان شاء الله
على قاعدة انبياء الله تعالى واوليائه في المراقبة

Copyright © King Saud University

على سبيل التبرك بقوله ان شا الله اي الذي له جميع
الامر من الصالحين قال عمر اي في حسن الصحبة والوفا
بما قلت اي وكلما تريد من كل خير وقيل المراد
الصلاح على العموم فان قيل كيف ينعقد العقد
بهذا الشرط ولو قلت انت طالق ان شا الله تعالى
لم تطلق اجيب بان هذا انما يختلف بالشرايع
او ان ذلك ذكر للتبرك قال اي موسى عليه
السلام ذلك اي الذي ذكرته وعاهدتني
فيه وشارطتني عليه بيني وبينك اي قايم
بيننا جميعا لا يخرج كلانا عنه لا انا عما شرطت
علي ولا انت عما شرطت على نفسك تنبيه
ذلك مبتدا والظرف خبره واضيفت بين المفرد
ولتكررها عطفت بالواو ولو قلت المال
لزيد فعمرو لم يجز والاصل ذلك بيننا كما مر
ففرق بالعطف ثم فسر ذلك بقوله ايما اي اي
الاجلين فما زايدة اي قضيت اي فرغت اطولهما
الذي هو العشر او اقصرهما الذي هو الثمان
فلا عدوان اي اعتدا بسبب ذلك لك ولا
لاحد علي في طلب اكثر منه لانه كما لا تجب الزيادة
على

٣٠٦

الزيادة على الثمان فان قيل تصور العدوان انما هو
في احد الاجلين الذي هو اقصر وهو المطالبة بتتمة بتتمة
العشر فما معنى تعليق العدوان بهما جميعا اجيب
بان معناه كما اني ان طولبت بالزيادة على العشر
كان عدوانا لا شك فيه فكذلك ان طولبت بالزيادة
على الثمان اراد بذلك تقرير امر الخيار وانه ثابت
مستقر وان الاجلين على السوا اما هذا واما
هذا من غير تفاوت بينهما في القضا واما التتمة
فموكلة الى رايي ان شيت اتيت بها والا لم اجبر عليها
وكانه اشار بنفي صيغة المبالغة الى ان لا يواخذ
لسعة صدره وطهارة اخلاقه بمطلق العدو
والله اي الملك الاعظم على ما نقول اي كله في هذا
الوقت وغيره وكيل قال ابن عباس ومقاتل
شهيد فيما بيني وبينك وقيل حفيظ وعن
سعيد بن جبير قال سالني يهودي من اهل الحيرة
اي الاجلين قضى موسى قلت لا ادري حتى اقدم
على حبر العرب فاساله فقدمت فسالت ابن
عباس رضي الله تعالى عنهما فقال قضى اكثرهما
وروي عن ابي ذر مرفوعا اذا سيلت اي الاجلين

Copyright © King Saud University

وقضى موسى عليه السلام فقل خيرهما واذا سيلت
فاي المراتين تزوج فقل الصغرى منهما وهي التي جات
قالت يا ابت استاجره فتزوج صغراهما وقضى
اوفاهما وقال وهب الكبرى وروي عن
شداد بن اوس مرفوعا بكى شعيب عليه
الصلاة والسلام حتى عمى فرد الله سبحانه
وتعالى عليه بصره وقال له ماهذا البكا
اشوقا الى الجنة ام خوفا من النار قال لا يا رب
ولكن شوقا الى لقايك فاوحى الله سبحانه وتعالى
ان يكن ذلك فهنيا لك يا شعيب اخدمتك
موسى كليمي ولما تم العقد بينهما امر شعيب
ابنته ان تعطي العصى لموسى عليه الصلاة
والسلام يدفع بها السباع عن غنمه
واختلفوا في تلك العصا فقال عكرمة خرج بها ادم
من الجنة فاخذها جبريل بعد موت ادم
فكانت معه حتى لقي بها موسى ليلا فدفعها
اليه وقال اخرون كانت من اس الجنة حملها
ادم من الجنة فتوارثها الانبيا وكان لا ياخذها
غير نبي الا اكلته وصارت الى نوح ثم الى ابراهيم
حتى

حتى وصلت الى شعيب وكانت عصى الانبيا عنده
فاعطاها الى موسى وقال السدي كانت تلك
العصا استودعها اياه ملك في صورة رجل فامر
ابنته ان تاتيه بعصى فدخلت فاخذت العصى
فاتته بها فلما راي شعيب قال لها ردي هذه العصا
واتيه بغيرها فدخلت فالقتها وارادت ان تاخذ
غيرها فلا يقع في يدها الا هي وفعلت ذلك ثلاث
مرات فاعطاها موسى فاخرجها موسى معه
ثم ان الشيخ ندم فقال كانت وديعة فذهب
في اثره فطلب ان يرد العصى فابى موسى عليه
السلام ان يعطيه وقال هي عصاي فرضي
ان يجعلا بينهما اول رجل يلقاهما فلقيهما
ملك في صورة رجل فحكم ان تطرح العصى فمن حملها
فهي له فطرح موسى عليه الصلاة والسلام
العصا فعالجها الشيخ فلم يطقها فاخذها موسى
بيده فرفعها فتركها له الشيخ وروي ان شعيبا
عليه الصلاة والسلام كان عنده عصى الانبيا
فقال لموسى عليه الصلاة والسلام بالليل
ادخل ذلك البيت فخذ عصى من تلك

العصي فاخذ عصا هبط بها ادم من الجنة
ولم تزل الانبيا يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب
فمسها وكان مكفوفا فظن ان تجل بها وقال
غيرها فما وقع في يده الا هي سبع مرات فعلم ان
له شانا وعن الحسن ما كانت الا عصي من الشجر اعترضها
اعتراضا وعن الكلبي الشجرة التي نودي منها موسى
شجرة العوسج ومنها كانت عصاته ولما اصبح
قال له شعيب اذا بلغت مفرق الطريق فلا تاخذ
على يمينك فان الكلاوان كان بها كثيرا الا ان
فيها تنينا اخشاه عليك فاخذت الغنم ذات
اليمين ولم يقدر على كفها فمشى على اثرها فاذا
عشب وريق لم ير مثله فنام فاذا بالتنين
قد اقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت
الى جنب موسى دامية والتنين مقتول
فارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب مس الغنم
فاخبره موسى ففرح وعلم ان لموسى والعصا
شانا فلما قضى موسى الاجل اي اتمه وفرغ منه
وزوجه بنته قال مجاهد مكث بعد ذلك
عند صهره عشرا اخرى فاقام عنده
عشرين

عشرين سنة ثم ان شعيبا عليه السلام
اراد ان يجازي موسى عليه السلام على رعيته
اكراما له وصلة لابنته فقال له اني وهبت
لك من الجدايا التي تضعها اغنامي هذه السنة
كل ابلق وبلقا فاوحى الله تعالى الى موسى في
المنام ان اضرب بعصاك الما الذي في مستقى الاغنام
قال فضرب موسى بعصاه الما ثم سقى الاغنام
منه فما اخطات واحدة منها الا وضعت حملها ما
بين ابلق وبلقا فعلم شعيب ان ذلك رزق
ساقه الله عز وجل الى موسى وامراته فوفى له
بشرطه وسلم الاغنام اليه ثم ان موسى استاذنه
في العود الى مصر فاذن له فخرج وسار باهله
اي بامراته راجعا الى اقاربه بمصر انس اي ابصر
من بعيد من جانب الطور اسم جبل نارا انسته
رويتها وكان في البرية في ليلة مظلمة شديدة
البرد واخذ امراته الطلق قال لاهله امكثوا
اني انست نارا اي ههنا وقرا حمزة في الوصل
بضم الها قبل همزة الوصل وغير موسى عليه السلام
بضمير الذكور فلعل كان بنين فغلبهم على

امراته وقد ذكرت غير ذلك في السورة التي قبل هذه
ثم علل ذلك بقوله موكدا لاستبعاد ان يكون
في ذلك المكان عمرو سكنها الباقون كانه قيل فما
ذا تعمل بها فقال معبرا بالترجي لانه اليق بالتواضع
لعلي اتيكم منها اي من عندها بخبر اي عن الطريق
لانه كان قد اخطا او جذوة اي قطعة وشعلة
من النار وقال قتادة ومقاتل هي العود
الذي احترق بعضه تنبيه من النار صفة
لجذوة ولا يجوز تعلقها باتيكم كما تعلق به
منها لان هذه النار هي النار المذكورة والعرب
اذا قدمت نكرة وارادوا اعادتها مضمرة او
معرفة بال العهدية وقد جمع الامرين هنا
وقرا عاصم بفتح الجيم وحمزة بضمها والباقون
بالكسر وكلها لغات وجمعها جذى ثم استانف
قوله تعالى لعلكم تصطلون اي لتكونوا على
رجاء من ان تقربوا من النار فتعطفوا عليها
لتدفئوا وهذا دليل على ان الوقت كان
شتاء فلما اتاها اي النار ونبا نودي بالبنا
للمفعول ادن اخر الكلام يدل دلالة واضحة

على

على ان المنادي هو الله تعالى فلما كان نداوه
تعالى لا يشبه نداء غيره بل يكون من جميع
الجوانب وكان مع ذلك قد يكون لبعض المواضع
مزيد شرف بوصف من الاوصاف اما بان يكون
اول السماع منه او من غير ذلك او يكون باعتبار
موسى عليه السلام قال من شاطئ الواد لمن لابتدا
الغاية وقوله تعالى الايمن صفة للشاطي او للوادي
والايمن من اليمن وهو البركة او من اليمين المعادل
لليسار من العضوين ومعناه على هذا بالنسبة
الى موسى اي الذي يلي يمينك دون يسارك والشاطي
صفة الوادي والنهر اي حافته وطرفه وكذا
الشط والسيف والساحل كلها بمعنى وجمع
الشاطي اشطا قال الراغب وشاطات فلانا
ماشيت على الشاطي وقوله تعالى في البقعة المباركة
متعلق بنودي او بمحذوف على انه حال من الشاطي
ومعنى المباركة جعلها الله تعالى مباركة لان الله تعالى
كلم موسى عليه السلام هنا وبعثه نبيا وقال عطا
يريد المقدسة وقوله تعالى من الشجرة بدل من شاطي
الوادي باعادة الجار بدل اشتمال لان الشجرة

Copyright © King Saud University

كانت نابتة عن الشاطئ قال البقاعي ولعل الشجرة
كانت كثيرة فلما وصل اليها دخل النور من طرفها
الى وسطها فنحاها وراه بحيث توسطها فسمع
وهو فيها الكلام من الله تعالى حقيقة وهو
المتكلم سبحانه وتعالى لا الشجرة قال القشيري
وحصل الاجماع على انه عليه السلام سمع تلك
الليلة كلام الله تعالى ولو كان ذلك نداء
الشجرة لكان المتكلم الشجرة وقال التفتازاني
في شرح المقاصد ان اختيار حجة الاسلام
انه سمع كلامه الازلي بلا صوت ولا حرف كما ترى
ذاته في الاخرة بلا كم ولا كيف واختلف
في الشجرة ما هي فقال ابن مسعود كانت
سمرة خضرا وقال قتادة ومقاتل
والكلبي كانت عوسجة وقال وهب من
العليق وعن ابن عباس انها العناب ثم ذكر
المنادي به بقوله تعالى ان يا موسى فان هي
مفسرة لا مخففة اني انا الله اي المستجمع
للاسما الحسنى والصفات العليا وفتح اليا
نافع وابن كثير وابو عمرو وسكنها الباقون

ى

ثم وصف نفسه تعالى بقوله تعالى رب العالمين
اي خالق الخلق اجمعين ومربيهم قال البيضاوي و
هذا وان خالف في طه والنمل في لفظه فهو طبقه
في المقصود انتهى وقال ابن عادل واعلم انه تعالى
قال في سورة النمل نودي ان بورك من في النار
ومن حولها وقال ههنا نودي اني انا الله رب
العالمين وقال في سورة طه اني انا ربك ولا منافاة
بين هذه الاشيا فهو تعالى ذكر الكل الا انه تعالى
حكى في كل سورة ما اشتمل عليه ذلك النداء ثم
ان الله تعالى امره ان يلقي عصاه ليريه اية
بقوله وان الق عصاك اي لاريك فيها
اية فالقاها فصارت في الحال حية عظيمة
وهي مع عظمها في غاية الخفة فلما راها اي العصا
تهتز اي تتحرك كانها في سرعتها وخفتها جان
اي حية صغيرة ولى مدبرا خوفا منها ولم يلتفت
الى جهتها وهو معنى قوله تعالى ولم يعقب
اي موسى عليه السلام وذلك كناية عن شدة
التصميم على الهرب والاسراع فيه خوفا من
الادراك في الطلب فقيل له يا موسى اقبل اي التفت

Copyright © King Saud University

وتقدم اليها ولا تخف ثم اكده الامر لها الا دني بحبول
عليه من النفرة وان اعتقد صحة الخبر بقوله تعالى
انك من الامنين اي المفرتقي في الامن كعادة اخوانك
من المرسلين فانه لا يخاف لدي المرسلون ثم زاد
طمانينته بقوله تعالى اسلك اي ادخل على
الاستقامة مع الخفة والرشاقة يدك في جيبك
اي المقطع الذي في ثوبك وهو الذي تخرج منه
الراس او هو الكم كما يدخل السلك وهو الخيط
الذي ينظم فيه الدر تخرج بيضا اي بياضا عظيما
يكون له شان خارق العادة من غير سوء اي
عيب من اثر الحريق الذي عجز فرعون مداواته
او غيره فخرجت ولها شعاع كشعاع الشمس
يغشي البصر تنبيه قد ذكر هذا المعنى بثلاث
عبارات احداها هذه وثانيتها واضمم يدك
الى جناحك وثالثها وادخل يدك في جيبك واضمم
اليك جناحك اي يديك المبسوطتين تتقي بهما
الحية كالخائف الفزع با دخال اليمنى تحت عضد
اليسرى وبالعكس او بادخالهما في الجيب فيكون
تكريرا لغرض اخر وهو ان يكون ذلك في وجه العدو

واظهار

واظهار جراة ومبدا الظهور معجزة ويجوز
ان يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا
حية استعارة من حال الطاير لانه اذا خاف نشر
جناحيه وارخاهما واذا امن واطمان ضمهما
اليه ومنه ما يحكي عن عمر بن عبد العزيز ان كاتبا
كان يكتب بين يديه فانفلتت منه فلتة ريح فخجل
وانكسر فقام وضرب بقلمه الارض فقال له عمر
خذ قلمك واضمم اليك جناحك وليفرخ روعك
فاني ما سمعتها من احد اكثر مما سمعتها من نفسي
ومعنى قوله تعالى من الرهب من اجل الرهب اي
اذا اصابك عند روية الحية فاضمم اليك جناحك
تجلدا وضبطا لنفسك حمل الرهب الذي كان
يصيبه سببا وعلة فيما امر به من ضم جناحه
اليه وقال البغوي المراد بالجناح العصا معناه
اضمم اليك عصاك قال البغوي وقيل الرهب
الكم بلغة حمير قال الاصمعي سمعت بعض الاعراب
يقول اعطني ما في رهبك اي في كمك معناه
اضمم اليك يدك واخرجه من الكم لانه تناول
العصا ويده في كمه اه قال الزمخشري

معترضا هذا القول ومن بدع التفاسير ان الرهب
الكم بلغة حمير وانهم يقولون اعطني ما في رهبك
وليت شعري كيف صحته في اللغة وهل سمع من
الاثبات الثقاة الذين ترضى عربيتهم ثم ليت
شعري كيف وقعه في الاية وكيف تطبيقه المفصل
كساير كلمات التنزيل على ان موسى عليه
السلام ما كان عليه ليلة المناجاة الا زرمانقة
صوف لا كمين لها انتهى ويحتمل ان يكون لها كم
قصير فمن نظر الى قصره ومن ثبت نظر الى
اصله وحينئذ لا تعارض وفي البغوي
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان الله تعالى
امره ان يضم يده الى صدره يذهب عنه ما ناله
من الخوف عند معاينة الحية وقال وما من
خايف بعد موسى عليه السلام الا اذا وضع
يده على صدره زال خوفه وقال مجاهد وكل من
فزع فضم جناحه اليه ذهب عنه الفزع وقرا
نافع وابن كثير وابو عمرو بفتح الرا والها وحفص
بفتح الرا وسكون الها والباقون بضم الرا وسكون
الها والكل لغات ولما تم كونه اية بانقلابها

الى

بانقلابها الى البياض ثم رجوعها الى لونها قال الله
تعالى **فذانك** اي العصا واليد البيضا وشدد
ابن كثير وابو عمرو النون وخففها الباقون **برهانان**
اي سلطانان وحجتان قاهرتان مرسلان
من ربك اي المحسن اليك لا يقدر على مثلها غيره
الى فرعون وملايه او انت مرسل بهما اليهم كلما
اردت ذلك وجبلة لانهما يكونان لك هنا في هذه
الحضرة فقط فان قيل لم سميت الحجة برهانا
اجيب بان ذلك لبياضها وانارتها من قولهم
للمراة البيضا برهرهة بتكرير العين واللام معا
والدليل على زيادة النون قولهم ابره الرجل اذا
جاء بالبرهان ونظيره تسميتهم اياها سلطانا
من السليط وهو الزيت لانارتها ثم علل
الارسال اليهم على وجه اظهار الايات لهم واستمرارها اظهار
بقوله **انهم كانوا** اي جبلة وطبعا **قوما** اي
اقويا **فاسقين** اي خارجين عن الطاعة فكانوا
احقا ان يرسل اليهم ولما قال تعالى فذانك برهانان
الى اخره تضمن ذلك ان يذهب موسى بهذين
البرهانين الى فرعون وقومه فعند ذلك طلب

Copyright © King Saud University

من يعينه بان قال رب ايها المحسن الي اني
قتلت منهم نفسا هو القبطي السابق وانت تعلم
اني ما خرجت الا هاربا منهم لاجلها فاخاف اي
بدايتهم بمثل ذلك ان يقتلون به لوحدتي وغربتي
وثقل لساني في اقامة الحجة فاخاف ان يقتلون
يفوت المقصود بقتلي ولا يحصل من ذلك الا ان
وان لساني فيه عقدة واخي هرون هو
افصح مني لسانا اي من جهة اللسان للعقدة
التي كانت حصلت له من وضع الجمرة في فيه
وهو طفل في كفالة فرعون وقيل كانت من
اصل الخلقة والفصاحة لغة الخلوص ومنه
فصح اللبن خلص من رغوته وفصح الرجل
جادت لغته وافصح تكلم بالعربية فارسله
اي بسبب ذلك معي ردءا اي معينا من
ردات فلانا بكذا اي جعلته له قوة وعاضدا
وردات الحايط اذا ادعمته بخشب او
كبش يدفعه ان يسقط وقرا نافع بنقل
حركة الهمزة الي الدال وحذف الهمزة والباقون
بسكون الدال وتنوين الهمزة بعدها ولما كان

ثم

له عليه من اللطف والشفقة ما يقصر الوصف
عنه نبه على ذلك باجابة السوال بقوله يصدقني
اي بان يخلص بفصاحته ما قلته ويبينه ويقيم
الادلة عليه حتى يصير كالشمس وضوحا فيكون
مع تصديقه لي بنفسه سببا في تصديق غيره
لي وقرا عاصم وحمزة بضم القاف على الاستيناف
او الصفة فردا والباقون بالسكون جوابا للامر
قال الرازي ليس الغرض بتصديق هارون
ان يقول له صدقت او يقول للناس صدق
موسى وانما هو ان يخلص بلسانه الفصيح
وجوه الدلايل ويجيب عن الشبهات ويجادل به
الكفار فهذا هو التصديق المفيد وفايدة
الفصاحة لنا تظهر في ذلك لا في مجرد قوله
صدقت قال السدي نبيين وايتين اقوى
من نبي واحد واية واحدة وهذا ظاهر
من جهة العادة واما من جهة الدلالة
فلا فرق بين معجز ومعجزين ثم علل سواله هذا
بقوله اني اخاف ان يكذبون اي فرعون وقومه
ولساني لا يطاوعني عند المحاجة قال الله

Copyright © King Saud University

تعالى مجيبا لسواله سنشد عضدك اي نامرك
باخيك اي سنقويك ونعينك به ونجعل لكما سلطانا
اي ظهورا عظيما وغلبة لم يحج والهيبة لاجل ما
ذكرت من الخوف فلا اي فتسبب عن ذلك انهم لا
يصلون اليكما بنوع من انواع الغلبة باياتنا
اي نجعل ذلك بسبب ما نظهر على ايديكما من
الايات العظيمة بنسبتها الينا وكانت النتيجة
انتما ومن اتبعكما من قومكما وغيرهم الغالبون
اي لا غيركم وهذا يدل على ان فرعون لم يصل
الى السحرة بشيء مما هددهم به لانهم من اكبر
الاتباع الباذلين انفسهم في الله تعالى وليس
في القران ما يدل على انه فعل بهم ما وعدهم به
قال البقاعي وكانه حذف امرهم هنا
لانه في بيان امر فرعون وجنوده بدليل ما
كرر من ذكرهم وقد كشفت العاقبة عن ان
السحرة ليسوا من جنوده بل من حزب الله
تعالى وجنده ومع ذلك فقد اشار اليهم
بهذه الاية والتي بعدها اهـ ولما كان
التقدير فاتاهم كما امر الله تعالى وعاضده

اخوه

اخوه كما اخبر الله تعالى ودعاهم الى الله تعالى
واظهر ما امره من الايات بنى عليه مبينا بالفا
سرعة امتثال فلما جاءهم اي فرعون وقومه
ولما كانت رسالة هارون عليه السلام انما
هي تاييد لموسى عليه السلام اشار الى ذلك
بالتصريح باسم الجائي بقوله تعالى موسى باياتنا
اي التي امرناه بها الدالة على جميع الايات للتساوي
في خرق العادة حال كونها بينات اي في غاية الوضوح
قالوا اي فرعون وقومه ما هذا اي الذي اظهرته من
الايات الا سحر مفترى اي مختلف لانه معجزة من عند
الله ثم بكل ضموا اليه ما يدل على جهلهم وهو قولهم
وما سمعنا اي ما حدثنا بهذا اي الذي تدعونا اليه
وتقوله من الرسالة عن الله تعالى في اباينا واشاروا
الى البدعة التي اضلت كثيرا من الخلق وهي تحكيم عوايد
التقليد لاسيما عند تقادمها على القواطع في قولهم الاولين
وقد كذبوا وافتروا لقد سمعوا بذلك على ايام يوسف
عليه السلام وما بالعهد من قدم فقد قال لهم الذي
امن يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب الى قوله
ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وما كذبوا

Copyright © King Saud University

وهم الكاذبون قال لهم موسى ربي اي المحسن الي
اعلم اي عالم بمن جا بالهدي اي الذي اذن الله
فيه وهو محق في نفسه من عنده فيعلم انه محق وانتم
مبطلون وقرا ابن كثير بغير واو قبل القاف لانه قال
جوابا لمقالهم والباقون بالواو لان المراد حكاية القولين
ليوازن الناظر بينهما ليميز صحيحهما من فاسدها
ومن تكون له اي لكونه منصورا مويدا عاقبة الدار
اي الراحة والسكن والاستقرار فان قيل العاقبة
المحمودة والمذمومة كلتاهما يصح ان يسما عاقبة
الدار لان الدنيا اما ان تكون خاتمتها خيرا وشرا
فلم اختصت خاتمتها بخير بهذه التسمية دون خاتمتها
بالشر اجيب بان الله تعالى قد وضع الدنيا
مجازا الي الاخرة واراد بعباده ان لا يعملوا فيها الا
الخير وما خلقهم الا لاجله خاتمة الخير واما عاقبة
السو فلا اعتداد بها لانها من نتايج تحويف
الفجار وقرا حمزة والكسائي باليا على التذكير
والباقون بالتا على التانيث ثم علل ذلك بما
اجرى الله تعالى به عادته فقال معلما بان المخذول
هو الكاذب اشارة الي انه الغالب لكون الله تعالى

معه

معه موكدا لما استقر في الانفس من ان القوي لا يغلبه
الضعيف انه لا يفلح اي يفوز الظالمون اي الكافرون
الذين يمشون كما يمشي هو في الظلمون بغير دليل وقال
فرعون جوابا لهذا الترغيب والترهيب يايها الملا
اي الاشراف معظما لهم استجلابا لقلوبهم ما علمت لكم من
اله غيري فتضمن كلامه نفي الهية غيره واثبات
الهية لنفسه فكانه قال ما لكم من اله غيري كما قال الله
تعالى قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في
الارض وما ليس فيهن وذلك ان العلم تابع
للموجود لا يتعلق به الا على ما هو عليه فاذا كان
الشي معدوما لم يتعلق به موجودا من ثم كان
انتفا وجوده وعبر عن انتفا وجوده بانتفا العلم
بوجوده ويجوز ان يكون على ظاهره واني لا اظنه
من الكاذبين واذا ظنه كاذبا في اثباته الها غيره
ولم يعلمه كاذبا فقد ظن ان في الوجود الها غيره
ولو لم يكن المخذول ظانا ظنا كاليقين بل عالما
بصحة قول موسى لقول موسى عليه السلام
له لقد علمت ما انزل هولا الا رب السموات والارض
بصاير ثم تسبب عن جهله قوله لوزيره

معمله صفة الاجر لانه اول من عمله قال عمر رضي الله
عنه حين سافر الى الشام وراي القصور المشيدة
بالاجر ما علمت ان احدا بنا بالاجر غير فرعون **فاوقد لي**
واضاف الايقاد اليه اعلاما بانه لا بد منه **يا هامان**
وهو وزيره **على الطين** اي المتخذ لبنا ليصير اجرا ثم
تسبب عن الايقاد قوله **فاجعل لي** اي منه **صرحا**
اي قصرا عاليا وقيل منارة وقال الزجاج هو كل
بناء متسع مرتفع **لعلي اطلع** اي تكلف
الطلوع **الى اله موسى** اي الذي يدعو اليه
فانه ليس في الارض احد بهذا الوصف الذي
ذكره فانا اطلبه في السما موهما لهم انه مما
يمكن الوصول اليه وهو قاطع بخلاف ذلك ولكنه
يقصد المدافعة من وقت الى وقت قال اهل
السير لما امر فرعون وزيره هامان ببنا الصرح
جمع العمال والفعلة حتى اجتمع خمسون الفا بنا
سوى الاتباع ومن يطبخ الاجر والجص وينجر
الخشب ويضرب المسامير فرفعوه وشيدوه حتى
ارتفع ارتفاعا لم يبلغه بنيان احد من الخلق
اراد الله تعالى ان يفتنهم فيه فلما فرغوا منه ارتقى
فرعون

فرعون فوقه فامر بنشابة فضرب بها نحو السما
فردت اليه وهي ملطخة دما فقال قد قتلت اله
السما موسى وكان فرعون يصعد على البراذين
فبعث الله تعالى جبريل عليه السلام فضرب
الصرح بجناحه فقطعه ثلاث قطع فوقع منها قطعة
على عسكر فرعون فقتلت منهم الف الف رجل و
وقعت قطعة في البحر وقطعة في المغرب ولم يبق احد
ممن عمل فيه بشي الا هلك ثم زادهم شكا بقوله
موكدا لاجل رفع ما استقر في الانفس من صدق موسى
عليه السلام **واني لاظنه** اي موسى عليه السلام
من الكاذبين اي دابه ذلك وقد كذب هو ولبس
ووصف اصدق اهل ذلك الزمان بصفة نفسه
العريقة في العدوان **واستكبر** اي واوجد الكبر
بغاية الرغبة فيه **هو** بقوله هذا الذي صدهم
به عن السبيل **وجنوده** اضدادهم لشدة رغبتهم
في الكبر على الحق والاتباع للباطل **في الارض** اي
ارض مصر قال البقاعي ولعله عرفها اشارة الى انه
لو قدر على ذلك في غيرها فعل **بغير الحق** اي بغير
استحقاق قال البقاعي والتعبير بالتعريف

يدل على ان التعظيم بنوع من الحق ليس بكبر وان كانت
صورته كذلك واما تكبره سبحنه وتعالى فهو بالحق
كله قال صلى الله عليه وسلم فيما حكاه عن ربه
الكبريا ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا
منهما القيته في النار وظنوا اي فرعون وجنوده
ظنوا ظنا بنوا عليه اعتقادهم في اصل الدين الذي
لا يكون الا بالقاطع انهم الينا اي الى حكمنا خاصة
الذي يظهر عند انقطاع السبب لا يرجعون بالنشور
وقرا نافع وحمزة والكسائي بفتح اليا وكسر الجيم
والباقون بضم اليا وفتح الجيم ولما تسبب عن ذلك
اهلاكهم قال تعالى فاخذناه وجنوده كلهم اخذ
قهر ونقمة وذلك علينا هين واشار تعالى الى
احتقارهم بقوله تعالى فنبذناهم اي طرحناهم
في اليم اي البحر المالح فغرقوا فكانوا على كثرتهم
وقوتهم كحصيات صغار قذفها الرامي الشديد
الدرس بيده في البحر ونحو ذلك قوله تعالى والقينا
فيها رواسي شامخات وقوله تعالى وحملت الارض
والجبال فدكتا دكة واحدة ولما تسبب هذه
الايات من العلوم ما لا تحيط به الفهوم قال
تعالى

تعالى فانظر ايها المتعرف بالايات الناظر فيها
نظر اعتبار كيف كان عاقبة اي اخر امر الظالمين
حين صاروا الى الهلاك تحذر قومك عن مثلها وفي
هذا اشارة الى ان كل ظالم تكون عاقبته هكذا
ان صابر المظلوم المحق ورابط حتى يحكم الله
وهو خير الحاكمين ولما كان من سن سنة حسنة كان
له اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيمة قال الله تعالى
وجعلناهم اي في الدنيا ايمة اي قدوة للضلال
بالحمل على الاضلال وقيل بالتسمية كقوله تعالى
وجعلوا الملايكة الذين هم عباد الرحمن اناثا او
بمنع الالطاف المصارفة عنه يدعون اي يوجدون
الدنيا لمن اغتر بحالهم فضل بضلالهم الى النار اي
الى موجباتها من الكفر والمعاصي واما ايمة الحق
فانما يدعون الى موجبات الجنة من فعل الطاعات
والنهي عن المنكرات جعلنا الله تعالى واحبابنا
منهم بمحمد واله ولما كان الغالب في حال الايمة
النصرة وكان قد اخبر عن خذلانهم في الدنيا قال
تعالى ويوم القيمة اي الذي هو يوم التغابن
لا ينصرون اي لا يكون نوع نصرة تدفع العذاب

عنهم **واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة** اي طردا عن الرحمة
ودعا عليهم بذلك من كل ما سمع خبرهم بلسانه ان
خالفهم او بفعله الذي يكون عليهم مثل وزره ان
وافقهم وانما قال الله تعالى الدنيا فلم يقل الحياة
قال البقاعي لان السياق لتحقير امرهم ودناءة شانهم
ويوم القيمة هم اي خاصة ومن شاكلهم **من
المقبوحين** اي المبعدين ايضا المخزيين مع قبح
الوجوه والاشكال والشناعة في الاقوال والافعال
والاحوال من القبح الذي هو ضد الحسن من
قولهم قبح الله العدو ابعده عن كل خير وقال ابو
عبيدة من المهلكين قال البقاعي فيا ليت شعري
اي صراحة بعد هذا ان فرعون عدو الله في الاخرة
كما كان عدو الله في الدنيا فلعنة الله على من يقول
انه مات مومنا وانه لا صراحة في القران بانه
من اهل النار وعلى من يشك في كفره بعد ما
ارتكبه من جلي امره انتهى وقد قدمت الكلام
في سورة يونس على قول فرعون وانا من
المسلمين ثم انه تعالى اخبر عن اساس امامة
بني اسراييل مقسما عليه مع الافتتاح بحرف
التوقع

التوقع بقوله **ولقد آتينا** اي بما لنا من الجلال والكمال
موسى الكتاب اي التوراة الجامعة للهدي والخير في
الدارين قال ابو حيان وهو اول كتاب نزلت فيه الفرا يض
والاحكام **من بعد ما اهلكنا القرون الاولى** اي من قوم
نوح الى قوم فرعون وقوله تعالى **بصاير للناس**
حال من الكتاب جمع بصيرة وهو نور القلوب
فيبصر بها الحقايق ويميز بها بين الحق والباطل
كما ان البصر نور العين الذي تبصر به **وهدى** اي
للعامل الى كل خير **ورحمة** اي نعمة هنية شريفة
لانها قايدة اليها ولما ذكر حالها ذكر حالهم بعد انزالها
بقوله تعالى **لعلهم يتذكرون** اي ليكون حالهم حال
من يرجى تذكره ثم ان الله تعالى خاطب نبيه صلى
الله عليه وسلم بقوله تعالى **وما كنت** اي يا افضل
الخلق **بجانب الغربي** قال قتادة بجانب الجبل
الغربي وقال الكلبي بجانب الوادي الغربي اي
الوادي من الطور الذي راى موسى عليه السلام
فيه النار وهو ما يلي البحر منه من جهة
الغرب على يمين المتوجه الى ناحية مكة المشرفة
من ناحية مصر فنادى فيه العزيز الجبار

Copyright © King Saud University

وهود وطوى اذ اي حين قضينا اي اوحينا الى موسى
الامر اي امر الرسالة الى فرعون وقومه وما
يريد ان يفعل من ذلك في اوله واثنايه واخره
مجملا فكان كلما اخبرنا به مطابقا تفضيله لاجماله
وماكنت اي بوجه من الوجوه من الشاهدين
لتفاصيل ذلك الامر الذي اجملناه لموسى عليه
السلم حتى تخبر كله على هذا الوجه الذي
اتيناك به في هذه الاساليب المعجزة ولا تشك
ان معرفتك لذلك من قبيل الاخبار عن
المغيبات التي لا تعرف الا بالوحي وكذلك استدرك
عنه بقوله تعالى ولكنا اي بما لنا من العظمة
انشانا اي ما اهلكنا اهل ذلك اي زمان
الذين حملوا هذه الامور بالمشاهدة وهم السبعون
المختارون للميقات او بالاخبار كلهم قرونا اي
امما كثيرة بعد موسى عليه السلام فتطاول
اي بمرور وعلوم عليهم العمر اي ولكنا اوحينا
اليك لانا انشانا قرونا مختلفة بعد موسى
فتطاولت عليهم المدد فنسوا العهود واندرست
العلوم وانقطع الوحي فحذف المستدرك
وهو

وهو اوحينا واقام سببه وهو الانشا مقامه لم انشا
على عادة الله تعالى في اختصاراته فهذا الاستدراك
شبيه بالاستدراكين بعده فان قيل ما فايدته
في اعادة قوله تعالى وماكنت من الشاهدين
بعد قوله تعالى وماكنت بجانب الغربي لانه ثبت
بذلك انه لم يكن شاهدا لان الشاهد لا بد ان
يكون حاضرا اجيب بان ابن عباس قال
التقدير لم يحضر ذلك الموضع ولو حضرت ما
شاهدت تلك الوقايع فانه يجوز ان يكون
هناك ولا يشهد ولا يرى وقرا ابو عمرو في
الوصل بكسر الها والميم وحمزة والكساي بضم
الها والميم وحمزة في الوقف بضم الها وسكون
الميم والباقون في الوصل بكسر الها وضم الميم
ولما نفي العلم عن ذلك بطريق الشهود نفي سبب
العلم بذلك بقوله تعالى وماكنت ثاويا اي مقيما
اقامة طويلة مع الملازمة بمدين في اهل مدين
اي قوم شعيب عليه السلام كمقام موسى
عليه السلام وشعيب فيهم تتلوا اي تقرا
عليهم تعلما منهم اياتنا العظيمة التي منها

Copyright © King Saud University

قصتهم لتكون ممن ينهم باسور الوحي وبتعرف
دقيق اخبارهم فيكون خبرهم وخبر موسى عليه
السلام معك **وكنا لكنا مرسلين** اياك رسولا وانزلنا
عليك كتابا فيه هذه الاخبار تتلوها عليهم ولولا
ذلك ما علمتها ولم تخبرهم بها **وما كنت بجانب الطور**
اي بناحية الجبل الذي كلم الله تعالى عليه
موسى **اذ** اي حين **ناديناً** اي اوقعنا الندا
لموسى عليه السلام فاعطيناه التوراة واخبرناه
بما لا يمكن الاطلاع عليه الا من قبلنا او قبله
ومن المشهور انك لم تطلع على شي من ذلك
من قبله لانك ما خالطت احدا ممن حمل تلك
الاخبار عن موسى عليه السلام ولا احدا
حملها ممن حملها عنه ولكن كان ذلك اليك منا
وهو معنى قوله تعالى **ولكن** اي انزلنا ما
اردنا وارسلناك به **رحمة من ربك** لك خصوصا
وللخلق عموما وقيل اذ نادينا موسى خذ
الكتاب بقوة وقال وهب قال موسى
يا رب ارني محمدا قال انك لن تصل الى ذلك
وان شئت ناديت امته واسمعتك صوتهم
قال

قال بلى يا رب قال الله تعالى يا امة محمد
فاجابوه من اصلاب الاباء وارحام الامهات لبيك
اللهم لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك
قال الله تعالى يا امة محمد ان رحمتي سبقت غضبي
وعفوي عقابي قد اعطيتكم قبل ان تسالوني وقد
اجبتكم من قبل ان تدعوني وقد غفرت لكم من قبل
ان تستغفروني من جاء يوم القيمة بشهادة ان لا
اله الا الله وان محمدا عبدي ورسولي دخل الجنة ولو
كانت ذنوبه اكثر من زبد البحر تنبيه قال البيضاوي
لعل المراد به اي بقوله تعالى وما كنت بجانب
الطور اذ نادينا وقت ما اعطاه التوراة وبالاول
اي بقوله تعالى وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا
حيث استنباه لانهما المذكوران في القصة وقوله
تعالى **لتنذر** اي لتحذر تحذيرا كثيرا **قوما** اي اهل
قوة وجد ليس بهم عايق عن اعمال الخير العظيمة
الا الاعراض عنك وهم العرب ومن في ذلك الزمان
من الخلق يتعلق بالفصل المحذوف **ما اتاهم** وعم
النفي بزيادة الجار في قوله تعالى **من نذير**
وزيادة الجار في قوله تعالى **من قبلك** بدل

Copyright © King Saud University

علي الزمن القريب وهو زمن الفترة بينه وبين
عيسى عليه الصلاة والسلام وهو خمسماية
وخمسون سنه ونحو هذا قوله تعالى لتنذر
قوما ما انذر اباوهم وقيل ليس المراد من
زمن الفترة بل ما بينه وبين اسمعيل عليهما
السلام على ان دعوة موسى وعيسى كانت
مختصة ببني اسرائيل وعاحولهم لعلهم يتذكرون
اي يتعظون ولولا ان تصيبهم اي في كل وقت
من الاوقات مصيبة اي عظيمة بما قدمت ايديهم
من المعاصي التي قضينا بانها مما لا يعفى عنه
فيقولوا ربنا اي ايها المحسن الينا لولا اي هلا
ولم لا ارسلت الينا اي على وجه التشريف لنا
لنكون على علم بانا ممن يعتني الملك الاعلى به
رسولا واجاب التخصيص الذي يشبه الامر
ليكون كل منهما باعثا على الفعل بقوله تعالى
فنتبع اي فتسبب عن ارسال رسولك ان
نتبع اياتك ونكون اي كونا هو في غاية الرسوخ
من المومنين اي المصدقين لك في كل ما اتي به
عنك

عنك رسولك تنبيه لولا الاولى امتناعية
وجوابها محذوف تقديره كما قال الزجاج
وما ارسلنا اليهم رسولا يعني ان الحامل على
ارسال الرسل ازاحة عللهم بهذا القول فهو
كقوله تعالى لئلا يكون للناس على الله حجة
بعد الرسل والثانية تخصيصه فنتبع جوابه
كما مر فلذلك نصب باضمار ان فان قيل
كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة
هي السبب لا القول لدخول حرف الامتناع
عليه دونه اجيب بان القول هو
المقصود بان يكون سببا للارسال ولكن
العقوبة لما كانت هي السبب للقول وكان
وجوده بوجودها جعلت العقوبة كانها سبب
للارسال بواسطة القول فادخلت عليها
لولا وجي بالقول معطوفا عليها بالفا المعطية
معنى السببية ويوول معناه الى قولك ولولا
قولهم هذا اذا اصابتهم مصيبة لما ارسلنا
ولكن اخترت هذه الطريقة لنكتة وهي انهم
لو لم يعاقبوا مثلا على كفرهم وقد عاينوا

ما الجوابه الى العلم اليقيني ببطلان لانهم لم
يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا بل انما يقولون
اذا نالهم العقاب وانما السبب في قولهم هذا
هو العقاب لا غير لا التاسف على ما فاتهم
من الايمان بخالقهم وهو قوله تعالى ولو ردوا
لعادوا لما نهوا عنه ولما كان التقدير ولكنا
ارسلناك بالحق لنقطع حجتهم هذه بني عليه
فلما جاءهم اي اهل مكة الحق اي الذي هو اعم من
الكتاب والسنة وما يقاس عليهما وهو في
نفسه جدير بان يقبل لكونه في ذروة العليا
من الثبات فكيف وهو من عندنا على ما لنا
من العظمة وهو على لسانك وانت اعظم
الخلق قالوا اي اهل الدعوة من العرب وغيرهم
تعنتا كفرا به لولا اي هلا ولم لا اوتي اي هذه
الاتي بما يزعم انه الحق من الايات مثل ما اوتي
موسى من الايات كاليد البيضا والعصا و
غيرهما من كون الكتاب انزل عليه جملة واحدة
قال الله تعالى اولم يكفروا اي العرب ومن بلغته
الدعوة من بني اسرايل ومن كان مثلهم في

البشرية

في البشرية والعقل في زمن موسى بما اوتي
موسى عليه السلام من قبل اي من قبل
مجي الحق على لسان محمد صلى الله عليه وسلم
فلما كان كانه قد قيل ما كان كفرهم به قيل قالوا
اي فرعون وقومه ومن كفر من بني اسرايل
ساحران اي موسى واخوه عليهما السلام
تظاهرا اي اعان كل منهما صاحبه على سحره
حتى صار سحرهما معجزا فغلبنا جميع السحرة
وتظاهر الساحرين من تظاهر السحرين على
قراة الكوفيين بكسر السين وسكون الحا
وقرا الباقون بفتح السين وكسر الحا والف بينهما
تنبيه يجوز ان يكون الضمير لمحمد وموسى
عليهما السلام قال البقاعي وهو اقرب
وذلك لانه روي ان قريشا جات الى يهود
تسالهم فسالوهم عن محمد صلى الله عليه
وسلم فاخبروهم ان نعته في كتابهم فقالوا
هذه المقالة فيكون الكلام استينافا جواب
من كانه قال ما كان كفرهم بها فقيل قالوا اي
العرب الرجلان ساحران اوالكتابان

ساحران ظاهر احدهما الاخر مع علم كل ذي لب
ان هذا القول زيف لانه لو كان شرط اعجاز
السحر التظاهر لكان سحر فرعون اعجز اعجاز
لانه تظاهر عليه جميع سحرة بلاد مصر وعجزوا
عن معارضة ما اظهر موسى عليه السلام من
اياته كالعصى واما محمد صلى الله عليه وسلم
فقد دعا اهل الارض من الجن والانس الى
معارضة كتابه واخبرهم انهم عاجزون ولو
كان بعضهم لبعض ظهيرا فعجزوا عن اخرهم ولما
تضمن قولهم ذلك الكفر صرح به **وقالوا** اي
كفار قريش **انا بكل** اي من الساحرين او السحرين
اللذين تظاهرا بهما وهما ما اتيا به من عند الله
كافرون جراة على الله تعالى وتكبرا على الحق ثم قال
تعالى **قل** اي لهم الزاما ان كنتم صادقين في اني ساحر
وكتابي سحر وكذلك موسى عليه السلام **فاتوا**
بكتاب من عند الله اي الملك الاعلى **هو** اي الذي
تاتوا به **اهدى منهما** اي من الكتابين وقوله
اتبعه اي واتركهما جواب الامر وهو فاتوا
ان كنتم اي ايها الكفار **صادقين** اي فانا سحران

فاتوا

فاتوا بما الزمتكم به قال البيضاوي وهذا
من الشروط التي يراد به الالزام والتبكيت ولعل
مجي حرف الشك للتهكم بهم **فان لم يستجيبوا لك**
اي دعاك الى الكتاب الاهدى فحذف المفعول للعلم
به ولان فعل الاستجابة يتعدى بنفسه الى الدعا
وباللام الداعي فاذا عدي اليه حذف الدعا غالبا
كقول القايل
وداع اي ورب داع دعا يا من يجيب الى الندا
فلم يستجبه عند ذاك مجيب الشاهد في
يستجبه حيث عداه الى الداعي وحذف الدعا
والتقدير فلم يستجب دعاه **فاعلم انما**
يتبعون اي بغاية جهدهم فيما هم عليه من الكفر
والتكذيب **اهواهم** اي دايما واكثر الهوى
مخالف للهدى فهم ظالمون غير مهتدين بل هم
اضل الناس وذلك معنى قوله تعالى **ومن اضل**
ممن اتبع اي بغاية جهده **هواه** اي لا احد اضل
منه فهو استفهام بمعنى النفي وقوله تعالى
بغير هدى من الله في موضع الحال للتوكيد
والتقييد فانه هو النفس قد يوافق الهدى

Copyright © King Saud University

ان الله لا يهدي القوم الظالمين اي وان كانوا
الناس لاتباعهم اهواهم ولقد وصلنا قال ابن عباس
بينا وقال الفرا انزلنا ايات القران يتبع بعضها
بعضا لهم اي خاصة فكانت تخصيصهم بذلك
منة عظيمة يجب عليهم شكرها القول اي القران
قال مقاتل بينا لكفار مكة بما في القران من
اخبار الامم الخالية كيف عذبوا بتكذيبهم وقال
ابن زيد وصلنا لهم خير الدنيا بخير الاخرة حتى
كانهم عاينوا الاخرة في الدنيا لعلهم يتذكرون
اي ليكون حالهم حال من يرجى لهم ان يرجعوا الى عقولهم
فيجدوا فيما طمع فيها ما يذكرهم بالحق ثم كانه
قيل هل تذكر منهم احد قيل نعم اهل الكتاب
الذين هم اهله حقا تذكروا وذلك معنى قوله
تعالى الذين اتيناهم الكتاب من قبله اي القران
وقيل محمد صلى الله عليه وسلم هم به اي بما تقدم
يومنون ايضا نزلت في جماعة اسلموا من اليهود
عبد الله بن سلام واصحابه وقال مقاتل هم
اهل الانجيل الذين قدموا من الحبشة وامنوا
بالنبي صلى الله عليه وسلم وقال سعيد بن
جبير

جبير هم اربعون رجلا قدموا مع جعفر من
الحبشة على النبي صلى الله عليه وسلم فلما راوا
ما بالمسلمين من الخصاصة قالوا يا نبي الله ان لنا
اموالا فان اذنت لنا انصرفنا فجينا باموالنا
فواسينا بها المسلمين فاذن لهم فانصرفوا
فاتوا باموالهم فواسوا بها المسلمين فنزل ذلك
الى قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون واذا يتلى
اي يتجدد تلاوة القران عليهم قالوا اي مبادرين
امنا به ثم عللوا ذلك بقولهم انه الحق اي الكامل
الذي ليس وراه الا باطل مع كونه من ربنا اي المحسن
الينا ثم عللوا مبادرتهم بقولهم انا كنا من قبله
اي القران مسلمين اي منقادين غاية الانقياد
مخلصين لله بالتوحيد مومنين بمحمد صلى الله
عليه وسلم انه نبي حق اوليك اي العالوا
الرتبة يوتون اجرهم مرتين اي لايمانهم به غيبا
وشهادة اي بالكتاب الاول ثم بالكتاب
الثاني بما صبروا اي بسبب صبرهم على دينهم
وقال مجاهد نزلت في قوم من اهل الكتاب
امنوا فاوذوا وعن ابي بردة عن ابي موسى

Copyright © King Saud University

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة
يوتون اجرهم مرتين رجل كانت له جارية فادبها
فاحسن ادبها ثم اعتقها وتزوجها ورجل كان من
اهل الكتاب امن بكتابه وامن بمحمد صلى الله عليه
وسلم واعبد احسن عبادة الله ونصح سيده
ولما كان الصبر لايتم الابالاتصاف بالمحاسن
والانخلاع من المساوي قال تعالى عاطفا
على يومنون مشيرا الى تجديد هذه الافعال
كل حين ويدروث اي يدفعون بالحسنة من
الاقوال والافعال السيية اي فيمحونها بها وقال
ابن عباس يدفعون بشهادة ان لا اله الا الله
الشرك وقال مقاتل يدفعونها ما سمعوا من
الاذى والشتم من المشركين بالصفح والعفو
ومما رزقناهم اي بعظمتنا لا بحول منهم ولا قوة
قليلا كان او كثيرا ينفقون اي يتصدقون
معتمدين في الخلف على الذي رزقه ولما ذكر ان
السماح مما تصف النفوس به من فضول
الاموال من امارات الايمان اتبعه ان خزن
ما تبذله الانفس من فضول الاقوال من
علامات

علامات العرفان بقوله تعالى واذا سمعوا اللغو
اي ما لا ينفع في دين ولا دنيا من شتم وتكذيب
وتعيير ونحوه اعرضوا عنه تكرما عن الخفا وقيل
اللغو القبيح من القول وذلك ان المشركين كانوا
يسبون مومني اهل الكتاب ويقولون لهم تبا
لكم تركتم دينكم فيعرضون عنهم ولا يردون عليهم
وقالوا وعظا وتسميعا القايلة لنا خاصة اعمالنا
لا نطالب بشي منها فنحن لا نشتغل بالرد عليكم
سلام عليكم متاركة لهم وتوديعا ودعا لهم
بالسلامة عما هم فيه لا سلام تحية واكرام
ونظير ذلك واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما
اكد ذلك بقوله تعالى حاكيا عنهم لا نبتغي اي لا
نكلف انفسنا ان نطلب الجاهلين اي نريد
شيا من احوالهم ولا من اقوالهم او غير ذلك من
خلالهم وقيل لا نريد ان نكون من اهل
الجهل والسفه وقيل نسخ ذلك الامر
بالامر بالقتال وهو بعيد لان ترك المسافهة
مندوب وان كان القتال واجبا ونزل في
حرصه صلى الله عليه وسلم على ايمان عمه

Copyright © King Saud University

ابي طالب انك لا تهدي من احببت اي لنفسه
وهدايته بخلق الايمان في قلبه روي سعيد بن
المسيب عن ابيه انه قال لما حضرت اباطالب
الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فوجد عندها باجهل وعبد الله بن ابي امية بن
المغيرة فقال اي عم قل لا اله الا الله كلمة احاج لك
بها يوم القيمة عند الله فقال ابو جهل وعبد الله
ابن امية اترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل
صلى الله عليه وسلم يعرضها ويعيدانه بتلك
الكلمة حتى قال ابو طالب اخر ما كلمهم هو على
ملة عبد المطلب وابى ان يقول لا اله الا الله
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله
لاستغفرن لك ما لم انه عن ذلك فانزل الله
سبحانه وتعالى ما كان للنبي والذين امنوا
ان يستغفروا للمشركين وانزل الله تعالى
في ابي طالب فقال لرسول الله صلى الله عليه
وسلم انك لا تهدي من احببت الاية وفي مسلم
عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
امره بالتوحيد فقال له لولا ان تعيرني
نسا

نساء قريش تقول انما حمله على ذلك الجزع لاقررت
بها عينك فانزل الله تعالى الاية وروي ان
اباطالب قال عند موته يا معشر بني هاشم طيعوا
محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال النبي
صلى الله عليه وسلم يا عم تامرهم بالنصيحة
لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن
اخي قال اريد منك كلمة واحدة فانك في اخر
يوم من الدنيا تقول لا اله الا الله اشهد لك
بها عند الله قال يا ابن اخي قد علمت انك صادق
ولكني اكره ان يقال جزع عند الموت ولولا ان
تكون عليك وعلى بني ابيك غضاضة وسبة
بعدي لقلتها ولا قررت بها عينك عند الفراق
لما ارى من شدة وجدك ونصيحتك ولكني
سوف اموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وعبد
مناف فان قيل قال الله تعالى في هذه الاية
انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشا
وقال تعالى في اخر اية وانك لتهدي الى صراط
مستقيم لحبسه انه لا تنافي بينهما فان الذي
اثبته واضاف اليه الدعوة والذي نفى عنه

عنه هداية التوفيق وشرح الصدور وهو نور
يقذف في القلب فيحيى به القلب كما قال تعالى
اومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي
به في الناس وهو اعلم اي عالم بالمهتدين اي الذين
هياهم لتطلب الهدى عند خلقه لهم سواء كانوا
من اهل الكتاب او من العرب اقارب كانوا ام اباعد
ثم حكى الله تعالى عن كفار قريش شبهة
تتعلق باحوال الدنيا بقوله تعالى وقالوا ان
نتبع الهدى اي الاسلام فنوحد الله تعالى من
غير اشراك معك ونشتغل ما انت عليه من
مخالفة الناس نتخطف اي يسرع خاطف ارادنا
لانا نصير قليلا نحو كثير من غير نصير من ارضنا
كما تتخطف العصافير لمخافة كافة العرب لنا
وليس لنا نسبة الى كثرتهم ولا قوتهم فيسرعوا
الينا فيتخطفونا اي يقصدون يتخطفنا واحدا
واحدا فانه لا طاقة لنا على ادامة الاجتماع
وان لا يشذ بعضنا عن بعض قال المبرد
والخطف الانتزاع بسرعة نزلت في الحارث بن
نوفل بن عبد مناف قاله للنبي صلى الله
عليه

عليه وسلم انا لانعلم ان الذي تقوله حق ولكنا
ان اتبعناك على دينك وخالفنا العرب بذلك
وانما نحن اكلة راس خفنا ان تخرجنا العرب من
ارضنا مكة ثم رد الله تعالى عليهم هذه الشبهة
والقمهم الحجر بقوله تعالى اولم نمكن اي غاية التمكين
لهم اي في اوطانهم ونجعل سكناهم عالنا من الغدر
حرما امنا اي ذا امن يامن فيه كل خائف حتى الطير
من كواسرها والوحش من جوارحها حتى ان سيل
الحل لا يدخل الحرم بل اذا وصل اليه عدل عنه
وروي ان مكة كانت في الجاهلية لا تعرضها
ظلما ولا بغيا ولا يبغي فيها احد الا اخرجته
وكان الرجل يلقى قاتل ابيه وابنه فيها فلا
يهيجه ولا يتعرض له بسوء وروى الازرقي في
تاريخ مكة عن حويطب بن عبد العزى قال
كان في الكعبة حلق يدخل الخائف فيها يده
فلا يريبه احد فجاء خائف ليدخل يده فاجتذب
به رجل فشلت يده فلقد رايته في الاسلام
وانه لاشل وعن ابن عباس قال اخذ رجل
ذود ابن عم له فاصابه في الحرم فقال ذودي

Copyright © King Saud University

فقال اللص كذبت قال فاحلف فحلف عند المقام
فقال رب الذود بين الركن والمقام باسطا يديه
يدعو فما برح من مقامه يدعوا حتى ذهب عقل
اللص وجعل يصيح بمكة وللذود مالي ولفلان
رب الذود فبلغ ذلك عبد المطلب فجمع الذود و
دفعه الى المظلوم فخرج به وبقي الاخر حتى وقع
من جبل فتردى فاكلته السباع وعن ابن جريج
ان عير القريش من العرب كانوا يطوفون
بالبيت عراة الى ان اعارتهم قريش ثيابا بالجبات
امراة لها جمال فطافت عريانة فراها رجل
فاعجبته فدخل فطاف الى جنبها فادنى عضده
من عضدها فالتزقت عضده بعضدها
فخرجا من المسجد هاربين فزعين على وجوههما
لما اصابهما من العقوبة فلقيهما شيخ من
قريش فافتاهما ان يعودا الى المكان الذي
اصابا فيه الذنب فيدعوان ويخلصان
اعضاوهما فذهب كل واحد منهم في ناحية
وعن عبد العزيز بن رواد ان قوما انتهوا الى
ذي طوى فاذا ظبا قد دنا منهم فاخذ
رجل

رجل منهم بقايمة من قوايمه فقال له اصحابه
ويحك ارسله فجعل يضحك وابى ان يرسله
فبعر الظبي وبال ثم ارسله فناموا في
القايلة ثم انتبهوا فاذا بحية مطوقة على بطن
الرجل الذي اخذ الظبي فلم تنزل الحية منه
حتى كان منه من الحدث مثل ما كان من الظبي
وعن مجاهد قال دخل قوم مكة تجارا من
الشام في الجاهلية فنزلوا ذا طوى فاختبزوا ملة
لهم ولم يكن معهم ادام فرمى رجل منهم ظبية من
ظبا الحرم وهو حولهم ترتعي فقاموا اليها
فسلخوها وطبخوها ليأتدموا بها فبينما
قدرهم على النار يغلي لحمها اذ خرجت من تحت
القدر عنق من النار عظيمة فاحرقت
القوم جميعا ولم تحرق ثيابهم ولا امتعتهم
وعن ايوب ابن موسى ان امراة في الجاهلية
كان معها ابن عم لها صغير فقالت يا بني اني
اغيب عنك واني اخاف ان يظلمك احد
فان جاءك ظالم بعدي فان لله بمكة بيتا
سيمنعك فجاه رجل فذهب به فاسترقه

Copyright © King Saud University

فلما راي الغلام البيت عرف الصفة فنزل يشتد
حتى تعلق بالبيت فجاه سيده فمد يده
اليه ليا خذه فيبست يده فمد الاخرى فيبست
فاستفتى فافتي ان ينحر عن كل واحدة من يديه
بدنه ففعل فاطلقت يداه وترك الغلام
وخلى سبيله وعن ربيع بن سالم الكلاعي
ان رجلا من كنانه بن هذيل ظلم بن عم له فخوفه
بالدعا في الحرم في الشهر الحرام فقال اللهم اني ادعوك
جاهدا مضطرا على ابن عمي فلان ترميه بداء
لا دواله ثم انصرف فجا ابن عمه فوجده قد رمي
في بطنه فصار مثل الزق فما زال ينتفخ حتى
انشق وعن عمر رضي الله عنه انه سال
رجلا من بني سليم عن ذهاب بصره
فقال يا امير المومنين كنا بني ضبعا عشرة
وكان لنا ابن عم فكنا نظلمه فكان
يذكرنا بالله وبالرحم فلما راي انا لا نكف عنه
انتهى الى الحرم في الاشهر الحرم فجعل يرفع
يديه ويقول اللهم ادعوك دعا جاهدا
اقتل بني الضبعا الا واحدا ثم اضرب الرجل
ودعه

ودعه قاعدا اعمى اذا قيد يعني القايد ا
قال فمات اخوتي التسعة في تسعة
اشهر في كل شهر واحد وبقيت انا فعميت
ورماني الله عز وجل في رجلي فليس
بلايمني قايد فقال عمر جعل الله هذا في
الجاهلية اذ لا دين حرمة حرمها وشرفها
ليحجز الناس عن انتهاك حرمات الله بمخافة
تعجيل العقوبة فلما جا الدين صار التوعد
للساعة ويستجيب الله تعالى لمن يشا
واتقوا الله وكونوا مع الصادقين وانما اكثرت
من هذه الحكايات ليكون الداخل للحرم على
حذر فان الله تعالى حماه ومكن اهله في الحرم
الذي امنه بحرمة البيت وامن قطانه بحرمته
وكانت العرب في الجاهلية حولهم يتغاورون
ويتشاجرون وهم امنون في حرمهم لا يخافون
وبحرمة البيت هم قارون بواد غير ذي زرع
والثمرات والارزاق تجبى اليهم كما قال تعالى يجبى
اي تجبى وتجمع وتحمل اليه اي خاصة دون
غيره من جزيرة العرب ثمرات كل شي من النبات

التي بارض العرب من ثمر البلاد والحاره كالبسر
والرطب والنبق والبارده كالعنب والتفاح
والرمان والخوخ فاذا خولهم الله تعالى
ما خولهم من الامن والرزق بحرمة البيت
وحدها وهم كفرة عبدة الاصنام فكيف
يستقيم ان يعرضهم للخوف والتخطف ويسلبهم
الامن اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة الاسلام
واسناد الامن الى اهل الحرم حقيقة والى
الحرم مجاز تنبيه معنى الكلية هنا
الكثرة كقوله تعالى واوتيت من كل شي ولكن
في تعبيره بالمضارع وما بعده اشارة الى
الاستمرار وانه ياتي اليه بعد ذلك من كل
ما في الارض من المال ما لم يخطر لاحد منهم
في بال وقرا نافع بالتا الفوقية والباقون
بالياء التحتية واما لحمزة والكساي
محضة وورش بالفتح وبين اللفظين
والباقون بالفتح ثم انه تعالى بين ان الرزق
من عنده بقوله تعالى **رزقا من لدنا** اي فلا
صنع لاحد فيه بل هو محض تفضل تنبيه

انتصاب

انتصاب رزقا على المصدر من معنى يجبى والحال
من ثمرات لتخصصها بالاضافة كما تنصب عن
النكرة المخصصة وان جعلته اسما للمرزوق انتصب
على الحال من ثمرات **ولكن اكثرهم** اي اهل مكة وغيرهم
ممن لا هداية له **لا يعلمون** اي ليس لهم قابلية للعلم
حتى يعلموا انا نحن الفاعلون لذلك بل هم جهلة
لا يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا وقيل انه
متعلق بقوله تعالى من لدنا اي قليل منهم يتدبرون
فيعلمون ان ذلك رزق من عند الله اذ لو
لو علموا لما خافوا غيره ثم بين تعالى ان الامر
بالعكس فانهم احقا بان يخافوا من باس الله تعالى
على ما هم عليه بقوله تعالى **وكم اهلكنا من قرية**
اي من اهل قرية واسند الى سبب الاهلاك بقوله
تعالى **بطرت معيشتها** اي وقع منها البطر في زمن
عيشها الرخي الواسع فكان حالهم كحالهم في الامن
وادرار الرزق فلما بطروا معيشتهم اهلكناهم
ومعنى بطرهم لها قال عطا انهم اكلوا رزق الله
وعبدوا غيره وقيل البطر سوء احتمال الغنى
وهو ان لا يحفظ حق الله تعالى فيه تنبيه

انتصاب معيشتها اما بحذف الجار واتصال الفعل
كما في قوله تعالى واختار موسى قومه او بتقدير
حذف حرف الزمان اصله بطرت ايام معيشتها
واما بتضمين بطرت معنى كفرت او خسرت
او على التمييز او على التشبيه بالمفعول به وهو
قريب من سفه نفسه فتلك مساكنهم خاوية
لم تسكن من بعدهم بعد ان طال ما تعالوا فيها
وعمقوها وزخرفوها وزفروا فيها الابكار وفرحوا
بالاعمال الكبار الا سكونا قليلا قال ابن عباس
لم يسكنها الا المسافرون ومار الطريق او ساعة
من ليل او نهار ثم تصير بنا باموحشة
كالقفار بعد ان كانت ممتنعة الفنا ببيض
الصفاح وسمر القنا قال الزمخشري ويحتمل ان
شوم معاصي المهلكين بقي اثره في ديارهم
فكل من سكنها من اعقابهم لم يبق فيها الا
قليلا وكنا اي ازلا وابدا نحن لا غيرنا الوارثين
منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرف تصرفهم في
ديارهم وساير متصرفاتهم قال القايل
تتخلف الاثار عن اصحابها حينا فيدركها الفنا فتتبع

وما

وما كان ربك اي المحسن اليك بالاحسان بارسالك
الى الناس مهلك القرى اي هذا الجنس كله بجرم
وان عظم حتى يبعث في امها اي اعظمها واشرفها
رسولا لان غيرها تبع لها ولم يشترط كونه من
امها فقد كان عيسى عليه السلام من الناصرة
وبعث الى بيت المقدس يتلوا عليهم اي اهل القرى
كلهم اياتنا الدالة على ما ينبغي لنا من الحكمة وبما لنا
من الاعجاز على نفوذ الكلمة وباهر العظمة الزاما
للحجة وقطعا للمعذرة لئلا يقولوا ربنا لولا
ارسلت الينا رسولا ولذلك لما اردنا عموم
الخلق بالرسالة جعلنا الرسول وهو محمد صلى
الله عليه وسلم خاتم الانبيا من ام القرى كلها
وهي مكة البلد الحرام وما كنا مهلكي القرى
اي كلها بعد الارسال الا واهلها ظالمون اي
غريقون في الظلم بالعصيان بترك ثمرات الايمان
وتكذيب الرسل وما اوتيتم من شي من اسباب
الدنيا فمتاع اي فهو متاع الحياة الدنيا وليس
يعود نفعه الى غيرها وهو الى فناء وان
طال زمنه التمتع به وزينتها اي هو زينة

Copyright © King Saud University

الحياة الدنيا التي هي كلها وفضلا عن زينتها
الي فنا فيلستاهي ولاسي بازلي ولا ابدي
وما عند الله اي الملك الاعلي وهو ما لا عين
رات ولا اذن سمعت **خير** علي تقدير مشاركة
ما في الدنيا فالخيرة في ظنكم لان الذي عنده
اطيب واكثر واشهي وازهي **و** هو مع ذلك
كله **ابقي** اي لانه وان تشارك متاع الدنيا فانه
لم يكن ازليا فهو ابدي وهذا جواب عن
شبهتهم فانهم قالوا تركنا الدين لئلا تفوتنا
الدنيا فبين تعالي ان ذلك خطا عظيم لان ما
عند الله خير وابقي من وجهين الاول ان
المنافع هناك اعظم والثاني انها خالصة
عن الشوايب ومنافع الدنيا مشوبة بالمضار
بل المضار فيها اكثر واما انها ابقي فلانها دايمة
غير منقطعة ومن قابل التناهي بغير المتناهي
كان عدما فظهر بهذا ان منافع الدنيا
لا نسبة لها الي منافع الاخرة فلا جرم نبه
علي ذلك بقوله تعالي **افلا يعقلون** ان الباقي
خير من الفاني فيستبدلون الذي هو ادنى

بالذي

بالذي هو خير فمن لم يرجح منافع الاخرة علي منافع
الدنيا كان يكون خارجا عن حد العقل قال
ابن عادل ورحم الله الشافعي حيث قال
من وصى بثلث ماله لاعقل الناس صرف ذلك
الثلث الي المشتغلين بطاعة الله تعالي لان
اعقل الناس من اعطى القليل واخذ الكثير
وما هم الا المشتغلين بالطاعة فكانه رحمه الله
تعالي انما اخذه من هذه الاية اه وقرا ابو عمرو
باليا وهو ابلغ في الموعظة لاشتماله علي الالتفات
للاعراض بهم عن خطابهم والباقون بالتاء علي
الخطاب جريا علي ما تقدم **افمن وعدناه** علي
عظمتنا في الغنى والقدرة والصدق **وعدا
حسنا** لا شي احسن منه من موافقته للامنية
وبقايه وهو الجنة فان حسن الوعد بحسن
الموعود ولذلك سمى الله تعالي الجنة الحسنى
فهو لاقيه اي مدركه لامتناع الخلف في وعده
ولذلك عطفه بالفا المعطية معنى السببية
كمن متعناه متاع الحياة الدنيا اي الذي هو
مشوب بالالام مكدر بالمتاع متعقب

Copyright © King Saud University

للتحسر على الانقطاع وعن ابن عباس ان الله تعالى
خلق الدنيا وجعل اهلها ثلاثة اصناف المومن
والمنافق والكافر فالمومن يتزود والمنافق
يتزين والكافر يتمتع ثم هو مع ذلك كله يوم
القيمة الذي يوم التغابن من خسر فيه لم
يربح اصلا من المحضرين اي للمقهورين على الحضور
او المكان يود لو افتدى منه بملا الارض ذهبا
لم يقبل منه قال قتادة يحضر المومن
والكافر وقال مجاهد نزلت في النبي صلى
الله عليه وسلم وابي جهل وقال السدي
نزلت في عمار والوليد بن المغيرة تنبيه
ثم للتراخي حال الاحضار عن حال التمتع في
الزمان والرتبة وقرا ثم هو قالون والكسائي
بسكون الها والباقون بالضم ويوم اي واذكر
يوم يناديهم اي ينادي الله هولا الذين يضلون
الناس ويصدون عن سبيل الله فيقول
اي الله تعالى اين شركاي من الاوثان
وغيرهم ثم بين تعالى انهم لا يستحقون هنا
الاسم بقوله تعالى الذين كنتم اي كونا غريزيا

فيه

فيه تزعمون انها تشفع لي دفعوا عنكم وعن انفسهم
فيخلصكم من هذا الذي نزل بكم تنبيه تزعمون
مفعولاه محذوفان اي تزعمونهم شركا قال
الذين حق اي ثبت ووجب عليهم القول اي
بدخول النار وهم روس الضلالة وهو قوله تعالى
لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وغيره
من ايات الوعيد وقولهم ربنا هولا اشارة
للاتباع الذين اغوينا اي اوقعنا الاغوا وهو
الاضلال لهم وقولهم اغويناهم اي ففروا اي صفة
والعايد حذف باختيارهم كما غوينا اي نحن هولا
ولا مبتدا والذين اغويناهم صفته والراجع
الى الموصول محذوف واغويناهم الخبر والكاف
صفته مصدر محذوف تقديره اغويناهم
ففووا غيا مثل ما غوينا نغوون انا لم
نغو باختيارنا لانا فوقنا مغوين اغوونا
بقسر منهم والجا اي دعونا الى الغي وسولوه
لنا فهولا كذلك غووا باختيارهم لان اغوانا
لهم لم يكن الا وسوسة وتسويلا لا قسرا
والجا فلا فرق اذا بين غينا وغيهم وان

Copyright © King Saud University

كان تسويلنا لهم داعيا الى الكفر فقد كان في مقابلة
دعا الله تعالى لهم الى الايمان بما وضع فيهم من ادلة
العقل وما بعث اليهم من الرسل وانزل اليهم
من الكتب المشحونة بالوعد والوعيد والمواعظ
والزواجر وناهيك بذلك صارفا عن الكفر وداعيا
الى الايمان وهذا ما حكاه الله تعالى عن الشيطان
ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم
وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فا
ستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم تنبيه
اعترض الزمخشري على هذا الاعراب بان الخبر
ليس فيه زيادة فائدة على ما في صفته
ثم انه اعرب هو هولا مبتدا والذين اغوينا
خبره واغويناهم مستانف واجاب ابو
البقا وغيره عن الاول بان الظروف قد
تلزم كقولك زيد وعمرو في الدار ثم اشاروا
بقولهم تبرانا اليك اي من امورهم الى انه لا لوم
علينا في الحقيقة بسببهم فهو للجملة الاولى
ولهذا خلت عن العاطف على تقدير اغوينا
لهم ماكانوا ايانا اي خاصة يعبدون بل كانوا يعبدون
الاوثان بما زينت لهم اهواهم وان كان لنا فيه
نوع دعا اليه وحث عليه فاقل ما تريد ان يوزع
العذاب على من كان سببا في ذلك وقيل ما مصد رية
متصلة بتبرانا اي تبرانا من عبادتهم ايانا ولما لم
يلتفت الى هذا الكلام منهم بل عدما لانه لا طائل
تحته اشير الى الاعراض عنه لانه لا يستحق جوابا كما
قيل رب قول جوابه السكوت بقوله تعالى وقيل
اي وثانيا للاتباع تهكما بهم واظهار العجزهم الملزوم
لتحيرهم وعظم تاسفهم وذكر ذلك بصيغة
المجهول للاستهانة بهم وانهم من الذل والصغار
بحيث يجيبون كل امر كائنا من كان ادعوا اي
كلكم شركاكم اي الذين ادعيتم جهلا شركتهم
ليدفعوا عنكم فدعوهم تعللا بما لا يغني وتمسكا
بما يتحقق انه لا يجدي لفرط الغلبة واستيلا
الحيرة والدهشة فلم يستجيبوا لهم اي لم يجيبوهم
لعجزهم عن الاجابة والنصرة قال ابن عادل
والاقرب ان هذا على سبيل التقريع لانهم يعلمون
انه لا فايدة في دعايهم وراوا اي هم العذاب

Copyright © King Saud University

عالمين بانه سواقعهم لامانع لهم عنه فكان الحال
مقتضيا لان يقال من كل من يراهم لو انهم كانوا
يهتدون اي يحصل منهم هذا ساعة من الدهر
تاسفا على امرهم وتمنيا لخلاصهم ولو ان ذلك
كان في طبعهم وجواب لو محذوف اي لنجوا من
العذاب فلما راوه اصلا قال الضحاك ومقاتل
يعني المتبوع والتابع يرون العذاب ولو انهم
كانوا يهتدون في الدنيا ما ابصروه في الاخرة
ويوم يناديهم اي الله وهم بحيث يسمعهم الداعي
وينفذهم البصر قد برزوا لله جميعا من كان
منهم عاصيا ومن كان منهم مطيعا في صعيد
واحد قد اخذ بانفاسهم الزحام وتراكيب
الاقدام على الاقدام والجمهم العرق وعمهم الغرق
فيقول ماذا اي اوضحوا وعينوا جوابكم
الذي اجبتم المرسلين اليكم تنبيه ويوم معطوف
على الاول فانه تعالى يسال عن اشراكهم به
ثم تكذيبهم الانبيا فلما لم يكن لهم قدم صدق
ولا سابق حق بما اتتهم الرسل به من الحجج
لم يكن لهم جواب الا السكوت وهو
المراد..

المراد بقوله تعالى فعميت اي خفيت واظلمت
عليهم الانبا اي الاخبار المنجيه يومئذ التي هي
من العظمة بحيث يحق لها ذلك اليوم ان
يذكر تنبيه الاصل عن الانبا لكنه عكس مبالغة
ودلالة على ان ما يحضر الذهن انما يفيض ويرد
عليه من خارج واذا اخطاه لم يكن له حيلة الى
استحضاره واذا كان الرسل في ذلك اليوم يفوضون
الى علم الله فما ظنك بالضلال فلهذا قال الله تعالى
فهم لا يتساءلون اي لا يسال بعضهم بعضا عن
الجواب لفرط الدهشة او العلم بانه مثله هذا
حال من اصر على كفره فاما من تاب عنه وقوله تعالى
وامن تصريح بما علم التزاما فان الكفر والايمان
ضدان لا يمكن ترك احدهما الا باخذ الاخر وقوله
تعالى وعمل صالحا لاجل ان يكون مصدقا الدعوه
باللسان فعسى اذا فعل ذلك ان يكون من
المفلحين عند الله وعسى تحقيق على عادة
الكرام او ترجي من التايب بمعنى فليتوقع ان
يفلح ولما كان كانه قيل ما لاهل القسم الاول
لا يتوجهون النجاة من ضيق ذلك البلا الى

رجب هذا الرجا وكان الجواب ربك منعهم من ذلك
اوماله لم يقطع لهذا الاسم بالفلاح كما قطع لاهل
القسم الاول بالشفاعة كان الجواب **وربك يخلق
مايشا ويختار** لاموجب عليه ولاسابغ له **ما
كان لهم الخيرة** اي ان يفعلوا ويفعل لهم كلما يختاروه
تنبيه الخيرة بمعنى التخير كالطيرة بمعنى التطير
وظاهر نفي الاختيار عنهم راسا قال البيضاوي
والامر كذلك عند التحقيق فان اختيار العبد مخلوق
منوط بدواع لا اختيار لهم فيها وقال الرازي
في اللوامع وفيه دليل على ان العبد في اختياره
غير مختار فلهذا اهل الرضى حطوا الرحال
بين يدي ربهم وسلموا الامور اليه بصفا التفويض
يعني فان امرهم او نهاهم بادروا وان اصابهم
سهام المصايب العظام صابروا وان اعزهم
اعزوا انفسهم واكرموا وان اذلهم رضوا وسلموا
فلا يرضيه الا ما يرضيه ولا يريدون الا ما يريده
فيمضيه قال القايل

وقف الهوا بي حيث انت فليس لي
حبا لذكرك فليمني اللوم

واهنتني

واهنتني فاهنت نفسي صاغرا
ما من يهون عليك ممن يكرم

وقيل ما موصولة مفعول ليختار والراجع محذوف
والمعنى ويختار الذي كان لهم فيه الخيرة اي الخير
والصلاح **سبحان الله** تنزيها له ان يزاحمه احد
او ينازع اختياره **وتعالى** اي علا علوا لا يبلغ العقول
توجيه كنه مداه **عما يشركون** اي عن اشراكهم
او مشاركة ما يشاركون به ولما كانت القدرة
لا تتم الا بالعلم قال تعالى **وربك** اي المحسن اليك
المتولي لامر تربيتك **يعلم ما تكن** اي تخفي وتستر
صدورهم من كونهم يومنون على ان تاتيهم ايات
مثل ايات موسى او لا يومنون ومن كون ما
اظهر من اظهر الايمان بلسانه خالصا مشوبا
ومن كونهم يخفون عداوة الرسول صلى الله عليه
وسلم **وما يعلنون** اي يظهرون من ذلك
كل ذلك لديه سوا فلا يكون لهم مراد الا بخلقه
فان قيل هلا اكتفى بقوله تعالى ما تكن صدو رهم
عن قوله وما يعلنون اجيب بان علم الخفي
لا يستلزم علم ما ابعدا ولفظا واختلاط

Copyright © King Saud University

اصوات يمنع تميز بعضه عن بعض او غير ذلك
ولما كان علمه بذلك انما هو لكونه الها
واحدا فردا صمدا وكان غيره لا يعلم من علمه
الا ما علمه الله تعالى قال تعالى **وهو الله** اي
المستاثر بالالهية الذي لا سمي له الذي لا يحيط
الواصفون بكنه عظمته ثم شرح معنى
الاسم الاعظم بقوله تعالى **لا اله الا هو** وهذا
تنبيه على كونه قادرا على كل الممكنات عالما بكل
المعلومات منزها عن النقايص والافات ثم
علل ذلك بقوله تعالى **له** اي وحده **الحمد**
اي الاحاطة باوصاف الكمال **في الاولى والاخرة**
لانه المولى للنعم كلها عاجلها واجلها
يحمده المومنون في الاخرة كما حمدوه في الدنيا
فان قيل الحمد في الاولى ظاهر فما الحمد الدنيا
في الاخرة اجيب بانهم يحمدونه بقولهم
الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله
الذي صدقنا وعده واخر دعواهم ان
الحمد لله رب العالمين والتحميد هناك
على وجه اللذة لا الكلفة وفي الحديث

يلهمون

١١٧

يلهمون التسبيح والتقديس **وله الحكم** اي
القضا النافذ في كل شي وقال ابن عباس
حكم لاهل الطاعة بالمغفرة ولاهل المعصية
بالشقا **واليه** لا الى غيره **ترجعون** اي بايسر
امر يوم ينفخ في الصور لبعثر القبور بالبعث
والنشور مع انكم الان راجعون في جميع احكامكم
اليه ومقصورون عليه ان شا امضاها
وان شا اراد ردها ردها ففي الايات غاية
التقوية لقلوب المطيعين ونهاية الزجر
والردع للمتمردين ثم بين سبحانه وتعالى
بعض ما يجب ان يحمد عليه مما لا يقدر عليه
سواه بقوله تعالى **قل** اي يا افضل الخلق لاهل
مكة **ارايتم** اي اخبروني **ان جعل الله** اي الملك
الاعلى **عليكم الليل** اي الذي به اعتدال حر
النهار **سرمدا** اي دايما **الى يوم القيمة** اي لا نهار
معه **من اله غير الله** اي العظيم الشان
الذي لا كفو له **ياتيكم بضياء** اي بنهار
تطلبون فيه المعيشة **افلا تسمعون**
اي ما يقال لكم سماع اصغا وتدبر

Copyright to King Saud University

قل ارايتم ان جعل الله اي الذي له الامر كله عليكم
النهار اي الذي توازن حرارته برطوبة الليل
فيتم بها صلاح النبات وغير ذلك من جميع
المقدرات سرمدا اي دايما الى يوم القيمة لا
ليل فيه من اله غير الله اي الجليل الذي ليس
له مثل ياتيكم بليل اي ينشا منه الظلام تسكنون
فيه اي استراحة عن متاعب الاشغال فان
قيل هلا قيل بنهار تتصرفون فيه كما قيل
بليل تسكنون فيه اجيب بانه تعالى
ذكر الضيا وهو ضو الشمس لان المنافع
التي تتعلق به متكاثرة ليس التصرف
في المعاش وحده والظلام ليس بتلك
المنزلة ومن ثم قرن بالضيا افلا تسمعون
لان السمع يدرك ما لا يدركه البصر
من ذلك منافعه ووصف فوايده وقرن
بالليل افلا تبصرون لان غيرك يبصر
من منفعة الظلام ما تبصر انت من
السكون قال البقاعي فالاية من
الاحتباك ذكر الضيا اولا دليل على

حذف

حذف الظلام ثانيا والليل والسكون
ثانيا دليلا على حذف النهار والانتشار
اولا ولما كان التقدير ومن رحمته جعل
لكم السمع والابصار لتتدبروا وتبصروا
في مصنوعاته عطف عليه ومن رحمته
اي التي وسعت كل شي لا من غيرها من خوف
او رجاء او تعلق غرض من الاغراض جعل الله
عليكم الليل والنهار ايتين عظيمتين دبر فيهما
وبهما جميع مصالحكم فجعل اية الليل لتسكنوا
فيه فلا تسعوا في معاشكم و جعل اية
النهار مبصرة لتبتغوا من فضله بان تسعوا
في معاشكم بجهدكم قال البقاعي فالاية
من الاحتباك ذكرا ولا السكون دليلا على
حذف عدم السعي في المعاش اولا ولعلكم
تشكرون اي وليكون حالكم حال من يرجى
منه الشكر بما يتجدد لكم من تقلبهما من
النعم المتوالية حتى لا يحصرها الا خالقها
واما الاخرة فلما كانت غير مبنية
على الاسباب وكانت الجنة لا تعب
فيها بوجه كاف لا حاجة فيها ويوم

Copyright © King Saud University

يناديهم فيقول اين شركاي الذين كنتم تزعمون
تقريع بعد تقريع للاشعار بانه لاشي
اجلب لغضب الله من الاشراك به كما انه لا
شي ادخل في مرضاته من توحيده اللهم
فكما ادخلتنا في اهل توحيدك فادخلنا في
الناجين من وعيدك ومتعنا بالنظر الى
وجهك الكريم يا ارحم الراحمين ويحتمل
ان يكون الاول لتقرير فساد رايهم والثاني
لبيان انه لم يكن عن سند وانما كان
محض تشهي وهوى او انه ذكر الثاني
كما قال الجلال المحلي ليبني عليه
ونزعنا اي اخرجنا وافردنا بقوة وسطوة من
كل امة شهيدا اي وهو رسولهم يشهد
عليهم بما قالوه فقلنا اي فتسبب عن ذلك
ان قلنا للامم هاتوا برهانكم اي دليلكم القطعي
الذي فزعتم في الدنيا اليه وعولتم في
شرككم عليه كما هو شان ذوي العقول
انهم لا يبنون شيا على غير اساس فعلموا
اي بسبب هذا السوال لما اضطروا
ولم

ولم يجدوا لهم سندا ان الحق في الالهية لله
اي الملك الذي له الامر كله لا يشاركه
فيها احد وضل عنهم اي غاب عنهم غيبة
ما كانوا يفترون اي يقولونه قول الكاذب
المتعمد للكذب لكونه لا دليل عليه ولا شبهة
للغلط فيه ان قارون ويسمى في التوراة قورح
كان من قوم موسى قال اكثر المفسرين
كان ابن عمه لان قارون بن يصهر بن قاهث
ابن لاوي بن يعقوب وموسى بن عمران
ابن قاهث وقال ابن اسحاق كان
قارون عم موسى كان اخا عمران وهما ابنا
يصهر ولم يكن في بني اسرائيل اقرا منه
للتوراة من قارون ولكنه نافق كما نافق
السامري وكان يسمى المنور لحسن صورته
وعن ابن عباس كان ابن خالته فبغى عليهم اي
تجاوز الحد في احتقارهم بما خولناه فيه
قيل كان عاملا لفرعون على بني اسرائيل وكان
يبغي عليهم ويظلمهم وقال قتادة بغى عليهم
بكثرة المال ولم يرع لهم حق الايمان بل

Copyright © King Saud University

بل استغف بالفقرا وقال الضحاك بغي عليهم بالشرك
وقال شهر بن حوشب زاد في طول ثيابه
شبرا روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيمة
الى من جر ثوبه خيلا وقال القفال طلب
الفضل عليهم وان يكون تحت يده وقال ابن
عباس تكبر عليهم وتجبر وقال الكلبي حسد
هارون على الحبورة روي اهل الاخبار ان
قارون كان اعلم بني اسرايل بعد موسى
وهارون واجملهم واغناهم وكان
حسن الصوت فبغى وطغى وكان اول طغيانه
وعصيانه ان الله تعالى اوحى الى موسى
ان يامر قومه ان يعلقوا في اردیتهم خيوطا
اربعة في كل طرف خيطا اخضر كلون السما
يذكرون اذا نظروا اليها السما ويعلمون
اني منزل منها كلامي فقال موسى يا رب
افلا تامرهم ان يجعلوا اردیتهم كلها خضرا
فان بني اسرايل تحقر هذه الخيوط فقال
الله تعالى يا موسى ان الصغير من امري
ليس

ليس بصغير فان لم يطيعوني في الامر الصغير لم يطيعوني
في الامر الكبير فدعاهم موسى وقال ان الله تعالى
يامركم ان تعلقوا في اردیتكم خيوطا خضرا كلون السما
لكي تذكروا ربكم اذا رايتموها ففعل بنو اسرايل ما
امرهم به واستكبر قارون فلم يفعل وقال انما
يفعل هذا الارباب بعبيدهم لكي يتميزوا عن غيرهم
وكان هذا بدو عصيانه وبغيه ولما قطع الله تعالى
لبني اسرايل البحر واغرق فرعون ذكر الحبورة لهارون
فحصلت له النبوة والحبورة وكان له القربان والمذبح
وكان لموسى الرسالة فوجد قارون كذلك في نفسه
وقال يا موسى لك الرسالة ولهارون الحبورة
ولست في شي الا اصبر انا على هذا فقال موسى
والله ما صنعت ذلك لهارون بل الله تعالى جعله
له فقال قارون والله لا صدقك حتى تريني
بيانه فجمع موسى روسا بني اسرايل وامرهم ان
يجي كل رجل منهم بعصا فجاوا بها فحزمها والقاها
موسى عليه السلام في قبة له كان يعبد الله تعالى
فيها وكان ذلك بامر الله تعالى ودعا موسى ان
يريهم بيان ذلك فباتوا يحرسون عصيهم فاصبحت

Copyright © King Saud University

عصا هرون وقد اهتز لها ورق اخضر وكانت من
شجر اللوز فقال موسى لقارون الا ترى ما صنع
لهارون فقال والله ما هذا باعجب مما تصنع من
السحر فاعتزل قارون ومعه ناس كثير وولي
هارون الحبورة وهي رياسة الذبح والقربان
وكانت بنو اسرايل ياتونه بهداياهم الي هارون
فيضعها في المذبح وتنزل نار من السما فتاكلها
واعتزل قارون باتباعه وكان كثير المال والتبع
من بني اسرايل فكان ياتي موسي ولا يجالسه وروي
عن النبي صلي الله عليه وسلم ان قارون كان
من السبعين المختارة الذين سمعوا كلام الله تعا
ولما ذكر الله تعالى بغيه ذكر سببه الحقيقي بقوله
تعالى وآتيناه من الكنوز اي الاموال المدفونة المدخورة
فضلا عن الظاهرة التي هي بصدد الانفاق منها لما
عساه يعرض من المهمات ما اي الذي اوتي شيا كثيرا
لا يدخل تحت حصر حتى ان مفاتحه اي مفاتيح
الاغلاق الذي هو مدفون فيها وراء ابوابها لتنو
بجهد ومشقة بثقلها بالعصبة اي الجماعة الكثيرة
التي تعصب اي يقوي بعضهم بعضا اولي اي
اصحاب.

اصحاب القوة اي تميلهم من ثقلها اياهم تنبيه
في المبالغة فى با التعبير بالكنوز والمفاتح والنوا
والعصبة الموصوفة ما يدل على انه اتي من ذلك
ما لم يؤته احد ممن هو في اعداده وكل ذلك مما
يستبعده العقول فلذلك وقع التاكيد واختلفوا
في عدد العصبة فقال مجاهد ما بين العشرة
الى خمسة عشر وقال الضحاك عن ابن عباس ما بين
الثلاثة الى العشرة وقال قتادة ما بين العشرة
الى الاربعين وقيل اربعون رجلا وقيل سبعون
رجلا وروي عن ابن عباس قال كان يحمل مفاتحه
اربعون رجلا اقوى ما يكون من الرجال وقال
جرير عن منصور عن خيثمة قال وجدت في الانجيل
ان مفاتيح خزاين قارون وقر ستين بغلا ما يزيد
فيها مفتاح على اصبع لكل مفتاح كنز ويقال كان
قارون اينما ذهب يحمل معه مفاتيح كنوزه وكانت
من حديد فلما ثقلت عليه جعلها من خشب
فجعلها من جلود البقر مع طول الاصابع وكانت
تحمل معه اذا ركب على اربعين بغلا والباء في
بالعصبة وجهان انها للتعدية كالهمزة ولا قلب

في الكلام والمعنى لتنوء المفاتح العصبة الاقويا
كما تقول اجابته وجيت به واذهبته واذهبت
به والسا في قال ابو عبيدة ان في الكلام قلب
والاصل لتنوء العصبة بالمفاتح اي لتنهض
بها كقولهم عرضت الناقة على الحوض ولما ذكر
الله تعالى بغيه ذكر وقته بقوله تعالى اذ قال
له قومه اي من بني اسرايل لا تفرح اي بكثرة المال
فرح بطر فان الفرح بالعرض الزايل يدل على الركون
اليه وذلك يدل على نسيان الاخرة وعلى غاية
الجهل وقلة التامل بالعواقب قال ابن عباس
كان فرحه ذلك شركا لانه ما كان يخاف معه
عقوبة الله عز وجل ان الله اي الذي له صفات
الكمال لا يحب اي لا يعامل معاملة المحب الفرحين
اي البطرين الاشرين الراسخين في الفرح بما يفنى
الذين لا يشكرون الله تعالى بما اعطاهم فان
فرحهم يدل على سقوط الهم كما قال تعالى
ولا تفرحوا بما اتاكم وقال القايل ... ...
ولست بمفراح اذا الدهر سرني ...
وقال اخر ...

السد

اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا
فلا يفرح بالدنيا الا من رضي بها واطمان فاما من
قلبه الى الاخرة ويعلم انه مفارق ما فيه عن قريب
لم تحدثه نفسه بالفرح وابتغ اي اطلب طلب
تجد نفسك فيه فيما اتاك الله اي الملك الذي الامر
كله بيده من الغنا والثروة الدار الاخرة بان تقوم
بشكر الله فيما انعم الله عليك وتنفقه في رضى الله
تعالى فيجازيك بالجنة ولا تنس اي ولا تترك
نصيبك من الدنيا قال مجاهد لا تترك ان تعمل
في الدنيا للاخرة حتى تنجوا من العذاب لان حقيقة
نصيب الانسان من الدنيا ان يعمل للاخرة قال
السدي بالصدقة وصلة الرحم وقال
علي رضي الله عنه لا تنس صحتك وقوتك وشبابك
وغناك ان تطلب بها الاخرة روي انه صلى الله
عليه وسلم قال فلياخذ العبد من نفسه
لنفسه ومن دنياه لاخرته ومن الشبيبة
قبل الكبر ومن الحياة قبل الموت فو الذي نفسي
محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد
الدنيا دار الا الجنة او النار وعن ميمون الازدي

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل وهو
يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك
وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك
قبل شغلك وحياتك قبل موتك وقال الحسن
امرا ان يقدم الفضل ويمسك ما تغنيه وقال
منصور ابن زاذان قوتك وقوة اهلك و
احسن اي اوقع الاحسان بدفع المال الى
المحاويج والانفاق في جميع الطاعات ويدخل
في ذلك الاعانة بالجاه وطلاقة الوجه وحسن
الذكر كما احسن الله اي الجامع لصفات الكمال
اليك بان تعطي عطا من لا يخاف الفقر كما اوسع
عليك ولا تبغ اي ولا تزد ارادة ما الفساد
في الارض تبعيتر ولا تبذير ولا تكبر على عباد
الله ولا تحقير ثم اتبع ذلك علة موكدا لان
اكثر المفسدين بسط لهم الدنيا واكثر الناس
يستبعد ان يبسط فيها لغير محبوب فقيل
ان الله اي العالم بكل شي القدير على كل شي
لا يحب المفسدين اي لا يعاملهم معاملة من
يحبه وقيل ان القايل له هذا موسى
عليه

عليه السلام وقيل مومنوا قومه وكيف كان
فقد جمع في هذا الوعظ ما فيه مزيد لكنه
ابى ان يقبل بل زاد عليه كفر النعمة بان قال
اي قارون في الجواب انما اوتيته اي هذا المال
على علم حاصل عندي فانه كان اعلم بني اسرايل
بالتوراة فرآني له اهلا ففضلني بهذا المال عليكم
كما فضلني بغيره وقيل هو علم الكيميا وقال
سعيد بن المسيب كان موسى يعلم الكيميا
فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم
كالب بن يوفنا ثلثه وعلم قارون ثلثه
فخدعهما قارون حتى اضاف علمهما الى علمه
وكان ذلك سبب امواله وقيل على علم عندي
بالتصرف في التجارات والزراعات وانواع المكاسب
ثم اجاب الله تعالى عن كلامه بقوله تعالى او لم
ان الله اي بماله من صفات الجلال والعظمة
والكمال قد اهلك وقوله تعالى من قبله من
القرون فيه تنبيه على انه لم يتعظ مع مشاهدته
للهالكين الموصوفين بقرب الزمان وبعده
وقوله تعالى من هو اشد منه قوة اي في

Copyright © King Saud University

اي في البدن والمعاني من العلم وغيره والامصار
والخدم واكثر جمعا في المال والرجال الخ هم فرعون
الذي يشاهده في ملكه وحقق امره يوم هلكه
فيه تعجيب وتوبيخ على اغتراره بقوته وكثرة
ماله مع علمه بذلك لانه قرا في التوراة وكان
اعلمهم بها ويسمعه من حفاظ التواريخ واختلف
في معنى قوله تعالى ولا يسال عن ذنوبهم
المجرمون قال قتادة يدخلون النار بغير
سوال ولا حساب وقال مجاهد لا تسال
الملائكة عنهم لانهم يعرفونهم بسيماهم وقال
الحسن لا يسالون سوال استعلام وانما
يسالون سوال توبيخ وتقريع وقيل المراد
ان الله تعالى اذا عاقب المجرمين فلا حاجة
الى سوالهم عن كيفية ذنوبهم وكميتها لانه
تعالى عالم بكل المعلومات فلا حاجة الى السوال
فان قيل كيف الجمع بين هذا وبين قوله تعالى
فوربك لنسالنهم اجمعين عما كانوا يعملون
اجيب بحمل ذلك على وقتين وقال ابو
مسلم السوال قد يكون للمحاسبة وقد يكون
للتوبيخ

للتوبيخ والتقريع وقد يكون للاستعتاب قال
ابن عادل واليق الوجوه بهذه الاية للاستعتاب
لقوله تعالى ثم لا يوذن للذين كفروا ولا هم
يستعتبون هذا يوم لا ينطقون ولا يوذن لهم
فيعتذرون فخرج فتسبب عن تجبره واغتراره
بماله ان خرج على قومه اي الذين نصحوا في الاقتصاد
في شانه والاكثار في الجود على اخوانه وقوله تعالى
في زينته فيه دليل على انه خرج باظهر زينته
واكملها وليس في القران الا هذا القدر والناس
ذكروا وجوها مختلفة فقال ابراهيم النخعي خرج
هو وقومه في ثياب حمر وصفر وقال ابن
زيد في تسعين الفا عليهم المعصفرات وقال
مقاتل خرج على بغلة شهباء عليها سرج من
ذهب عليه الارجوان ومعه اربعة الاف
فارس عليهم وعلى دوابهم الارجوان ومعه
ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلي والثياب
الحمر على البغال ولما كان كانه قيل ما قال
قومه قيل قال الذين يريدون الحياة الدنيا
منهم بالسفول هممهم وقصور نظرهم

Copyright © King Saud University

على الفاني لكونهم اهل جهل وان كان قولهم
من باب الغبطة لا من الحسد الذي هو تمني
زوال النعمة المحسود يا ليت لنا اي نتمنى
تمنيا عظيما ان نؤتى من اي موت كان وعلى
اي وصف كان مثل ما اوتي قارون اي من هذه
الرتبة وما تسبب عنه من العلم حتى لا يزال
اصحاب اموال ثم عظموا ما بقولهم موكدين لعلمهم
ان ثم من يريد ينكر عليهم انه لذو حظ اي
نصيب وبخت من الدنيا عظيم عما اوتيته
من العلم الذي كان سببا له الى جمع هذا
المال وهولاء الراغبون يحتمل ان يكونوا من
الكفار وان يكونوا من المسلمين الذين يحبون
الدنيا ودل على جهالهم وفضل العلم الرباني
وحقارة ما اوتي قارون من العلم المال
والعلم الظاهر الذي لا يمادي اليه اتباعه
قوله تعالى وقال الذين اوتوا العلم وهم
اهل الدين قال ابن عباس يعني الاحبار
من بني اسرايل وقال مقاتل اوتوا العلم
بما وعد الله في الاخرة فقالوا للذين
تمنوا

تمنوا ويلكم ويل اصله الدعا بالهلاك ثم استعمل
في الزجر والردع والبعث على ترك ما يضر
وهو منصوب بمحذوف اي الزمكم الله ويلكم
ثواب الله اي الجليل العظيم خير اي من هذا الحطام
الذي اوتيه قارون في الدنيا بل في الدنيا وما
فيها ومن فاته الخير حل به الويل ثم بينوا مستحقه
تعظيما له وترغيبا للسامع في حاله بقولهم لمن
امن وعمل تصديقا لايمانه صالحا ثم بين تعالى
عظمة هذه النصيحة وعلو قدرها بقوله
تعالى ولا يلقاها اي هذه النصيحة التي قالها
اهل العلم وهي الزهد في الدنيا والرغبة فيما
عند الله او الجنة المثاب بها الا الصابرون
اي على اداء الطاعات والاحتراز عن المحرمات
وعلى الرضا بقضا الله في كل ما قسم من المنافع
والمضار الذي صار الصبر لهم خلقا ولما
تسبب عن بطره هذا الذي اوصله الى الكفر به
اخذه بالعذاب اشار الى ذلك بقوله تعالى
فخسفنا اي بما لنا من العظمة به وبداره الارض
روي انه كان يوذي موسى عليه الصلاة و
السلام كل وقت وهو يداريه للقرابة

Copyright @ King Saud University

التي بينها وهو يوذيه كل وقت ولا يزيد الا عتوا
وتجبرا ومعاداة لموسي حتى بني دارا وجعل
بابها من الذهب وضرب على جدرانها صفائح
الذهب وكان الملا من بني اسرايل يغدون اليه
ويروحون فيطعمهم الطعام ويضاحكونه قال
ابن عباس نزلت الزكاة على موسي فاتاه قارون
فصالحه عن كل الف دينار وعلى كل الف درهم
بدرهم وعن كل الف شاه بشاة فلم يسمح بذلك
نفسه فجمع بني اسرايل وقال لهم ان موسى
قد امركم بكل شي فاطعتموه وهو الآن يريد
ان ياخذ اموالكم فقالوا انت كبيرنا فامرنا بما
شيت قال امركم ان تجيبوا بفلانة الباغية
فتجعل لها جعلا حتى تقذف موسى بنفسها
فاذا فعلت ذلك خرج عليه بنى اسرايل
ورفضوه غدا فجعل لها قارون الف
درهم وقيل الف دينار وقيل طستا من ذهب
وقيل قال لها اني امولك واخلطك بنساي
على ان تقذفي موسى بنفسك غدا اذا حضر
بنو اسرايل فلما كان من الغد وكان يوم عيد
لهم قام موسى عليه السلام خطيبا فقال
من

من سرق قطعناه ومن زنا غير محصن جلدناه
ومن زنا محصنا رجمناه فقال له قارون
ولو كنت انت قال ولو كنت انا قال ان بني
اسرايل يزعمون انك فجرت بفلانة قال ادعها نه
فان قالت فهي كما قالت فلما ان جات قال لها
موسى يا فلانة انا فعلت بك ما يقول هولا و
عظم عليها وسالها بالذي فلق البحر لبني اسرايل
وانزل التوراة الا صدقت فتداركها الله تعالى
بالتوفيق وقالت في نفسها احدث اليوم توبة
افضل من اذي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولكن جعل لي قارون جعلا على ان ارميك
بنفسي فخر موسى ساجدا يبكي ويقول
اللهم ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى الله
تعالى اليه اني امرت الارض ان تطيعك فمرها
بما شيت فقال يا بني اسرايل ان الله بعثني
الى قارون كما بعثني الى فرعون فمن كان معه
فليثبت مكانه ومن كان معي فليعتزل
فاعتزلوا ولم يبق مع قارون الا رجلان
ثم قال موسى يا ارض خذيهم فاخذت الارض

Copyright © King Saud University

باقدامهم وفي رواية كان على فراشه وسريره
فاخذته حتى غيبته وسريره ثم قال خذيهم
فاخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم فاخذتهم
الى الاوساط ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم
الى الاعناق وقارون واصحابه وفي ذلك
يتضرعون الى موسى وينا شده قارون
الله والرحم حتى روي انه ناشده سبعين مرة
وموسى في كل ذلك لا يلتفت اليه لشدة غضبه
ثم قال يا ارض خذيهم فانطبقت عليهم الارض
فاوحى الله تعالى اليه ما اغلظ قلبك استغاث
بك سبعين مرة فلم ترحمه وعزتي وجلالي
لو دعاني مرة واحدة لاجبته وفي بعض
الاثار لا اجعل الارض بعدك طوعا لاحد
قال قتادة خسف فيه فهو يتجلجل في الارض
كل يوم قامة رجل لا يبلغ قعرها الى يوم القيمة
قال واصبح بنوا اسرائيل يتناجون فيما
بينهم ان موسى انما دعا على قارون ليستبد
داره وكنوزها فدعا الله تعالى حتى خسف
بداره وامواله فاياكم يا امة هذا النبي
ان تردوا امانا تاكم الله من الرحمة فتهلكوا

وان

وان كنتم اقرب الناس اليه فان قارون كان من اقارب
موسى عليه السلام فان الانبيا كما انهم لا يوجدون
الهدى في قلوب العدا فكذلك لا يمنعونهم
من الردا ولا يشفعون الا لمن ارتضى فما اي فتسبب
عنه انه كان له اي لقارون واكد النفي لما استقر في
الاذهان ان الكابر منصورون بزيادة الجار في قوله
تعالى من فية اي اعوان واصل الفية الجماعة
من الطير كانها سميت بذلك لكثرة رجوعها وسرعته
الى المكان الذي ذهبت منه ينصرونه من دون الله
اي غيره بان يمنعوا عنه الهلاك وما كان من
المنتصرين اي الممتنعين منه من قولهم نصره من
عدوه فانتصر اذا منعه منه فامتنع ولما خسف
واستبصر الجهال الذين هم كالبهايم لا يرون الا
المحسوسات ذكر حالهم بقوله واصبح اي وصار
ولكنه ذكره لمقابلة الاسما الذين تمنوا اي ارادوا
ارادة عظيمة بغاية التقدات يكونوا مكانه
اي يكونوا حاله ومنزلته في الدنيا لهم بالامس اي
الزمان الماضي القريب وان لم يكن يلي يومهم الذي
هم فيه فالامس قد يذكر ولا يراد به اليوم

الذي قبل يومك ولكن الوقت المستقر بعلى طريق
الاستعارة يقولون ويكان الله يبسط اي يوسع
الرزق لمن يشاء من عباده بحسب مشيئته وحكمته
لا لكرامته عليه ويقدر اي يضيق على من يشاء لا لهوان
من يضيق عليه بل لحكمته وقضايه ابتلا منه
وفتنة وروي اسم فعل بمعنى اعجب انا والكاف
بمعنى اللام وهذه الكلمة والتي بعدها متصلة
باجماع المصاحف واختلف القراء في الوقف فالكسا
وقف على اليا قبل الكاف ووقف ابو عمرو على الكاف
ووقف الباقون على النون وعلى الها وحمزة
يسهل الهمزة في الوقف على اصله واما الوصل
فلا خلاف فيه بينهم ولما لاح لهم من واقعته
ان الرزق انما هو بيد الله اتبعوه على ما دل
انهم اعتقدوا ايضا ان الله قادر على ما يريد
من غير الرزق كما هو قادر على الرزق من قولهم
لولا ان من الله اي تفضل الملك الاعظم علينا
بجوده ولم يعطنا ما تمنيناه من الكنوز على مثل
حاله لخسف بنا مثل ما خسف به ويكانه لا يفلح
الكافرون لنعمة الله كقارون والمكذبون

والمكذبون لرسله وبما وعدوا لهم من ثواب الاخرة
وقوله تعالى تلك الدار الاخرة اشارة تعظيم وتفخيم
لشانها اي تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها
وتلك المبتدا والدار صفته والخبر نجعلها للذين
لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا بعمل المعاصي
فلم يعلق تعالى الوعد بترك العلو والفساد ولكن
بترك ارادتهما وميل القلوب اليهما كما قال تعالى
ولا تركنوا الى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون
وعن علي رضي الله تعالى عنه ان الرجل ليعجبه
ان يكون شراك نعله اجود من شراك نعل
صاحبه فيدخل تحتها وعن الفضيل انه قراها
ثم ذهبت الاماني هاهنا وعن عمر بن عبد
العزيز رضي الله عنه انه كان يرددها حتى
قبض قال الزمخشري ومن الطماع من
يجعل العلو لفرعون والفساد لقارون
متعلقا بقوله تعالى ان فرعون علا في الارض
وبقوله تعالى ولا تبغ الفساد في الارض
فيقول سالم يكن مثل فرعون وقارون فله
تلك الدار الاخرة ولا يتدبر قوله تعالى

والعاقبة اي المحمودة **للمتقين** اي عقاب الله تعالى
بعمل طاعته كما تدبر علي والفضيل وعمر رضي
الله عنهم ولما بين تعالى ان الدار الاخرة
ليست لمن يريد علوا في الارض ولا فسادا
بل هي للمتقين بين بعد ذلك ما يحصل فقال
تعالى **من جاء بالحسنة فله خير منها** اي من
عشرة اضعاف الى السبعين الى سبعمائة
ضعف الى ما لا يحيط به الا الله تعالى **ومن
جا بالسيئة** وهي ما نهى الله تعالى عنه ومنه
اخافة المومنين **فلا يجزى** اي من اي جاز
واظهر ما في هذا الفعل من الضمير العايد
على من يقول تعالى **الذين عملوا السيئات** تصويرا
لحالهم تقبيحا لها وتنفيرا من عمله **الا ما كانوا**
يعملون اي مثله وهذا من فضل الله العظيم
وكرمه الواسع ان لا يجزي السيئة الا مثلها
ويجزي الحسنة باكثر منها كما مر فان قيل
قال تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم
وان اساتم فلها كرر ذكر الاحسان واكتفى
في ذكر الاساة بمرة واحدة وفي هذه
الاية

الاية كرر الاساة واكتفى في ذكر الاحسان بمرة
واحدة فما السبب في ذلك اجيب بان هذا
المقام مقام ترغيب في الدار الاخرة فكانت
المبالغة في النهي عن المعصية مبالغة في الدعوة
الى الاخرة واما الاخرة فهي شرح حالهم فكان
المبالغة في ذكر محاسنهم اولى فان قيل كيف
الله تعالى لا يجزي السيئة الا بمثلها مع ان المتكلم
بكلمة الكفر اذا مات في الحال عذب ابد الاباد
اجيب بانه كان على عزم انه لو عاش ابدا
لقال ذلك فعومل بمقتضى عزمه **ان الذي**
فرض اي انزل **عليك القران** قاله اكثر المفسرين
وقال عطا اوجب عليك العمل بالقران وقال
ابو علي فرض عليك احكامه وفرايضه **لرادك**
الى معاد اي معاد ليس لغيرك من البشر وهو
المقام المحمود الذي وعدك ان يبعثك فيه
وتنكير المعاد لذلك وروى سعيد بن جبير
عن ابن عباس يعني الى الموت وقال الزهري
وعكرمة الى القيمة وقيل الى الجنة وروى
العوفي عن ابن عباس يعني الى مكة وهو

وهو قول مجاهد قال القتيبي معاد الرجل
بلده ينصرف ثم يعود الى بلده وذلك ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما خرج من الغار مهاجرا
الى المدينة سار في غير الطريق مخافة الطلب
فلما امن رجع الى الطريق وترك الجحفة بين مكة
والمدينة وعرف الطريق الى مكة اشتاق اليها
فاتاه جبريل عليه السلام فقال اتشتاق
الى بلدك ومولدك قال نعم قال فان الله
تعالى يقول ان الذى فرض عليك القران
لرادك الى معاد قال الرازي وهذا اقرب
لان ظاهر المعاد انه كان فيه وفارقه و
حصل العود وذلك لا يليق الا بمكة وان
كان ساير الوجوه محتملا لكن ذلك اقرب.
وقال اهل التحقيق وهذا احد ما يدل
على نبوته لانه اخبر عن الغيب ووقع كما اخبر
فيكون معجزا ونزل حوا بالقول كفار مكة
انك لفي ضلال مبين قل اي للمشركين ربي اعلم
من جا بالهدى وما يستحقه من الثواب
في المعاد يعني نفسه ومن هو في ضلال مبين

يعنيهم وما يستحقونه من العذاب في معادهم
فهو الجاي بالهدى وهم في الضلال تنبيه
من جا منصوب بمضمر اي يعلم او باعلم ان جعلنا ها
بمعنى عالم واعملناها اعماله وما كنت ترجوا اي
في سالف الدهر بحال من الاحوال ان يلقى اي ينزل
على وجه لم تقدر على رده اليك الكتاب اي يوحي
اليك القران قال البيضاوي اي سيردك الى
معاد كما القى اليك الكتاب وما كنت ترجوه
وهو ظاهر على ان المراد بالمعاد مكة وقوله
تعالى الا رحمة استثنا منقطع اي لكن القى اليك
الكتاب رحمة من ربك فاعطاك القران وقيل
متصل قال الزمخشري هذا كلام محمول
على المعنى كانه قيل وما القى اليك الكتاب الا
رحمة فيكون استثنا من الاحوال او من المفعول
له. فلا تكونن ظهيرا اي معينا للكافرين على دينهم
الذي دعوك اليه قال مقاتل وذلك حين
دعي الى دين ابايه فذكره الله تعالى نعمه ونهاه
عن مظاهرتهم على ما هم عليه ولا يصدنك عن

Copyright © King Saud University

ايات الله اي قراءتها والعمل بها بعد اذ انزلت اليك
اي لا ترجع اليهم في ذلك وادع اي اوحد الدعا
الى ربك اي الى عبادته وتوحيده ولا تكونن
من المشركين اي باعانتهم ولم يوثر الجازم
في الفعل لبنائه بخلاف في يصدنك فان حذف
منه نون الرفع اذ اصله يصدوننك حذفت
النون الرفع للجازم ثم حذفت الواو لالتقا
الساكنين ولا تدع اي تعبد مع الله اي
الجامع لجميع صفات الكمال الها اخر فان قيل
هذا وما قبله لا يقع منه صلى الله عليه وسلم
فما فايدة ذلك النهي اجيب بان ذلك
للتهييج وقطع اطماع المشركين عن مساعدته
لهم او ان الخطاب وان كان معه لكن المراد
غيره كما في قوله تعالى لئن اشركت ليحبطن
عملك ثم ذلك بقوله تعالى لا اله الا هو
اي لا نافع ولا ضار ولا معطي ولا مانع الا هو
كقوله تعالى رب المشرق والمغرب لا اله الا هو
فاتخذه وكيلا فلا يجوز اتخاذ اله سواه
ثم علل وحدانيته بقوله تعالى كل شيء هالك
الا

الا وجهه اي ذاته فان الوجه يعبر به عن
الذات وقال ابو العالية الا ما اريد به وجهه
وقيل الا ملكه واختلفوا في قوله تعالى هالك
فمن الناس من فسر الهلاك باخراجه عن كونه
منتفعا به بالاماتة او بتفريق الاجزاء وان كانت
الاجزاء باقية فانه يقال هلك الثوب وهلك
المتاع ولا يريدون به فناء اجزايه بل خروجه
عن كونه منتفعا به ومنهم من قال معنى
كونه هالكا كونه قابلا للهلاك في ذاته فان كل ما
عداه ممكن الوجود قابل للعدم فكان قابلا
للهلاك فاطلق عليه اسم الهالك نظرا الى هذا
الوجه وعلى هذا يحمل النسفي في بحر الكلام
سبعة لا تفنى العرش والكرسي واللوح والقلم
والجنة والنار باهلهما من ملايكة العذاب
والحور العين والارواح له الحكم اي القضا
النافذ في الخلق واليه وحده ترجعون اي في
جميع احوالكم في الدنيا وبالنشور من القبور
للجزاء في الاخرة فيجازيكم باعمالكم وما رواه

البيضاوي تبعا للزمخشري من قوله صلى الله
عليه وسلم من قرا طسم القصص كان له من
الاجر بعدد من صدق بموسى وكذب ولم يبق
ملك في السموات والارض الا شهد له يوم القيمة
انه كان صادقا حديث موضوع والله اعلم

سورة العنكبوت مكية الا عشر ايات من
اولها الى قوله وليعلمن المنافقين قال الحسن
انها مدنية وهي تسع وستون اية والف
وتسعماية واحدى وثمانون كلمة واربعة
الاف وخمسماية وخمسة وتسعون حرفا
بسم الله الذي احاط بجميع القوى فاعجز جنده
الرحمن الذي شمل جميع العباد بنعمه الرحيم
بجميع خلقه وقوله تعالى الم سبق القول فيه
في اول البقرة ووقوع الاستفهام بعده دليل
على استقلاله بنفسه فيكون اسما للسورة
او القران او لله او انه سر استاثر بعلمه الله
تعالى واستقلاله بما يضمر معه بتقدير
مبتدا او خبر او غيره مما مر اول السورة
البقرة وقيل في الم اشارة بالالف

الدال

الدال على القايم الاعلى المحيط ولام الوصلة
وميم التمام بطريق الرمز الى انه تعالى ارسل
جبريل الى محمد عليهما الصلاة والسلام ولما
قال تعالى في اخر السورة المتقدمة وادع الى
ربك وكان في الدعا اليه الحراب والضراب والطعا ن
لان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا
مامورين بالجهاد فشق على البعض ذلك قال
تعالى احسب الناس اي كافة ان يتركوا اي ظنوا
انهم يتركون بغير اختبار وابتلا في وقت ما بوجه
من الوجوه تنبيه ان يتركوا سد مسد
مفعولي حسب عند الجمهور ان اي بان
يقولوا بقولهم امنا وهم اي والحال لا يفتنون
اي مختبرون ما يتميز به حقيقة ايمانهم
بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة ورفض
الشهوات وانواع المصايب في الانفس والاموال
ليتبين المخلص من المنافق والصادق من
الكاذب ولينالوا بالصبر عليها عوالي الدرجات
فان مجرد الايمان وان كان عن خلاص لا يقتضي
غير الخلاص من الخلود في العذاب

Copyright © King Saud University

واختلفوا في سبب نزول هذه الاية فقال الشعبي
نزلت في اناس كانوا بمكة كانوا قد اقروا بالاسلام
ثم هاجروا فتبعهم الكفار فنهم من قتل ومنهم
من نجا فانزل الله تعالى هاتين الايتين وعن ابن
عباس رضي الله عنهما قال انها نزلت في عمار بن
ياسر وعياش بن ربيعة والوليد بن الوليد
وسلمة بن هشام كانوا يعذبون بمكة وقال ابن
جريج نزلت في عمار بن ياسر كان يعذب في الله
عز وجل وقال مقاتل نزلت في مهجع بن عبد الله
مولى عمر كان اول قتيل قتل من المسلمين يوم
بدر فقال النبي صلى الله عليه وسلم سيد
الشهدا مهجع وهو اول من يدعى الى باب
الجنة من هذه الامة فجزع عليه ابوه وامراته
فانزل الله تعالى فيهم هذه الاية وقيل هم لا
يفتنون بالاوامر والنواهي وذلك ان الله تعالى
امرهم في الابتدا بمجرد الايمان ثم فرض عليهم
الصلاة والزكاة وساير الشرايع فشق على
بعض فانزل الله تعالى هذه الاية ثم
عزاهم فقال ولقد فتنا الذين من قبلهم
اي من

اي من الانبيا والمومنين فنهم من نشر بالمناشر
ومنهم من ابتلي ومنهم من قتل وابتلي بنو اسرايل
بفرعون فكان يسومهم سوء العذاب فذلك
سنة قديمة جارية في الامم كلها فلا ينبغي ان يتوقع
خلافه فليعلمن الله اي الذي له الكمال كله الذين
صدقوا في ايمانهم علم مشاهدة للخلق والا فالله
تعالى لا يخفى عليه خافية وليعلمن الكاذبين فيه
اي فيظهرن الله الصادقين من الكاذبين في الايمان
فايدة لبعض المحدثين للهواية اي علامة
يعرف الصادق في عشقه من الكذاب سهر
الليل دايما ونحول الجسم والموت في رضا الاحباب
ام حسب اي ظن الذين يعملون السيات اي الشرك
والمعاصي فان العمل يعم افعال القلوب والجوارح
ان يسبقونا اي يفوتونا فلا ننتقم منهم وهذا
شاذ مسد مفعول حسب وام منقطعة
والاضراب فيها لان هذا الحساب ابطل من
الاول لان صاحب ذلك يقدر ان لا يمتحن
لايمانه وصاحب هذا يظن ان لا يجازى بمساويه
ولهذا عقبه بقوله تعالى ساء ما يحكمون

Copyright © King Saud University

اي بس الذي يحكمونه اوحكما يحكمونه حكمهم هذا
فحذف المخصوص بالذم ولما بين بقوله احسب
الناس ان يتركوا ان العبد لا يترك مهملا الذي
سدا وبين في قوله تعالى ام حسب الذين
يعملون السيات ان من ترك ما كلف به يعذاب
عذابا بين ان من يعترف بالاخرة ويعمل بها
لا يضيع عمله بقوله تعالى من كان يرجوا لقا الله
اي الملك الاعلى قال ابن عباس ومقاتل من
كان يخشى البعث والحساب والرجا بمعنى
الخوف وقال سعيد بن جبير من كان يطمع في
ثواب الله فان اجل الله اي الوقت المضروب
للقايه لات اي لجا لامحالة فانه لا يجوز عليه
اخلاف الوعد فان قيل كيف وقع فان اجل
الله لات جوابا للشرط اجيب بانه اذا كان
وقت اللقا اتيا كان اللقا اتيا لامحالة كما تقول
من كان يرجو لقا الملك فان يوم الجمعة
قريب اذا علم انه يقعد للناس يوم الجمعة
وقال مقاتل يعني يوم القيمة لكاين و
معنى الاية ان من يخشى الله تعالى ويامله
فليستعد

فليستعد له وليعمل لذلك اليوم كما قال تعالى
فمن كان يرجو لقا ربه فليعمل عملا صالحا وهو
السميع اي لما قالوه العليم يعلم من صدق فيما قال
ومن كذب فيثيب ويعاقب على حسب عمله وقال
الرازي وها هنا لطيفة وهي ان للعبد امورا
هي اصناف حسناته عمل قلبه وهو التصديق
وهو لا يرى ولا يسمع وانما يعلم وعمل لسانه
وهو يسمع وعمل اعضايه وجوارحه وهو
يرى فاذا اتى بهذه الاشيا يجعل الله تعالى
لمسموعه ما لا اذن سمعت ولمرئيه ما لا
عين رات ولعمل قلبه ما لا خطر على قلب
احد كما وصف في الخبر في وصف الجنة انتهى
تنبيه لم يذكر تعالى من الصفات غير هذين
الصفتين كالعزيز والحكيم وذلك لانه سبق
في القول في قوله تعالى احسب الناس ان
يتركوا ان يقولوا وقد سبق الفعل بقوله تعالى
وهم لا يفتنون وبقوله تعالى فليعلمن الله
الذين صدقوا وبقوله تعالى احسب الذين
يعملون السيات ولا شك ان القول

Copyright © King Saud University

يدرك بالسمع والعمل منه ما يدرك بالبصر
ومنه ما لا يدرك به كما علم مما مر والعلم يشملهما
ولما بين تعالى ان التكليف حسن واقع
وان عليه وعدا وايعادا لبين لهما دافع بين
ان طلب الله تعالى ذلك من المكلف ليس لنفع
يعود اليه بقوله تعالى ومن جاهد اي جهده
في جهاد حرب او نفس حتى كانه سابق
اخر في الاعمال الصالحة فانما يجاهد لنفسه
لان منفعة جهاده له لا لله تعالى فانه غني
مطلق كما قال تعالى ان الله اي المتصرف
في عباده بما شاء لغني عن العالمين اي الانس
والجن والملائكة وعن عبادتهم ومثل هذا كثير
في القران كقوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه
وقوله تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم
فينبغي للعبد ان يكثر من العمل الصالح ويخلصه
لان من عمل فعلا يطلب به ملكا ويعلم
ان الملك يراه يحسن العمل ويتقنه واذا
علم ان عمله لنفسه لا لاحد يكثر منه
نسأل الله الكريم الفتاح ان يوفقنا للعمل
الصالح

الصالح وان يفعل ذلك باهلينا وذريتنا ومحبينا
بمحمد صلى الله عليه وسلم واله ولما بين حال
المسيء مجملا بقوله تعالى ام حسب الذين
يعملون السيئات ان يسبقونا اشارة الى
التعذيب مجملا وذكر حال المحسن بقوله تعالى
ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه كان التقدير
فالذين جاهدوا او عملوا السيئات لنجزينهم
اجمعين ولكنه طواه لان السيئات لاهل الرجا
عطف عليه قوله تعالى والذين امنوا وعملوا
تصديقا لايمانهم الصالحات اي في الشدة والرخا
على حسب طاقتهم وفي ذلك اشارة الى ان
رحمته اتم من غضبه وفضله اتم من عدله
واشار بقوله تعالى لنكفرن عنهم سيئاتهم
الى ان الانسان وان اجتهد لا بد ان يزل لانه
مجبول على النقص فالصلاة الى الصلاة كفارة
لما بينهما ما لم تؤت الكبائر والجمعة الى الجمعة
ورمضان ونحو ذلك مما وردت به الاخبار
عن النبي المختار فالصغائر تكفر بعمل الصالحات
واما الكبائر فتكفر بالتوبة ولما بشرهم

Copyright © King Saud University

بالعفو عن العقاب ثم البشرى بالامتنان
بالثواب فقال عاطفا على تقديره ولنثبتن
لهم حسنا ثم ولنجزينهم احسن الذى كانوا
يعملون اي احسن جزا ما عملوه وهو الصالحات
واحسن نصب بنزع الخافض وهو الباء ولما
كان من جملة العمل الصالح الاحسان الى الوالدين
ذكر ذلك بقوله تعالى ووصينا الانسان
بوالديه اي وان عليا حسنا اي برابهما وعطفا
عليهما اي وصيناه بايتاء والديه حسنا او
بايلاء والديه حسنا لانهما سبب وجود
الولد وسبب بقايه بالاعادة للسعادة
فهو اولى بان يحسن العبد حاله معه
فيطيعهما ما لم يامراه بمعصية الله تعالى
كما قال تعالى وان جاهداك لتشرك بي
وقوله تعالى ما ليس لك به علم اي لا علم لك
بالهية موافق للواقع فلا مفهوم له وانه
اذا كان لا يجوز ان يتبع فيما لا يعلم صحته
فبالاولى ان يتبع فيما علم بطلانه فلا
تطعهما في ذلك كما جاء في الحديث

لا

لا طاعة لمخلوق في معصية الله تعالى ولا بد من
اضمار القول ان لم يضمر فبل ثم علل ذلك بقوله
تعالى الي مرجعكم من امن منكم ومن كفر ومن بر والديه
ومن عق ثم تسبب عنه بقوله تعالى فانبيكم بما كنتم
تعملون اي اخبركم بصالح اعمالكم وسيئها فاجازيكم عليها
نزلت هذه الاية في سعد بن ابي وقاص الزهري وامه
حمنة بنت ابي سفيان بن امية بن عبد شمس روي
انها لما سمعت باسلامه قالت يا سعد بلغني انه
قد صبات فوالله لا يظلني سقف بيت من الضح وهو
بكسر الضاد المعجمة وبحاء مهملة الشمس والريح وان
الطعام والشراب علي حرام حتى تكفر بمحمد وكان
احب ولدها اليها فابى سعد ولبثت ثلاثة ايام
لا تنتقل من الضح ولا تاكل ولا تشرب فلا يطعمها
سعد بل قال والله لو كان مائة نفس فخرجت
نفسا نفسا ما كفرت بمحمد صلى الله عليه وسلم ثم
جا سعد الى النبي صلى الله عليه وسلم وشكى اليه
فنزلت هذه الاية وهي التي في لقمان والتي في الاحقاف
فامره النبي صلى الله عليه وسلم ان يداريها
ويترضاها بالاحسان وروي انها نزلت في

ما اكثر الاصحاب حين تعدهم ولكنهم في النايبات قليل
قال الله تعالى اوليس الله باعلم اي بعالم بما في صدور
اي قلوب العالمين من الايمان والنفاق وليعلمن
الله الذين امنوا اي بقلوبهم وليعلمن المنافقين
فيجازي الفريقين واللام في الفعلين لام قسم
ولما بين الفرق الثلاثة واحوالهم ذكران الكافر
يدعوا من يقول امنت الى الكفر بقوله تعالى وقال
الذين كفروا اي ظاهرا وباطنا للذين امنوا
اي ظاهرا وباطنا لم يخلوا الاذي والذل اتبعوا
سبيلنا اي الذي نسلكه في ديننا تدفعوا عن
انفسكم ذلك فقالوا نخاف من عذاب الله فقالوا
على خطيئة اتباعكم فقالوا لهم اتبعوا
ولنحمل خطاياكم ان كان ذلك خطيئة او ان
كان بعث ومواخذة قال الجلال المحلي والامر
بمعنى الخبر وهو اولى من قول البيضاوي
وانما امروا انفسهم بالحمل عاطفين على امرهم
بالاتباع مبالغة في تعليق الحمل بالاتباع
والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كانت
تشجيعا للمومنين على الاتباع ولهذا
الاعتبار

ورد عليهم وكذبهم بقوله وما هم اي الكفار بحاملين
من خطاياهم اي المومنين من شيء انهم لكاذبون في ذلك
قال الزمخشري وترى في المتسمين بالاسلام
من يستن بذلك فيقول لصاحبه اذا اراد ان
يشجعه على ارتكاب بعض العظايم افعل هذا
واثمه في عنقي وكم من مغرور بمثل هذا الضمان
من ضعفة العامة وجهلتهم ومنه ما يحكى ان
ابا جعفر المنصور رفع اليه بعض اهل الحشو حوايجه
فلما قضاها قال يا امير المومنين بقيت الحاجة
العظمى قال وما هي قال شفاعتك يوم القيمة
فقال له عمرو بن عبيد رحمه الله اياك وهولا
فانهم قطاع الطريق في المامن قال فان قيل
كيف سماهم الله تعالى كاذبين وانما ضمنوا شيا
علم الله تعالى انهم لا يقدرون على الوفا به وضامن
ما لا يعلم اقتداره على الوفا به لا يسمى كاذبا
لا حين ضمن ولا حين عجز لانه في الحالين لا يدخل
تحت حد الكاذب وهو المخبر عن الشي لا ما هو
عليه اجيب بان الله تعالى شبه حالهم
حيث علم انهم ما ضمنوه لا طريق لهم الى ان يفوا به

وكان ضمانهم عندنا لا علي ما عليه المخبر عنهم ويكون
ان يريد انهم كاذبون لانهم قالوا ذلك وقلوبهم علي
خلافه الذين يعدون الشي وفي قلوبهم نية الخلف
تنبيه من الاولي للتبيين والثانية مزيدة
والتقدير وما هم بحاملين من خطاياهم من شي
قال تعالي وليحملن اي الكفرة اثقالهم اي اثقال ما
اقترفته انفسهم واثقالا مع اثقالهم اي اثقالا
بقولهم للمومنين اتبعوا سبيلنا وباضلالهم
مقلديهم فكيف الجمع بينهما اجيب بان قول
القايل حمل فلان من فلان يريد ان حمل فلان
حق وان لم يخف حمله فلا يكون قد حمل منه
شيا بقوله تعالي وما هم بحاملين من خطاياهم
يعني لا يرفعون عنهم خطيئة بل يحملون اوزار
انفسهم واوزار بسبب اضلالهم كقوله صلي الله
عليه وسلم من سن سنة سية فعليه وزرها
ووزر من عمل بها من ان ينقص من وزره شي
وقال تعالي في اية اخري ليحملوا اوزارهم
كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم
بغير علم من غير ان ينقص من اوزار من تبعهم
شي

شي وليسلن يوم القيمة اي سوال توبيخ وتقريع
عما كانوا يفترون اي يختلقون من الاكاذيب والاباطيل
واللام في الفعلين لام قسم وحذف فلعلهما الواو
ونون الرفع ولما كان السيات للبلا والامتحان
والصبر علي الهوان ذكر من الرسل الكرام عليهما
السلام من طال صبره علي البلا لم يفتر عزمه
عن نصيحة العباد بقوله تعالي ولقد ارسلنا
نوحا اي اول رسل الله الي المخالفين الي العباد
وهو معني الي قومه وعمره اربعون سنه
فان الكفر كان قد عم اهل الارض وكان عليه
السلام اطول الانبيا بلاءهم وذلك قال تعالي
مسببا عن ذلك ومتعقبا فلبث فيهم اي بعد
الرسالة الف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الي توحيد
الله فكذبوه فاخذهم الطوفان اي الما الكثير فغرقوا
وهم ظالمون قال ابن عباس مشركون وفي ذلك
تسلية للنبي صلي الله عليه وسلم ولتابعيه
رضي الله تعالي عنهم وتثبيتا لهم وتهديدا
لقريش قال ابن عباس كان عمر نوح عليه
السلام الفا وخمسين سنة بعث علي راس

Copyright © King Saud University

الاربعين سنة ولبث في قومه تسعماية وخمسين
سنة وعاش بعد الطوفان ستين حتى كثر الناس
وفشوا روي عن ابن عباس انه بعث وهو ابن
اربعماية سنة وثمانين سنة وعاش بعد
الطوفان ثلثماية وخمسين سنة فاذا كان
هذا محفوظا عن ابن عباس فيضاف الى لبثه
في قومه وهو تسعماية وخمسون سنة فيكون
عاش الف وسبعماية وثمانين سنة واما قبره
روي ابن جرير والازرقي في حديث مرسلا
ان قبره بالمسجد الحرام وقيل ببلدة البقاع
يعرف اليوم بكرك نوح وهناك جامع قد
بني بسبب ذلك وعن وهب انه عاش الفا
واربعماية سنة والاية تدل على خلاف
قول الاطبا العمر الانساني لا يزيد على ماية
وعشرين سنة ويسمونه العمر الطبيعي قال
الرازي ونحن نقول ليس طبيعيا بل هو
عطاي الهي واما العمر الطبيعي فلا بد وهو عنده
ولا نجده فضلا عن ماية او اكثر فان قيل
هلا قيل تسعماية سنة وخمسين ولما جاء
المميز

١٢٩

المميز اولا بالسنة وثانيا بالعام اجيب
عن الاول بان ما اورده الله تعالى احكم
لانه لو قيل كما ذكر لجاز ان يتوهم اطلاق هذا
العدد على اكثره وهذا التوهم زايل مع مجيئه
كذلك وكانه قال تسع ماية وخمسين سنة
كاملة وافية العدد الا ان ذلك اخصر واعذب
لفظا واملا بالفايدة وفيه نكتة اخرى
وهي ان القصة مسبوقة لذكر ما ابتلي به
نوح عليه السلام من امته وما كابده من طول
المصابرة تسلية لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وتثبيتا له فكان ذكر راس العدد الذي لا
راس اكثر منه اوقع واوصل الى الغرض من
استطالة السامع مدة صبره وعن الثاني
بان تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد
حقيق بالاجتناب في البلاغة الا اذا وقع ذلك
لاجل غرض ينتجه المتكلم من تفخيم او تهويل
او تنويه او نحو ذلك والطوفان لغة ما
اطاف واحاط بكثرة وغلبة من سيل
او ظلام او نحوه قال العجاج وعم طوفان

Copyright King Saud University

الا ظالم الابنا فانجيناه اي نوحا واصحاب السفينة
اي الذين كانوا فيها من الغرق وكانوا ثمانية
وسبعين نفسا نصفهم ذكور ونصفهم اناث
منهم اولاد نوح سام وحام ويافث ونساوهم
وعن محمد بن اسحاق كانوا عشرة خمسة رجال
وخمسة نسوة وقد روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه
الثلاثة وجعلناها اي السفينة او الحادثة و
القصة اية اي عبرة وعلامة على قدرة الله تعالى
وعلمه وانجايه للطايع واهلاكه للعاصي للعالمين
اي لمن بعدهم من الناس ان عصوا رسولهم
فانه لم يقع في الدهر حادثة اعظم منها ولا اغرب
ولا اشهر وفي تطبيق الما جميع الارض بطولها
والعرض واغراق جميع ما عليها من حيوان
انسان وغيره ولما ذكر تعالى قصة نوح
وكان ابتلا ابراهيم عليه السلام عظيما
في قذفه النار واخراجه من بلاده اتبعه
بقوله تعالى وابراهيم وهو منصوب اما
باذكر ويكون اذ قال لقومه اعبدوا الله
و

واتقوه اي خافوا عقابه بدل اشتمال لان
الاحيان تشتمل على ما فيها واما معطوف
على نوحا اذ ظرف لارسلنا اي ارسلنا حين
بلغ من السن والعلم مبلغا صلح فيه لان
يعظ قومه وينصحهم ويعرض عليهم الحق
ويامرهم بالعبادة والتقوى ذلكم اي الامر العظيم
الذي هو اخلاصكم في عبادتكم له وتقواكم خير لكم
اي من كل شي ان كنتم تعلمون اي في عداد من
يتجدد له علم فينظر في الامور بنظر العلم
دون نظر الجهل ولما امرهم بما تقدم
ونفى العلم عمن جهل خيريته دل عليه بقوله
تعالى انما تعبدون من دون الله اي غيره
اوثانا اي اصناما فلا تستحق العبادة لانها
حجارة منحوتة لا شرف لها وتخلقون اي تصورون
بايديكم افكا اي شيا مصورا فاعن وجهه
فانه مصنوع وانتم تسمونه باسم الصانع
ومربوبا وانتم تسمونه ربا او تقولون كذبا
في تسميتها الهة وادعا شفاعتها عند الله
ثم ان الله تعالى نفى عنها النفع بقوله تعالى

تعالى ان الذين تعبدون ضلالا وعدولا عن الحق
الواضح من دون اي غير الله الذي له الملك كله
لا يملكون لكم رزقا اي شيئا من الرزق الذي لا قوام
لكم بدونه وانتم تعبدونها فكيف بغيركم فتسبب
عن ذلك بقوله تعالى فابتغوا اي اطلبوا عند الله
اي الذي له صفات الكمال الرزق اي كله فانه لا شي
منه الا وهو بيده فان قيل لم نكر الرزق في قوله
تعالى لا يملكون لكم رزقا وعرفه في قوله تعالى
فابتغوا عند الله الرزق اجيب بانه نكره
في معرض النفي الا رزق عندهم اصلا وعرفه
عند الاثبات عند الله تعالى اي كل رزق
عنده فاطلبوه منه وايضا الرزق من الله
معروف بقوله تعالى وما من دابة في الارض
الا على الله رزقها والرزق من الاوثان غير
معلوم فنكره لعدم حصول العلم به واعبدوه
اي عبادة يقبلها وهو ما كان خالصا عن
الشرك واشكروا له اي اوقعوا الشكر له خاصة
على ما افاض عليكم من النعم ثم علل ذلك
بقوله تعالى اليه وحده ترجعون اي يعني
في الدنيا

في الدنيا والاخرة فانه لا حكم في الحقيقة لاحد
سواه وحسا بالنشر والحشر بايسر امر فيثيب
الطايع ويعذب العاصي ولما فرغ من بيان
التوحيد اتى بعده بالتهديد فقال وان
تكذبوا اي وان تكذبوني فقد اي فيكفيكم في
الوعظ والتهديد معرفتكم بانه قد كذب امم
اي في الازمان الكاينة من قبلكم اي من قبلي
من الرسل فجرى الامر فيهم على سنن واحد لم
يختلف قط في نجاة المطيع للرسول وهلاك
العاصي له ولم يضر ذلك الرسول شيا وما
اضروا به الا انفسهم وما على الرسول ان يقهركم
على التصديق بل ما عليه الا البلاغ المبين
الموضح مع ظهوره في نفسه للامين بحيث
لا يبقى فيه شك باظهار المعجزة واقامة الوحدانية
على الادلة تنبيه في المخاطب بهذه الاية
والايات بعدها الى قوله فما كان جواب قومه
وجهان الاول ان قوم ابراهيم لان القصة
له فكان ابراهيم عليه السلام قال لقومه
ان تكذبوني فقد كذب امم من قبلكم وانما

انيت بما على من التبليغ فان الرسول ليس عليه الا
التبليغ والبيان فان قيل ان ابراهيم لم
يسبقه الا قوم نوح وهم امة واحدة اجيب
بان قبل نوح ايضا كان اقوام كقوم ادريس
وقوم شيث وادم وايضا فان نوحا عاش
اكثر من الف سنه وكان القرن يموت ويحيي
اولاده والاباء يوصفون الابنا بالامتناع
من الاتباع فكفي بقوم نوح امما ولقد
عاش ادريس الف سنه في قومه الي ان رفع
الي السما وامن به الف انسان منهم على
عدد سنيه واعقابهم على التكذيب الثاني
ان الاية مع قوم محمد صلى الله عليه وسلم
لان هذه القصص اكثرها المقصود منه
تذكر قومه بحال من مضي حتى يمتنعون من
التكذيب ويرتدعوا خوفا من التعذيب
فقال في اثنا حكاياتهم يا قوم ان تكذبوا
فقد كذب قبلكم اقوام هلكوا فان كذبتم
فاني اخاف عليكم ان يقع مابكم ما وقع بغيركم
وعلى هذا اقتصر الجلال المحلي والبقاعي

وهذه

وهذه الاية تدل كما قال ابن عادل على انه لا يجوز
تاخير البيان عن وقت الحاجة لان الرسول
اذا بلغ شيا ولم يبينه فلم يات بالبلاغ المبين اولم
يروا اي ينظروا كيف يبدا الله اي الذي له كل كمال
الخلق اي يخلقهم الله تعالى ابتدا نطفة ثم
مضغة ثم علقة ثم هو لا غيره يعيده اي
الخلق كما كان ان ذلك اي المذكور من الخلق
الاول والثاني على الله اي الجامع لكل كمال
المنزه عن كل شايبة نقص يسير فكيف ينكرون
الثاني فان قيل متى راي الانسان بداء
الخلق حتى يقال اولم يروا كيف يبدي الله
الخلق اجيب بان المراد بالروية العلم الواضح
الذي كالروية فالعاقل يعلم ان البدا من الله
تعالى لان الخلق الاول لا يكون من مخلوق
والا لما كان الخلق الاول خلقا اولا فهو من الله
تعالى فان قيل علق الروية بالكيفية لا بالخلق
ولم يقل اولم يروا ان الله خلق او بداء الخلق
والكيفية غير معلومة اجيب بان هذا
القدر من الكيفية معلوم وهو انه خلقه

ولم يكن شيا مذكورا وان خلقه من نطفة هي من
غذا هو من تراب وما وهذا القدر كاف في حصول
العلم بامكان الاعادة فان قيل لم ابرز اسمه
تعالى في ان ذلك على الله يسير ولم يقل ان
ذلك عليه كما قال ثم يعيده من غير ابراز اجيب
بانه مع اقامة البرهان على انه اليسير اكده
باظهار اسمه فانه يوجب المعرفة ايضا بكون
ذلك يسيرا فان الانسان اذا سمع لفظ الله
وفهم معناه ان الحي القادر بقدرة كاملة
لا يعجزه شي محيط بذرات كل نافذ الارادة
يقطع بجواز الاعادة وقرا حمزة والكساي
وخلف تروا بالتا على الخطاب على تقدير
القول والباقون باليا على الخطاب الغيبة
ولما ساق تعالى هذا الدليل الذي حاج به
قومه الخليل قال تعالى لنبيه محمد صلى الله
عليه وسلم قل ايها ولا الذين تعبدوا
بما تقلدوا به مذاهب اباهم سيروا ان لم
تقتدوا بابيكم ابراهيم عليه السلام وتاملوا
ما اقام من الدليل القاطع والبرهان الساطع

الساطع في الارض ان لم يكفكم النظر في احوال
بلادكم فانظروا اي نظر اعتبار كيف بدا ربكم الذي
خلقكم ورزقكم الخلق من الحيوان والنبات
والزروع والاشجار وغير ذلك مما تضمنته
الجبال والسهول ثم الله اي الجابر لجميع صفات
الكمال ينشي النشاة الاخرة بعد النشاة الاولى
وقرا ابن كثير وابو عمرو بفتح الشين ثم علل
ذلك بقوله تعالى ان الله على كل شي قدير لان
نسبة الاشيا كلها اليه واحدة فان قيل
ابرز اسم الله في الاية الاولى عند البدا فقال
كيف يبدا الله واضمر عند الاعادة فقال ثم
الله ينشي اجيب بان في الاية الاولى لم
يسبق ذكر الله تعالى بفعل حتى يسند اليه
البدا مسند الى الله تعالى فاكتفى به ولم
يبرزه واما اظهاره عند الانشا ثانيا فقال
ثم الله ينشي مع انه كان يكفي ان يقول ثم
ينشي النشاة الاخرة فلحكمة بالغة وهي انه
مع اقامة البرهان على امكان الاعادة اظهر

اسمه حتى يفهم به صفات كماله ونفوذ جلاله
فيقطع بجواز الاعادة فقال ثم الله مظهرا
ليقع في ذهن الانسان من اسمه كمال قدرته
وشمول علمه ونفوذ ارادته فيعترف بوقوع
ادايه وجواز اعادته فان قيل قال في الاولى
اولم يروا كيف يبدا الله الخلق ثم بلفظ
المستقبل وها هنا قال فانظروا كيف بدا
بلفظ الماضي فما الحكمة اجيب بان الدليل
الاول هو الدليل النفسي الموجب للعلم وهو
موجب العلم بيدا الخلق واما الدليل
الثاني فمعناه ان كان ليس لكم علم بانه
يبدا الخلق فانظروا الى الاشيا المخلوقة فيحصل
لكم العلم بان الله بدا خلقا ويحصل من هذا
القدر بانه ينشي كما بداء ذلك فان قيل
قال في هذه الاية ان الله على كل شي قدير
وقال في الاولى ان ذلك على الله يسير
فما فايدته اجيب بان فيه فايدتان
الاولى ان الدليل الاول هو الدليل النفسي
وهو وان كان موجبا للعلم التام ولكن
عند

عند انضمام الدليل الافاقي اليه يحصل العلم التام لانه
بالنظر الى نفسه علم حاجته الى غيره ووجوده منه
فتم علمه بان كل شي من الله تعالى عند تمام الدليل
ان الله على كل شي قدير وقال عند الدليل الواحد
ان ذلك وهو الاعادة على الله يسير الثانية
ان العلم الاول اتم وان كان الثاني اعم وكون الاعم
يسيرا على الفاعل اتم من كونه مقدورا له بدليل
قولك لمن يحمل مائة رطل انه قادر عليه فاذا سئلت
عن حمله عشرة ارطال تقول ذلك سهل
يسير فتقول كان التقدير ان لم يحصل لكم
العلم التام بان هذه الامور عند الله سهلة
يسيرة فسيروا في الارض لتعلموا انه مقدور
ونفس كونه مقدورا كان في امكان الاعادة
ولما تم الدليل على الاعادة انتج لا محالة انه
يعذب اي بعدله من يشا تعذيبه اي منكم
ومن غيركم في الدنيا والاخرة ويرحم اي بفضله
ورحمته من يشا رحمته فلا عكسه سوفان
فانه قيل لم قدم التعذيب في الذكر على الرحمة
مع ان رحمته سابقة كما قال صلى الله عليه

ساه
فاذا سئل

Copyright © King Saud University

وسلم عن الله تعالى سبقت رحمتي غضبي اجيب
بان السابق ذكر الكفار فذكر العذاب لسبق
ذكر مستحقه بحلم الايعاد وعقبه بالرحمة
فذكر الرحمة وقع تبعا لئلا يكون العذاب
مذكورا وحده وهذا تحقيق قوله ورحمتي
سبقت غضبي واليه وحده تقلبون اي
تردون بعد موتكم بايسر سعي وما انتم بمعجزين
ربكم عن ارادتكم في الارض كيفما تقلبتم في
ظاهرها وباطنها واختلف في معنى قوله
تعالى ولا في السما لان الخطاب مع الادميين
وهم ليسوا في السما قال الفرا معناه ولا
من في السما بمعجزان عصى كقول حسان

ابن ثابت شعر

فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سوا

اراد ومن يمدحه وينصره فاضمر من يريد
اي لا يعجز اهل الارض من في الارض ولا اهل
السما من في السما معناه ان من في السموات
عطف بتقدير ان يعصي وقال الفرا وهذا
من غوامض العربية وقال قطرب

وما

وما انتم بمعجزين ولا في السما لو كنتم فيها كقول
القايل ما يفوتني فلان هنا ولا في البصرة
اي ولا بالبصرة لو كان بها كقول القايل ان
استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات
والارض اي على تقدير ان تكونوا فيها قال ابن
عادل وابعد من ذلك من قدر موصولين
محذوفين اي وما انتم بمعجزين من في الارض
من الجن والانس ولا من في السما من الملايكة
فكيف تعجزون خالقها وعلى قول الجمهور
يكون المفعول محذوفا اي وما انتم بمعجزين
اي فايتين ما يريد الله تعالى وقال البقاعي
ويمكن ان يكون له نظر الى قصة نمرود وبنايه
الصرح الذي اراد به التوصل الى السما
لاسيما والايات مكتنفة بقصة ابراهيم
عليه السلام من قبلها ومن بعدها ولما
اخبرهم انه مقتدر عليهم وربما يتوهم ان
غيرهم ينصرهم صرح بنفيه في قوله تعالى
وما لكم اي غير اجمعين واشار الى سفول
رتبة ما سواه بقوله من دون الله اي قريب يحميكم

اي غيره واكد النفي باثبات الجار بقوله من ولي
اي قريب يجمعكم لاجل القرابة ولا نصير ينصركم
من عذابه ولما بين الاصلين التوحيد والاعادة
وقررها بالبرهان هدد من خالفه على سبيل
التفصيل بقوله تعالى والذين كفروا اي ستروا
ما اظهرت لهم انوار العقول بايات الله اي
بسبب دلايل الملك الاعظم المرئية المسموعة
التي لا اوضح منها ولقايه بالبعث بعد الموت
الذي اخبر به واقام الدليل عليه اولئك اي
البعدا والبغضا يئسوا اي تحقق ياسهم
من الان بل من الازل لانهم لم يرجوا لقاء الله
يوما ولا قايل منهم رب اغفر لي خطيئتي يوم
الدين من رحمتي اي من ان افعل بهم من الاكرام
بدخول الجنة وغيرها فعل الراحم واولئك لهم
عذاب اليم اي مولم بالغ المه فان قيل هلا
اكتفي بقوله تعالى اولئك مرة واحدة اجيب
بان ذلك كرر تفخيما للامر في الياس ووصف
لهم لان المومن انما يكون راجيا خاشيا واما
الكافر فلا يخطر بباله رجا ولا خوف
وعن

وعن قتادة ان الله تعالى ذم قوما هانوا
عليه فقال اولئك يئسوا من رحمتي
واولئك لهم عذاب اليم ولا يياس من روح الله
الا القوم الكافرون فينبغي للمومن ان لا يياس
من روح الله ولا من رحمته وان لا يامن من
عذابه وعقابه فصفة المومن ان يكون المومن
راجيا لله خايفا ثم ان الله تعالى اخبر عن
فظاظة قوم ابراهيم وتكبرهم بقوله تعالى فما
كان جواب قومه لما امرهم بالتوحيد وتقوى
الله تعالى الا ان قالوا اي قال بعضهم لبعض
او قال واحد منهم وكانوا الباقون راضون
اقتلوه او حرقوه بالنار فان قيل كيف سمي
قولهم اقتلوه او حرقوه جوابا مع انه ليس
بجواب اجيب عنه من وجهين احدهما
انه خرج مخرج المتكبر كما يقول الملك لرسول
خصمه جوابكم السيف مع ان السيف ليس
بجواب وانما معناه لا اقابل بالجواب وانما
اقابل بالسيف وثانيهما ان الله تعالى اراد
بيان ضلالتهم ((وانما ذكروا ما ليس بجواب))

كلام م

Copyright © King Saud University

في معرض الجواب فبين انهم لم يكن لهم جواب
اصلا وذلك ان من لا يجيب غيره وسكت
دنه لا يعلم انه قدر وقدر على الجواب ام لا لجواز
ان يكون سكوته لعدم الالتفات واما اذا اجاب
بجواب فاسد علم ان قصد الجواب وما قدر
عليه ثم انهم استقر رايهم على الاحراق فجمعوا
له حطبا ان ملاوا ما بين الجبال واضرموا
فيه النار حتى احرقت ما دنا منهم بعظم
الاشتعال وقذفوه فيها بالمنجنيق فانجاه
الله بما له من كمال القدرة من النار اي من
احراقها واذاها ونفعته بان احرقت
وثاقه ان في ذلك اي ما ذكر من امره وما
اشتملت عليه قصته من الحكم لايات اي براهين
قاطعة في الدلالة على جميع امر الله من تصرفه
في الاعيان والمعاني تكون النار لم تحرقه
واحرقت وثاقه وكل ما مر عليها من طاير
واخمادها مع عظمها في زمان يسير وانشا
روض مكانها وروي انه لم ينتفع في ذلك
اليوم الذي القي فيه ابراهيم عليه السلام
وذلك

وذلك لذهاب حرها لقوم يومنون اي يصدقون
بتوحيد الله وقدرته لانهم المنتفعون بالفحص
عنها والتامل فيها وقال اي ابراهيم عليه السلام
غير هايب لتهديدهم بقتل وغيرهم انما اتخذتم
اي اخذتم باصطناع وتكلف واشار الى
عظمة الله وعلو شانه من دون الله الذي
كل شي تحت قهره اوثانا اي اصناما تعبدونها وما
مصدرية مودة بينكم اي تواددتم على صحبتها
في الحياة الدنيا بالاجتماع عندها والتواصل
في امرها بالتناصر والتعاضد كما يتفق ناس
على مذهب فيكون ذلك سبب تصادقهم
وهذا دال على ان جمع الفسوق لاهل الدنيا
هو العادة المستمرة وان الحب في الله
والاجماع له عزيز جدا لما فيه من قطع علايق
الدنيا وشهواتها التي زينت للناس على
ما فيها من الياس وعظم الباس وقرا
نافع وابن عامر وشعبة مودة بالنصب
والتنوين وبينكم بنصب النون فنصب
مودة على انه مفعول له اي لاجل مودة

Copyright © King Saud University

وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي برفع مودة
من غير تنوين وكسر النون على ان مودة خبر
مبتدا محذوف اي هي مودة والباقون بنصب
مودة من غير تنوين وكسر النون وهذا ايضا
كاعراب المنونة ولما اشار الى هذا النفع
الذي هو في الحقيقة ضر اتبع ذلك ما يعقبه
من الضر البالغ معبرا باداة البعد بقوله
ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض فينكر كل منكم
محاسن اخيه ويتبرا منه بلعن الاتباع
القادة وتلعن القادة الاتباع كما قال تعالى
ويلعن بعضكم بعضا وتنكرون كلكم عبادة
الاوثان تارة اذا تحققتم انها ضر لا نفع لها
وتقرونها اخرى طالبين نصرتها راجين
منفعتها وتنكر الاوثان عبادتكم وتجحد
منفعتكم ومأواكم اي جميعا انتم والاوثان
النار ومالكم من ناصرين يخرجكم منها ثم بين تقدم
اول من امن بابراهيم بقوله تعالى فامن له
اي لاجل دعايه له مع ما راى من الايات لوط
وكان ابن اخيه هاران وهو اول من صدقه
من الرجال

من الرجال وقال اي ابراهيم عليه السلام بما هو
جدير بالانكار من الهجرة لصعوبتها اني مهاجر
اي خارج من ارضي وعشيرتي على وجه الهجر منتقل
ومتحاز الى ربي اي الى ارض ليس فيها انيس ولا عشير
ولا من ترجى نصرته ولا من تنفع مودته فهاجر من
كوثى من سواد الكوفة الى حران ثم منها الى الارض
المقدسة فكانت له هجرتان وهو اول من هاجر
وكان معه في هجرته لوط وامراته سارة ومن ثم
قالوا لكل نبي هجرة ولابراهيم هجرتان قال
مقاتل وكان اذ ذاك ابن خمس وسبعين سنة
فان قيل لم لم يقل مهاجر الى حيث امر ربي
مع ان المهاجرة توهم الجهة اجيب بان
هذا القول ليس في الاخلاص كقوله الى ربي
لان الملك اذا صدر منه امر برواح الاجناد
ثم ان واحدا منهم سار الى ذلك الموضع
لغرض نفسه فقد هاجر الى حيث امره
الملك ولكن لا مخلصا لوجهه فلذا قال مهاجر الى ربي
اي بوجهي الى الجهة التي امرت بالهجرة اليها ليس
طلب للجهة انما هو طلب لله ثم ذلك بما يسلبه

Copyright © King Saud University

ولابعد ان تبقى الخلق على ذرية اسمعيل ذلك
المقدار والكتاب فلم ينزل كتاب الا على اولاده
فان قيل لم افرد الكتاب مع انها اربعة التوراة
والانجيل والزبور والفرقان اجيب بانه
افرده ليدل مع تناوله لجنسية الكتب الاربعة
لانه لاشيء يستحق ان يكتب ما انزل فيها
او كان راجعا لاليها ولو جمع لم يعد هذا المعنى
واتيناه اجره على هجرته في الدنيا بما خصصناه
به مما لا يقدر عليه غيرنا من الرزق ورغد
العيش وكثرة الولد والخدم في الشيخوخة
وكثرة النسل والثنا الحسن والمحبة من
جميع الخلق وغير ذلك قال الرازي في
الاية لطيفة وهي ان الله تعالى بدل جميع
احوال ابراهيم عليه السلام في الدنيا باضدادها
لما اراد القوم تعذيبه بالنار كان وحيدا
فريدا فرده الله تعالى وحده بالكثرة حتى فبدلهم
ملا الدنيا من ذريته ولما كان اولا قومه
واقاربه القريبة ضالين مضلين من
جملتهم ازر بدل الله تعالى اقاربه

باقارب

باقارب مهتدين هادين وهم ذريته الذين
جعل فيهم النبوة والكتاب وكان اولا لاجاه له
ولا مال وهما غاية المنزلة الدنيوية اتاه الله
من المال والجاه حتى كان له من المواشي
ما علم الله تعالى عدده حتى قيل انه كان له
اثنى عشر الف كلب حارس باطواق الذهب
واما الجاه فصار بحيث تقرن الصلاة عليه
بالصلاة على ساير الانبيا يوم القيمة وصار
معروفا بشيخ المرسلين بعد ان كان خاملا
حتى قال قايلهم سمعنا فتى يذكرهم يقال له
ابراهيم وهذا الكلام لا يقال الا للمجهول
الناس وانه في الاخرة اي التي هي الدار ومحل
الاستقرار لمن الصالحين اي الذين خصصناهم
بالسعادة وجعلنا لهم الحسنى وزيادة قال
ابن عباس مثل ادم ونوح وفي اعراب قوله
تعالى ولوطا ما تقدم في اعراب نصب ابراهيم
اذ اي حين قال لقومه اهل سدوم الذين
سكن فيهم وصاهرهم وانقطع اليهم فصاروا
قومه حين فارق عمه ابراهيم الخليل عليه
السلام منكرا ما راى من حالهم وقبيح

تعالى مؤكدا لهم ائنكم لتاتون الفاحشة وهي
ادبار الرجال المجاوزة للحد في القبح فكانها
كذلك لا فاحشة غيرها ثم علل كونها فاحشة
استينافا بقوله ما سبقكم بها اوهي حاله
مبينة لعظيم جرأتهم على المنكر اي غير
مسبوقين به واغرق في النفي بقوله من احد
وزاد بقوله من العالمين اي كلهم من الانس
والجن اي فضلا عن خصوص الناس ثم
كرر الانكار لتاكيد التجاوز قبحها الذي ينكرونه
بقوله ائنكم لتاتون الرجال اتيان الشهوة وعطف
عليها ما ضموه اليها من المناكر بقوله تعالى و
تقطعون السبيل اي طريق المارة بالقتل
واخذ المال بفعلكم الفاحشة بمن يمر بكم فترك
الناس المرور بكم او تقطعون سبيل النسل بالاعراض
عن الحرث واتيان ما ليس بحرث وتاتون في
ناديكم المنكر اي تفعلون في مجلسكم فعل الفاحشة
بعضكم ببعض وهو مما تنكره الشرايع والمروات
والعقول وانتم لا تحاشون عن شي منه
في المجمع الذي يتحاشى فيه الانسان
من فعل خلاف الاولى من غير

ان يستحق بعضكم من بعض قال ابن
عباس المنكر هو الحذف بالحصا والرمي بالبنادق
والفرقعة ومضغ العلك والسواك بين الناس
وحل الازرار والسباب والتضارط في مجالسهم
والفحش والمزاح وعن عايشة كانوا يتحابقون
وقيل السخرية عن يمر بهم وقيل المجاهرة في
ناديهم بذلك العمل وكل معصية فاظهارها اقبح
من سترها وكذلك جا من خرق جلباب الحيا
فلا غيبة له ولا يقال للمجلس ناديا الا ما دام
فيه اهله فاذا قاموا عنه لم يبق ناديا وعن
مكحول في اخلاق قوم لوط مضغ العلك وتطريف
الاصابع بالحنا وحل الازار والصفر والحزق واللوطية
ودل على عنادهم بقوله تعالى مسببا عن هذه
الفضايح بالنهي عن تلك القبايح فما كان جواب
قومه اي الذين فيهم قوة ونجدة بحيث يخشى
شرهم ويتقى اذاهم لما انكر عليهم ما انكر الا ان
قالوا عنادا وجهلا واستهزا ائتنا بعذاب
الله وعبروا بالاسم الاعظم زيادة في الجراة
ان كنت من الصادقين اي في استقباح

ذلك وان العذاب نازل بهم عليه فان قيل قال
قوم ابراهيم اقتلوه او حرقوه وقال قوم
لوط ائتنا بعذاب الله وما هددوه مع ان
ابراهيم كان اعظم من لوط فان لوطا كان
من قومه لجيب بان ابراهيم كان يقدح
في دينهم ويشتم الهتهم ويعدد صفات
نقصهم بقوله لا يبصر ولا يسمع ولا ينفع
ولا يغني وابراهيم في الدين صعب فجعلوا
جزاه القتل او الحرق ولوط كان ينكر
عليهم فعلهم وينبههم الى دتكابه التحريم
وهم ما كانوا يقولون ان هذا واجب
من الدين فلم يصعب عليهم مثل ما صعب
على قوم ابراهيم كلام ابراهيم فقالوا انك
تقول ان هذا حرام والله يعذب عليه
فان كنت صادقا فائتنا بالعذاب فان
قيل ان الله قال في موضع اخر فما كان
جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا ال
لوط من قريتكم وقال هنا فما كان
جواب قومه الا ان قالوا ائتنا فكيف

الجمع

الجمع اجيب بان لوطا كان ثابتا على الارشاد مكررا
على النهي والوعيد فقالوا اولا ائتنا ثم لما كثر
ذلك منه ولم يسكت عنهم قالوا اخرجوا ولما
ايس منهم طلب النصرة من الله وذكرهم
بما لا يحب الله بان قال اي لوط عليه السلام
معرضا عنهم مقبلا بكليته على المحسن اليه رب
اي ايها المحسن اليه انصرني على القوم اي الذين
فيهم من القوة ما لا طاقة لي بهم معه المفسدين
اي العاصين باتيان الرجال ووصفهم بذلك
مبالغة في استنزال العذاب واشعارا بانهم
احقاء بان يجعل لهم العذاب ولما دعا لوط
على قومه بقوله رب الى اخره استجاب
الله دعاه وامر الملائكة باهلاكهم و
ارسلهم مبشرين ومنذرين كما قال تعالى
ولما جاءت واسقط ان لانه لم يتصل القول
باول المجيء بل كان قبله السلام والضيافة
وعظم الرسل بقوله تعالى رسلنا اي من الملائكة
تعظيما لهم في نفوسهم ابراهيم بالبشرى اي
باسحاق ولدا له ويعقوب ولدا لاسحاق

عليهما السلام قالوا اي الرسل عليهم السلام بعد ان
بشروه وتوجهوا نحو سدوم انا مهلكوا اهل هذه
القرية اي قرية سدوم والاضافة لفظية
لان المعنى الاستقبال ثم عللوا ذلك بقولهم ان
اهلها كانوا ظالمين اي عن يقين في هذا الوصف
فلا حيلة في رجوعهم عنه فان قيل قال الله تعالى
في قوم نوح فاخذهم الطوفان وهم ظالمون ففي ذلك
اشارة الى انهم كانوا على ظلمهم حتى اخذهم ولم يقل
فاخذهم وكانوا ظالمين وقال هنا قال ان اهلها
كانوا ظالمين ولم يقل وهم ظالمون اجيب
بانه لا فرق في الموضعين في كونهما مهلكين وهم
مصرون على الظلم لكن هناك الاخبار تعلق
على الماضي حيث قال فاخذهم وهم عند
الوقوع في العذاب ظالمون وههنا الاخبار من
الملايكة عن المستقبل حيث قالوا انا مهلكوا
فذكروا اما امروا به فان الكلام عن الملك بغير
اذنه سوء ادب وهم كانوا ظالمين في وقت الامر
وكونهم يبقون كذلك لا علم لهم به ولما قالت
الملايكة لابراهيم ذلك قال لهم موكدا تنبيها

على

١٥٢

على حالة ابن اخيه ان فيها لوطا ولم يقل عليه
السلام منهم لوط لانه نزيل عندهم قد رحيا
الى التصريح بالسوال فيه قالوا اي الرسل له نحن
اعلم اي منك بمن فيها اي من لوط وغيره لننجينه
واهله الا امراته كانت من الغابرين اي
الباقين في العذاب وهم العجزة لبقيهم وجعلها معهم
الغيرة وقرا حمزة والكساي بسكون النون
الثانية وتخفيف الجيم بعدها والباقون
بفتح النون وتشديد الجيم بعدها ولما ان جات
رسلنا لوطا اي المعظمون بنا سيء اي حصلت
لهم المساة والغم بهم اي بسببهم مخافة ان
يقصدهم قومه بسوء لما راي من حسن اشكالهم
وهو يظن انهم من الناس لانهم جاوا من عند
ابراهيم اليه على صورة البشر وروي انهم كانوا
يجلسون مجالسهم وعند كل رجل منهم
قصعة فيها حصا فاذا مر بهم عابر سبيل
حذفوه فايهم اصابه كان اولى به فان قيل
انه كان ياخذه معه وينكحه ويغرمه
ثلاثة دراهم ولهم قاض بذلك ولهذا

Copyright © King Saud University

بقال اجور من قاضي سدوم وضاق اي باحتمال
الحيلة في الدفع عنهم بهم ذرعا اي ذرعه اي
طاقته والاصل في ذلك ان من طال ذراعه
الي ما لا ينال له تقصيرها يضرب مثلا في العجز والقدرة
ولما راوه علي هذه الحالة خففوا عليه وقالوا له
لا تخف انا رسل ربك لا اهلاككم ولا تحزن اي علي
تمكنهم منا او علي احد ممن يهلك فانه ليس في
احد منهم خير يؤسف عليه بسببه فانهم
وصلوا في الخبث الي حد لا مطمع في الرجوع
عنه مع ملازمته لدعايهم من غير ملل ولا
ضجر ثم عللوا ذلك بقولهم مبالغين في التاكيد
انا منجوك اي مبالغون في انجايك وقوله
واهلك منصوب علي محل الكاف الا امراتك كانت
من الغابرين فان قيل القوم عذبوا بسبب
ما صدر منهم من الفاحشة وامراته لم يصدر
منها ذلك فكيف كانت من الغابرين اجيب
بان الدال علي الشر كفاعله كما ان الدال علي الخير
كفاعله وهي كانت تدل القوم علي ضيوف
لوط حتى كانوا يقصدونهم فبالدلالة
صارت

صارت كاحدهم فان قيل ما مناسبة قولهم انا
منجوك لقولهم لا تخف ولا تحزن فان خوفه ما كان
علي نفسه اجيب بان لوطا لما ضاق عليهم وحزن
لاجلهم قالوا لا تخف علينا ولا تحزن علينا فانا
ملايكة ثم قالوا يا لوط خفت علينا وحزنت
لاجلنا ففي مقابلة خوفك وقت الخوف نزيل
خوفك وننجيك وفي مقابلة حزنك نزيل حزنك
ولا نتركك تفجع في اهلك فقالوا انا منجوك
واهلك وقرا ابن كثير وشعبة وحمزة والكسائي
بسكون النون وتخفيف الجيم والباقون بالفتح
النون وتشديد الجيم ثم انهم بعد بشارة لوط
بالنتيجة قالوا له انا منزلون اي لا محالة علي اهل
هذه القرية رجزا اي عذابا من السما فهو عظيم
وقعة شديد الصدعة واختلف في ذلك
الرجز وقيل حجارة وقيل نار وقيل خسف
وعلي هذا يكون المراد ان الامر بالخسف والقضا
به من السما وقرا ابن عامر بفتح النون و
تشديد الزاي والباقون بسكون النون وتخفيف
الزاي تنبيه كلام الملايكة مع لوط جري علي
نمط كلامهم مع ابراهيم فقدموا البشارة

على انزال العذاب ثم قالوا انا منجوك ثم قالوا انا
منزلون ولم يوالوا النتيجة فلم يقولوا انا
منجوك لانك نبي او عابدا وعللوا الاهلاك
فقالوا بما كانوا يفسقون اي يخرجون في كل
وقت من دايرة العقل والحيا كقولهم
هناك ان اهلها كانوا ظالمين ولما كان
التقدير ففعلت رسلنا ما وعدوه به
في نجايه واهلاك جميع قراهم فتركناها كان
لم يسكنها احد عطف عليه قوله تعالى ولقد
تركنا اي ابقينا للناس العظة منها اي من تلك
القرى اية اي علامة على قدرته تعالى على كل ما
نريد بينة اي ظاهرة قال ابن عباس منازلهم
الخربة وقال قتادة هي الحجارة التي اهلكوا
بها ابقاها الله حتى ادركها اوايل هذه
الامة وقال مجاهد هو ظهور الما الاسود
على وجه الارض فايدة اتفق القرا
على ادغام الدال في التا تنبيه في هذه الاية
اشارة الى عقلات المخاطبين بهذه القصة
من العرب وغيرهم وانه ليس بينهم
وبين

١٥٧

وبين المهدي الا تفكرهم في امرهم مع الانخلاع
من الهوى وانما يكون ذلك لقوم يعقلون
اي يتدبرون فعد من لم يستبصر بذلك غير
عاقل تنبيه ها هنا وسيلة للاول كيف
جعل الاية في نوح وابراهيم بالنجاة فقال فانجيناه
واصحاب السفينة وجعلناها اية وقال
فانجاه الله من النار ان في ذلك لايات وجعل
ها هنا الهلاك الاية الثاني ما الحكمة في قوله
تعالى في السفينة جعلناها اية ولم يقل
بينة وقال ههنا اية بينة الثالث في
قوله تعالى هناك للعالمين وقال هنا لقوم
يعقلون اجيب عن الاول بان الاية في
ابراهيم كانت في النجاة لان في ذلك الوقت
لم يكن اهلاك واما في نوح فلان الانجاس
الطوفان الذي علا الجبال بامرها امر عجيب
الهي وما به النجاة وهو السفينة كان
باقيا والغرق لم يبق بعده اثر فجعل الباقي اية
واما ها هنا فنجاة لوط لم يكن بامر يبقى اثره
للحس والهلاك اثره محسوس في البلاد

Copyright © King Saud University

فجعل الاية الامر الباقي ههنا البلاد وهناك
للسفينة وههنا لطيفة وهي ان الله
تعالى اية قدرة موجودة في الانجا والاهلاك
فذكر من كل باب اية وقدم اية الانجا لانها
اثر الرحمة واخر ايات الهلاك لانها اثر الغضب
ورحمته سابقة وعن الثاني بان الانجا
بالسفينة لا يفتقر الى امر اخر واما الاية
ههنا الخسف وجعل ديارهم المعمورة عاليها
سافلها وهو ليس بمعتاد وانما ذلك بارادة
قادر يخصه بمكان دون مكان وبزمان
دون زمان فهي بينة لا يمكن الجاهل
ان يقول هذا امر يكون كذلك وكان له ان لايمكن
يقول في السفينة امرها يكون كذلك
فيقال له فلو دام الماء حتى ينفد زادهم
كيف كان يحصل لهم النجاة ولو سلط
الله عليهم الريح العاصفة كيف تكون
احوالهم وعن الثالث بان السفينة
موجودة معلومة في جميع اقطار
العالم فعند كل قوم مثال

السفينة

السفينة يتذكرون بها حالة نوح واذا ركبوا
يطلبون من الله النجاة ولم يبق احد بمجرد
السفينة بل يكون دايما مرتجف القلب متضرعا
الى الله تعالى طالبا للنجاة واما اثر الهلاك
في بلاد لوط ففي موضع مخصوص يطلع
عليها الانس بها ويصل اليها ويكون له عقل
يعلم ان ذلك من الله تعالى وارادته بسبب
اختصاصه بمكان دون مكان ووجوده
في زمان دون زمان ولما كان شعيب
عليه السلام ايضا قد ابتلي بتكذيب قومه
اتبع قصته بقصة لوط بقوله تعالى
والى مدين اي ولقد ارسلنا او بعثنا الى مدين
اخاهم اي من النسب والبلد شعيبا ومدين
قيل اسم رجل في الاصل وجعل له ذرية
فاشتهر في القبيلة كتميم وقيس وغيرهما
وقيل اسم ما نسب القوم اليه فاشتهر
في القوم قال الرازي والاول كانه
اصح لان الله تعالى اضاف الماء الى مدين
بقوله تعالى ولما ورد ماء مدين ولو

ولو كان اسم الماكانت الاضافة غير صحيحة
او غير حقيقية والاصل في الاضافة التغاير
حقيقة فان قيل قال نوح ولقد ارسلنا
نوحا الى قومه قدم نوحا في الذكر وعرف
القوم بالاضافة اليه وكذلك في ابراهيم
ولوط وههنا ذكر القوم اولا واضاف
اليهم اخاهم شعيبا فما الحكمة في ذلك اجيب
بان الاصل في الجميع ان يذكر القوم ثم يذكر
رسولهم لان الرسل لا تبعث الى غير
معينين وانما تبعث الرسل الى قوم محتاجين
الى الرسل فيرسل الله تعالى اليهم من يختاره
غير ان قوم نوح وابراهيم ولوط لم يكن
له اسم خاص ولا نسبة مخصوصة يعرفون
بها فعرفوا بالنبي فقيل قوم نوح وقوم
لوط فاما قوم شعيب وهود وصالح فكان
لهم نسب معلوم اشتهروا به عند الناس
فجرى الكلام على اهله وقال تعالى والى عاد
اخاهم هودا والى مدين اخاهم شعيبا فقال

اي

اي فتسبب عن ارساله وتعقبه بان قال
يا قوم اعبدوا الله اي الملك الاعلى وحده ولا
تشركوا به شيئا فان العبادة التي فيها الشرك
ظاهر وخفي عدم لان الله تعالى اغنى الشركا
فهو لا يقبل الا ما كان له خالصا فان قيل
لم يذكر عن لوط انه امر قومه بالعبادة والتو حيد
وذكر عن شعيب ذلك اجيب بان لوطا كان
من قوم ابراهيم وفي زمانه وكان
ابراهيم سبقه بذلك واجتهد فيه حتى
اشتهر الامر بالتوحيد عند الخلق من ابراهيم
فلم يحتج لوط الى ذكره وانما ذكر ما اختص به
من المنع من الفاحشة وغيرها وان كان
هو ابدا يامر بالتوحيد اذ ما من رسول
الا ويكون اكثر كلامه في التوحيد واما شعيب
فكان بعد انقراض ذلك الزمن وذلك القوم
فكان هو اصلا في التوحيد فبدا به ولما كان
السياق لاقامة الادلة على البعث الذي
هو من مقاصد السورة فقال وارجوا
اليوم الاخر اي وافعلوا ما ترجون به

Copyright © King Saud University

العاقبة فاقيم المسبب مقام السبب او امروا
بالرجا والمراد اشتراط ما يسوغه من الايمان
كما يومر الكافر بالشرعيات على ارادة الشرط
وقيل هو من الرجا بمعنى الخوف **ولا تعثوا**
في الارض حال كونكم **مفسدين** اي متعمدين
الفساد ولما تسبب عن هذا النصح وتعقبه
تكذيبهم فتسبب عنه وتعقبه اهلاكهم تحقيقا
لان اهل السيات لا يسبقون قال تعالى **فكذبوه**
في ذلك فان قيل ما حكاه الله تعالى عن شعيب
امر ونهي والامر لا يكذب ولا يصدق فان من
قال لغيره اعبدوا الله لا يقال له كذبت اجيب
بان شعيبا كان يقول الله واحد فاعبدوه
والحشر كاين فارجوه والفساد محرم
فلا تقربوه وهذه فيها اخبارات فكذبوه
فيما اخبر به **فاخذتهم الرجفة** اي الزلزلة
الشديدة وعن الضحاك صيحة جبريل
لان القلوب رجفت لها **فاصبحوا في دارهم**
اي في بلادهم او دورهم فاكتفى بالواحد
ولم يجمع لامن اللبس **جاثمين** اي باركين
على

١٦٠

١٥٧

اي باركين على الركب ميتين فان قيل قال
تعالى في الاعراف وههنا فاخذتهم الرجفة
وقال في هود فاخذتهم الصيحة والحكاية
واحدة اجيب بانه لا تعارض بينهما فان
الصيحة كانت سببا للرجفة لان جبريل
لما صاح تزلزلت الارض من صيحته فرجفت
قلوبهم والاضافة الى السبب لا تنافي الاضافة
الى سبب السبب فان قيل ما الحكمة في انه
اذا قال فاخذتهم الصيحة قال في ديارهم
وحيث قال فاخذتهم الرجفة قال في دارهم
اجيب بان المراد من الدار وهو الديار
والاضافة الى الجمع يجوز ان تكون بلفظ الجمع
وان تكون بلفظ الواحد اذا امن اللبس
كما مر وانما اختلف اللفظ لطيفة وهي
ان الرجفة هايلة في نفسها فلم تحتج الى تهويل
بها واما الصيحة فغير هايلة في نفسها
لكن تلك الصيحة لما كانت عظيمة حتى
اخذت الزلزلة في الارض ذكر الديار بلفظ
الجمع حتى تعلم هيبتها والرجفة بمعنى

بمعنى الزلزلة عظيمة عند كلامه فلم تحتج الى
معظم الى امرها ولما كان معنى ختام قصة
مدين فاهلكناهم عطف على ذلك المعنى
قوله تعالى وعادا اي واهلكنا ايضا عادا
وثمودا مع ما كانوا فيه من العتو والتكبر
والعلو لان من المقاصد العظيمة الدلالة
على اتباع بعض هذه الامم بعضا في الخير
والشر على نسق والجري بهم في هلاك
المكذبين وانجا المصدقين طبقا عن طبق
وقرا حمزة وحفص في الوصل وثمود
بغير تنوين على تاويل القبيلة وفي
الوقف بسكون الدال والباقون بالتنوين
وفي الوقف بالالف وقد تبين لكم اي ما دل بهم
من مساكنهم اي ما وصف عن هلاكهم وما
كانوا فيه من شدة الاجسام وسعة الاحلام
وعلو الاهتمام وتغرب الاذهان وعظم
الشان عند مروركم بتلك المساكن ونظركم
اليها في ضربكم في التجارة الى الشام فصرفوا
في الاقبال على الاستمتاع بالعوض الفاني

من

من هذه الدنيا فاسلوا بعيدا وبنوا مشيدا
ولم يغن عنهم شيئا من ذلك من امر الله وزين
لهم الشيطان البعيد من الرحمة المحترق
باللعنة بدقوق احتياله ومحبوب ضلاله
ومحاله اعمالهم اي الفاسدة من الكفر والمعاصي
فاقبلوا بكليتهم عليها فصدهم اي فتسبب
عن ذلك صدهم عن السبيل اي منعهم عن
سلوك الطريق الذي لا طريق الا هو لكونه
يوصل الى النجاة وغيره يوصل الى الهلاك
ولما كان ذلك ربما ظن لفرط غباوتهم
قال وكانوا مستبصرين اي معدودين
بين الناس من البصر العقلاء ولما كان
فرعون ومن ذكر معه من العتو بمكان لا
يخفى لما اتوا من القوة بالاموال والرجال
قال وقارون اي اهلكناه وقومه لان
وقوعه في اسباب الهلاك اعجب لكونه من
بني اسرائيل ولانه ابتلي بالمال والعلم
فكان ذلك سبب اعجاب فتكبر على موسى
وهرون عليهما السلام فكان ذلك سبب

Copyright © King Saud University

اعجابه فتكبر علي موسى وهرون عليهما السلام
فكان ذلك سبب هلاكه وفرعون وهامان
وزيره الذي اوقد له علي الطين فباع سعادته
بكونه ذنبا لغيره ولقد جاءهم من قبل موسى
بالبينات اي بالحجج الظاهرات التي لم تدع لبسا
فاستكبروا اي تطلبوا ان يكونوا اكبر من كل
كبير بان كانت افعاله من يطلب ذلك في
الارض بعد مجيء موسى عليه السلام اليهم
اكثر مما كانوا قبله وما كانوا سابقين اي
فائتين بل ادركهم امر الله من سبق طلبه
اذا فاته فكلا اي فتسبب عن تكذيبهم ان كلا
اخذنا اي بما لنا من العظمة بذنبه اي اخذ
عقوبة ليعلم انه لا احد يعجزنا فمنهم من
ارسلنا عليه حاصبا اي ريحا عاصفا فيها
حصبا كقوم لوط وعاد ومنهم من اخذته
الصيحة اي الذي تظهر شدتها الريح الحاملة
لها الموافقة لقصدها فترجف لعظمتها
الارض كمدين وثمود ومنهم من خسفنا به
الارض بان غيبناه فيها كقارون وجماعته

ومنهم

ومنهم من اغرقنا بالغرق في الما كقوم فرعون وقوم
نوح وعذاب قوم صالح المعد في الاعراف
والعد في الخسف فتارة تهلك الريح بريح تقذف
بالحجارة من السما كقوم لوط ومن الارض
كعاد وماكان الله اي الذي لا شي من الجلال
والكمال الا له ليظلمهم اي فيعذبهم بغير ذنب
ولكن كانوا انفسهم لا غيرها يظلمون بارتكاب
المعاصي ولم يقبلوا النصح من عجزهم ولا خافوا
العقوبة علي ضعفهم ولما بين تعالى انه
اهلك من اشرك عاجلا وعذب من
كذب اجلا ولم ينفعه معبوده مثل تعالى
اتخاذه ذلك معبودا كاتخاذ العنكبوت
بيتا فقال مثل الذين اتخذوا اي تكلفوا ان
اتخذوا من دون الله اي الذي لا كفوله فرضوا
بالدون الذي لا ينفع ولا يضر عوضا عمن
لا تكيفه الاوهام والظنون اوليا ينصرونهم
بزعمهم من معبودات وغيرها في الضعف
والوهن كمثل العنكبوت اي الدابة المعروفة
ذات الارجل الكثيرة الطول اتخذت بيتا

Copyright © King Saud University

اي تكلفت اخذه في صنعتها له ليغنها الردى
ويحميها البلا كما تكلف هولا اصطناع
اربابهم ليغفوهم ويحفظوهم بزعمهم
فكان ذلك البيت مع تكلفها في امره
وتعبها الشدايد في غاية الوهن وان
اي والحال اوهن البيوت اي اضعفها لبيت
العنكبوت لا يدفع عنها حرا ولا بردا كذلك الا تنفع
عابدها لو كانوا يعلمون اي لو كانوا يعلمون
ان هذا مثلهم وان امر دينهم بالغ هذه الغاية
من الوهن وايضا انه اذا صح تشبيه ما
اعتمدوه في دينهم ببيت العنكبوت
كذلك الاديان اذا استقريتها دينا دينا
عبادة الاوثان فان قيل لم مثل تعالى باتخاذ
العنكبوت ولم يمثل بنسجها اجيب بان
نسجها فيه فايدة اولاه لما حصلت وهو
اصطياد الذباب به من غيران يفوتها
ما اعظم منه واتخاذهم للاوثان يعيدهم ما
هو اقل من الذباب من متاع الدنيا ولكن
يفوتهم ما هو اعظم منها وهو الدار الاخرة

التي

التي هو خير وابقى فليس اتخاذهم كنسج العنكبوت
تنبيه نون العنكبوت اصلية والواو والتا
مزيدتان بدليل جمعه على عناكب وتصغيره
منكب ويذكر ويونث قول القايل فمن
التانيث قوله تعالى اتخذت ومن التذكير
قول القايل

على هطالهم منهم بيوت
كان العنكبوت هو ابتناها

وهذا مضطرد في اسما الاجناس تذكر وتونث
وقرا ورش وابو عمرو وحفص البيوت بضم
البا والباقون بكسرها ولما كان ضرب
المثل بالشي لا يصح الا من العالم بذلك الشي
قال الله تعالى ان الله اي الذي له صفات
الكمال يعلم ما اي الذي يدعون اي يعبدون
من دونه اي غيره من شي الى سوا كان
منها ام انسيا ام جنيا وهو العزيز في ملكه
الحكيم في صنيعته وقرا ابو عمرو وعاصم يدعون
بالتحتية والباقون بالتا الفوقية ولما ذكر
مثلهم وما تتوقف صحته عليه كان كانه

Copyright © King Saud University

قيل على وجه التعظيم هذا مثلهم
فعطف عليه قوله تعالى اشارة الى امثال
القران كلها تعظيما لها وتنبيها على جليل قدرها
وعلو شانها وتلك الامثال اي الغالبة نعوت
تنال منوع احتياككم ثم استانف قوله تعالى
نضربها اي بما لنا من العظمة بيانا للناس
اي تصويرا للمعاني المعقولات بصور المحسوسات
لعلها تقرب من عقولهم فينتفعوا بها وهكذا
حال التشبيهات كلها هي طرق الى الافهام
الى المعاني المتحجبة في الاستار تبرزها
وتكشف عنها وتصورها روي ان الكفار
قالوا كيف يضرب خالق الارض والسموات
الامثال بالهوام والحشرات كالذباب
والبعوض والعنكبوت فقال تعالى مجهلا لهم
وما يعقلها اي حق عقلها فينتفع بها الا العالمون
اي الذين هيؤوا للعلم وجعل طباعهم بما
تبتدئ قلوبهم من انواره واشرق في صدورهم
من اسراره فهم يضعون الاشيا مواضعها
روى الحارث بن ابي اسامة عن جابر

ان

ان النبي صلى الله عليه وسلم قال العالم الذي
عقل عن الله وعمل بطاعته واجتنب سخطه
قال البغوي والمثل كلام ساير يتضمن تشبيه
الاخر بالاول يريد امثال القران التي يشبه
بعضها احوال كفار هذه الامة باحوال كفار
الامم المتقدمه ولما قدم تعالى انه لا معجز له
سبحانه ولا ناصر لمن خذله اسند على ذلك
بقوله تعالى خلق الله اي الذي لا يداني في
عظمته السموات والارض بالحق اي الامر
الذي يطابقه الواقع او بسبب اثبات
الحق وابطال الباطل او بسبب انه محق
غير قاصد به باطلا فان المقصود بالذات
من خلقهما افاضة الجود والدلالة على ذاته
وصفاته كما اشار اليه بقوله تعالى ان في ذلك
لاية اي دلالة ظاهرة على قدرته تعالى للمومنين
واختص المومنون بذلك لانهم المنتفعون
به ثم خاطب تعالى راس اهل الايمان بقوله
تعالى اتل ما اوحي اليك من الكتاب اي القران
الجامع لكل خير لتعلم ان نوحا ولوطا وغيرهما

Copyright © King Saud University

كانوا على ما انت عليه بلغوا الرساله وبالغوا في
اقامة الدلالة ولم ينقذوا قومهم من الضلالة
وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ولما
ارشد تعالى الى مفتاح العلم دل على قانون
العمل بقوله تعالى واقم الصلاة اي التي هي
حق العبادات ثم علل ذلك بقوله تعالى
ان الصلاة تنهى اي توجد النهي وتجدده
للمواظب على اقامتها بجميع حدودها عن الفحشا
اي عن الخصال التي بلغ قبحها والمنكر وهو ما لا
يعرف في الشرع فان قيل كم مصل يرتكب اجيب
بان الصلاة اي التي هي الصلاة عند الله المستحق
بها الثواب ان يدخل فيها مقدما للتوبة
النصوح متقيا لقوله تعالى انما يتقبل الله
من المتقين ويصليها خاشعا بالقلب و
الجوارح فقد روي عن حاتم كان رجلي
على الصراط الجنة عن يميني والنار عن
شمالي وملك الموت فوقي واصلي بين
الخوف والرجاء ثم تحوطها بعد ان
يصليها ولا يحبطها فهي الصلاة التي
تنهى

تنهى عن الفحشا والمنكر وقال ابن مسعود وابن
عباس في الصلاة تنهى وتزجر عن المعاصي
فمن لم تامره صلاته بالمعروف ولم تنهه
عن المنكر ولم يزدد بصلاته من الله تعالى
الا بعدا وقال الحسن وقتادة من لم
تنهه صلاته عن الفحشا والمنكر فصلاته
وبال عليه وقيل من كان مراعيا للصلاة
جره ذلك الى ان ينتهي عن السيات يوما
فقد روي انه قيل لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ان فلانا يصلي بالنهار ويسرق
بالليل فقال ان صلاته لتوعده ان فلانا
من الانصار كان يصلي معه الصلوات ولا
يدع شيا من الفواحش الا ركبه فوصف له
فقال ان صلاته ستنهاه فلم يلبث ان
تاب وقال ابن عوف معنى الاية ان الصلاة
تنهى صاحبها عن الفحشا والمنكر ما دام فيها
وعلى كل حال فان المراعي للصلاة لا بد ان
يكون ابعد من الفحشا والمنكر ممن لا يراعيها
وايضا فكم من مصلين تنهاهم الصلاة عن

Copyright © King Saud University

الفحشا والمنكر واللفظ لا يقتضي ان يخرج واحد
من المصلين عن قضيتها كما تقول ان زيدا
ينهى عن المنكر فليس غرضك انه ينهى عن
جميع المناكر وانما تريد ان هذه الخصلة
موجودة فيه وحاصلة منه من غير
اقتضا للعموم وقيل المراد بالصلاة
القران كما قال تعالى ولا تجهر بصلاتك
اي بقرائتك واراد به ان من يقرا القران في
الصلاة فالقران ينهاه عن الفحشا والمنكر
روي انه قيل لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ان رجلا يقرا القران الليل
كله واصبح سارقا قال ستنهاه قرائته
ولما كان الناهي في الحقيقة انما هو ذكر الله
اتبع ذلك بقوله تعالى ولذكر الله اكبر اي
ذلك المستحق لكل صفات كمال اكبر من
كل شيء فذكر الله تعالى افضل الطاعات.
وقال صلى الله عليه وسلم الا انبيكم
بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها
في درجاتكم وخير من اعطى الذهب
و

والفضة وان تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم
ويضربوا اعناقكم قالوا وماذاك يا رسول
الله قال ذكر الله وسيل رسول الله صلى
الله عليه وسلم اي العبادة افضل عند
الله درجة يوم القيمة قال الذاكرون الله
كثيرا قالوا يا رسول الله ومن الغازين في سبيل
الله فقال لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين
حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكر
الله كثيرا افضل منه درجة وروى
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
مر على جبل في طريق مكة يقال له جمدان
فقال سيروا هذا جمدان سبق المفردون
قالوا وما المفردون يا رسول الله
قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات
والصلاة اكبر من غيرها من الطاعات
وسماها بذكر الله كما قال تعالى فاسعوا
الى ذكر الله وانما قال ولذكر الله اكبر
ليستقل بالتعليل كانه قال وللصلاة
اكبر لانها ذكر وعن ابن عباس ولذكر

Copyright © King Saud University

ولذكر الله تعالى اياكم برحمته اكبر من ذكركم
اياه بطاعته وقال عطا ولذكر الله
اكبر من ان يبقى معه معصية والله اي
المحيط علما وقدرة يعلم ان في كل وقت ما تصنعون
من الخير والشر فيجازيكم على ذلك ولما بين
تعالى طريق الارشاد المشركين بين طريقة
ارشاد اهل الكتاب بقوله تعالى ولا تجادلوا
اهل الكتاب اي اليهود والنصارى ظنا
منكم ان الجدال ينفع او يزيد في اليقين
او يرد واحدا عن ضلال مبين الا بالتي
اي بالمجادلة التي هي احسن كمعارضة
الخشونة باللين والغضب بالكظم والدعا
الى الله تعالى باياته التنبيه على حججه
كما قال تعالى ادفع بالتي هي احسن الا
الذين ظلموا منهم بان حاربوا وابوا ان
يقروا بالجزية فجادلوهم بالسيف الى ان
يسلموا او يعطوا الجزية وقيل الا الذين
اثبتوا الولد والشريك وقالوا

يد

وقالوا
يد الله مغلولة وعن قتادة الاية منسوخة
بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يومنون بالله
ولا باليوم الاخر ولا مجادلة اشد من السيف
ولما بين تعالى عن موجب الخلاف امر
بالاستعطاف بقوله تعالى وقولوا اي لمن قبل
الاقرار بالجزية اذا اخبروكم بشي مما في كتبهم
امنا بالذي انزل الينا اي من هذا الكتاب المعجز
وانزل اليكم من كتبكم اي لانه في اصله حق وان كان
قد نسخ منه ما نسخ وان حدثوكم منه بشي وليس
عندكم ما يصدقه ولا ما يكذبه فلا تصدقوهم
ولا تكذبوهم لما روى ابو داود انه صلى الله
عليه وسلم قال لا تصدقوا اهل الكتاب ولا
تكذبوهم اي فان هذا ادعى الى الانصاف وانفى
للخلاف ولما لم يكن هذا جامعا للفريقين اتبعه
مما يجمعه بقوله تعالى والهنا والهكم واحد اي لا
اله لنا غيره وان ادعى بعضكم عزيرا والمسيح ونحن له
خاصة مسلمون اي خاضعون منقادون اتم
انقياد فيما يامرنا به بعد الاصول من الفروع سوا
كانت موافقة لفروعكم كالتوجه بالصلاة

Copyright © King Saud University

الى بيت المقدس او ناسخنا كالتوجه الى الكعبة ولا
تتخذوا الاحبار والرهبان اربابا من دون الله لنا خير
ما يشرعونه لنا مخالفا كتابه وسنة نبيه صلى
الله عليه وسلم وكذلك اي ومثل ذلك الانزال
الذي انزلناه الى انبيائهم من التورية وغيرها
انزلنا اليك الكتاب اي القران مصدقا لسائر
الكتب الالهية وهو تحقيق لقوله تعالى فالذين
اتيناهم الكتاب اي التورية كعبد الله بن سلام
وغيره يؤمنون به اي القران ومن هؤلاء اي اهل
مكة او ممن بعهده صلى الله عليه وسلم من اهل
الكتابين من يؤمن به وهم مؤمنوا اهل مكة
واهل الكتابين وما يجحد اي ينكر قال قتادة
والجحود انما يكون بعد المعرفة باياتنا اي التي
جاوزت اقصى غايات العظمة حتى استحقت
الاضافة الينا الا الكافرون اي اليهود ظهر لهم
ان القران حق والجائي به محق وجحدوا ذلك
وهذا تنفير لهم عما هم عليه يعني انكم امنتم بكل
شي وامتزتم عن المشركين بكل فضيلة الا هذه
المسئلة الواحدة وبانكارها تلحقون بهم
وتفطنون

وتفطنون مزايا كم فان الجاحد باية يصير كافرا
وما كنت اي وانزلنا اليك والحال انك ما تتلوا
اي تقرأ اصلا من قبله اي هذا الكتاب الذي
انزلناه اليك واكد استغراق الكتب بقوله تعالى
من كتاب اصلا ولا تخطه اي تجدد وتلازم خطه
وصور الخط واكده بقوله بيمينك فان قيل
ما فائدة قوله بيمينك اجيب بانه ذكر اليمين
التي هي اقوى الجارحتين وهي التي يزاول بها الخط
زيادة تصوير لما نفى عنه من كونه كاتبا الا ترى
انك اذا قلت في الاثبات رايت الامير يخط
هذا الكتاب بيمينه كان اشد لاثباتك انه
تولى كتبه فكذلك النفي وفي ذلك اشارة الى انه
لا تحدث الريبة في امره لعاقل الا بالمواظبة
القوية التي ينشا عنها ملكه فكيف اذا لم يحصل
اصل الفعل ولذلك قال تعالى اذا اي لو كنت
ممن يخط ويقرا لارتاب اي شك المبطلون
اي اليهود فيك وقالوا الذي في التورية انه امي
لا يقرا ولا يكتب اولا وارتاب مشركوا مكة
وقالوا لعله تعلمه والتقطه من كتب الاقدمين

وكتبه بيده فان قيل لم سماهم مبطلين ولو لم
يكن اميا وقالوا ليس بالذي نجده في كتبنا لقالوا
صادقين محقين ولكان اهل مكة ايضا على
حق في قولهم لعله تعلمه او كتبه بيده فانه
رجل كاتب قاري اجيب بانه سماهم
مبطلين لانهم كفروا وهو بعيد عن الريب فكانه
قال هولا المبطلون في كفرهم به لو لم يكن اميا
لارتابوا اشد الريب فحينئذ ليس بقاري ولا
كاتب فلا وجه لارتيابهم وايضا ساير الانبيا
لم يكونوا اميين ووجب الايمان بهم وما جاوا به
لكفرهم مصدقين من جهة الحكيم بالمعجزات
فهب انه قاري كاتب فما لهم لا يومنون به
من الوجه الذي امنوا منه بموسى وعيسى
على المنزلين لنبينا المعجزين وهذا المنزل
معجز فاذن هم مبطلون حيث لم يومنوا وهو
امي ولما كان التقدير ولكنه لا ريب لهم
اصلا ولا شبهة لقولهم باطل قال تعالى
بل هو اي القران الذي جيت وارتابوا فيه
فكانوا مبطلين كذلك يجي كل تقدير ايات
اي

اي دلالات بينات او واضحات جدا في الدلالة
على صدقك في صدور الذين اوتوا العلم اي المومنين
يحفظونه فلا يقدر احد على تحريف شي منه
لتبيان الحق لديهم وفي ذلك اشارة الى انه
خفاه عن غيرهم وقال ابن عباس وقتادة
بل هو يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ذو
ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم من اهل
الكتاب لانهم يجدونه بنعته ووصفه في كتبهم
وما يجحد وكان الاصل به ولكنه اشار الى
عظمته بقوله تعالى باياتنا اي ينكرها بعد
المعرفة على ما لها من العظمة باضافتها الينا
والبيان الذي لا يجهله احد الا الظالمون
اي المتوغلون في الظلم المكابرون فان قيل
ما الحكمة في قوله تعالى ههنا الظالمون
ومن قبل قال الكافرون اجيب بانه ما من
حرف ولا حركة في القران الا وفيه فايدة ثم
ان العقول البشرية تدرك بعضها ولا تصل
الى اكثرها وما اوتي البشر من العلم الا قليلا
ولكن الحكمة هنا انهم قبل بيان المعجز

Copyright © King Saud University

قيل لهم ان لكم المزايا فلا تبطلوها بانكار محمد
صلى الله عليه وسلم فتكونوا كافرين فلفظ
الكافر هناك ابلغ فنفهم عن ذلك لاستنكارهم
عن الكفر ثم بعد بيان المعجزة قال لهم ان
جحدتم هذه الاية لزمكم انكار ارسال الرسل
فتلحقون باول الامم بالمشركين حكما وتلحقون
عند جحد هذه الايات بالمشركين حقيقة
فتكونوا ظالمين اي مشركين كما قال تعالى
ان الشرك لظلم عظيم فهذا اللفظ ههنا
ابلغ ولما كان التقدير بجحدوها عالم من
الرسوخ في الظلم ولم يعددها ايات فضلا
عن كونها بينات عطف عليه قوله تعالى
وقالوا متوهمين مكر اظهار التصفة بادنى
ما يدل على الصدق لولا اي هلا انزل عليه
اي محمد صلى الله عليه وسلم على اي وجه
كان من وجوه الانزال ايات اي تكون
بحيث تدل قطعا على صدق الاتي بها من ربه
اي الذي يدعي احسانه اليه كما انزل على الانبياء
قبله كناقة صالح وعصى موسى ومايدة

عيسى

عيسى عليه السلام ليستدل بها على صدق
مقاله وصحة ما يدعيه من حاله وقرا نافع
وابو عمرو وابن عامر وحفص ايات بالجمع
لان بعده قل انما الايات بالجمع اجماعا والباقون
اية بالافراد لان غالب ما جاء في القران
كذلك ولما كان هذا انكار الشمس بعد
شروقها ومكابرة فيما تحدى به من المعجزات
بعد حقوقها اشار اليه بقوله تعالى قل اي
لهم ارخا للعنان حتى كانك ما ايتهم بشي
انما الايات عند الله اي الذي له الامر كله ينزل
ايتها شا فلا يقدر على انزال شي منها غيره
فانما الامر له هو لا سواه ولو شا ان ينزل ما
يقترحونه لفعل وانما انا نذير مبين اي فليس
من شاني الا الانذار وابانته بما اعطيته
من الايات وليس لي ان اقترح عليه الايات
فاقول فانزل علي اية كذا على ان المقصود
من الايات الدلالة على الصدق وهي كلها في
حكم اية واحدة في ذلك ولم يذكر البشارة
لانه ليس من اسلوبها وقوله تعالى

Copyright © King Saud University

أولم يكفهم جواب لقولهم لولا انزل عليه ايات من
ربه اي ان كانوا طالبين للحق غير متعنتين
اية معينة عن كل اية انا انزلنا بما لنا من العظمة
عليك الكتاب اي القران الجامع لسعادة الدارين
بحيث صار خلقا يتلى عليهم اي يتجدد متابعة
قرائته عليهم شيئا بعد شيء في كل مكان وفي كل
زمان من كل قارئ مصدقا لما في الكتب
القديمة من نعتك وغيره من الايات الدالة
على صدقك فاعظم به اية باقية لا تزول
ولا تضمحل ان كل اية سواه منقضية ماضية
وتكون في مكان دون مكان فالقران اتم
من كل معجزة لوجوه الاول ان تلك المعجزات
وجدت وما دامت فان قلب العصى ثعبانا
واحيا الميت لم يبق لنا منه اثر فلو انكره
واحد لم يكن اثباتها معه بدون الكتاب
واما القران فهو باق لو انكره واحد فيقال له
ائت باية من مثله الثاني ان قلب العصا
ثعبانا كان في ان واحد ولم يره من لم يكن
في ذلك المكان واما القران فقد وصل
الى

الى المشرق والمغرب وسمعه كل احد وههنا
لطيفة وهي ان ايات النبي صلى الله عليه
وسلم كانت اشيا لا تختص بمكان دون
مكان لان من جملتها انشقاق القمر وهو
يعم الارض لان الخسوف اذا وقع عم ذلك لان
نبوته كانت عامة لا تختص بقطر دون قطر
وغاض بحر ساوة في قطر وانهدمت الكنيسة بالروم
في قطر اخر اعلاما بانه يكون امرا عاما الثالث
ان هذه المعجزة يقول الكافر المعاند هذا غير
سحر وعمل يد والقران لا يمكن هذا القول وقال
ابو العباس المرسي خشع بعض الصحابة
في سماع بعض اليهود يقرا التورية فغوتبوا
اذ تخشعوا من التورية وهي كلام الله تعالى
فما ظنك بمن اعرض عن كتاب الله ويخشع
بالملاهي والغنا ولما كان هذا اعظم من كل
اية يقترحونها قال تعالى ان في ذلك اي انزال
الكتاب على هذا الوجه البعيد المنال البديع
المثال لرحمة اي نعمة عظيمة في كل لحظة
وتطهير النفوس في كل لمحة وذكرى

اي عظيمة مستمر اتذكرها ولما تمم بالقول خص من
حيث النفع فقال لقوم يومنون لانهم
المنتفعون بذلك ولما كان من المعلوم انهم
يقولون نحن لا نصدق ان هذا الكتاب من عند
الله فضلا عن ان يكتفي به قال تعالى قل اي
جوابا لما قد يقولون من نحو هذا كفى بالله اي
الحائز لجميع العظمة وسائر الكمالات بيني
وبينكم شهيدا اني قد بلغتكم ما ارسلت به
اليكم ونصحتكم وانذرتكم وانهم قابلوني
بالجحد والتكذيب وقد صدقني بالمعجزات
وروي ان كعب بن الاشرف وغيره قالوا يا
محمد من يشهد لك انك رسول الله فنزلت
ثم وصف الشهيد وعلل كفايته بقوله يعلم ما
في السموات اي كلها والارض اي كذلك لا يخفى
عليه شيء من ذلك فهو عليم بما تنسبون الي
من التقول عليه وبما انسبه انا اليه من هذا
القران الذي يشهد لي به عجزكم عنه فهو
شاهدي والله في الحقيقة هو الشاهد
لي فيه بالثنا والشهادة لي بالصدق لانه

قد

قد ثبت بالعجز عنه انه كلامه ولما بين الطريقين
في ارشاد الفريقين المشركين واهل الكتاب عاد
الى الكامل الشامل لهما والانكار العام فقال والذين
امنوا بالباطل اي وهو ما يعبد من دون الله
وكفروا بالله اي الذي يجب الايمان به والشكر
لان له الكمال كله وما سواه هالك ليس له من
ذاته الا العدم اولئك اي البعداء البغضاء هم الخاسرون
اي العريقون في الخسارة فانهم خسروا انفسهم ابد
الابدين فان قيل قوله اولئك هم الخاسرون
يقتضي الحصر في من امن بالباطل وكفر بالله
فمن ياتي باحدهما دون الاخر لا يكون كذلك
اجيب بانه يستحيل ان يكون الاتي باحدهما
لا يكون اتيا بالاخر لان المومن بما سوى الله
تعالى مشرك لانه جعل غير الله مثله وغير
الله عاجز ممكن باطل فيكون الله تعالى كذلك
ومن كفر بالله تعالى وانكره فيكون قايلا
بان العالم واجب الوجود اليه فيكون
قايلا بان غير الله اله فيكون اتيا لغير الله
وايمانا به فان قيل اذا كان الايمان

Copyright © King Saud University

بما سواه كفرا به فيكون كل من امن بالباطل فقد كفر
بالله فهل لهذا العطف فايدة غير التاكيد الذي في قول
القايل قم ولا تقعد واقرب مني ولا تبعد اجيب
بان فيه فايدة غيرها وهو انه ذكر الثاني لبيان
قبح الاول كقول القايل اتقول الباطل وتترك
الحق لبيان ان القول بالباطل قبيح ولما انذرهم
صلى الله عليه وسلم واوعد بالعذاب ان لم
يومنوا اخبر الله عنهم بقوله تعالى ويستعجلونك
بالعذاب نزلت في النضر بن الحارث حين قال
فامطر علينا حجارة من السما ان كنت من الصادقين
ويجعلون تاخيره عنهم شبهة لهم فيما يزعمون من
التكذيب ولولا اجل مسمى قد ضرب لوقت عذابهم
فلا تقدم فيه ولا تاخر لجاهم العذاب وقت استعجالهم
لان القدرة تامة والعلم محيط وليأتينهم بغتة
اي فجاة في الدنيا كوقعة بدر او الاخرة عند
نزول الموت بهم وهم لا يشعرون بل هم في غاية الغفلة
عنهم والاشتغال بما ينسيه ثم زاد في التعجب من
جهلهم بقوله تعالى مبدلا يستعجلونك بالعذاب
اي يطلبون منك ايقاعه بهم ناجزا ولو كان
في

في غير وقته الاليق ولو علموا ما هم صايرون اليه
لتمنوا انهم لم يخلقوا فضلا عن ان يستعجلوا ولاعملوا
جميع جهدهم في الخلاص منه وان جهنم التي هي من عذاب
الاخرة لمحيطة بالكافرين اي ستحيط بهم يوم ياتيهم
العذاب او هي كالمحيطة بهم الان لاحاطة الكفر والمعاصي
التي توجبها بهم واتى بالظاهر موضع المضمر تنبيها
على ما استحقوا به عذابها وتعميما لكل من اتصف به
ثم ذكر تعالى كيفية احاطة جهنم بقوله تعالى يوم
يغشاهم العذاب اي يلحقهم ويلصق بهم من فوقهم
ومن تحت ارجلهم فعلم بذلك الاحاطة من جميع
الجوانب فان قيل لم خص الجانبين ولم يذكر اليمين
والشمال وخلف وقدام اجيب بان المقصود
ذكر ما تتميز به نار جهنم عن نار الدنيا ونار الدنيا
تحيط بالجوانب الاربعة فان من يدخلها تكون
الشعلة قدامه وخلفه ويمينه وشماله واما
النار من فوق لا تنزل وانما تصعد من اسفل
في العادة وتحت الاقدام لا تبقى الشعلة بل
تنطفي الشعلة التي تحت القدم ونار جهنم تنزل
من فوق ولا تنطفي بالدوس موضع القدم

Copyright © King Saud University

فان قيل ما الحكمة في قوله تعالى من فوقهم ومن
تحت ارجلهم بل ذكر المضاف اليه عند ذكر
تحت ولم يذكره عند ذكر فوق اجيب بان
نزول النار من فوق سوا كان من سمت
الراس او من موضع اخر عجيب لان طبع
النار الصعود الى فوق فلهذا لم يخصه
بالروس واما بقاء النار تحت القدم فهو
عجب والاقرب جوانب القدم في الدنيا يكون الشعلة
فذكر العجيب وهو ما تحت الارجل حيث لم
ينطفى بالدوس واما فوق يعلى الاطلاق
وقوله تعالى ونقول قراة نافع والكوفيين
بالياء اي الموكل بالعذاب من ملايكته باهرهم
والباقون بالنون اي نامر بالعذاب ولما
بين عذاب اجسامهم بين ارواحهم وهوان
يقال لهم على سبيل التنكيل والاهانة ذوقوا
ما كنتم تعملون جعل ذلك عين ما كانوا
يعملون مبالغة بطريق اسم المسبب على
السبب فان عملهم كان سببا لعذابهم
وهذا كثير في الاستعمال ولما ذكر تعالى

حال

حال المشركين على حدة وحال اهل الكتاب
على حدة وجمعهما في الانذار وجعلهما من اهل
النار اشتد عنادهم وزاد فسادهم وسعوا
في ايذا المسلمين ومنعهم من العبادة قال
تعالى يا عبادي الذين امنوا فشرفهم بالاضافة
اليه ان ارضي اي في الذات والرزق وكلما تريدون
في الرفق ان لم تتمكنوا بسبب هولا المعاندين
الذين يفتنونكم في دينكم قال مقاتل والكلبي
نزلت في ضعفا مسلمي مكة فقال الله تعالى
ان كنتم في ضيق بمكة من اظهار الايمان فاخرجوا
منها فان ارض المدينة واسعة امنة وقال
مجاهد ان ارضي واسعة فهاجروا وجاهدوا
فيها وقال سعيد بن جبير اذا عمل في ارض بالمعاصي
فاخرجوا منها فان ارضي واسعة وكذلك يجب على
كل من كان في بلد يعمل فيها بالمعاصي ولا يمكنه
تغيير ذلك ان يهاجر الى حيث تتهيا له العبادة
ولكن صارت البلدان في زماننا كلها متساوية
فلا حول ولا قوة الا بالله وقرا بفتح الياء ابن
عامر والباقون بتسكينها وقيل نزلت

في قوم تخلفوا عن الهجرة بمكة وقالوا نخشى ان
هاجرنا من الجوع وضيق المعيشة فانزل الله تعالى
هذه الاية ولم يعذرهم بترك الخروج وقال مطرف
ابن عبد الله ارضي واسعة رزقي لكم واسع فاخرجوا
روى الثعلبي عن الحسن البصري من فر بدينه
من ارض الى ارض ولو كان شبرا استوجب الجنة
ولو رفيق ابراهيم ومحمد صلوات الله وسلامه
عليهما تنبيه قوله تعالى يا عبادي لا يدخل
فيه الكافر لوجوه الاول قوله تعالى ليس لك
عليهم سلطان والكافر تحت سلطنة الشيطان
فلا يدخل في قوله تعالى يا عبادي الثاني
قوله تعالى يا عبادي الثاني قوله تعالى يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة
الله الثالث ان العباد ماخوذ من العبادة
والكافر لا يعبد الله فلا يدخل في قوله تعالى
عبادي وانما يختص بالمومنين الذين يعبدونه
الرابع الاضافة بين الله تعالى والعبد يقول
العبد يا الهي ويقول الله عبدي فان قيل
اذا كان عباده لا يتناول الا المومنين

فما

فما الفايدة في قوله الذين امنوا مع ان الوصف
انما يذكر لتمييز الموصوف كما يقال يا ايها المكلفون
المومنون يا ايها الرجال العقلا تمييزا بين
الكافر والجاهل اجيب بان الوصف يذكر لا
لتمييز بل لمجرد لبيان ان فيه الوصف كما يقال
الانبيا المكرمون والملايكة المطهرون مع ان كل
نبي مكرم وكل ملك مطهر وانما يقال لبيان
ان فيهم الاكرام والطهارة ومثله قولنا الله العظيم
فههنا ذكر لبيان انهم مومنون ولما كانت
الاقامة بمكة قبل الفتح مودية الى الفتنة قال
تعالى فاياي اي خاصة بالهجرة الى ارض تامنون
فيها فاعبدون اي وحدون وان كان بالهجرة
وكان هجرة الاهل والاوطان شديدة فان قيل
قوله تعالى يا عبادي يفهم منه كونهم عابدين
فما الفايدة بالامر بالعبادة اجيب بان فيه
فايدتين احداهما المداومة اي يا من عبدتموني
في الماضي اعبدني في المستقبل الثانية الاخلاص
اي يا من يعبدني اخلص العمل لي ولا تعبد غيري
فان قيل ما معنى الفا في فاعبدون اجيب

Copyright © King Saud University

بان الفاء جواب شرط محذوف فان المعنى ان ارضي
واسعة فان لم تخلصوا العبادة لي في ارضي
فاخلصوها في غيرها ولما امر الله تعالى عباده
بالحرص على العبادة وصدق الاهتمام بها حتى
تطلبوا لها اوفق البلاد وان شقت وشق
عليهم ترك الاوطان ومفارقة الاخوان خوفهم
بالموت لتهون عليهم الهجرة بقوله تعالى
كل نفس ذائقة الموت اي كل نفس مفارقة ما
الفته حتى بدنا طال ما لبسته وانسها
وانسته فان اطاعت ربها انجت نفسها ولم
تردها المعصية في الاجل شيئا فاذا قدر الانسان
انه ميت سهلت عليه الهجرة فانه ان لم
يفارق بعض مالوفه بها فارق كل مالوفه
بالموت وقد ورد اكثروا من ذكر هادم اللذات
اي الموت فانه ما ذكر في قليل اي من العمل الا
كثره ولا ذكر في كثير من امل الدنيا الا قلله
ولما هون امر الهجرة حذر من رضي في دينه
بنوع نقص بشي من الاشيا حثا على الاستعداد
بغاية الجهد في التزود للمعاد
بقوله

بقوله تعالى ثم الينا ترجعون على ايسر وجه
فنجازي كلا منكم بما عمل وقرا ابو بكر بالياء التحتية
والباقون بالتاء الفوقية والذين امنوا وعملوا اي
تصديقا لايمانهم الصالحات لنبوئنهم اي لننزلنهم
من الجنة غرفا اي بيوتا عالية قال البقاعي تحتها
قاعات واسعة وقرا حمزة والكسائي بعد النون
بثاء مثلثة ساكنة وبعدها واو مكسورة وبعد
الواو ياء مفتوحة اي لنثوينهم اي لنقيمنهم من
الثواء وهو الاقامة يقال ثوى الرجل اذا اقام
فيكون انتصاب غرفا لاجرائه مجرى لننزلنهم
او لنزع الخافض اتساعا اي في غرف او تشبيه
الظرف الموقت بالمبهم كقوله لاقعدن لهم
صراطك المستقيم والباقون بعد النون
بباء موحدة وبعدها واو مشددة وبعد
الواو همزة مفتوحة وعلى هذه القراءة
فانتصابها على انها مفعول ثان لان بوا يتعدى
لاثنين قال الله تبوئ المومنين مقاعد
للقتال ويتعدى باللام قال الله تعالى
واذ بوانا لابراهيم ولما كانت المعاني

Copyright © King Saud University

لا تروق الا بالرياض تجري من تحتها الانهار ومن المعلوم
انه لا يكون في موضع انهار الا يكون به بساتين
كبار وزروع ورياض وازهار فيشرفون عليها
من تلك العلالي ولما كانت بحالة لا نكر فيها يوجب
هجرتهم في المحفظة ساكني عنه بقوله تعالى خالدين فيها
اي لا يبغون عنها حولا ثم عظم امرها وشرف قدرها
بقوله تعالى نعم اجر العاملين اي هذا الاجر وهذا
في مقابلة قوله تعالى وذوقوا ما كنتم تعملون
ثم وصفهم بما يرغب في الهجرة بقوله تعالى الذين
صبروا وعلى ربهم اي المحسن اليهم وحده لا على اهل
الارض يتوكلون اي يوجدون التوكل ايجادا
مستمر التجديد كل منهم بعرض لهم ولما اشار
بالتوكل الى انه الكافي امر الرزق في الوطن
والغربة لا بمال ولا اهل قال عاطفا على ما
تقديره فكاين من متوكل عليه كفاه ولم يحوجه
الى احد سواه فليبادر من الكفر وهذه الى
الهجرة طلبا لرضاه وكاين من دابة اي كثير
الدواب العاقلة وغيرها لا تحمل اي لا تطيق ان
تحمل رزقها اي لا تدخر شيئا لساعة اخرى لانها
قد

قد لا تدرك نفع ذلك وقد تدركه وتتوكل وعن
الحسن لا تدخر انما تصبح فيرزقها الله تعالى
وعن ابن عيينة ليس شيء يخبا الا الانسان
والنملة والفارة وعن بعضهم قال رايت البلبل
يدخر في خصيته ويقال للعقعق مخابي الا انه
ينساها ولا يجدها ولا تطيق حمله لضعفها انما كانه
قيل فمن يرزقها قيل الله اي المحيط علما وقدرة
المتصف بكل كمال يرزقها على ضعفها وهي لا
تدخر واياكم مع قوتكم وادخاركم واجتهادكم
لا فرق بين ترزيقه اياها على ضعفها وعدم ادخارها
وترزيقه لكم على قوتكم وادخاركم فانه هو
المسبب وحده فان الفريقين تارة يجدون
وتارة لا يجدون فصار الادخار وعدمه غير
معتد به ولا منظور اليه وقرا ابن كثير بعد
الكاف بالف وبعد الالف همزة مكسورة والباقون
بعد الكاف همزة مفتوحة وبعدها يا مشددة و
وقف ابو عمرو على اليا ووقف الباقون على النون
وحمزة في الوقف يسهل الهمزة على اصله تنبيه
كاين كلمة مركبة من كاف التشبيه واي التي

Copyright © King Saud University

التي تستعمل استعمال من ومار كبنا وجعل
المركب بمعنى كم لحم لم تكتب الا بالنون ليفصل بين
المركب وغير المركب لان كاي تستعمل غير مركب
كما يقول القايل رايت رجلا لا كاي رجل
يكون وحينئذ لا يكون كاي مركبا فاذا كان
كاين ههنا مركبا كتب بالنون للتميز وهو
السميع لاقوالكم تخشى الفقر والضيعة العليم
بما في ضمايركم واختلف في سبب نزول هذه
الاية فعن ابن عمر انه قال دخلت مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم حايطا من حوايط
الانصار فجعل رسول الله صلى الله عليه
وسلم يلتقط الرطب بيده وياكل فقال كل يا
ابن عمر قلت لا اشتهيه يا رسول الله قال
لكني اشتهيه وهذه صبح رابعة لم اطعم
طعاما ولم اجده فقلت يا رسول الله ان
الله المستعان فقال ابن عمر لو سالت ربي
مثل ملك كسرى وقيصر اضعافا مضاعفة
ولكني اجوع يوما واشبع يوما فكيف بكر يا ابن
عمر اذا عمرت وبقيت في حثالة من الناس

يحتبون

يختبون رزق سنة ويضعف اليقين فنزلت
وكاين من دابة وروي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال للمومنين الذين كانوا بمكة
واذاهم المشركون هاجروا الى المدينة فقالوا كيف
نخرج الى المدينة وليس بها دار ولا مال فمن يطعمنا
ويسقينا فنزلت وعن انس ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال لو انكم تتوكلوا على الله حق توكله
لرزقكم كما يرزق الطير تغدو اخماصا وتروح بطانا
وقال صلى الله عليه وسلم ايها الناس ليس من
شيء يقربكم الى الجنة ويباعدكم من النار الا وقد
امرتكم به وليس شيء يقربكم به من النار ويباعدكم
من الجنة الا وقد نهيتكم عنه وان الروح الامين
نفث في روعي انه ليس من نفس تموت حتى
تستوفي رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب ولا
يحملنكم استبطا الرزق ان تطلبوه بمعاصي الله فانه
لا يدرك ما عند الله الا بطاعته ولين اللام لام
قسم سالتهم اي كفار مكة وغيرهم من خلق السموات
والارض وسواها على هذا النظام العظيم وسخر
الشمس والقمر لاصلاح الاقوات ومعرفة الاوقات

Copyright © King Saud University

وغير ذلك من المنافع ليقولن الله اي الذي له جميع
الصفات الكمالية لما تقرر في فطرهم من ذلك وتلقوه
من ابائهم موافقة للحق في نفس الامر فاني اي
فكيف ومن اي وجه يوفكون اي يصرفون عن
توحيده بعد اقرارهم بعد ذلك فان قيل ذكر في
السموات والارض الخلق وفي الشمس والقمر التسخير
اجيب بان مجرد خلق السموات والارض
اية ظاهرة بخلاف خلق الشمس والقمر فانهما
لوكانا في موضع واحد لا يتحركان ما حصل الليل
والنهار ولا الصيف والشتا فان الحكمة الظاهرة
في تحريكهما وتسخيرهما ولما كان قد يستشكل
علي ذلك التفاوت في الرزق عند من لم يتامل
حق التامل فيقول ما بال الخلق متفاوتين
في الرزق قال تعالى الله اي بما له من الاحاطة
بصفات الكمال يبسط الرزق بقدرته التامة
امتحانا لمن يشا من عباده على حسب ما يعلم
من بواطنهم ويقدر اي يضيق له بعد البسط او
لمن يشا ابتلا فظهر بذلك قدرته وحكمته وانت
تري الملوك وغيرهم من الاقويا يتفاوتون
في

في الرزق بين اتباعهم بحسب ما يعلمون من علمهم
الناقص باحوالهم فما ظنك بملك الملوك العالم علما
لا تدنوا من ساحته ظنون ولا شكوك كما قال
تعالى ان الله اي الذي له صفات الكمال بكل شي
من المرزوقين ومن الارزاق وكيفية منع او
استيفا وغير ذلك عليم يعلم مقادير الحاجات
والارزاق فهو على ذلك كله قدير يعلم ما يصلح
للعباد من ذلك وما يفسدهم ويعطيهم بحسب
ذلك ان شا وكم رام بعض الاقويا اغنا فقير
وافقار غني فكشف الحال عن فساد ما راموا
من الانتقال ولما قال الله تعالى الله يبسط
الرزق ذكر اعترافهم بذلك بقوله تعالى ولين
اللام لام قسم سالتهم من نزل من السما ماء
اي بعد ان كان مضبوطا في جهة العلو فاحيي
به الارض الغبرا وانشارها بانبات الجار الي قرب
الانبات من زمان الممات فقال من بعد
موتها فصارت خضراء تهتز بعد ان لم يكن
لها شي من ذلك ليقولن الله معترفين بانه
الموجد لكم للممكنات باسرها اصولها وفروعها

انهم يشركون به بعض مخلوقاته الذي لا يقدر
على شي من ذلك فاثبت انه الخالق او اعانه
كما يشاهد في كل زمان قار منها على عظمة
صفاته اللازمة من انباتها صدق رسول
الله صلى الله عليه وسلم قل يا افضل الخلق
متعجبا منهم في جحودهم يقرون بما يلزمهم التوحيد
ثم لا يوحدونه الحمد لله الذي لا سمي له وليس
لغيره احاطة من الاشيا فلزمتهم الحجة بما
اقروا به من احاطة وهم لا يثبتون ذلك
باعراضهم بل اكثرهم لا يعقلون فيناقضون
حيث يقرون بانه المبدا الكل ما عداه ثم
انهم يشركون به غيره مما هم معترفون
بانه خلقه فهم لا يعرفون معنى الحمد
حيث لم يعملوا به ومنهم من امن بعد
ذلك فكان في صعد الذروة من كمال
العقل في التوحيد الذي يلزمه سائر
الفروع ومنهم من كان دون ذلك فكان
نفي العقل عنه مقيدا بالكمال ولما
تبين بهذه الايات ان الدنيا مبنية على
الفنا

على الفنا والزوال والارتحال وصحبان السرور
بها في غير موضعه فلذلك قال مشيرا بعد
سلب العقل عنهم الى انهم فيها كالبهائم يتهارجون
وما هذه الحياة الدنيا فحقرها بالاشارة ولفظ
الدناة مع الاشارة الى هذا الاعتراف لهذا الاسم
كاف في الالزام بالاعتراف بالاخرى الا لهو وهو
الاستمتاع بلذات الدنيا ولعب وهو العبث
سميت بها لانها فانية وقيل اللهو الاعراض عن الحق
واللعب الاقبال على الباطل فان قيل قال تعالى
في الانعام وما الحياة الدنيا ولم يقل وما هذه
الحياة وقال هاهنا وما هذه الحياة
الدنيا فما فايدته اجيب بان المذكور
من قبل هاهنا امر الدنيا فاحيى به الارض
من بعد موتها فقال هذه والمذكور قبلها
هناك الاخرة حيث قال يا حسرتنا على
ما فرطنا فيها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم
فلم تكن الدنيا في ذلك الوقت في خاطرهم فقال
تعالى وما الحياة الدنيا فان قيل ما الحكمة
في تقديمه هناك اللعب على اللهو وههنا اخر اللعب

Copyright © King Saud University

عن اللهو اجيب بانه لما كان المذكور من قبل هناك
الاخرة واظهارهم للحسرة ففي ذكر الوعد
يبعد الاستغراق في الدنيا بل نفس الاشتغال بها
فاخذ الابعد وههنا لما كان المذكور من قبل الدنيا
وهي خداعة تدعوا النفوس الي الاقبال عليها
والاستغراق فيها اللهم الا مانع يمنع من الاستغراق
فيشتغل بها من غير استغراق فيها والعاصم يعصمه
فلا يشتغل بها اصلا وكان الاستغراق اقرب من
عدمه فقدم اللهو ولما كانوا ينكرون الحياة
بعد الموت اخبر على سبيل التاكيد لانه لا حياة غيرها
بقوله تعالى وان الدار الاخرة لهي اي خاصة الحيوان
اي الحياة التامة الباقية فان قيل ما الحكمة في
قوله تعالى هناك وللدار الاخرة خير وقال ههنا
وان الدار الاخرة لهي الحيوان اجيب بانه لما
كان الحاصل هناك حال اظهار الحسرة ما كان
المكلف يحتاج الي وازع قوي فقال الاخرة خير
ولما كان الحال هنا حال الاشتغال بالدنيا
احتاج الي وازع قوي فقال لا حياة الا حياة
الاخرة والحيوان مصدر حيي وقياسه
حيان

حيان فقلبت الياء الثانية واوا وبه سمي ما فيه
حياة حيوانا وهو ابلغ من الحياة لما في بناء
فعلان من الحركة والاضطراب اللازم للحياة ولذلك
اختير عليها ههنا ولما كانوا قد غلطوا في الدارين
كليهما فنزلوا كل واحدة منها غير منزلتها فعدوا
الدنيا وجودا دائما على هذه الحالة وعدوا الاخرة
عدما لا وجود لها بوجه قال تعالى لو كانوا يعلمون
لم يوثروا عليها الدنيا التي اصلها عدم الحياة والحياة
فيها عارضة سريعة الزوال فان قيل ما الحكمة
في قوله تعالى في الانعام افلا يعقلون وقال ههنا
لو كانوا يعلمون اجيب بان المثبت هناك
كون الاخرة خيرا ولانه ظاهر لا يتوقف الا على
العقل والمثبت هنا ان الحياة الدنيا لا حياة الا
الدنيا وهذا دقيق لا يعرف الا بعلم نافع فاذا
اي فتسبب عن عدم عقلهم المستلزم لعدم
علمهم انهم اذا ركبوا البحر في الفلك اي السفن
دعوا الله اي الملك الاعلى مخلصين بالتوحيد له
الدين معرضين عن الشركا بالقلب واللسان
حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون سواه لعلمهم

Copyright © King Saud University

بانه لا يكشف الشدايد الا هو فلما نجاهم اي الله
سبحانه وتعالى موصلا لهم الى البر اذا هم
اي حين الوصول الى البر يشركون به كما كانوا
فهنا اخبار عنهم بانهم عند الشدايد معترفون
ان القادر على كشفها هو الله عز وجل وحده
فاذا زالت عادوا الى كفرهم قال عكرمة
كان اهل الجاهلية اذا ركبوا في البحر حملوا معهم
الاصنام فاذا اشتد عليهم الريح القوها في البحر
وقالوا يا رب يا رب وقال الرازي في اللوامع
وهذا دليل على ان معرفة الرب في فطرة كل انسان
وانهم ان غفلوا في السرا فلا شك انهم يلوذون
اليه في حال الضرا فعلم ان الاشتغال
بالدنيا هو الصاد عن كل خير وان الانقطاع
عنها معين للفطرة الاولى المستقيمة ولهذا
تجد الفقرا اقرب الى كل خير وفي اللام في قوله
تعالى ليكفروا بما اتيناهم وجهان اظهرهما
ان اللام فيه لام كي اي يشركون ليكونوا
كافرين بشركهم نعمة النجاة فيكون ذلك
فعل من لا عقل له اصلا وهم يتحاشون
عن

عن مثل ذلك والثاني كونها للامر وليتمتعوا
باجتماعهم على عبادة الاصنام وتوادهم عليها
وقرا ورش وابو عمرو وابن عامر وعاصم بالكسر وهي محتملة
للوجهين المتقدمين والباقون بالسكون وهي
ظاهرة في الامر فان كانت اللام الاولى للامر
فقد عطف امرا على مثله فان قيل كونها للامر
مشكل اذ كيف يامر الله تعالى بالكفر وهو
متوعد عليه واجيب بان ذلك على سبيل
التهديد كقوله تعالى اعملوا ما شئتم فان كانت
اللام الاولى للامر فقد عطف امرا على امر مثله
وان كانت للعلة فقد عطف كلاما على كلام
فيكون المعنى لا فايدة لهم في الاشراك الا الكفر
والتمتع بما يستمتعون به في العاجلة من غير
نصيب في الاخرة فسوف يعلمون يوميذ ما يحل
بهم من العقاب ولما كان الانسان يكون
في البحر على اخوف ما يكون وفي بيته يكون
على امن ما يكون لا سيما اذا كان بيته في بلد
حصين فلما ذكر الله المشركين عند الخوف
الشديد ورووا انفسهم في تلك الحالة راجعة

الى الله ذكرهم حالهم عند الامر العظيم بقوله تعالى
اولم يروا اي اهل مكة بعيون بصايرهم انا جعلنا
بعظمتنا لهم حرما وقال امنا لانه خوف على
من دخله فلما امن كل من دخله كان كانه هو
نفسه الامن وهو حرم مكة فانها مدينتهم
وبلدهم وفيها سكناهم ومولدهم وهي حصينة
بحصن الله وامنة موجبة للتوحيد والاخلاص
لانكم في اخوف ما انتم دعوتم الله وفي امن ما
حصلتم عليه كفرتم بالله وهذا متناقض لان
دعاكم في ذلك الوقت على سبيل الاخلاص فلما
كان الا لقطعكم بان النعمة من الله لا غير
وهذه النعمة العظيمة التي حصلتم وقد اعترفتم
بانها لا تكون الا من الله تعالى فكيف تكفرون
بها والاصنام التي قلتم في حال الخوف ان لا
امن لها كيف امنتم بها في حال الامن والحال انه
يتخطف الناس من حولهم اي من حول من فيه
من كل جهة قتلا وسلبا مع قلة من بمكة
وكثرة من حولهم فالذي خرق العادة في فعل
ذلك حتى صار على هذا السهل قادر على ان

يعكس

يعكس الحالة فيجعل من الحرم متخطفا ومن حوله
امنا او يجعل الكل في الخوف على منهاج واحد
افبالباطل من الشياطين والاديان وغيرهما
يومنون والحال انه لا يشك عاقل في بطلانه
وبنعمة الله التي احدثها لهم من الانجا وارسال
محمد صلى الله عليه وسلم يكفرون حيث جعلوا موضع
شكرهم له على النجاة وغيرها بعبادة غيره
ومن اظلم اي اشد وضعا للاشيا في غير مواضعها
ممن افترى اي تعمد على الله كذبا اي اي كذب من الشرك
وغيره كما كانوا يقولون اذا فعلوا فاحشة وجدنا
عليها اباءنا والله امرنا بها او كذب بالحق اي النبي
صلى الله عليه وسلم والقران المعجز المبين على
لسان هذا الرسول الامين الذي لم يخبر خبرا
الا طابقه الواقع لما اي حين جاءه من غير امهال
الى ان ينظر ويتامل بل سارع الى التكذيب
اول ما سمعه وقوله تعالى اليس في جهنم مثوى
للكافرين استفهام تقرير لثوابهم كقوله
الستم خير من ركب المطايا واندى العالمين بطون راح
قال بعضهم ولو كان استفهاما ما اعطاه

Copyright © King Saud University

الخليفة مائة دينار ومائة من الابل وحقيقته ان
الهمزة همزة الانكار دخلت على النفي فرجع الى
معنى التقرير والمعنى اما لهذا الكافر الكذب
ماوى في جهنم حتى اجترا مثل هذه الجراة
والذين جاهدوا فينا اي اوقعوا الجهاد
بغاية جهدهم على ما دل عليه بالمفاعلة
فينا اي بسبب حقنا ومراقبتنا خاصة
بلزوم الطاعة من جهاد الكفار وغيرهم من كل
ما ينبغي الجهاد فيه بالقول والفعل في الشدة
والرخا ومخالفة الهوا عند هجوم الفتن وشدايد
المحن مستحضرين لعظمتنا لنهدينهم بما يجعل
لهم من النور الذي لا يضل من صحبه هداية
يليق بعظمتنا سبلنا اي طريق السير الينا وهي
الطريقة المستقيمة والطريقة المستقيمة هي التي
توصل الى رضا الله عز وجل قال سفيان بن
عيينة اذا اختلف الناس فانظروا ما عليه
اهل الثغور فان الله تعالى قال والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا وقال الحسن الجهاد
مخالفة الهوا وقال الفضيل بن عياض
والذين

والذين جاهدوا في طلب العلم لنهدينهم سبل
العمل به وقال سهل بن عبد الله والذين
جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا وقال
ابو سليمان الداراني والذين جاهدوا فيما
علموا لنهدينهم الى ما لم يعلموا وعن بعضهم
من عمل بما يعلم وفق لما لم يعلم وقيل ان
الذي نرى من جهلنا بما لم نعلم انما هو من
تقصيرنا فيما نعلم وقيل المجاهدة هي الصبر
على الطاعة وقرا ابو عمرو بسكون البا الموحدة
والباقون بضمها وان الله اي بعظمته وجلاله
وكبريايه لمع المحسنين اي المومنين بالنصرة
والمعونة في دنياهم والمغفرة والثواب
في عقباهم وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري
من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا
سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات
بعدد المومنين والمنافقين فهو حديث موضوع
ورواه ابن عادل عن ابي امامة عن ابي بن
كعب

سورة الروم مكية

وهي ستون اية وثمانمائة وتسع عشر كلمة

Copyright © King Saud University

وثلاثة الاف وخمسماية واربعة وثلاثون حرفا
لبسم الله الذي يملك الامور كله الرحمن الذي
رحم الخلق كلهم بنصب الدلايل الرحيم الذي
لطف باوليايه وقوله تعالى الم تقدم الكلام
على ذلك في اول سورة البقرة وقال البقاعي
لما ختم سبحنه وتعالى التي قبلها بانه مع المحسنين
قال الم مشيرا بالف القيام والعلو ولام
الوصلة وميم التمام الى ان الله الملك الاعلى
القيوم ارسل جبريل عليه السلام الذي
هو وصلة بينه وبين انبيايه عليهم السلام
الى اشرف خلقه محمد صلى الله عليه وسلم
المبعوث لاتمام مكارم الاخلاق بوحي اليه
وحيا معلما بالشاهد والغايب فياتي الامر
على ما اخبر به دليلا على صحة رسالته وكمال
علم مرسله وشمول قدرته ووجوب
وحدانيته غلبت الروم وهم اهل كتاب
غلبتها فارس وليس اهل كتاب بل يعبدون
الاوثان في ادنى الارض اي اقرب ارض الروم
الى فارس وليسوا اهل كتاب بل يعبدون
الاوثان

الاوثان بالجزيرة التقى فيها الجيشان والبادي
بالغزو الفرس وهم اي الروم من بعد غلبهم
اضيف المصدر الى المفعول اي غلبة فارس
اياهم سيغلبون فارس في بضع سنين وهو ما
بين الثلاث الى التسع او العشر فالتقى الجيشان
في السنة السابعة من الالتقا الاول وغلبت
الروم فارس وسبب نزول هذه الاية على ما
ذكره المفسرون انه كان بين فارس والروم قتال
وكان المشركون يودون ان تغلب فارس لان
اهل فارس كانوا مجوسا اميين والمسلمون
يودون غلبة الروم على فارس لكونهم اهل كتاب
فبعث كسرى جيشا الى الروم واستعمل عليه رجلا
يقال له شهرباد وبعث قيصر جيشا واستعمل
عليه رجل يدعى بحنس فالتقى مع شهرباد
باذرعات وبصرى وهي ادنى الشام الى ارض
العرب فغلبت فارس الروم وبلغ ذلك النبي
صلى الله عليه وسلم واصحابه وهم بمكة فشق
ذلك عليهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم
يكره ان تظهر الاميون من المجوس على اهل

Copyright © King Saud University

الكتاب والنصارى اهل الكتاب اسون وقد اظهر
اخواننا من اهل فارس على اخوانكم من اهل الروم
ولنظهرن عليكم فنزلت هذه الاية فخرج ابو بكر
الصديق الى الكفار فقال فرحتم بظهور اخوانكم
فلا تفرحوا فوالله ليظهرن الروم على فارس
اخبرنا بذلك نبينا فقال له امية بن خلف الجمحي
كذبت يا ابا الفضل فقال اكذب يا عدو الله فقال
اجعل بيننا اجلا اناحبك عليه والمناحبة المراهنة
فناحبه على عشرة قلايص من كل واحد منهما
فان ظهرت الروم على فارس غرمت وان ظهرت
فارس غرمت وجعلا الاجل ثلاث سنين فجا ابو
بكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره
بذلك فقال ما هذا ذكرت انما البضع ما بين
الثلاثة الى التسع فزايده في الخطر ومادده في
الاجل فخرج ابو بكر فلقي ابيا فقال لعلك ندمت
قال لا تعالى ازايدك في الخطر واماددك
في الاجل فاجعلها مائة قلوص الى تسع سنين
وقيل الى سبع سنين قال لقد فعلت فلما
خشي ابي بن خلف ان يخرج ابو بكر من مكة
اتاه

اتاه فلزمه وقال انا اخاف ان تخرج من مكة فاقم
لي كفيلا فكفله ابنه عبد الله بن ابي بكر فلما
اراد ابي بن خلف ان يخرج الى احد اتاه عبد الله
ابن ابي بكر فلزمه وقال والله لا ادعك حتى
تعطي كفيلا فاعطاه كفيلا ثم خرج الى احد ثم
رجع ابي بن خلف فمات بمكة من جراحته التي جرحه
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بارزه
وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك
عند راس سبع سنين من مناحبتهم وقيل
كان يوم بدر فاخذ ابو بكر الخطر من ذرية
ابي وجا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال تصدق به وهذه الاية من الايات البينة
الشاهدة على صحة النبوة وان القران من
عند الله لانه انبا عن علم الغيب الذي لا يعلمه
الا الله تعالى فان قيل كيف صحت المناحبة
اجيب بان قتادة رحمه الله قال
كان ذلك قبل تحريم القمار قال الزمخشري
ومذهب ابي حنيفة ومحمد ان العقود الفاسدة
من عقود الربا جايزة في دار الحرب

Copyright © King Saud University

بين المسلمين والكفار وقد احتاج الى صحة ذلك بما
عقده ابو بكر بينه وبين ابي بن خلف ولما كان
تغليب ملك على ملك من الامور الهايلة وكان
الاخبار قبل كونه اهول ذكر علة ذلك بقوله تعالى
لله اي وحده الامر من قبل اي قبل دولة فارس
على الروم على فارس ومن بعد اي بعد دولة الروم
عليهم ودولتهم على الروم ثم دولة الروم على فارس
ولما اخبر تعالى بهذه المعجزة اخبر بمعجزة اخرى
بقوله تعالى ويومئذ تغلب الروم على فارس
يفرح المومنون اي الفريقون في هذا الوصف
من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم بنصر الله
اي الذي لا راد لامره الروم على فارس وقد فرحوا
بذلك وعلموا انه يوم وقوعه يوم بدر بنزول
جبريل بذلك فيه مع فرحهم بنصرهم على المشركين
فيه قال السدي فرح النبي صلى الله عليه وسلم
والمومنون بظهورهم على المشركين يوم بدر
وظهور اهل الكتاب على اهل الشرك وعن ابي
سعيد الخدري وافق ذلك يوم بدر
وفي هذا اليوم نصر المومنون

بنصر

بنصر من يشا من ضعيف وقوي لانه لا مانع
له ولا يسال عما يفعل فالغلبة لا تدل على الحق
بل الله قد يزيد ثواب المومن فيبتليه ويسلط
عليه الاعادي وقد يختار تعجيل العذاب الادنى
دون العذاب الاكبر قبل يوم المعاد وهو العزيز
فلا يعز من عادى ولا يذل من والى وقرا قالون
وابو عمرو والكسائي بسكون الها والباقون
بالضم ولما كان السياق لبشارة المومنين قال
الرحيم فيخصهم بالاعمال الزكية والاخلاق
المرضية وعد الله اي الذي له جميع الصفات
الكمال مصدر موكد ناصبه مضمر اي وعد الله
ذلك وعدا بظهور الروم على فارس لا يخلف الله
اي الذي له الامر كله وعده به وهذا مقرر لمعنى
هذا المصدر فيكون كالمصدر ويجوز ان يكون
قوله تعالى لا يخلف الله وعده حالا من المصدر
فيكون كالمصدر الموصوف فهو مبين للنوع كانه
قيل وعد الله وعدا غير مخلف ولكن اكثر الناس لجهلهم
وعدم تفكرهم لا يعلمون ذلك وقوله تعالى
يعلمون بدل من قوله تعالى لا يعلمون وفي

بعد الابدال من النكتة انه ابدله منه وجعله
بحيث يقوم مقامه ويسد مسده ليعلمنا انه لا
فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود
العلم الذي لا يتجاوز الدنيا ظاهرا من الحياة الدنيا
يفيد ان للدنيا ظاهرا وباطنا فظاهرها
ما يعرفه الجهال من امر معاشهم كيف
يكتسبون ويتجرون ومتى يغرسون ويزرعون
ويحصدون وكيف يبنون ويعرشون قال
الحسن ان احدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره
فيذكر وزنه ولا يخطي وهو لا يحسن يصلي
وامثال ذلك كثير وهو وان كان عند اهل
الدنيا عظيما فهو عند الله حقير فلذلك
حقره لانهم ما زادوا فيه على ان ساووا البهائم
في ادراكهم ما ينفعها فتستجلبه بضروب من
الحيل وما يضرها فتدفعه بانواع من الخداع
وما علم باطنها وهو انها مجاز الى الاخرة
فيتزود منها بالطاعة فهو ممدوح وفي
تنكير الظاهر انهم لا يعلمون الا ظواهرا وحدها
من جملة ظواهرها وهم اي هؤلاء الموصوفون

خاصة

خاصة عن الاخرة اي التي هي المقصودة بالذات وما
خلقت الدنيا الا للتوصل بها اليها ليظهر الحكم بالقسط
وجميع صفات العز والكبر والجلال والاكرام هم غافلون
اي في غاية الاستغراق والاضراب عنها بحيث لا تخطر
في خواطرهم تنبيه هم الثانية يجوز ان تكون مبتدا
وغافلون خبره والجملة خبر هم الاولى وان تكون
تكريرا للاولى وغافلون خبر الاولى واية كانت
فذكرها مناد على انهم معدن الغفلة عن الاخرة ومقرها
ومحلها وانها منهم تنبع واليهم ترجع اولم يتفكروا
اي يجتهدوا في اعمال الفكر وقوله تعالى في انفسهم
يحتمل ان يكون ظرفا كانه قيل اولم يحدثوا الفكر
في انفسهم اي في قلوبهم الفارغة من التفكر والتفكر
لا يكون الا في القلوب ولكنه زيادة تصوير
لحال المتفكرين كقولك اعتقده في قلبك واضمره
في نفسك وان يكون صلة اي اولم يتفكروا في
احوالها خصوصا فيعلموا ان من كان منكم

قادرا كاملا لا يخلف وعده وهو انسان ناقص
فكيف بالاله الحق ويعلمون ان الذي ساوى
بينهم في الايجاد من العدم وطورهم في اطوار الصور

Copyright © King Saud University

وفاوت بينهم في القوى والقدر وبين احوالهم في
الطول والقصر وسلط بعضهم على بعض بانواع
الضرر ومات اكثرهم مظلوما قبل القصاص
والظفر لابد في حكمته البالغة من جمعهم العدل
بينهم في جزاء من وفى او غدر او شكر او كفر
ففي ذلك دلالة على وحدانية الله تعالى او على
الحشر ثم ذكر تعالى نتيجة ذلك وعلله
بقوله تعالى في اسلوب التاكيد لاجل انكارهم
وعلى التقرير الاول يكون المتفكر فيه ما خلق
الله اي بعز جلاله وعلوه في مكانه السموات
والارض على ما هما عليه من النظام المحكم والقانون
المتقن قال البقاعي وافرد الارض لعدم دليل
حسي او عقلي يدلهم على تعددها بخلاف السما
انتهى وقد يرد هذا بقوله تعالى خلق
سبع سموات ومن الارض مثلهن وما بينهما
من المعاني التي بها كمال منافعهما الا خلقا
ملتبسا بالحق اي الامر الثابت الذي لا يطابقه
الواقع فاذا ذكر البعث الذي هو مبدا الاخرة
التي هذا اسلوبها وجد الواقع في تصوير
النطق

النطق ونفخ الروح وتمييز الصالح منها للتصوير
من الفاسد يطابق ذلك واذا تدبر النبات
بعد ان كان هشيما قد نزل عليه الماء فزها
واهتز وربا وجده مطابقا لامر البعث واذا ذكر
القدرة فراي اختلاف الليل والنهار وسير
الكواكب الصغار والكبار وامطار الامطار
واجراء الانهار ونحو ذلك من الاسرار راه مطابقا
لكلما يخطر بالبال ولما كان عندهم ان هذا
الوجود حياة وموت لا الى نفاد قال تعالى
واجل لابد ان ينتهي اليه مسمى اي في العلم من
الازل لذلك يعني عند انتهائه وبعده البعث
ولما كانوا ينكرون انهم على كفر اكد قوله تعالى
وان كثيرا من الناس مع ذلك على وضوحه بلقاء
ربهم اي الذي ملاهم احسانا برجوعهم في الاخرة
الى العرض عليه للثواب والعقاب لكافرون
اي لا يؤمنون بالبعث بعد الموت فان قيل
ما الفائدة في قوله تعالى ههنا وان كثيرا من
الناس وقال من قبل ولكن اكثر الناس
اجيب بان فائدته انه من قبل

Copyright © King Saud University

لم يذكر دليلا على الاصلين وههنا قد ذكر الدلايل
الراسخة والبراهين اللايحة ولاشك في ان الايمان
بعد الدليل اكثر من الايمان قبل الدلايل فبعد
الدليل لابد من ان يومن من ذلك جمع فلا
يبقى الاكثر كما هو فقال بعد اقامة الدليل
وان كثيرا وقال قبله ولكن اكثر الناس
لانه بعد الدليل لا يمكن الذهول عنه وهو
السموات والارض لان من البعيد ان يذهل
الانسان عن السما التي فوقه والارض التي
تحته فلهذا ذكر ما يقع الذهول عنه وهو
امثالهم وحكاية اشكالهم فقال اولم يسيروا
في الارض اي سير اعتبار وقوله تعالى فينظروا
كيف كان عاقبة الذين من قبلهم اي من الامم
وهي اهلاكهم بتكذيبهم رسلهم تقرير لسيرهم
في اقطار الارض ونظرهم الى اثار المدمرين
كعاد وثمود كانوا اشد منهم اي العرب قوة
اي في ابدانهم وعقولهم واثاروا الارض
اي حرثوها وقلبوها للزرع والغرس والمعادن
والمياه وغير ذلك وعمروها اي اولئك
السالغون

السالغون اكثر مما عمروها اي هولا الذين ارسلت
اليهم بل ليس اليهم من اثارة الارض وعمارتها كبير
امر فان بلاد العرب انما هي في خبا سود وفيافي غبر
فما هو الا تهكم بهم وبيان لضعف حالهم في دنياهم
التي لا فخر لهم بغيرها وجاتهم رسلهم بالبينات اي بالحجج
الظاهرات مثل ما اتاكم به رسولنا من وعود نا
الصادقة وامورنا الخارقة كامر الاسرى وما ظهر
فيه من الغرايب كالاخبار بان العير تقدم في يوم كذا
يقدمها جمل صفته كذا وغرايره كذا فظهر كذلك
وما امنتم به كما لم يومن من كان اشد منهم قوة
فما كان الله اي فتسبب انه ما كان الله اي على ماله
من اوصاف الكمال مريدا ليظلمهم بان يفعل معهم
فعل من تعدونه انتم ظالما بان يهلككم في الدنيا
ثم يقتص منهم في القيمة قبل اقامة الحجة عليهم
بارسال الرسل بالبينات ولكن كانوا بغاية جهدهم
انفسهم اي وخاصة يظلمون اي يجددون
الظلم لها باتباع الضر وتوقع جلب النفع ثم كان عاقبة
اي اخر امر الذين اساوا وقوله تعالى السوى بانيث
الاسوا وهو الاقبح كما ان الحسنى تانيث الاحسن

Copyright © King Saud University

والمعنى انهم عوقبوا في الدنيا بالدمار ثم كان
عاقبتهم السواى الا انه وضع المظهر موضع المضمر
الى العقوبة التى اعدت للكافرين وقرا نافع وابن
كثير وابو عمرو عاقبة بالرفع على انها اسم كان
والسواى خبرها والباقون بالنصب على انها
خبر كان وقيل السواى اسم جهنم كما ان
الحسنى اسم الجنة واساتهم ان اى بان كذبوا
بايات الله اى القران تفسير السواى ما بعده
وهو قوله تعالى ان كذبوا بايات الله وكانوا بها
مع كونها ابعد شى من الهزء يستهزون اى
يستمرون على ذلك بتجديده فى كل حين ولما كان
حاصل ما مضى انه تعالى قادر على الاعادة
كما قدر على الابتدا صرح بذلك فى قوله تعالى
الله اى المحيط علما وقدرة يبدا الخلق اى يبدا
منه ما رايتم وهو يجدد فى كل وقت ما يريد
من ذلك كما تشاهدون ثم يعيده اى خلقهم بعد
موتهم احيا ولم يقل يعيدهم لرده الى الخلق
ثم اليه ترجعون للجزا فيجزيهم باعمالهم وقرا
ابو عمرو وشعبة باليا على الغيبة على النسق

النسق الماضى والباقون بالتا على الخطاب
اى واليه ترجعون يعني في اموركم كلها في
الدنيا وان كنتم لقصور النظر تنسبونها
للاسباب وحسابعد قيام الساعة وهي ابلغ
من القراة الاولى لانها انص على المقصود ولما
ذكر الرجوع اتبعه ببعض احواله بقوله
تعالى ويوم تقوم الساعة سميت بذلك
اشارة الى عظيم القدرة عليها مع كثرة الخلايق
على ما هم فيه من العظما والكبرا والروسا
يبلس المجرمون اى يسكت المشركون لانقطاع
حجتهم فالابلاس ان يبقى يايسا ساكتا متحيرا
يقال ناظرته فابلس ومنه الناقة المبلاس
اى التى لا ترغوا وقال مجاهد مفتضحون
وقال قتادة المعنى ييس المشركون من كل
خير ولما كان الساكت ربما اغناه عن الكلام
غيره نفى ذلك بقوله تعالى محققا له بجعله ماضيا
ولم يكن ومعناه لا يكون لهم من شركايهم اى ممن
اشركوهم بالله وهم الاصنام شفعا ينقذونهم
مما هم فيه ليتبين لهم غلطهم وجهلهم المفرط

Copyright © King Saud University

في قولهم هولاء شفعاونا عند الله ولما ذكر تعالى
حال الشفعا معهم ذكر حالهم مع الشفعا
بقوله تعالى وكانوا بشركايهم اي خاصة
كافرين اي متبرين منهم بانهم ليسوا بالهة
وقيل كانوا في الدنيا كافرين بسببهم وكتب
شفعوا في المصحف بواو قبل الالف كما كتب
علموا بني اسرائيل وكذلك السواي
بالف قبل اليا اثباتا للهمزة على صورة الحرف
الذي منه حركتها ويوم تقوم الساعة اي
وبالهمن يوم وزاد في تهويله بقوله تعالى
يومئذ يتفرقون اي المومنون الذين يفرحون
بنصر الله والكافرين فرقة لا اجتماع بعدها ولا
في عليين وهاولاء في اسفل سافلين كما قال
تعالى فاما الذين امنوا اي اقروا بالايمان
بانفسهم وعملوا تصديقا لاقرارهم الصالحات
فهم اي خاصة في روضة وهي ارض عظيمة جدا
منبسطة واسعة ذات ما غدق ونبات
معجب بهيج هذا اصلها في اللغة قال الطبري
ولا تجد احسن منظرا ولا اطيب نشرا من
الرياض

الرياض انتهى والتنكير لابهام امرها وتفخيمه
والروضة عند العرب كل ارض ذات نبات وما
ومن امثالهم احسن من بيضة في روضة
يريدون بيضة النعامة يحبرون قال ابو بكر
ابن عياش التيجان على روسهم وقال ابو عبيدة
يسرون اي على سبيل التجدد كل وقت تشرق
له الوجوه وتبسم الافواه وتزهو العيون فيظهر
حسنها وبهجتها فتظهر النعمة بظهور اثارها
على اسهلها اسهل الوجوه وايسرها وقال ابن
عباس يكرمون وقال قتادة ينعمون
وقال الاوزاعي اذا اخذ في السماع لم يبق
في الجنة الا وردت وقال ليس احد من
خلق الله احسن صوتا من اسرافيل فاذا
اخذ في السماع قطع على اهل سبع سموات
صلاتهم وتسبيحهم وعن النبي صلى الله عليه
وسلم انه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفي
اخر القوم اعرابي قال يا رسول الله هل في الجنة
من سماع قال نعم يا اعرابي ان في الجنة لنهرا
حافتاه الابكار من كل بيضاء خوصانية

Copyright © King Saud University

يتغنين باصوات لم تسمع الخلايق بمثلها قط فلذلك
افضل نعيم الجنة قال الدارمي فسالت ابا
الدرداء بم يتغنين قال بالتسبيح وروي ان في
الجنة لاشجارا عليها اجراس من فضة فاذا
اراد اهل الجنة السماع بعث الله ريحا من تحت
العرش فتقع في تلك الاجراس باصوات لو
سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا واما الذين كفروا
اي غطوا ما كشفته انوار العقول وكذبوا عنادا
باياتنا التي لا اصدق منها ولا اضوء من انوارها
بما لها من عظمتنا وهو القران ولقاء الاخرة
اي بالبعث وغيره فاولئك البعداء البغضاء
في العذاب الكامل لا غيره محضرون اي
محضرون لا يغيبون عنه فسبحان الله اي
سبحوا بمعنى صلوا حين تمسون اي تدخلون
في المسا وفيه صلاتان المغرب والعشا وحين
تصبحون اي تدخلون في الصباح وفيه صلاة
الصبح وقوله تعالى وله الحمد في السموات والارض
اعتراض ومعناه يحمده اهلهما وقوله تعالى و
عشيا عطف على حين وفيه صلاة العصر وحين
تظهرون

وحين تظهرون اي تدخلون في الظهيرة وفيه
صلاة الظهر قال نافع بن الازرق لابن عباس
هل تجد الصلوات الخمس في مواقيتها في القران
فقرا هاتين الايتين وقال جمعت الايات
الصلوات الخمس ومواقيتها وانما خص هذه
الاوقات مع ان افضل الاعمال ادومها لان الانسان
لا يقدر ان يصرف جميع اوقاته الى التسبيح لانه
يحتاج الى ما يعيشه من ماكول ومشروب
وغير ذلك فخفف الله عنه العبادة في غالب
الاوقات وامره بها في اول النهار ووسطه
واخره وفي اول الليل ووسطه فاذا صلى
العبد ركعتي الفجر فكانما سبح قدر ساعتين
وكذلك باقي الركعات وهي سبع عشرة مع
ركعتي الفجر فاذا صلى الانسان الصلوات الخمس
في اوقاتها فكانما سبح الله سبع عشر ساعات
الليل والنهار بقي عليه سبع ساعات من
جميع الليل والنهار وهي مقدار النوم والنايم
مرفوع عنه القلم فيكون قد صرف جميع
اوقاته بالتسبيح في العبادة او بعفو

Copyright © King Saud University

تزهو من السهو بالشغل به بالخير في هذه الاوقات
لما يتجدد فيها من نعم الله الظاهرة عن ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان
الله وبحمده ماية مرة لم ياتِ احد يوم القيمة بافضل
مما جاء به الا احد قال مثل ما قال وزاد عليه وعنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان
على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان
الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله
العظيم وعن جويرية بنت الحارث زوج النبي
صلى الله عليه وسلم انه خرج ذات يوم من
عندها وكان اسمها برة فحوله رسول الله
صلى الله عليه وسلم فسماها جويرية
وكره ان يقال خرج من عند برة فخرج وهي
في مسجدها اي مصلاها فرجع بعد ما تعالى
النهار فقال ما زلت في مجلسك هذا منذ خرجت
بعد قالت نعم فقال لقد قلت بعدك اربع
كلمات ثلاث مرات لو وزنت بكلماتك لوزنتهن
سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضى نفسه
وزنة عرشه ومداد كلماته وعن سعيد بن ابي

وقاص

وقاص قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال ايعجز احدكم ان يكتسب في كل يوم
الف حسنة فساله سايل من جلسايه كيف
يكتسب كل يوم الف حسنة فقال يسبح ماية
تسبيحة فيكتب له الف حسنة او يحط عنه الف
خطيئة وفي غير رواية مسلم ويحط بغير الف ولما
كان الانسان عند الاصباح يخرج من سنة النوم و
النوم الى سنة الوجود وهي اليقظة وعند المسا
يخرج من اليقظة الى النوم اتبعه الاحيا والاماتة
حقيقة بقوله تعالى يخرج الحي كالانسان والطاير
من الميت كالنطفة والبيضة ويخرج الميت
كالبيضة والنطفة من الحي على عكس ذلك
او يعقب الحياة الموت وبالعكس وقيل يخرج المومن
من الكافر والكافر من المومن ويحيي الارض اي
بالمطر واخراج النبات بعد موتها اي يبسها
وكذلك اي ومثل هذا الاخراج تخرجون باليسر
امر من الارض بعد تفرق اجسامكم فيها احيا للبعث
والحساب وقرا نافع وحفص وحمزة والكسايي
وابن ذكوان بخلاف عنه بفتح التا قبل الخا وضم الرا

Copyright © King Saud University

سمه لها لها سفنا في وصف
وكلتم سنا ونا في رحا عصا
سواه كنا ابريقا تعلو بر
ره نافا قصر جبة شط
اثر صنا وسيف ورمح ثم درع وا
مقعد ثالثة افراح له النقل فصا
ونقلته البيض [illegible] له اسمها
وناقته العصا كذا نقل منه
قومنا وذاك بعد الكتاب ع ا
اجله فانك لم تطلقنا ولم
تستقصا

Copyright © King Saud University

على البنا للفاعل والباقون بضم اليا وفتح الرا على
البنا للمفعول ومن اياته اي ومن جملة علامة
توحيده وكمال قدرته ان خلقكم اي اصلكم وهو
ادم من تراب لم يكن اصلا انتصاف ما بحياة او انه
خلقكم من نطفة والنطفة من الغذا والغذا انما
يتولد من الما والتراب ثم اي بعد اخراجكم منه اذا
انتم بشر تنتشرون في الارض كقوله تعالى وبث
فيها رجالا كثيرا ونسا تنبيه الترتيب والمهلة
ههنا ظاهران فانهم يصيرون بشرا بعد
اطوار كثيرة وتنتشرون حال واذا هي الفجايية
الا ان الفجايية اكثر ما تقع بعد ما الفا لانها
تقتضي التعقيب ووجه وقوعها مع ثم
بالنسبة الى ما يليق بالحالة الخاصة اي بعد
تلك الاطوار التي قصها علينا في موضع اخر من
كونها نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما مكسوا
لحما فاجا البشرية والانتشار ومن اياته اي على
ذلك ان خلق لكم اي لاجلكم بسبق علمه نوعكم
بالتوالد وفي تقديم الجار وهو قوله تعالى
من انفسكم اي جنسكم بعد ايجادها من دلالات
ابيكم

ابيكم ادم عليه السلام ازواجا انا ثاهن شفعا لكم
دلالة ظاهرة على حرمة التزوج من غير الجنسين
كالجن قال البقاعي والتعبير بالنفس اظهر في
كونها من بدن الرجل اي فخلق حوا من ضلع
ادم لتسكنوا مايلين اليها بالشهوة والالفة
من قولهم سكن اليها اذا مال وانقطع واطمان اليه
ولم يجعلها من غير جنسكم لئلا تنفروا منها قال
ابن عادل والصحيح ان المراد من جنسكم كما قال
تعالى لقد جاكم رسول من انفسكم ويدل عليه
قوله تعالى لتسكنوا اليها يعني ان الجنسين
المختلفين لا يسكن احدهما الى الاخر اي لا يثبت
نفسه معه ولا يميل قلبه اليه ولما كان المقصود
بالسكن لا ينتظم الا بدوام الالفة قال تعالى وجعل
اي صير بسبب الخلق على هذه الصفة بينكم موده
اي معنى من المعاني يوجب الا يات احد من
الزوجين ان يصل الى صاحبه شي يكرههم ورحمة
اي معنى يحمل كلا على ان يجتهد للاخر في جلب
الخير ودفع الضر وقيل المودة كناية عن الجماع
والرحمة عن الولد تمسكا بقوله تعالى ذكر

Copyright © King Saud University

ورحمة ربك عبده زكريا وقوله ورحمة منا ان في ذلك
اي الذي تقدم من خلق الازواج على الحال المذكور
وما يتبعه من المنافع لايات اي دلالات واضحات
على قدرة فاعله وحكمته لقوم يتفكرون اي يستعملون
افكارهم على القوانين المحررة ويجتهدون في ذلك
فيعلمون ما في ذلك من الحكم ولما بين تعالى دلالة
الانفس ذكر دلايل الافاق فقال تعالى ومن اياته
اي الدالة على ذلك خلق السموات على علوها و
احكامها والارض على اتساعها واتقانها وقدم
السما والارض لان السما كالذكر ولما اشار الي على
دلايل الانفس والافاق ذكر ما هو من صفات
الانفس بقوله تعالى واختلاف السنتكم اي لغاتكم
من العربية والعجمية وغيرهما ونغماتها وهياتها
فلا تكاد تسمع منطقين متفقين في همس ولا
جهارة ولا رخاوة ولا لكنة ولا فصاحة
وغير ذلك من صفات النطق واشكاله وانتم .
من نفس واحدة و الو واختلاف الوانكم من
ابيض واشقر واسمر وغير ذلك من اختلاف
الالوان وانتم بنو رجل واحد وهو ادم
والحكمة .

والحكمة في ذلك ان الانسان يحتاج الى التمييز
بين الاشخاص ليعرف صاحب الحق من غيره
والعدو من الصديق قبل ان يفوته الاقبال
عليه وذلك قد يكون بالبصر فخلق اختلاف
الصور والاصوات ولو تشاكلت وكانت ضربا واحدا
لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت مصالح كثيرة
وربما رايت توءمين يشتبهان في الحلية فيعز ترك
الخطا في التمييز بينهما فسبحان من خلق الخلق
ما اراد في ذلك اية بينة حيث ولدوا من اب
واحد وفرعوا من اصل فردوهم على الكثرة التي
لا يعلمها الا الله تعالى يختلفون متفاوتون ولما
كان هذا مع كونه في غاية الوضوح لا يختص
بجنس من الخلق دون غيره قال ان في ذلك
اي الامر العظيم العالي الرتبة في بيانه وظهور
برهانه لايات اي دلالات واضحات جدا على
وحدانيته تعالى للعالمين اي ذوي العقول .
والعلم ولا يختص به صنف منهم دون صنف
من جن ولا انس ولا غيرهم فهذا حكمة قوله تعالى
هنا للعالمين وفيما تقدم بقوله تعالى لقوم يتفكرون

Copyright © King Saud University

وكراحفص وحده بكسر اللام ولما ذكر تعالى بعض
العرضيات اللازمة وهو الاختلاف ذكر الاعراض
المفارقة ومن جملتها النوم بالليل والحركة في النهار
طلبا في الرزق كما قال تعالى ومن اياته الدالة
على القدرة والعلم منامكم اي نومكم ومكانه
وزمانه الذي يغلبكم بحيث لا تستطيعون
له دفعا بالليل والنهار قيلولة وابتغاؤكم من فضله
اي منامكم في الزمانين لاستراحة القوى
النفسانية وقوة القوى الطبيعية وطلب
معاشكم فيهما فان كثيرا ما يكتسب الانسان
بالليل او منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار
خلف وضم بين الزمانين والفعلين بعاطفين
وهما الواوان اشعارا بان كلا من الزمانين وان
اختص باحدهما فهو صالح للاخر عند الحاجة ويؤيده
ايات اخر كقوله تعالى وجعلنا الليل لباسا وجعلنا
النهار معاشا وقوله تعالى وجعلنا اية النهار مبصرة
ويكون التقدير هكذا ومن اياته منامكم بالليل
والنهار وابتغاؤكم من فضله واخر الابتغا
وقرنه في اللفظ بالفضل اشارة الى ان العبد
ينبغي

ينبغي ان لا يرى الرزق من كسبه وحذقه بل من
فضل ربه ولهذا قرن الابتغا بالفضل في كثير من
المواضع منها قوله تعالى فاذا قضيت الصلاة
فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله
وقوله تعالى ولتبتغوا من فضله تنبيه قدم
تعالى المنام بالليل على الابتغا بالنهار في الذكر
لان الاستراحة مطلوبة لذاتها والطلب لا يكون الا
لحاجة فلا يبعث الاحتياج في الحال وخايف من
المال ان في ذلك اي الامر العظيم العلي الرتبة من
ايجاد النوم بعد النشاط والنشاط بعد النوم
الذي هو الموت الاصغر وايجاد كل من الماوين
بعد اعدامهما والجد في الابتغا بعد المفارقة في
التحصيل لايات عديدة على القدرة والعلم لاسيما
البعث لقوم يسمعون اي من الدعاة والنصاح
سماع تفهم واستبصار فان الحكمة فيه ظاهرة
تنبيه قال هنا ايات لقوم يسمعون وقال
تعالى للعالمين لان المنام بالليل والابتغا يفعله
الجاهل والعاقل انهما مما يقتضيه طبع الحيوان
فلا يظهر لكل احد كونهما من نعم الله تعالى

فلم يقل ايات للعالمين ولان الامرين الاولين وهما
اختلاف الالسنة والالوان من اللوازم والمنام
والابتغا من الامور المفارقة فالنظر اليهما لا
يدوم لزوالهما في بعض الاوقات ولا كذلك اختلاف
الالسنة والالوان فانهما يدومان بدوام الانسان
فجعلهما ايات عليه واما قوله تعالى لقوم يتفكرون
فان من الاشيا ما يعلم من غير تفكر ومنها ما
يكفي فيه مجرد الفكرة ومنها ما يحتاج الى موقف
يوقفه عليه ومرشد يرشده اليه فيفهمه اذا سمعه
من ذلك المرشد ومنها ما يحتاج بعض الناس في
تفهمه الى امثال حسية كالاشكال الهندسية
لان خلق الازواج لا يقع لاحد انه بالطبع الا اذا
كان جامد الفكر فاذا تفكر علم كون ذلك الخلق
اية واما المنام والابتغا فقد يقع لكثير انهما
من افعال وقد يحتاج الى مرشد يعين لفكره
فقال لقوم يسمعون ويجعلون بالهم من
كلام المرشد ولما ذكر تعالى العرضيات اللازمة
للانفس والمفارقة ذكر العرضيات التي للافاق
بقوله تعالى ومن اياته الدالة على عظيم
القدرة

القدرة يريكم البرق اي اراكم له على هيات و
كيفيات نظر ما شاهدتموها تارة ياتي بما
يضر وتارة بما يسر كما قال تعالى خوفا اي
للاخافة من الصواعق المحرقة وطمعا اي
وللاطماع في المياه العذبة وينزل من السما ما اي
الذي لا يمكن لاحد غيره دعواه وقرا نافع وابن كثير
وابو عمرو بسكون النون وتخفيف الزاي و
الباقون بفتح النون وتشديد الزاي فيحيي به
اي بذلك الما خاصة لان اكثر الارض لا يسقى
بغيره الارض اي بالنبات الذي هو لها كالروح
لجسد الانسان بعد موتها اي يبسها ان في ذلك
اي الامر العظيم العالي القدر لايات لا سيما على
القدرة على البعث لقوم يعقلون اي يتدبرون
فيستعملون عقولهم في استنباط اسبابها
وكيفية تكونها ليظهر لهم كمال قدرة الصانع
تنبيه كما قدم السما على الارض قدم ما هو
من السما وهو البرق والمطر على ما هو من الارض
وهو الانبات والاحيا وكما ان في انزال المطر
وانبات النبات منافع كذلك في تقديم الوعد

Copyright King Saud University

والبرق على المطر منفعة وهي ان البرق اذا لاح فالذي
لا يكون تحت كنف يخاف الابتلال فيستعد له
والذي له صهريج او مصنع يحتاج الى الما او زرع
يسوي مجاري الما وايضا اهل البوادي لا يعلمون
البلاد المعشبة ان لم يكونوا قد راوا البروق
لايحة من جانب دون جانب واعلم ان دلايل
البروق وفوايده وان لم تظهر للمقيمين في البلاد
فهي ظاهرة للبادين فلهذا جعل تقديم البرق
على تنزيل الماء من السماء نعمة واية فان قيل
ما الحكمة في قوله تعالى هنا ايات لقوم يعقلون
وفيما تقدم لقوم يتفكرون اجيب بانه لما
كان حدوث الولد من المواد امرا عاديا
مطردا قليل الاختلاف وكان يتطرق الى الاوهام
العادية ان ذلك بالطبيعة لان المطرد اقرب
الى الطبيعة من المختلف والبرق والمطر ليس
امرا مطردا غير مختلف بل يختلف فانه يقع
ببلدة دون بلدة وفي وقت دون وقت وهو
تارة يكون قويا وتارة يكون ضعيفا فهو
اظهر في العقل دلالة على الفاعل المختار
فقال .

تعالى
هو اية لمن له عقل وان لم يتفكر تفكرا تاما ثم
ذكر تعالى من لوازم السما والارض قيامهما بقوله
تعالى ومن اياته اي على تمام القدرة وكمال الحكمة ان
تقوم السما والارض بامره قال ابن مسعود رضي الله
عنه قامتا على غير عمد بامره اي بارادته فان الارض
لثقلها يتعجب الانسان من وقوفها وعدم
نزولها وكون السما في علوها يتعجب من علوها
واثباتها من غير عمد وهذا من اللوازم فان
الارض لا تخرج عن مكانها الذي هي فيه وانما افرد
السما والارض لان السما الاولى والارض الاولى
لا تقبل النزاع انها مشاهدة مع صلاحية اللفظ
بالكل لانه جنس تنبيه ذكر تعالى من كل باب
امرين اما من الانفس فقوله تعالى خلقكم وخلق
لكم واستدل بخلق الزوجين ومن الافاق
السما والارض لان الواحد يكفي للاقرار بالحق
والثاني يفيد الاستقرار من هذا اعتبر شهادة
شاهدين فان قول احدهما يفيد الظن وقول
الاخر يفيد تاكيده ولهذا قال ابراهيم عليه
السلام بلى ولكن ليطمين قلبي فان قيل

Copyright © King Saud University

ما الفايدة في قوله تعالى هنا ومن اياته ان تقوم
وقال تعالى قبله ومن اياته يريكم ولم يقل ان
يريكم ليصير كالمصدر بان اجيب بان القيام لما
كان غير متغير اخرج الفعل بان عن الفعل المستقبل
ولم يذكر معه الحروف المصدرية فان قيل
ما الحكمة انه ذكر ست دلايل وذكر في اربع منها
ان في ذلك لايات ولم يذكر في الاول وهو قوله تعالى
ومن اياته ان خلقكم من تراب ولا في الاخر وهو
قوله تعالى ومن اياته ان تقوم السما والارض
اجيب باما الاول فلان قوله بعده ومن اياته
ان خلق لكم ايض دليل الانفس فخلق الانفس
وخلق الازواج من باب واحد على ما تقدم
من انه تعالى ذكر من كل باب امرين التقرير
والتوكيد فلما قال في الثانية ان في ذلك
لايات كان عايدا اليهما واما في قيام السما
والارض فلانه ذكر في الايات السماوية انها
ايات للعالمين ولقوم يعقلون وذلك لظهورها
فلما كان في اول الامر ظاهرا ففي اخر الامر
بعد سرد الادلة يكون اظهر فلم يميز احدا
في ذلك على الاخر ثم انه تعالى لما ذكر الدليل

على

على القدرة والتوحيد ذكر مدلوله وهو قدرته
على الاعادة بقوله تعالى ثم اذا دعاكم واشار
الى هوان ذلك القول عنده بقوله تعالى دعوة
اي واحدة من الارض بان ينفخ اسرافيل في
الصور للبعث من القبور فيقول ايها الموتى
اخرجوا اذا انتم تخرجون اي منها بعد اضمحلالكم
بالموت والبلا فلا تبقى نسمة من الاولين والاخرين
الا قامت تنظر كما قال ثم نفخ فيه اخرى فاذا
هم قيام ينظرون فان قيل ثم يتعلق من
الارض اما بالفعل ام بالمصدر اجيب بانه يتعلق
اذا جاء نهر الله وهو الفعل بطل بهذا معقل
وهو المصدر وثم اما للتراخي زمانه او لعظم
ما فيه فان قيل ما الفرق بين اذا واذا اجيب
بان الاولى للشرط والثانية للمفاجات وهي
تنوب مناب الفا في جواب الشرط ولذلك
ناب الفا في جواب الفا تنبيه قال ههنا
اذا انتم تخرجون وقال تعالى في حق الانسان
اولا ثم اذا انتم بشر تنتشرون لان هناك يكون
خلق وتقدير وتدريج حتى يصير التراب قابلا

قابلا للحياة فينفخ فيه روحه فاذا هو بشر
واما في الاعادة فلا يكون تدريج وتراخي
بل يكون نداء خروج فلم يقل ههنا ثم
ولما ذكر تعالى الايات التي تدل على القدرة
على الحشر الذي هو الاصل والوحدانية
التي هي الاصل الاول اشار اليهما بقوله تعالى
وله من في السموات والارض ملكا وخلقا كل
له قانتون قال ابن عباس كل له يطيعون
في الحياة والفنا والموت والبعث وان
عصوا في العبادة وقال الكلبي وهذا
خاص بمن كان منهم مطيعا ونفس السموات
والارضين له وملكه فكل له منقادون
فلا شريك له اصلا ثم ذكر المدلول الاخر.
بقوله تعالى وهو الذي يبدا الخلق اي على
سبيل التجديد كما تشاهدون واشار الى
تعظيم الاعادة باداة التراخي فقال ثم
يعيده اي بعد الموت للبعث وفي قوله تعالى وهو
اهون عليه قولان احدهما ان التفضيل
على بابها وعلى هذا ايضا كيف يتصور التفضيل

والاعاده

والاعادة والاداة بالنسبة الى الله تعالى
على حد سوا وفي ذلك اجوبة احدها
ان ذلك بالنسبة الى اعتقاد البشر باعتبار
المشاهدة من اعادة الشي اهون من اختراعه لاحتياج
الابتدا الى اعمال فكر غالبا وان كان هذا منتفيا عن
الباري تعالى فخوطبوا بحسب ما الفوه ثانيها
ان الضمير في عليه ليس عايدا على الله تعالى انما يعود
على الخلق اي والعود اهون على الخلق اي اسرع
لان البداة فيها تدريج من طور الى طور اي الى ان
صارت انسانا والاعادة لا تحتاج الى هذه
التدريجات فكانه قيل وهو اقصر عليه
وايسر واقل انتقالا والمعنى يقومون بصيحة
واحدة فهو اهون عليهم يعني ان يقوموا نطفا
ثم مضغا ثم علقة الى ان يصير رجالا ونسا
وهي رواية الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس
ثالثها ان الضمير في عليه يعود على المخلوقات
بمعنى والاعادة اهون على المخلوق اي اعادته
شيا بعد ما انشاه هذا في عرف المخلوقين
فكيف ينكرون ذلك في جانب الله تعالى

Copyright © King Saud University

والمثل في ان اهون ليس للتفضيل بل هي صيغة
بمعنى هين كقولهم الله اكبر اي الكبير وهي
رواية العوفي عن ابن عباس وقد تجي افعل بمعنى
الفاعل كقول الفرزدق

ان الذي سمك السما بنا لنا
بيتا دعايمه اعز واطول

اي عزيزة طويلة وعود الضمير على الباري تعالى
اولى ليوافق الضمير في قوله تعالى وله المثل
اي الوصف العجيب الشان كالقدرة العامة
والحكمة الشاملة قال ابن عباس هو انه ليس
كمثله شي وقال قتادة هو انه لا اله الا
هو قال البيضاوي ومن فسره بلا اله الا الله
اراد به الوصف بالوحدانية الاعلى اي الذي
ليس لغيره ما يساويه او يدانيه ولما كان
الخلق لقصورهم مقيدين بما لهم به نوع مشاهدة
قال في السموات والارض اللتين خلقهما
ولم يستعصيا عليه فكيف يستعصي عليه
شي فيهما وهو اي وحده العزيز اي الذي اذا اراد
شيا كان له في غاية الانقياد كاينا ما كان الحكيم
اي

اي الذي اذا اراد شيا اتقنه فلم يقدر غيره الى
التوصل الى بعض شي منه ولا اتم حكمة هذا
الكون على هذه الصورة الا بالبعث بل هو الحكمة
الاعظم ليصل كل ذي حق الى حقه باقصى التحرير
ولما بان من هذا تعالى المنفرد بالملك بشمول
العلم وتمام القدرة وكمال الحكمة اتصل بحسن
امثاله واحكام مقاله وفعاله قوله تعالى ضرب
اي جعل لكم بحكمته ايها المشركون في امر الاصنام
وبيان لبطلان من يشرك بها وفساد قوله
باجلى ما يكون من التقدير مثلا مبتدا من انفسكم
التي هي اقرب الاشيا اليكم ثم بين المثل بقوله تعالى
هل لكم اي يا من عبدوا مع الله غيره مما اي من
بعض ما ملكت ايمانكم اي من العبيد والاماء
الذين هم بشر مثلكم وعم في النفي الذي هو
المراد بالاستفهام بزيادة الجار بقوله تعالى من
شركا اي في حالة من الحالات ليسوغ لكم بذلك ان
تجعلوا لله شركا فيما رزقناكم اي من الاموال
وغيرها مع ضعف ملككم فيه فالية في مقطوعة
عمن ما فانتم اي معاشر الاحرار والعبيد

Copyright © King Saud University

فيه اي الشي الذي وقعت فيه والشركة سواء
فيكون انتم وهم شركا يتصرفون فيه كتصرفكم
مع انهم بشر مثلكم فان قيل اي فرق بين من
الاولى والثانية والثالثة في قوله تعالى من
انفسكم اجيب بان الاولى للابتدا كانه
قال اخذ مثلا وانتزعه من اقرب شي منكم
وهي من انفسكم ولم يبعد والثانية للتبعيض
والثالثة مزيدة لتاكيد الاستفهام الجاري
مجرى النفي ثم بين المساواة بقوله تعالى
تخافونهم اي معاشر السادة في التصرف في
ذلك الشي المشترك كخيفتكم انفسكم اي كما
تخافون بعض من تشاركونه من يساويكم
في الحرية والعظمة ان تتصرفوا في الامر
المشترك بشي لا يرضيه وبدون اذنه وظهر
انها لكم في عبيدكم مثل له فيما اشركتموه
به موضح لبطلانه فاذا لم ترضوا هذا لانفسكم
وهو ان تستوي عبيدكم معكم في الملك فكيف
ترضونه لخالقكم في هذه الشركا التي
زعمتموها فتنسبونها به وهي من اضعف

خلقه

خلقه افلا تستحيون كذلك اي مثل هذا
التفصيل العالي نفصل الايات اي نبينها فان
التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها لقوم يعقلون
اي يتدبرون هذه الدلايل بعقولهم والامر
لا يخفى بعد ذلك الا على من لا يكون له عقل بل
اتبع الذين ظلموا اي اشركوا فانهم وضعوا الشي
في غير موضعه فعل الماشي في الظلام اهواهم
وهو ما تميل اليه نفوسهم بغير علم اي جاهلين
لا يكفهم شي اذا اتبع هواه ربما ردعه علمه
ثم بين تعالى ان ذلك بارادته بقوله تعالى
فمن يهدي من اضل الله الذي له الامر كله اي لا
يقدر احد على هدايته وما لهم من ناصرين
اي مانعين يمنعونهم من عذاب الله لا من الاصنام
ولا من غيرها ولما تحررت الادلة وانتصبت
الاعلام اقبل تعالى على خلاصة خلقه ايذانا
بانه لا يفهم ذلك حق فهمه غيره بقوله فاقم وجهك
اي قصدك كله للدين اي اخلص دينك لله قال
سعيد بن جبير وقال غيره سدد عملك والوجه
ما يتوجه اليه وقيل اقبل بكلك على الدين

Copyright © King Saud University

عبر بالوجه عن الذات كقوله تعالى كل شي هالك الا
وجهه اي ذاته وصفاته وقوله تعالى حنيفا
حال من فاعل اقم او مفعوله او من الدين ومعنى
حنيفا اي مايلا اليه مستقيما عليه وسل عن كل
شي لا يكون في قلبك شي اخر وهذا قريب من معنى
قوله تعالى ولا تكونن من المشركين وقوله تعالى فطرة
الله اي خلقته منصوب على الاغرا او المصدر بما دل
عليه بعدها وهي بتا مجرورة وقف عليها ابن كثير
وابو عمرو والكساي بالها والباقون بالتا ثم اكد
تعالى لقوله تعالى التي فطر الناس قال ابن عباس
خلق الناس عليها وهو دينه وهو التوحيد
قال صلى الله عليه وسلم ما من مولود الا وهو
يولد على الفطرة وانما ابواه يهودانه وينصرانه
ويمجسانه فقوله على الفطرة على العهد الذي اخذه
عليهم بقوله تعالى الست بربكم قالوا بلى وكل مولود
في العالم على ذلك الاقرار وهي الحنيفية التي وقعت
الخلقة عليها وان عبد غيره قال الله تعالى ولين
سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله
وقال ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ولكن
لا

لاعبرة بالايمان النظري في احكام الدنيا وانما
يعتبر الايمان الشرعي المامور به وهذا قول
ابن عباس وجماعة من المفسرين وقيل الاية
مخصوصة بالمومنين وهم الذين فطرهم الله
تعالى على الاسلام روي عن عبد الله بن المبارك قال
معنى الحديث ان كل مولود يولد على فطرته اي على
خلقته التي جبل عليها في علم الله تعالى من السعادة
والشقاوة فكل منهم صاير في العاقبة الى ما فطر
عليها وعامل في الدنيا بالعمل المشاكل لها فمن علامات
الشقا ان يولد بين يهوديين ونصرانيين فيحملان
لشقايه على اعتقاده دينهما وقيل معنى الحديث
ان كل مولود في مبدا الخلقة الفطرة على الخلقة اي
الجبلة السليمة والطبع المهيى لقبول الدين
فلو ترك عليها لاستمر على لزومها لان هذا الدين
موجود حسنه في العقول وانما يعدل عنه من
يعدل الى غيره لافة من النشو والتقليد فمن يسلم
من تلك الافات لم يعتقد غيره ذكر هذه المعاني
ابو سليمن الخطابي في كتابه ولما كانت سلامة
الفطرة امرا مستمرا قال تعالى لا تبديل لخلق الله

Copyright © King Saud University

اي الملك الاعلى الذي لا كفو له فلا يعذر احدا ان يغيره
في حمل الفطرة على الدين قال معناه لا تبديل
لدين الله قال مجاهد وابراهيم والمعنى الزموا
فطرة الله اي دين الله واتبعوه ولا تبدلوا التوحيد
بالشرك ومن حملها على خلقته قال معناه لا تبديل
لخلق الله اي ما جبل عليه الانسان من السعادة
والشقاوة فلا يصير السعيد شقيا ولا الشقي
سعيدا وقال عكرمة معناه تحريم لخصا البهايم
اي في غير الماكول وفي الماكول الكبير اما الماكول
الصغير فانه يجوز ويلحق بالخصي المحرم كل تغيير
محرم كالوشم ذلك اي الشان العظيم الدين القيم
اي المستقيم اي الذي لا عوج فيه توحيد الله تعالى
ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان ذلك هو الدين المستقيم
لعدم تدبرهم وقوله تعالى منيبين اي راجعين
اليه تعالى فيما امر به ونهى عنه حال من فاعل اقم قال
الزمخشري فان قلت لم وحد الخطاب اولا ثم
جمع قلت خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم
اولا ثم حو وخطاب الرسول خطاب لامته مع ما
فيه من التعظيم للامام ثم جمع بعد ذلك للبيان

للبيان والتلخيص واتقوه اي خافوه فانكم وان عدمتموه
فلا تامنوا ان تزيغوا عن سبيله واقيموا الصلاة اي داوموا
عليها وعلى ادائها في اوقاتها ولا تكونوا من المشركين
اي لا تكونوا ممن يدخل في عدادهم بموادة او معاشرة
او عمل تشابهونهم فيه فان من تشبه بقوم فهو منهم
وهو عام في كل شرك سواء كان بعبادة صنم او نار
او غير ذلك وقوله تعالى من الذين بدل من المشركين
باعادة الجار فرقوا دينهم اي الذي هو الفطرة الاولى
فعبد كل قوم منهم شيا ودانوا دينا غير دين من
سواهم وهو معنى وكانوا شيعا اي متخالفين
كل واحدة منهم تتشايع من دان بدينها على
من خالفهم حتى كفر بعضهم بعضا واستباحوا
الدما والاموال فعلم قطعا انهم كلهم ليسوا على
الحق وقرا حمزة والكسائي بالف بعد الفا وتخفيف الرا
والباقون بالف وتشديد الرا فعلى القراة الاولى
فارقوا اي تركوا دينهم الذي امروا به ولما كان هذا
الامر يتعجب من وقوعه زاد تعجبا بقوله تعالى استينافا
كل حزب اي منهم بما لديهم اي عندهم فرحون اي مسرورون
ظنا انهم صادفوا الحق وفازوا به دون غيرهم

Copyright © King Saud University

ولما بين تعالى التوحيد بالدليل وبالمثل بين ان لهم
حالة يعترفون بها وان كانوا ينكرونها في
وقت وهي حالة الشده بقوله تعالى واذا مس
الانسان ضر اي قحط وشدة دعوا ربهم اي الذي
لم يشركوا في الاحسان اليهم احد منيبين اي
راجعين من جميع ضلالاتهم اليه دون غيره
علما منه بانه لا فرج لهم عند شيء غيره قال
الرازي في اللوامع في اخر العنكبوت وهذا دليل
على ان معرفة الرب في فطرة كل انسان وانهم
ان غفلوا في السرا فلا شك انهم يلوذون اليه
في كل حال الضر ثم اذا اذاقهم منه رحمة اي
خلاصا من ذلك الضر اذا فريق منهم بربهم اي المحسن
اليهم دايما المتجدد لهم هذا الاحسان من هذا
الضر يشركون اي فاجا فريق منهم الاشراك بربهم
الذي عافاهم فاذا الفجايية وقعت جواب
الشرط لانها كالفا في انها للتعقيب ولا تقع
اول كلام وقد يجا معها الفا زايدة فان قيل
ما الحكمة في قوله ههنا اذا فريق منهم وقال
في العنكبوت فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون

اجيب

اجيب بان المذكور هنا غير معين وهو ما
يكون من هو البحر والتخلص منه بالنسبة الى الخلق
قليل والذي لا يشرك منهم بعد الخلاص
فرقة منهم فهم في غاية القلة فلم يجعل المشركين
فريقا لقلة من خرج من الشرك واما
المذكور ههنا الضر مطلقا فيتنا ول ضر البحر والامراض
والاهوال والمتخلص من انواع الضر خلق كثير
بل جميع الناس قد يكونون قد وقعوا في ضر ما تخلصوا
منه والذي لا يبقى بعد الخلاص مشركا من جميع
الانواع اذا جمع فهو خلق عظيم وهو جميع
المسلمين فانهم تخلصوا من ضر ولم يبقوا مشركين
واما المسلمين فلم يتخلصوا من ضر البحر باجمعهم
فلما كان الناجي من الضر المومن جمعا كثيرا
سمى الباقي فريقا وقوله تعالى ليكفروا بما اتيناهم
يجوز ان تكون اللام فيه لام كي وان تكون لام الامر
ومعناه التهديد كقوله تعالى اعملوا ما شيتم
ثم خاطب هولا الذين فعلوا هذا خطاب تهديد
بقوله تعالى فتمتعوا فسوف تعلمون عاقبة
تمتعكم في الاخرة وفي هذا التفات من الغيبة
ام انزلنا عليهم سلطانا اي دليلا واضحا قاهرا

Copyright © King Saud University

اوذا سلطانا اي ملكا معه برهان فقوله تعالى
فهو يتكلم على الاول كلاما مجازيا وعلى الثاني
كلاما حقيقيا وعلى كلا الحالين هو جواب للاستفهام
الذي تضمنته ام المنقطعة بما اي بصحة ما كانوا
به يشركون اي فيامرهم بالاشراك بحيث لا يجدوا
بدا من متابعته لتزول عنهم الملامة وهذا
الاستفهام بمعنى الانكار اي ما انزلنا بما يقولون
سلطانا قال ابن عباس حجة وعذرا وقال
قتادة كتابا يتكلم بما كانوا به يشركون اي
ينطق بشركهم ولما بين تعالى حال الشرك
الظاهر شركه بين تعالى حال المشرك الذي
دونه وهو من تكون عبادته للدنيا بقوله تعالى
واذا معبرا باداة التحقيق اشارة الى ان الرحمة
اكثر من النقمة واسند الفعل اليه في مقام العظمة
اشارة الى سعة جوده فقال اذقنا الناس
رحمة اي نعمة من خصب وكثرة مطر وغناء
ونحوه لا سبب لها الا رحمتنا فرحوا بها اي فرح
بطر مطمئنين من زوالها ناسين شكر من
انعم بها فلا ينبغي ان يكون العبد كذلك
فان

فان قيل الفرح بالرحمة ما مور به قال تعالى
بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وههنا
ذمهم على الفرح بالرحمة اجيب بانه قال هناك
فرحوا برحمة الله من حيث انها مضافة الى الله
وههنا ذمهم على الفرح بالرحمة اجيب
بانه قال هناك فرحوا برحمة الله من حيث
انها مضافة الى الله وههنا فرحوا بنفس
الرحمة حتى كان المطر من غير الله لكان فرحهم به
مثل فرحهم اذا كان من غير الله تعالى وان
تصبهم سيئة اي شدة من جدب وقلة مطر
وفقر ونحوه بما قدمت ايديهم من السيئات اذا
هم يقنطون اي ييأسون من رحمة الله
وهذا خلاف وصف المومنين فانهم
يشكرونه عند النعمة ويرجون عند الشدة
قرأ ابو عمرو والكسائي بكسر النون بعد القاف
والباقون بالفتح اولم يروا اي يعلموا ان الله يبسط
الرزق اي يوسعه لمن يشاء امتحانا ويقدر
اي يضيق لمن يشاء ابتلاء وهذا شانه دائما
مع الشخص الواحد في اوقات متعاقبة

Copyright © King Saud University

متباعدة ومتقاربة ومع الاشخاص ولو في
الوقت الواحد فلو اعتبروا حال قبضه سبحانه
وتعالى لم يبطروا ولو اعتبروا حال بسطه لم
يقنطوا بل كان حالهم الصبر في البلا والشكر
في الرخا والاقلاع عن السيئة التى نزلهما بسببها
القضا ولم تغن عن احد منهم في استجلاب
الرزق قوته وغزارة عقله ودقة مسكن
وكثرة حيله ولا اضر ضعفه وقلة عقله
وعجز حيلته وكان امرا عظيما ومنزعا
مع شدة ظهوره وجلالته خفيا دقيقا
قال بعضهم

كم عاقل عاقل اعيت مذاهبه
وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا

اشار سبحنه وتعالى الى عظمته بقوله موكدا
لان عمالهم في شدة اهتمامهم بالسير في الدنيا
عمل من يظن ان تحصيله انما هو على تقدير
الاجتهاد في الاسباب ان في ذلك اي الامر
من الاقتار في وقت والاغنا في اخر
والتوسع على شخص والتقتير على اخر
والامن

والامن من زوال الحاضر من النعم مع تكرر المشاهده
للزوال في النفس والياس من حصولها عند المحنة
مع كثرة وجدان الفرج وغير ذلك من اسرار الاية
لايات اي دلالات واضحات على الوحدانية لله تعالى
وتمام العلم وكمال القدرة وانه لا فاعل في
الحقيقة الا هو ولكن لقوم اي ذوي همم وكفاية القيام
بما يحق لهم ان يقوموا به يومنون اي يوجدون
هذا الوصف ويديمون تجديده كل وقت لما يتواصل
عندهم من قيام الادلة بادامة التامل والامعان
والتفكر والاعتماد في الرزق على من قال ولقد
يسرنا القران للذكر فهل من مدكر اي من طالب علم
فيعان عليه فلا يفرحون بالنعم اذا حصلت
خوفا من زوالها اذا اراد القادر لذلك ولا
يغتمون لها اذا زالت رجا في اقبالها فضلا من
الرازق لان افضل العبادة انتظار الفرج بل
هم بما عليهم من وظايف العبادة واجبها
ومندوبها يعرضون عما سوى ذلك قد
وكلوا امر الرزق الى من تولى امره وفرغ من قسمه
وقام بضمانه وهو القديم العليم ولما افهم
ذلك عدم الاكتراث بالدنيا لان الاكتراث

بها لا يزينها والهها وتنبها لا ينقصها قال تعالى
مخاطبا لاعظم المتاهلين لتنفيذا وامره
فآت يا خير الخلق ذا القربى اي القرابة حقه
اي من البر والصلة لانه احق الناس بالبر صلة
الرحم وجودا وكرما والمسكين سواكان ذا قرابة
ام لا وابن السبيل وهو المسافر كذلك من الصدقة
وامة النبي صلى الله عليه وسلم تبع له في ذلك
تنبيه عدم ذكر بقية الاصناف يدل على ان
ذلك في صدقة التطوع ودخل الفقير من باب
اولى فانه اسوا حالا من المسكين فان قيل
كيف تعلق قوله تعالى فآت ذا القربى
حقه بما قبله حتى جيء بالفا اجيب بانه
لما ذكر ان السيئة اصابتهم بما قدمت ايديهم
اتبعه ذكر ما يجب ان يفعل وما يجب ان يترك
وقد احتج ابو حنيفة بهذه الاية في وجوب
النفقة للمحارم اذا كانوا محتاجين عاجزين عن
الكسب وعند الشافعي لا نفقة بالقرابة الا على
الولد والوالدين قياسا بسائر القرابة على ابن
العم لانه لا ولاية بينهم ولما امر بالايثار
رغب

رغب فيه بقوله تعالى ذلك اي الايثار العالي
الرتبة خير للذين يريدون وجه الله اي ذاته
اوجهته اوجهت وجانبه اي يقصدون
بمعروفهم اياه خالصا وجهه كقوله تعالى الا ابتغا
وجه ربه الاعلى اي يقصدون جهة التقرب الى
الله تعالى لا جهة اخرى والمعنيان متقاربان
ولكن الطريقة مختلفة فاولئك اي العالوا الرتبة
لغناهم عن كل هم المفلحون اي الفايزون الذين
لا يشوب فلاحهم شيء واما غيرهم فخايب اما
من لم ينفق فواضح واما من انفق على وجه
الريا فقد خسر ماله وابقى عليه وباله كما قال
تعالى وما اتيتم من ربا اي مال على وجه الربا
المحرم بزيادة في المعاملة او المكروه بعطية
يتوقع بها مزيد مكافاة وكان هذا مما
حرم على النبي صلى الله عليه وسلم لقوله
تعالى ولا تمنن تستكثر اي لا تعط وتطلب
اكثر مما اعطيت تشريفا له وكره لعامة الناس
فسمي باسم المطلوب من الزيادة في المعاملة
فالربا ربوان فالحرام كل قرض يوخذ اكثر

Copyright © King Saud University

منه او بجر سفقة والذي ليس بجر امران يستدعي
بهديته او هبته اكثر منها وقرا ابن كثير بقصر
الهمزة بمعنى ملجيتهم به من اعطا رب
والباقون بمدها ليربوا اي يزيد ويكثر ذلك
في اموال الناس اي يحصل فيه زيادة تكون
اموال الناس طرفا لها فهو كناية عن ان
الزيادة التي ياخذها المرابي من اموالهم
لا يملكها اصلا وقرا نافع بتا الخطاب بعد
اللام مضمومة وسكون الواو والباقون
باليا التحتية مفتوحة وفتح الواو فلا
يربوا اي يزكوا وينموا فلا ثواب فيه عند
الله اي الملك الاعلى الذي له الغنا المطلق وصفات
الكمال وكل ما لا يربوا عند الله فهو ممحوق لا وجود له
فانه الى الفنا وان كثر يمحق الله الربا ويربي الصدقات
ولما ذكر زيادة ما نقص اتبعه ما نقص زيادة
بقوله وما اتيتم اي اعطيتم من زكاة اي صدقة
وعبر عنها بذلك ليفيد الطهارة والزيادة الى
اي تطهرون بها اموالكم من الشبه وابدانكم
من مواد الخبث واخلاقكم من الغل
والدنس

والدنس ولما كان الاخلاص عزيزا اشار الى عظمة
بشكرهم بقوله تعالى يريدون بها وجه الله اي عظمة
الملك الاعلى فيعرفون من حقه ما يتلاشى عنده
كلها سواه فيخلصون له فاولئك هم المضعفون
اي ذو الاضعاف الذين ضاعفوا اموالهم في الدنيا
بسبب ذلك بالحفظ والبركة في الاخرة بكثرة الثواب
عند الله من عشر امثال الى ما لا حصر له ونظر
الضعف للقوي والموسر لذي القوة واليسار
ولما وضح بهذا انه لا زيادة الا فيما يزيده الله ولا
نقص الا فيما يختاره الله بين تعالى ذلك بطريق
لا اوضح منه بقوله تعالى الله اي بعظيم جلاله
لا غيره الذي خلقكم اي اوجدكم على ما انتم عليه
من التقدير لا تملكون شيا ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم
هل من شركائكم اي ممن اشركتم بالله من يفعل من ذلكم
مشيرا الى علو رتبته باداة البعد وخطاب الكل
ولما كان الاستفهام الانكاري التوبيخي في معنى
النفي قال موكدا له مستغرقا لكل ما يمكن منه
ولو قل جدا من شي اي يستحق هذا الوصف
الذي يطلقونه عليه ولما لزمهم قطعا ان

Copyright © King Saud University

يقولوا الا وعزتك مالهم ولا احد منهم فعل شي من ذلك
قال تعالى معرضا عنهم منزها لنفسه الشريفه
سبحانه اي تنزه تنزها لا يحيط به الوصف من
ان يكون محتاجا الى شريك وتعالى اي علوا لا تتصل
اليه العقول عما يشركون في ان يفعلوا شيا من
ذلك تنبيه يجوز في خبر الجلالة الكريمة وجهان
اظهرهما انه الموصول بعدها والثاني انه الجملة
من قوله تعالى هل من شركايكم والموصول صفة
والراجع من ذلكم لانه بمعنى من افعاله ومن الاولى
والثانية يفيد ان شيوع الحكم في جنس الشركا
والافعال والثالثة مزيدة لتعميم النفي فكل
منها مستقلة بتاكيد لتعجيز الشركا وقرا
حمزة والكساي بتا الخطاب والباقون
باليا التحتية ولما بين تعالى من حقارة شركايهم
ماكان حقهم به ان يرجعوا فلم يفعلوا اتبعه
ما اصابهم على غير ما كان في اسلافهم عقوبة
لهم على قبيح ما ارتكبوا استعطافا للتوبة
بقوله تعالى ظهر الفساد اي النقص في جميع ما
ينفع الخلق في البر بالقحط والخوف وقلة
المطر

المطر ونحو ذلك والبحر بالغرق وقلة الفوايد
من الصيد ونحو ذلك من كل ما كان يحصل
منه وقلة المطر كما تؤثر في البر تؤثر في البحر
فتخلوا اجواف الاصداف من اللؤلؤ وذلك لان
الصدف اذا جا المطر يرتفع على وجه الما وينفتح
فما وقع فيه المطر صار لؤلؤا وقالوا اذا انقطع
القطر عميت دواب البحر وقيل المراد بالبر
البوادي والمفاوز وبالبحر المداين والقرى
التي على المياه الجارية قال عكرمة العرب
تسمي المصر بحرا تقول اجدب البر وانقطعت
مادة البحر ثم بين سببه بقوله تعالى بما
كسبت ايدي الناس اي بسبب شوم ذنوبهم
ومعاصيهم كقوله تعالى وما اصابكم من مصيبة
فبما كسبت ايديكم قال ابن عباس الفساد
في البر قتل احد ابني ادم اخاه وفي البحر غصب
الملك الجبار السفينة قال الضحاك كانت الارض
خضرة مونقة لا ياتي ابن ادم شجرة الا وجد
عليها ثمرة وكان ما البحر عذبا وكان لا يقصد
الاسد البقر والغنم فلما قتل قابيل هابيل

Copyright © King Saud University

اقشعرت الارض وشاكت الاشجار وصار ماء
البحر ملحا زعاقا وقصد الحيوان بعضها بعضا
وقال قتادة هذا قبل مبعث النبي صلى
الله عليه وسلم امتلات الارض ظلما فلما
بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم
رجع راجعون من الناس وقيل اراد بالناس
كفار مكة ولما ذكر تعالى علة البداية ثنى
بعلة الجزائية بقوله تعالى ليذيقهم بعض الذي
عملوا كرما وحلما ويعفوا عن كثير اما اصلا
وراسا واما عن المعاجلة به ويوخره الى
الى وقت ما في الدنيا والاخرة وقرا قنبل بالنون
بعد اللام والباقون بالتا التحتية ثم ثلث
بالعلة الغايية بقوله تعالى لعلهم يرجعون
اي عما هم عليه ولما بين تعالى حالهم بظهور
الفساد في احوالهم بسبب فساد اقوالهم
بين لهم ضلال امثالهم واشكالهم الذين كانت
افعالهم كافعالهم بقوله تعالى لنبيه صلى الله
عليه وسلم قل اي لهولا الذين لا همّ لهم
سوى

سوى الدنيا سيروا في الارض فان سيركم الماضي
لكونه لم تصحبه عبرة عدم فانظروا نظر اعتبار
كيف كان عاقبة الذين من قبل اي من قبل
اياكم لنزول منازلهم ومساكنهم خالية فتعلموا
ان الله تعالى اذاقهم وبال امرهم واوقعهم
في حفاير مكرهم كان اكثرهم مشركين اي فلذلك
اهلكناهم ولم تغن عنهم كثرتهم وانجينا المومنين
وما ضرتهم قلتهم ولما نهى الله تعالى الكفار عما
هم عليه امر المومنين بما هم عليه وخاطب
النبي صلى الله عليه وسلم ليعلم المومن
فضيلة ما هو مكلف به فانه امر به اشرف
الانبيا بقوله تعالى فاقم وجهك للدين القيم
اي المستقيم وهو دين الاسلام من قبل ان
ياتي يوم اي عظيم لا مرد له اي لا يقدر اي يرده
احد وقوله تعالى من الله يجوز ان يتعلق
بياتي او بمحذوف يدل عليه المصدر اي لا يرده
من الله احد والمراد يوم القيمة لا يقدر
احد على رده من الله وغيره عاجز
عن رده فلا بد من وقوعه يومئذ اي اذ ياتي

Copyright © King Saud University

يصدعون اي يتفرقون فريق في الجنة وفريق في
السعير ثم اشار الى التفرق بقوله تعالى
من كفر اي منهم فعليه كفره اي وباله كفره
ومن عمل صالحا اي بالايمان وما يترتب عليه
فلانفسهم يمهدون اي يوطئون منازلهم في
القبور وفي الجنة بل وفي الدنيا فان الله
تعالى يعزهم بعز طاعته تنبيه اظهر
قوله تعالى صالحا ولم يضمر لئلا يتوهم
عود الضمير على من كفر وبشارة بان اهل
الجنة كثيرة وان كانوا قليلا لان الله تعالى
هو مولاهم فهو مزكيهم وافرد الشرط
وجمع الجزاء بقوله تعالى فلانفسهم اشارة
الى ان الرحمة اعم من الغضب فتشمله واهله
وذريته وفيه ترغيب في العمل من غير نظر
الى مساعد وبانه ينفع نفسه وغيره لان
المومن للمومن كالبنيان يشد بعضه بعضا
واقل ما ينفع والديه وشيخه في ذلك العمل
وقوله تعالى ليجزي اي الله سبحانه وتعالى
الذي انزل هذه السورة لبيان

ان

ان ينصر اولياءه ولاحسانه لانه مع المحسنين
ولذلك اقتصر هنا على ذكرهم بقوله تعالى الذين
امنوا وعملوا الصالحات اي تصديقا لايمانهم
من فضله علة ليمهدون او ليصدعون والاقتصار
على جزاء الموصوفين للاشعار بانه المقصود بالذات
والاكتفاء عن نحوك وقوله تعالى انه لا يحب
الكافرين فانه فيه اثبات البغض لهم فيعذبهم
والمحبة للمومنين فيثيبهم وتاكيد اختصاص
الصلاح المفهوم من ترك ضميرهم الى التصريح
بهم تعليل لهم وقوله تعالى من فضله دال على
الاثابة بفضل محض ولما ذكر تعالى ظهور
الفساد والهلاك بسبب الشرك ذكر ظهور
الصلاح ولم يذكر انه بسبب العمل الصالح لان
الكريم لا يذكر لاحسانه عوضا ويذكر لاضراره
سببا لئلا يتوهم به الظلم قال تعالى ومن
اياته اي دلالته الواضحة ان يرسل الرياح
اي بالمطر كما قال تعالى بشرا بين يدي
رحمته اي قبل المطر وقبل مبشرات
بصلاح الاهوية والاحوال فان الرياح

Copyright © King Saud University

لو لم تهب بظهر الوبا والفساد وقرا ابن كثير
وحمزة والكسائي الريح بالافراد على ارادة الجنس
والباقون بالجمع وهي الجنوب والشمال والصبا لانها
رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها رياحا
ولا تجعلها ريحا وقوله تعالى وليذيقكم اي بها من رحمته
اي نعمته من المياه العذبة والاشجار الرطبة
وصحة الابدان وما يتبع ذلك من امور لا يحصيها
الا خالقها وهو معطوف على مبشرات على المعنى كانه
قيل ليبشركم وليذيقكم او على علة محذوف
دل عليه مبشرات او على يرسل باضمار فعل
معلل دل عليه اي وليذيقكم ارسلها ولتجري الفلك
اي السفن في جميع البحار وما جرى مجراها عند
هبوبها وانما زاد بامره لان الريح قد تهب ولا
تكون موافقة فلا بد من ارسال السفن والاحتيال
لحبسها وربما عصفت واغرقتها ولتبتغوا اي
تطلبوا من فضله من رزقه بالتجارة في البحر
ولعلكم اي ولتكونوا اذا فعل بكم ذلك على رجا
من انفسكم تشكرون ما انعم عليكم من نعمه ودفع
عنكم

عنكم من نقمه تنبيه قال تعالى ظهر الفساد
ليذيقهم بعض الذي عملوا وقال ههنا وليذيقكم
من رحمته فخاطبهم ههنا تشريفا ولان رحمته
قريب من المحسنين والمحسن قريب فيخاطب والمسيء
بعيد فلم يخاطب وقال هناك بعض الذي عملوا
فاضاف ما اصابهم الى انفسهم واضاف ما
اصاب المومن الى رحمته فقال تعالى من رحمته
لان الكريم لا يذكر لرحمته واحسانه عوضا فلا يقول
اعطيتك لانك فعلت كذا بل يقول هذا لك مني
واما ما فعلت من الحسنة فجزاوه بعد عندي
وايضا فلو قال ارسلت لسبب فعلكم لا يكون
بشارة عظيمة واما اذا قال من رحمته
كانت غاية البشارة وايضا فلو قال بما فعلتم
لكان ذلك موهما لنقصان ثوابهم في الاخرة
واما في حق الكفار فاذا قال بما فعلتم
انبا عن نقصان عقابهم وهو كذلك وقال
هناك لعلهم يرجعون وقال ههنا ولعلكم
تشكرون قالوا واشارة الى توفيقهم للشكر
في النعم وعطف على النعم قوله تعالى ولقد ارسلنا

Copyright © King Saud University

اي بما لنا من القوة وقال تعالى من قبلك رسلا تنبيها
على انه خاتم النبيين بتخصيص ارسال غيره
بما قبل زمانه وقال الى قومهم اعلاما بان امر
الله اذا جا لا ينفع فيه قريب ولا بعيد فجاوهم
بالبينات فانقسم قومهم الى مسلمين ومجرمين فبينا
بسببا لانا انتقمنا بما لنا من العظمة فانتقمنا اي
فكانت معاداة المسلمين للمجرمين فبينا بسبب
لانا انتقمنا بما لنا من العظمة من الذين اجرموا
اي اهلكنا الذين كذبوهم لاجرامهم وهو قطع ما
امرناهم بوصله ولما كان محط الفايدة الزامه
سبحانه وتعالى لنفسه بما تفضل به قدمه
تعجيلا للسرور وتطييبا للنفوس فقال
تعالى وكان اي على سبيل الثبات والدوام
حقا علينا اي بما اوجبناه بوعدنا الذي لا
خلف فيه نصر المومنين اي الغريقين في ذلك
الوصف في الدنيا والاخرة ولم يزل هذا دابنا
في كل ملة على مدا الدهر فليعتدها ولا المثل هذا
وليأخذوا لذلك اهبة لينظروا من المغلوب
وهل ينفعهم شي روى الترمذي

وحسنه

وحسنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال ما من امري مسلم يرد من عرض
اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم
يوم القيمة ثم تلا قوله تعالى وكان حقا علينا
نصر المومنين قال البقاعي في الاية من الاحتباك
اي وهو ان يوتى بكلامين يحذف من كل منهما
شي يكون نظمهما بحيث يدل ما اثبت في كل على
ما حذف من الاخر فحذف اولا الاهلاك الذي
هو اثر الخذلان لدلالة النص عليه وثانيا الانعام
لدلالة الانتقام عليه ثم نبه تعالى على
كمال قدرته فهو الناصر للمومنين بقوله تعالى
الله اي وحده الذي يرسل مرة بعد اخرى
الرياح مضطربة هايجة بعد ان كانت ساكنة
فتثير سحابا اي تزعجه وتنشره فيبسطه بعد
اجتماعه في السما اي جهة العلو كيف يشا في اي
ناحية شا قليلا تارة ممسيرة ساعة وكثيرا اخرى
كمسيرة ايام على حسب ارادته واختياره لا مدخل
فيه لطبيعة ولا غيرها ويجعله اذا اراد كسفا
اي قطعا غير متصل بعضها ببعض اتصالا

يمنع نزول الما وقرا ابن عامر بسكون السين بخلاف
عن هشام والباقون بفتحها قرى بسبب ارسال
الله له او بسبب جعله ذا مسام وفرج فيما من
فيه اهل الروية او يا اسوف خلقنا الذي لا يعرف
هذا حق معرفته سواه الودق اي المطر يخرج من
خلاله اي السحاب الذي هو اسم جنس في حالتي
الاتصال والانفصال فاذا اصاب اي الله به اي
بالودق من اي ارض من يشا ونبه على ان ذلك
فضل منه لا يجب عليه لاحد شيا اصلا بقوله تعالى
من عباده اي الذي لم تزل عبادته واجبة عليهم
اذا هم يستبشرون البشر وهو السرور الذي تشرق
له البشرة حال الاصابة ظهورا بالغا عظيما
بما يرجونه مما يحدث عنه من الاثر النافع من
الخصب والرطوبة واللين ثم بين تعالى عجزهم
بقوله تعالى وان اي والحال انهم كانوا في الزمن
الماضي من قبل ان ينزل عليهم اي المطر وقرا
ابو عمرو وابن كثير بسكون النون وتخفيف
الزاي والباقون بفتح النون وتشديد الزاي
وقوله تعالى من قبله اي من باب التكرير

والتاكيد

والتاكيد كقوله تعالى فكان عاقبتهما انهما في النار
خالدين فيها ومعنى التوكيد فيه الدلالة على ان
عهدهم بالمطر قد تطاول بعد فاستحكم باسهم
وقوله تعالى لمبلسين اشارة الى انه تمادى
بلاسهم فكان الاستبشار على قدر اهتمامهم
بذلك وقيل الاولى ترجع الى المطر والثانية
الى انشا السحاب فلا تاكيد فانظر الى اثر رحمة
الله والرحمة هي الغيث واثرها النبات وقرا
ابن عامر وحفص وحمزة والكساي بالف بعد
الثا المثلثة والباقون بغير الف ورسمت
رحمت هذه مجرورة فوقف ابن كثير وابو عمرو
والكساي بالها والباقون بالتا كيف يحيي اي
الله الارض باخراج النبات بعد موتها اي يبسها
ان ذلك اي الامر العظيم الشان الذي قدر على احيا
الارض لمحيي الموتى كلها من الحيوانات والنباتات
اي ما زال قادرا على ذلك كما قال تعالى وهو على
كل شي من ذلك وغيره قدير لان نسبة
القدرة منه سبحانه وتعالى الى كل ممكن على حد
سوا ولما بين انهم عند توقف الخير

يكونوا ايسين وعند ظهوره يكونون مستبشرين
بين ان تلك الحالة ايضا لايدومون عليها
بقوله تعالى ولئن ارسلنا اي بعد وجود هذا
الاثر الحسن ريحا عقيما فراوه اي الاثر لان الرحمة
هي الغيث واثرها هو النبات او الزرع لدلالة
السياق عليه مصفرا قد بدل واخذ في التلف
من شدة يبس الريح اما بالحر او البرد وقيل
راو السحاب لانه اذا كان مصفرا لم يمطر
ويجوز ان يكون الضمير للريح من التعبير
بالسبب عن المسبب تنبيه اللام موطئة
للقسم دخلت على حرف الشرط وقوله تعالى
لظلوا اي لصاروا من بعده اي اصفراره يكفرون
اي بياسهم من روح الله جواب سد مسد
الجزا وكذلك فسر بالاستقبال تنبيه
سمي النافعة رياحا والضارة ريحا لوجوه
احدها ان النافعة كثيرة الانواع كثيرة الافراد
فجمعها لان في كل يوم وليلة تهب نفحات من
الرياح النافعة ولا تهب الريح الضارة
في اعوام بل الضارة لا تهب في الدهور

ثانيها

ثانيها ان النافعة لا تكون الا رياحا واما
الضارة فنفخة واحدة تقتل كريح السموم ثالثها
جا في الحديث ان ريحا هبت فقال عليه
الصلاة والسلام اللهم اجعلها رياحا ولا
تجعلها ريحا اشارة الى قوله تعالى فارسلنا
عليهم الريح العقيم وقوله تعالى ريحا صرصرا
تنزع الناس ولما علم الله تعالى نبيه صلى الله
عليه وسلم وجوه الادلة ووعد واوعد
ولم يزدهم دعاوه الا فرارا وكفرا وارصادا
قال تعالى فانك لا تسمع الموتى اي ليس في قدرتك
اسماع الذين لا حياة لهم فلا تتحسر ولا تسمع اوموتى
القلوب اسماعا ينفعهم لانه مما اختص به
تعالى وهولا منهم مثل الاموات لان الله تعالى
ختم على مشاعرهم ولا تسمع الصم اي الذين لا
سماع لهم الدعا اذا دعوتهم ولما كان الاصم
قد يحس بدعايك اذا كان مقبلا بحاسة
بصره قال تعالى اذا ولوا وذكر الفعل ولم
يقل ولوا اشارة الى قوة التولي لئلا يظن انه
اطلق على المجانبة مثلا ولذا قال تعالى

تعالى مدبرين وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو
بتسهيل الهمزة الثانية في الوصل والباقون
بالتخفيف واذا وقف حمزة وهشام على الدعا
ابدلا الهمزة الفا مع المد والتوسط والقصر
وما انت بهادي العمي اي بموجد لهم هداية
عن ضلالتهم اذا ضلوا عن الطريق وقرا
حمزة بتاء الخطاب مفتوحة وسكون الها
والعمي بنصب اليا والباقون بالبا الموحدة
مكسورة وفتح الها والعمي بالخفض تنبيه
قد جعل الله تعالى الكافر بهذه الصفات
وهو انه شبه اولا بالميت وارشاد الميت
محال والمحال ابعد من الممكن ثم بالاصم وارشاد
الاصم صعب فانه لا بالاعمي وارشاد الاعمي
صعب فانك اذا قلت له مثلا الطريق عن
يمينك يدور الى يمينه لكنه لا يبقى عليه
بل يحيد عن قريب فارشاد الاصم اصعب
ولهذا تكون المعاشرة مع الاعمي اسهل
من المعاشرة مع الاصم الذي لا يسمع لان
غاية الافهام وليس كل ما يفهم بالكلام

يفهم

يفهم بالارشاد فان المعدوم والغايب لا اشارة
اليه فبدا اولا بالميت لانه اعلا ثم بالادون
منه وهو الاصم وقيده بقوله تعالى اذا ولوا
مدبرين ليكون ادخل في الامتناع لان الاصم
وان كان يفهم فانما يفهم بالاشارة فاذا اولى
لا يكون نظره الى المشير فامتنع افهامه بالاشارة
ايضا ثم بادنى منه وهو الاعمي لما مر ثم
قال تعالى ان اي ما تسمع اي سماع افهام
وقبول الا من يومن باياتنا اي القران فاسمع
للمومن اسماع الايات فلزم ان يكون المومن
حيا سميعا بصيرا لان المومن ينظر في البراهين
ويسمع زواجر الوعظ فتظهر منه الافعال
الحسنة ويفعل ما يجب عليه فهم مسلمون
اي مطيعون كما قال تعالى عنهم قالوا سمعنا
واطعنا ولما اعاد تعالى دليل الافاق
بقوله تعالى الله الذي يرسل الرياح اعاد
دليلا من دلايل الانفس وهو خلق الادمي
وذكر احواله بقوله تعالى الله اي الجامع لصفات
الكمال الذي خلقكم من ضعف اي ماذي

بيانه فاذا

ضعف لقوله تعالى الم نخلقكم من ماء مهين
ثم جعل من بعد ضعف اخر وهو ضعف الطفولية
قوة اي قوة الشباب ثم جعل من بعد قوة
ضعفا اي ضعف الكبر وشيبة اي شيب
الرم وهو بياض الشعر يحصل اوله في الغالب
في السنة الثالثة والاربعين وهو اول سن
الاكتهال والاخذ في النقص بالفعل بعد
الخمسين الى ان يزيد النقص في الثالثة والستين
وهو اول سن الشيخوخة ويقوى الضعف
الى ما شا الله تعالى وقرا عاصم وحمزة بخلاف
عن حفص بفتح الضاد في الثلاثة وهو
لغة تميم والباقون بالضم وهو لغة قريش
ولما كانت هذه هي العادة الغالبة وكان
الناس متفاوتين فيها وكان من الناس
من يطعن في السن وهو قوي وانتج ذلك
كله انه لابد ان يكون التصرف بالاختيار
مع شمول العلم وتمام القدرة قال تعالى
يخلق ما يشا اي من هذا وغيره وهو
العليم بتدبير خلقه القدير على ما يشا
فان

فان قيل ما الحكمة في قوله تعالى هنا وهو
العليم القدير وقوله تعالى من قبل وهو
العزيز الحكيم والعزة اشارة الى كمال القدرة
والحكمة اشارة الى كمال العلم فقدم القدرة
هناك عن العلم اجيب بان المذكور هناك
الاعادة بقوله تعالى وهو اهون عليه وله
المثل الاعلى في السموات والارض وهو العزيز
الحكيم لان الاعادة بقوله تعالى كن فيكون
فالقدرة هناك اظهر وها هنا المذكور الابد
او هو اطوار واحوال والعلم بكل حال
حاصل فالعلم ههنا اظهر ثم ان في قوله
تعالى وهو العليم القدير فيه تبشير وانذار
لانه اذا كان عالما باحوال الخلق يكون
عالما باحوال المخلوق فان عملوا خيرا علمه
وان عملوا شرا علمه ثم اذا كان قادرا
وعلم الخير اثاب وان علم الشر عاقب ولما
كان العلم بالاحوال قبل الاثابة والعقاب
اللذين هما بالقدرة والعلم قدم العلم
واما الآية الاخرى فالعلم بترك

Copyright © King Saud University

قبل الانابة والعقاب اللذين هما بالقدرة
والعلم قدم العلم واما الاية الاخرى فالعلم
بترك الاحوال قبل العقاب فقال وهو العزيز
الحكيم ولما اثبت قدرته على البعث وعزم عطف
على قوله اول السورة ويوم تقوم الساعة
يبلس المجرمون ويوم تقوم الساعة اي
القيمة سميت بذلك لانها تقوم في اخر
ساعة من ساعات الدنيا ولانها تقع بغتة
او علاما بتيسيرها على الله تعالى وصارت
علما بالغلبة عليها بالغلبة كالكوكب للزهرة
يقسم اي يحلف المجرمون اي الكافرون وقوله
تعالى ما لبثوا جواب قوله تعالى يقسم وهو على
المعنى اذ لو حكى قولهم بعينه لقيل ما لبثنا
اي في الدنيا غير ساعة استقلوا اجل الدنيا
لما عاينوا الاخرة وقال مقاتل والكلبي
ما لبثوا في قبورهم غير ساعة كما قال
تعالى كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا
الا ساعة من نهار بلاغ وقيل فيما بين فناء
الدنيا والبعث في حديث رواه الشيخان

ما بين

ما بين النفختين اربعون وهو محتمل للساعات
والايام والاعوام كذلك اي مثل ذلك الصرف
عن حقائق الامور الى شكوكها كانوا في الدنيا
كونا هو كالحيلة لهم يوفكون اي يصرفون
عن الحق في الدنيا وقال مقاتل والكلبي
كذبوا في قولهم غير ساعة كما كذبوا في الدنيا
ان لا بعث في والمعنى ان الله تعالى اراد
ان يفضحهم فحلفوا على شيء تبين لاهل
الجمع انهم كاذبون ثم ذكر انكار المومنين
عليهم بقوله تعالى وقال الذين اوتوا العلم
والايمان وهم الانبيا والمومنون لقد لبثتم
في كتاب الله اي فيما كتب الله لكم في سابق
علمه وقضايه او في اللوح المحفوظ او فيما
وعد به في كتابه من الحشر والبعث فيكون
في كتاب الله متعلق بلبثتم وقال
مقاتل والكلبي وقتادة فيه تقديم
وتاخير معناه وقال الذين اوتوا العلم
بكتاب الله والايمان لقد لبثتم الى يوم البعث
وفي نور بمعنى الى فرد واما قال هولاء الكفار

وحلفوا عليه واطلعوهم على الحقيقة ثم وصلوا
ذلك بتقريعهم على انكار البعث بقولهم
فهذا يوم البعث الذي انكرتموه وقرأنا فع
وابن كثير وعاصم باظهار الثاء المثلثة
عند التاء المثناة والباقون بالادغام
تنبيه سبب اختلاف الفريقين ان
الموعود بوعد اذا ضرب له اجل ان علم
ان مصيره الى النار وهو الكافر
يستقل مدة اللبث ويختار تاخير الحشر
والبقاء في القبر وان علم ان مصيره
الى الجنة وهو المومن فيستكثر المدة
ولا يريد تاخيرها فيختلف الفريقان
وفي هذا الفا قولان اظهرهما انها عاطفة
هذه الجملة على لبثتم وقال الزمخشري
هي جواب شرط مقدر اي ان كنتم منكرين
البعث فهذا يوم البعث اي فقد
تبين بطلان ما قلتم ولما كان التقدير
قد اتى كما كنا به عالمين فلم كان لكم نوع
من العلم لصدقتمونا في اخبارنا به

فنفعكم

٢١٨

فنفعكم ذلك الان عطف عليه قوله تعالى
ولكنكم كنتم اي كونا هو كالجبلة لكم في
انكاركم له لا تعلمون اي ليس لكم علم اصلا
لتفريطكم في طلب العلم من ابوابه والتوصل
اليه باسبابه فلذلك كذبتم به فاستوجبتم
جزا ذلك التكذيب اليوم ولما كانت
الايات دالة على ان هذه الدار دار عمل
وان الاخرة دار الجزاء وان البرزخ حايل
بينهما فلا يكون في واحدة منهما ما للاخر
تسبب عن ذلك قوله تعالى فيومئذ اي
اذ يقع ذلك ويقول الذين اوتوا
العلم تلك المقالة لا تنفع الذين ظلموا معذرتهم
اي في انكارهم له ولا هم يستعتبون اي لا
يطلب منهم الرجوع الى ما يرضي الله تعالى
كما دعوا اليه في الدنيا من قولهم استعتبني
فلان فاعتبته اي استرضاني فارضيته
وقرا الكوفيون لا ينفع بالياء التحتية لان
المعذرة بمعنى العذر ولان تانيثها غير
حقيقي وقد فصل بينهما والباقون

بالتا الفوقية ثم اشار تعالى الى ازالة الاعذار
والاتيان بما فوق الكفاية من الانذار وان
لم يبق من جانب الرسول صلى الله عليه
وسلم تقصير بقوله تعالى ولقد ضربنا
اي جعلنا للناس في هذا القران اي في هذه
السورة وغيرها من كل مثل اي معنى غريب
هو اوضح واثبت من اعلام الجبال في
عبارة هي ارشق من ساير الامثال
فان طلبوا شيا اخر غير ذلك فهو عناد
محض لانه من كذب دليلا لا يصعب
عليه تكذيب الدلايل بل لا يجوز للمستدل
ان يشرع في دليل اخر بل ذكر دليله
جيدا مستقيما ظاهر الاشكال عليه
وعانده الخصم وهذا من العالم فكيف بالنبي
صلى الله عليه وسلم فان قيل ان الانبيا
عليهم الصلاة والسلام ذكروا انواعا من
الدلايل اجيب بانهم سردوها سردا ثم
قرروا فردا فردا كما يقول الدليل عليه من
وجوه الاول كذا والثاني كذا والثالث كذا

كذا وفي هذا

وفي هذا عدم الالتفات الى عناد المعاند
لانه يريد تضييع الوقت كيلا يتمكن
المستدل من الاتيان بجميع ما وعد من
الدليل فتنحط درجته والى هذا
اشار بقوله تعالى ولئن اللام لام قسم
جيتهم يا افضل الخلق باية مثل العصا
واليد لموسى ليقولن الذين كفروا منهم ان
اي ما انتم الا مبطلون اي اصحاب اباطيل
فان قيل لم وحد في قوله تعالى جيتهم وجمع
في قوله تعالى ان جيتهم انتم اجيب بان
ذلك لنكتة وهو انه تعالى اخبر في موضع
اخر فقال ولئن جيتهم بكل اية
اي جات بها الرسل فقال الكفار ما
انتم ايها المدعون الرسالة كلكم الا كذا
وقال الجلال المحلي ان انتم اي محمد واصحابه
واما الذين امنوا فيقولون نحن بهذه
الاية مومنون كذلك اي مثل هذا الطبع
العظيم يطبع الله اي الذي له العظمة والكمال
على قلوب الذين لا يعلمون توحيد الله

Copyright © King Saud University

فان قيل من لا يعلم شيا اي فايدة في الاخبار
عن الطبع على قلبه اجيب بان معناه
ان من لا يعلم لان فقد طبع على قلبه
من قبل ثم انه تعالى سلى نبيه صلى الله
عليه وسلم بقوله تعالى فاصبر اي على انذارهم
مع هذا الجفا والرد بالباطل والاذي فان
الكل فعلنا لم يخرج منه شي من ارادتنا
ان وعد الله اي الذي له الكمال كله وفي كل ما
وعد به حق اي ثابت جدا يطابقه الواقع
كما يكشف عنه الزمان وتاتي به مطاب
الحدثان وملكات التقدير فلا تعجل عطف
عليه قوله تعالى ولا يستخفنك اي يحملنك
على الخفة ويطلب ان تخف باستعجال
النصر خوفا من عواقب تاخيره او بتغيير
لدعن التبليغ الذين لا يوقنون اي اذى
الذين لا يصدقون بوعدنا من البعث والحشر
وغير ذلك تصديقا ثابتا في القلب بل هم
اما شاكون واما على شي يزلزلهم
كمن يعبد الله على حرف او مكذوب

فهم

بها لغوهم في العداوة والتكذيب حتى انهم لا
يصدقون في وعد الله بنصر الروم على فارس
كانهم على ثقة وبصيرة من امرهم في ان ذلك
لا يكون ذلك فاذا صدق الله وعده في ذلك
باظهارهم عن قرب علموا كذبهم عيانا وعلموا
ان كان لهم علم ان الوعد بالساعة لاقامة
العدل على الظالم والعود بالفضل على
المحسن كذلك ياتي وهم صاغرون ويحشرون
وهم داخرون وسيعلم الذين ظلموا اي
منقلب ينقلبون فقد انعطف اخر
السورة على اولها واتصل به اتصال القريب
بالقريب وها انا اسال الله تعالى القريب
المجيب ان يغفر ذنوب من كتب هذا
وهو محمد الشربيني الخطيب ويفعل ذلك
بوالديه واولاده ومشايخه وكل محب له
وحبيب وقول البيضاوي تبعا
للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة الروم كان له من الاجر
عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله

Copyright © King Saud University

الله بين السما والارض وادرك ماصنع في
يومه وليلته حديث موضوع رواه الثعلبي
في تفسيره ، **سورة لقمان مكية** *
الا قوله تعالى ولو ان ما في الارض من شجرة
اقلام الايتان وهي اربع او ثلاث وثلاثون
اية وخمسماية اية وثمان واربعون حرف
ثمانماية وعشرة احرف لبسم الله اي الذي
وسع كل شي رحمة وعلما الرحمن الذي
شملت نعمته سائر بريته الرحيم باوليائه
فخصهم بمعرفته قوله تعالى الم تقدم الكلام
عليه في اول سورة البقرة وقيل
انه اشار بذلك الى ان الملك الاعلى ارسل
جبريل عليه السلام الى محمد صلى الله عليه
وسلم بوحي ناطق من الحكم والاحكام
بما لم ينطق به من قبله امام ولا يلحقه
في ذلك بني مدا الايام فهو المبتدا
وهو الختام والى ذلك اوما تعبيره
باداة البعد في قوله تعالى تلك اي
الايات التي هي من العلو والعظمة
بمكان

بمكان ايات الكتاب اي الجامع لجميع انواع الخير
الحكيم بوضع الاشيا في حواق مراتبها فلا يستطاع
نقض شي من ابرامه ولا معارضة شي من كلامه
الدال ذلك على تمام علم منزله وشمول عظمته
وقدرته والاضافة بمعنى من وقوله تعالى هدى
ورحمة بالرفع وهي قراة حمزة خبر مبتدا مضمر
هي هي او هو وقرا الباقون بالنصب على الحال
من ايات والعامل ما في اسم الاشارة من
معنى الفعل وقال تعالى للمحسنين اشارة الى
ان رحمة الله قريب من المحسنين فانه تعالى
قال في البقرة ذلك الكتاب ولم يقل الحكيم
وهاهنا قال الحكيم لانه لما زاد ذكر وصف الكتاب
زاد ذكر احواله فقال هدى ورحمة وقال
هناك هدى للمتقين فقوله تعالى هدى في
مقابلة قوله تعالى الكتاب وقوله تعالى
ورحمة في قوله تعالى الحكيم وصف الكتاب
بالحكيم على معنى ذي الحكمة كقوله في عيشة
راضية اي ذات رضا وقوله تعالى هناك
للمتقين وقال تعالى هنا للمحسنين

Copyright @ King Saud University

لانه لما ذكر انه هدى ولم يذكر شيا اخر قال للمتقين
اي يهدي به من يتق الشرك والعناد وهاهنا
زاد قوله تعالى ورحمة فقال للمحسنين كما قال
تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة فناسب
زيادة قوله تعالى ورحمة ولان المحسن يتقي
وزيادة ثم وصف المحسنين بقوله تعالى
الذين يقيمون الصلاة اي يجعلونها كانها قايمة بسبب
اتقان جميع ما امر به فيها وندب اليه فدخل
فيها الحج لانه لا يحضر البيت في كل يوم خمس
مرات الا محضر له بالحج او فوة ولما كان
الايمان ويوتون الزكاة اي كلها فدخل
فيها الصوم لانه يودي زكاة الفطر الا من
صامه فعلا او قوة ولما كان الايمان
اساس هذه الاركان وكان الايمان بالبعث
جامعا لجميع انواعه وحاملا على ساير وجوه
الاحسان قال تعالى وهم بالاخرة اي التي تقدم
ان المجرمين عنها غافلون هم يوقنون اي يومنون
بها ايمان موفق فهو لا يفعل شيا ينافي الايمان
ولا يغفل عنها طرفة عين فهو في الذروة العليا

من

من ذلك فهو يعبد الله تعالى كانه يراه فاية
البقرة بداية وهذه نهاية ولما كانت هذه
الخلال امهات الافعال الموجبة للكمال وكانت متساوية
من وجه لاية البقرة ختمها بختامها بعد ان زمها
بزمامها اولئك اي العالو الرتبة الحايزون من منازل
القرب اعظم رتبة على هدى اي متمكنون تمكن
المستعلي على الشي وقال من ربهم تذكيرا لهم بانه
لولا احسانه ما وصلوا الى شي ليلزموا تمريغ الجباه
على الاعتاب بعد فا من الاعجاب واولئك هم المفلحون
اي الظافرون بكل مراد ولما بين سبحنه وتعالى
حال من تحلى بهذا الحال فترقى الى حلية اهل
الكمال بين حال اضدادهم بقوله تعالى
ومن الناس من يشتري لهو الحديث اي ما
يلهي عما يعني كالاحاديث التي لا اصل لها والاساطير
التي لا اعتبار فيها والمضاحك وفضول
الكلام فان قيل ما معنى اضافة اللهو الى
الحديث اجيب بان معناها التبيين
وهي الاضافة بمعنى من وان يضاف الشي
الى ما هو منه كقوله حبة خز وباب

Copyright © King Saud University

ساج والمعنى من يشتري اللهو من الحديث لان
اللهو يكون من الحديث ومن غيره فيبين
بالحديث والمراد بالحديث الحديث المنكر كما جاء
الحديث الحديث في المسجد ياكل الحسنات كما
البهيمة الحشيش ويجوز ان تكون الاضافة
بمعنى من التبعيضية كانه قيل ومن الناس
من يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو قال الكلبي
ومقاتل نزلت في النضر بن الحارث بن كلدة وكان
يتجر فياتي الحيرة ويشتري اخبار العجم ويحدث
بها قريشا ويقول ان محمدا يحدثكم بحديث عاد
وثمود وانا احدثكم بحديث رستم واسفنديار
واخبار الاكاسرة فيستملحون حديثه ويتركون
استماع القران فانزل الله هذه الاية وقال مجاهد
يعني شرى القيان والمغنيين ووجه الكلام على هذا
التاويل من يشتري ذات او ذا لهو الحديث
وقيل كان النضر يشتري المغنيات ولا يظفر
باحد يريد الاسلام الا انطلق به الى قينة فيقول
اطعميه واسقيه وغنيه ويقول هذا خير لك
مما يدعو اليه محمد من الصلاة والصيام وان
تقاتل

وان تقاتل بين يديه وعن ابي امامة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل تعليم
المغنيات ولا بيعهن واثمانهن حرام وفي مثل
هذا نزلت الاية وما من رجل يرفع صوته
بالغنا الا بعث الله عليه شيطانين احدهما
على هذا المنكب والاخر على المنكب الاخر فلا
يزالان يضربانه بارجلهما حتى يكون هو الذي
يسكت وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن
ثمن الكلب وكسب المزمار وقال مكحول
من اشترى جارية ضرابة ليمسكها لغناها
وضربها مقيما عليه حتى يموت لم اصل عليه
ان الله ليقول ومن الناس من يشتري لهو
الحديث الاية وعن الحسن وغيره قال لهو
الحديث هو الغنا والاية نزلت فيه ومعنى من
يشتري لهو الحديث اي يستبدل ويختار الغنا
والمزامير والمعازف على القران وقال الصهبا
سالت بن مسعود عن هذه الاية فقال هو
الغنا ينبت النفاق في القلب قال وكان

Copyright © King Saud University

اصحابنا يلحذون بافواه السكك يخرقون الدفوف
وقال ابن جريج لهو الحديث هو الطبل وقال
الضحاك هو الشرك وقال قتادة هو كل لهو ولعب
وقيل الغنا منفذة للمال مسخطة للرب
مفسدة للقلب ليضل عن سبيل الله اي الطريق
الواضح الموصل للملك الاعلى المستجمع لصفات
الكمال ضد ما كان عليه المحسنون من الهدي
وقراء ابن كثير وابو عمرو بفتح اليا قبل الضاد من
الضلالة بمعنى ليثبت على ضلالته والباقون
بضمها ونكر قوله تعالى بغير علم ليفيد السلب
العام لكل نوع من انواع العلم اي انه لا علم
بشي من حال السبيل ولا حال غيرها علما يستحق
اطلاق العلم عليه فان قيل ما معنى قوله تعالى
فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين اي وما
كانوا مهتدين بالتجارة وبصرايها ويتخذها
اي السبيل التي لا اشرف منها مع ما ثبت له
من الجهل المطلق هزوا اي مهزوا بها وقراء
حمزة والكسائي وحفص بنصب الدال
عطفا على يضل والباقون بالرفع على يشتري
وسكن

وسكن حمزة زاي هزوا وضمها الباقون ولما انفتح
هذا الشق الدايم بينه بقوله تعالى اوليك اي هولا
البعدا البغضا لهم عذاب مهين لاهانتهم باستيثار
الباطل عليه ولما كان الانسان قد يكون غا فلا
فاذا نبه انتبه نبه سبحانه وتعالى على ان هذا
الانسان المنهمك في اسباب الخسران لا يزداد على
ممر الزمان الا مغاجاة لكل ما يرد عليه من البيان
بقوله تعالى واذا تتلى عليه اياتنا اي تتجدد عليه
تلاوة القران من كل ما كان ولى اي بعد السماع
مطلق التولية سوا كان على المجانبة او مدبرا
مستكبرا اي طالبا للكبر موجدا له بالاعراض عن
الطاعة كان اي كانه لم يسمعها فهو لم يزل على
حالة الكبر كان في اذنيه وقرا اي صمما يستوي معه
تكلم غيره له وسكوته تنبيه جملتا التشبيه
حالان من ضمير ولى والثانية بيان للاولى
وقرا نافع بسكون الذال والباقون بضمها ولما
تسبب عن ذلك استحقاقه لما يزيل كبره
وعظمته قال تعالى فبشره اي اعلمه بعذاب
اليم اي مولم وذكر البشارة تهكم به وهو النضر

الحارث كما مرت الاشارة اليه ولما بين تعالى
حال المعرض عن سماع الايات بين حال من
يقبل على تلك الايات بقوله تعالى ان الذين امنوا
اي وحدوا الايمان وعملوا اي قصد بعاله
الصالحات لهم جنات اي بساتين النعيم اي نعيم
جنات فعكس للمبالغة كان لهولا العذاب
المهين ووحد العذاب وجمع الرحمة اشارة
الى ان الرحمة واسعة اكثر من الغضب ولما
كان ذلك قد لا يكون دايما وكان الاسرور شي
ينقطع قال تعالى خالدين فيها اي دايما وقوله
تعالى وعد الله اي الذي لا شي اجل منه مصدر
موكد لنفسه لان قوله تعالى جنات في معنى
وعدهم الله تعالى ذلك وقوله تعالى حقا مصدر
موكد لغيره اي لمضمون تلك الجملة الاولى
وعاملها مختلف فتقدير الاولى وعد الله
ذلك وعدا وتقدير الثاني احق ذلك حقا
فاكد نعيم الجنان ولم يوكد العذاب
المهين وهو العزيز فلا يغلبه شي الحكيم
اي الذي لا يضع شيا الا في محله ولما ختم بصفتي
العزة

العزة وهي غاية القدرة والحكمة وهي ثمرة العلم
دل عليها اتقان فعله بقوله تعالى خلق السموات
على علوها وكبرها وضخامتها بغير عمد وقوله
تعالى ترونها فيه وجهان احدهما انه راجع
الى السموات اذ ليست بعمد اصلا وانتم ترونها
كذلك بغير عمد الثاني انه راجع الى العمد ومعناه
بغير عمد مرئية وعلى كلا الوجهين هي ثابتة
لا تزول وليس كذلك الا بقدرة قادر مختار
تنبيه اكثر المفسرين السموات مبسوطة
كصحف مستوية لقوله تعالى يوم نطوي السما
كطي السجل للكتاب وقال بعضهم انها
مستديرة وهو قول جميع المهندسين
وقال الغزالي رحمه الله تعالى قال
ونحن نوافقهم في ذلك فان لهم علينا دليلا
من المحسوسات ومخالفة الحس لا يجوز
وان كان في الباب خبر وول بما يحتمله
فضلا من ان ليس في القران والخبر ما يدل
على ذلك صريحا بل فيه ما يدل على الاستدارة
كقوله تعالى كل في فلك يسبحون والفلك

Copyright © King Saud University

اسم لشيء مستدير بل الواجب ان السموات سوا
كانت مستديرة او صحيفة مستقيمة هي مخلوقة
لله تعالى باختيار لا بايجاب وطبع ولما ذكر تعالى
العمد المعقلة ذكر الاوتاد المقررة بقوله تعالى
والقى في الارض اي التي انتم عليها جبالا رواسي
والعجب انها من فوقها وجميع الرواسي التي تعرفونها
تكون من تحت تثبتها عن ان تميد اي تتحرك بكم كما
هو شان ما على ظهر الما وبث اي فرق فيها
من كل دابة وقوله تعالى وانزلنا اي بما لنا من
العظمة والقوة من السما ما فيه التفات عن
الغيبة ولما تسبب عن ذلك تدبير المقرات
وكان من اثار الحكمة التابعة للعلم دل
عليه بقوله تعالى فانبتنا اي بما لنا من
القوة في الحكمة فيها اي الارض بخلط
الما ترابها من كل زوج اي صنف من النبات
متشابه كريم بما لنا من البهجة والنضرة
الجالبة للسرور وفي هذا دليل على عزته
التي هي كمال القدرة وحكمته التي هي كمال
العلم ومهد به قاعدة التوحيد
وذرها

وذيلها بقوله تعالى هذا اي الذي تشاهدونه
كله خلق الله اي الذي له جميع الكمال فلا كفو له
تعالى فان ادعيتم ذلك فاروني ماذا
خلق الذين من دونه اي غيره بكتهم بان هذه
الاشيا العظيمة مما خلقه الله تعالى وانشاه
فاروني ما خلقته الهتكم حتى استوجبوا عندكم
العبادة تنبيه ما استفهام انكار مبتدا وذا
بمعنى الذي بصلته خبره واروني معلق عن
العمل وما بعده سد مسد المفعولين ثم اضرب
على تبكيتهم بقوله تعالى بل منبها على ان الجواب
ليس لهم خلق هكذا كان الاصل ولكنه قال
تعالى الظالمون اي العريقون في الظلم تقسيما
وتنبيها على الوصف الذي اوجب لهم كونهم
في ضلال عظيم جدا محيط بهم مبين اي في غاية
الوضوح وهو كونهم يضعون الاشيا في غير
مواضعها لانهم في مثل الظلام لا نور لهم لاحتجاب
شمس الانوار عنهم بحبل الهوى فلا حكمة لهم
ثم انه تعالى لما نفاها عنهم اثبتها لبعض
اوليايه بقوله تعالى ولقد اتينا بما لنا

من العظة والحكمة لقمان وهو عبد من عبيدنا
المطيعين لنا الحكمة وهو العلم المويد بالعمل
والعمل المحكم بالعلم قال ابن قتيبة لا يقال
لشخص حكيم حتى تجتمع له الحكمة في القول
والفعل قال ولا يسمى المتكلم بالحكمة حكيما
حتى يكون عاملا بها وعن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما هي العقل والفهم والفطنة
واختلف في نسبه وفي سبب حكمته فقيل
هو لقمان بن باعورا ابن اخت ايوب وابن
خالته وقيل كان من اولاد ازر وعاش
الف سنة وادرك داوود عليه السلام
واخذ عنه العلم وكان يفتي قبل ان يبعث
داوود عليه السلام فلما بعث قطع
الفتوى فقيل فقال الا اكتفي اذا كفيت
وقيل كان قاضيا في بني اسرايل واكثر
الاقاويل انه كان حكيما ولم يكن نبيا
قال لم يوح اليه وكان رجلا حكيما وعن
ابن عباس لقمان لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن
كان راعيا اسود ورزقه الله العتق

ورضي

ورضي قوله ووصيته فقص امره في القران
لتمسكوا بوصيته وقال ابن المسيب كان
اسود من سودان مصر خياطا وقال مجاهد
كان عبدا اسود غليظ الشفتين مشقق
القدمين وقيل كان نجارا وقيل كان راعيا
وقيل كان يحتطب لمولاه كل يوم حزمة حطب
وقال عكرمة والشعبي كان نبيا وقيل
خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة
وعنه انه قال لرجل ينظر اليه ان كنت تراني
اسود فقلبي ابيض وعن عكرمة قال كان
لقمان من اهون مملوك على سيده واول ما
روي من حكمته انه بينما هو مع مولاه اذ دخل
المخرج وطال فيه الجلوس فنادى لقمان ان
طول الجلوس على الحاجة ينخع منه الكبد ويكون
منه الباسور ويصعد الحر الى الراس فخرج
وكتب حكمته على الحش وقال وسكر مولاه
فخاطر قوما على ان يشرب ما بحيرة فلما
افاق عرف ما وقع منه فدعا لقمان فقال
لمثل هذا كنت اخبا وك قال اجمعهم

فلما اجتمعوا قال على اي شي خاطهم قوم قالوا
على ان بشرب ما هذه البحيرة قال فان لها
لمواد فاحبسوا موادها عنه قال وكيف
تستطيع ان تحبس موادها قال فكيف
يستطيع ان يشربها ولها مواد واخرج الحكيم
الترمذي في نوادر الاصول عن ابي مسلم الخولاني
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقمان كان عبدا كثير التفكر حسن الظن كثير
الصمت احب الله تعالى فاحبه الله فمن عليه
بالحكمة نودي بالخلافة قبل داوود فقيل له يا
لقمان هل لك ان يجعلك الله خليفة في الارض
تحكم بين الناس قال لقمان ان اخبرني ربي
قبلت فانه اعلم انه ان فعل ذلك اعانني
وعلمني وعصمني وان خيرني ربي قبلت
فانه اعلم انه ان فعل ذلك اعانني وعلمني
وعصمني وان خيرني قبلت العافية
ولم اسال البلا فقالت الملائكة يا لقمان
لم قال لان الحاكم باشد المنازل واكدرها
يغشاها الظلم من كل مكان فيخذل

او

اويقات فان اصاب فبالحري ان ينجوا
وان اخطا اخطا طريق الجنة ومن
يكن في الدنيا ذليلا خير من ان يكون
شريفا ضايعا ومن تخير الدنيا على الاخرة
نفته الدنيا ولا يصيب الاخرة فعجبت
الملائكة من حسن منطقه فنام نومة
فاعطي الحكمة فانتبه وهو يتكلم بها ثم
نودي داوود بعده بالخلافة فقبلها ولم
يشترط ما اشترط لقمان فاهوى في الخطية
فصفح الله تعالى عنه وتجاوز وكان لقمان
يوزره بعلمه وحكمته فقال داوود طوبى
لك يا لقمان اوتيت الحكمة فصرفت عنك البلية
واوتي داوود الخلافة فابتلي بالذنب و
الفتنة واخرج ابن ابي حاتم عن قتادة قال
خير الله تعالى لقمان بين الحكمة والنبوة
فاتاه جبريل وهو نايم فذر عليه الحكمة
فاصبح ينطق بها فقيل له كيف اخترت
الحكمة على النبوة وقد خيرك الله فقال انه
لو ارسل الي بالنبوة عزمة لرجوت

فيها العوز منه ولكنت ارجو ان اقوم بها
ولكنه خيرني فخفت ان اضعف عن النبوة
فكانت الحكمة احب الي وروي
انه دخل على داود وهو يسوغ الدرع
وقد لين الله الحديد كالطين فاراد ان يساله
فادركته الحكمة فسكت فلما اتمها لبسها وقال
نعم لبوس الحرب وقال الصمت حكمة وقليل
فاعله فقال له داود لحق ما سميت حكيما
وروي ان مولاه امره بذبح شاة وبان
يخرج منها اطيب مضغتين فاخرج اللسان
والقلب فساله عن ذلك فقال هما اطيب
ما فيها اذا طاب واخبث ما فيها اذا خبث
وروي انه لقيه رجل وهو يتكلم بالحكمة
فقال الست فلان الراعي فبم بلغت
ما بلغت قال بصدق الحديث واداء الامانة
وترك ما لا يعنيني وعن ابن المسيب
انه قال لاسود لا تحزن فانه كان من
خير الناس ثلاثة من السود بلال ومهجع
مولى عمر ولقمان كان اسود نوبيا ذا مشافر
درود

وروي سادات السودان اربعة لقمان الحبشي
والنجاشي وبلال ومهجع وعن ابي هريرة ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال الحكمة عشرة اجزاء
تسعة منها في العزلة وواحد في الصمت وقال
لقمان لا مال كالصحة ولا نعيم كطيب نفس قال
ضرب الوالد لولده كالسما للزرع ولما كانت
الحكمة هي الاقبال على الله قال الله تعالى ان اشكر لله
اي وقلنا له ان اشكر الله على ما اعطاك من
الحكمة ومن يشكر اي يجدد الشكر ويتعاهده
بنفسه كاينا من كان فانما يشكر لنفسه اي
لان ثواب شكره له ومن كفر اي النعمة فان الله غني
عن الشكر وغيره حميد اي له جميع المحامد
وقرا حمزة جميع الخلق واذكر اذ قال لقمن لابنه
وهو يعظه يابني تصغير اشفاق وقرا حمزة بفتح
اليا وسكنها ابن كثير وكسرها الباقون لا تشرك
بالله اي الملك الاعظم ان الشرك اي بالله
لظلم عظيم فرجع اليه وسلم ثم قال له ايضا
يا بني اتخذ تقوى الله تعالى تجارة ياتيك الفرج
من غير بضاعة يا بني احضر الجنائز ولا تحضر

العرس فان الجنايز تذكر الاخرة والعرس يشهيك
الدنيا يا بني لا تاكل شبعا من شبع فانك ان
تلقيه خير من ان تاكله يا بني لا تكونن اعظم من
هذا الديك الذي يصوت بالاسحار وانت
نايم على فراشك يا بني لا تؤخر التوبة فان
الموت ياتي بغتة يا بني لا ترغب في ود الجاهل
فيرى انك ترضى عمله يا بني اتق الله ولا ترى
الناس انك تخشى فيكرموك بذلك وقلبك
فاجر يا بني ما ندمت على الصمت قط فان
الكلام اذا كان من فضة كان السكوت من
ذهب يا بني اعتزل الشر كما يعتزلك فان
الشر للشر خلق يا بني عليك بمجالس العلما
واستمع كلام الحكما فان الله تعالى يحيي
القلب الميت بنور الحكمة كما يحيي الارض
بوابل المطر فان من كذب ذهب ما وجهه
ومن سا خلقه كثر غمه ونقل الصخور
من مواضعها ايسر من افهام من لا يفهم
يا بني لا ترسل رسولك جاهلا فان لم تجد
حكيما فكن رسول نفسك يا بني لا تنكح

امة

امة غيرك فتورث بنيك حزنا طويلا يا بني
ياتي على الناس زمان لا تقر فيه عين حليم
يا بني اختر المجالس على عينك فاذا رايت المجلس
يذكر فيه الله عز وجل فاجلس معهم فانك
ان تكن عالما ينفعك علمك وان تكن غبيا
يعلموك وان تطلع الله عز وجل برحمته
تصبك معهم يا بني لا تجلس في المجلس الذي لا
يذكر فيه الله عز وجل فان ان تك عالما
لا ينفعك علمك وان تك غبيا يزيدوك غبيا
وان تطلع الله تعالى عليهم بعد ذلك بسخط
يصبك معهم يا بني لا ياكل طعامك الا الاتقيا
وشاور في امرك العلما يا بني ان الدنيا بحر
عميق وقد غرق فيها ناس كثير فاجعل
سفينتك فيها تقوى الله تعالى وحشوها
الايمان بالله وشراعها التوكل على الله لعلك
ان تنجو ولا اراك ناجيا يا بني اني حملت
الجندل والحديد فلم احمل شيا اثقل من
جار السو وذقت المرارة كلها فلم اذق اشد
من الفقر يا بني كن لكن لا يبتغي محمدة الناس

ولا يكسب مذمتهم فنفسه منه في عنا والناس
منه في راحة يا بني ان الحكمة اجلست المساكين
مجالس الملوك يا بني جالس العلما وزاحمهم
بركبتك فان الله ليحيي القلوب بنور الحكمة
كما يحيي الارض الميتة بوابل السما يا بني لا
تتعلم ما لا تعلم حتى تعمل بما تعلم يا بني اذا
اردت ان تواخي رجلا فاغضبه قبل ذلك
فان انصفك عند غضبه والا فاحذره
يا بني انك منذ نزلت الى الدنيا استدبرتها
واستقبلت الاخرة فدار انت اليها تسير
اقرب من دار انت عنها تتباعد يا بني
عود لسانك ان يقول اللهم اغفر لي فان لله
ساعات لا ترد يا بني اياك والدين فانه ذل
النهار وهم الليل يا بني ارج الله رجا لا
يجريك على معصية وخف الله خوفا لا يويسك
من رحمته وانما اكثرت من ذلك لعل الله ان
ينفعني ومن طالعه بذلك وسياتي في كلام الله
زيادة على ذلك واقتصرت على هذا العدد
والا فموعظة لابنه لو اراد الاكثار منها لجعل
منها مجلدات فقد اخرج ابن ابي الدنيا

عن

عن حفص بن عمر الكندي قال وضع لقمان
جرابا من خردل الى جنبه وجعل يعظ ابنه
موعظة ويخرج خردلة فنفذ الخردل فقال يا
بني وعظتك موعظة لو وعظتها جبلا تفطر
ابنه فسبحان من يعز ويذل ويغني ويفقر
ويشفي ويمرض ويرفع من يشا وان كان
عبدا فلا بدع ان غض محمدا صلى الله عليه
وسلم اذ النسب العالي والمنصب المنيف
بالرسالة من بين قريش وان لم يكن من اهل
الدنيا المتعظمين بها ولما ذكر تعالى ما
اوصى به ولده من شكر النعم الاول الذي لم
يشركه في ايجاده احد وذكر ما عليه الشرك من
العطا والشناعة اتبعه وصيته سبحانه
للولد بالوالد لكونه المنعم الثاني بالسببيه
في وجوده بقوله تعالى ووصينا الانسان
بوالديه اي امرناه ان يبرهما ويطيعهما ويقوم بهما
ثم بين تعالى السبب في ذلك بقوله تعالى
حملته امه وهنا اي حال كونها ذات وهن
بحمله وبالغ بجعلها نفس الفعل دلالة على شدة

ذلك الضعف على وهن ضعف الحمل وضعف
الطلق وضعف للولادة ثم اشار الى مالها عليه
من المنة بعد ذلك بالشفقة وحسن الكفالة
وهو لا يملك لنفسه شيا بقوله تعالى وفصاله
اي فطامه في عامين من الرضاعة بعد وضعه
في عامين تقاسي فيهما في منامه وقيامه عنالا
يعلمه حق علمه الا الله تعالى فان قيل وصى
الله تعالى بالوالدين وذكر السبب في حق
الام مع ان الاب وجد منه اكثر من الام لانه
حمله في صلبه سنين ورباه بكسبه سنين
فهو ابلغ اجيب بان المشقة الحاصلة
للام اعظم فان الاب حمله خفيفا لكونه
من جملة جسده والام حملته ثقيلا ادميا
مودع فيها وبعد وضعه وتربيته ليلا
ونهارا وبينهما ما لا يخفى من المشقة ومن
ثم قال صلى الله عليه وسلم لمن قال له
من ابر امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم
اباك وقوله تعالى ان اشكر لي لاني المنعم
في الحقيقة ولوالديك اي لكونهما جعلتهما
سببا

سببا لوجودك والاحسان بتربيتك تفسير
لوصينا او علة له ثم علل الامر بالشكر
محذرا بقوله تعالى الي لا الى غيري المصير
فاحاسبك على شركك ومعاصيك وعن
القيام بحقوقهما قال سفيان بن عيينة
في هذه الاية من صلى الصلوات الخمس فقد
شكر الله ومن دعا للوالدين في ادبار الصلوات
الخمس فقد شكر للوالدين ولما ذكر تعالى
وصيته بهما واكد حقهما اتبعه الدليل على ما
ذكر لقمان من قباحة الشرك بقوله تعالى
وان جاهداك اي مع ما امرتك به من طاعتهما
على ان تشرك بي وقوله تعالى ما ليس لك به علم
موافقة للواقع لانه لا يمكن ان يدل علم من انواع
العلوم على شيء من الشرك بل العلوم كلها
دالة على الوحدانية ولما قرر ذلك على هذا
المنوال البديع قال سبحانه فلا تطعهما
اي في ذلك ولو اجتمعا على المجاهدة لك عليه بل
خالفهما وان ادى الامر الى السيف فجاهدهما
لان امرهما بذلك مناف للحكمة حاصل

Copyright © King Saud University

على محض الجور والسفه ففيه تنبيه لالقرينتي
على محض الغلط في التقليد لابائهم في ذلك
وربما اهمم ذلك الاعراض عنهما بالكلية فلهذا
قال تعالى وصاحبهما في الدنيا اي في امورها
التي لا تتعلق بالدين ما دمت حيا بها معروفا
برهما ان كانا على دين يقران عليه ومعاملتهما
بالحكم والاحتمال وما تقتضيه مكارم الاخلاق
ومعالي الشيم ولما كان ذلك قد يجر
الى نوع وهن في الدين ببعض محاباة نفى ذلك
بقوله تعالى واتبع اي بالغ في ان تتبع
سبيل اي دين وطريق من اناب اي اقبل
خاضعا الي لم تلتفت الى عبادة غيري
وهم المخلصون فان ذلك لا يخرجك عن
برهما ولا عن توحيد الله والاخلاص له
تنبيه في هذا حث على معرفة الرجال من الحق
واسر بحك المشايخ وغيرهم على محك الكتاب
والسنة فمن كان عمله مخالفالهما موافقا لهما
اتبع ومن كان عمله مخالفا لهما اجتنب واذا
كان مرجع امورهم كلها اليه في الدنيا ففي
الاخرة

الاخرة كذلك كما قال تعالى ثم الي اي في الاخرة
مرجعكم فانبئكم اي افعل فعل من يبالغ في
التعقيب والاختبار عقب ذلك وتنبيه لان
ذلك انسب بشيء الحكمة وتعقب كل شيء بحسب
ما يليق به بما كنتم تعملون اي تجددون عمله
من صغير وكبير وجليل وحقير فاجازي
من اريد واغفر لمن اريد فاعدلا لذلك عدته
ولا تعمل عمل من ليس له مرجع يحاسب
فيه ويجازى على مثاقيل الذر من اعماله
والايتان معترضتان في تضاعيف وصية
لقمان تاكيدا لما فيهما من النهي عن الشرك كانه
قال تعالى وصينا بمثل ما وصى به وذكر
الوالدين للمبالغة في ذلك فانهما مع انهما
تلو الباري في استحقاق التعظيم والطاعة
لا يجوز ان يستحقا في الاشراك فما ظنكم بغيرهما
ونزولها في سعد بن ابي وقاص وامه
مكثت لاسلامه ثلاثا لم تطعم فيهن شيئا وكذلك
قيل من اناب الي هو ابو بكر فان سعدا
اسلم بدعوة ابي بكر ثم ان ابن لقمان

قال لابيه يا ابت ان عملت الخطيئة لا يراني احد
كيف يعلمها الله تعالى فقال مجيبا يا بني مجيبا
له ومستعطفا مصغرا له بالنسبة الى حمل شي
من غضب الله تعالى انها اي الخطيئة ان تك
واسقط النون لغرض الايجاز في الامضا
مثقال اي وزن ثم حقرها بقوله تعالى
حبة وزاد في ذلك بقوله من خردل اي ان تكن
في الصغر كحبة الخردل وقرا نافع مثقال بالرفع
على ان المضمر الخطيئة كما مر او القصة
وكان تامة وتانيثها لاضافة المثقال
الى الحبة كقول الاعشى
وتشرق بالقول الذي قد ذكرته
كما شرقت صدر القناة من الدم
والشرق الغصة يقال شرق لك بريقه اي
غص والشاهد في شرقت حيث انثه لاضافة
الصدر الى القناة وصدرها ما فوق
نصفها ثم اثبت النون في قوله مبينا عن
صغرها فتكن اشارة الى ثباتها في مكانها
ولتزداد شوق النفس الى حط الفائدة

ويذهب الوهم كل مذهب معبرا عن اعظم
الخفا واتم الاحوال في صخرة اي صخرة كانت ولو
انها اشد الصخور واخفاها ولما اخفى وضيق
اظهر ووسع ورفع وخفض ليكون اعظم لضيا بها
لحقارتها بقوله او في السموات اي في اي مكان منها
على سعة ارجائها وتباعد نجابها واعادا ونصا
على ارادة كل منهما على حدته بقوله او في الارض اي
كذلك وهذا كما ترى لا ينبغي ان تكون الصخرة
فيهما او في احدهما واخرج ابن ابي حاتم عن علي
ابن رباح انه لما وعظ لقمان ابنه وقال انها
ان تك الاية اخذ حبة من خردل فاتى بها الى
اليرموك فالقاها في عرضه ثم مكث ما شاء الله
تعالى ثم ذكرها وبسط يده فاقبل بها ذباب
حتى وضعها في راحته وقال بعض المفسرين
المراد بالصخرة صخرة عليها الثور وهي لا في
الارض ولا في السما قال الزمخشري فيه اضمار
تقديره ان تكن في صخرة او في موضع اخر في
السموات او في الارض وقيل هذا من
تقديم الخاص وتاخير العام وهو جائز في مثل

Copyright © King Saud University

هذا التقسيم وقيل خفا الشي يكون بطرق منها
ان يكون في غاية الصغر ومنها ان يكون بعيدا و
منها ان يكون في ظلمة ومنها ان يكون وراء حجاب
فاذا امتنعت هذه الامور فلا يخفى في العادة
فاثبت الله الروية والعلم مع انتفا الشرايط
بقوله ان تك مثقال حبة من خردل اشارة
الى البعد وانه ابعد الابعاد وقوله او في الارض
اشارة الى الظلمات فان جوف الارض اظلم الاماكن
وقوله تعالى يات بها الله ابلغ من قول القايل
يعلمها الله لان من يظهر له شي ولا يقدر على
اظهاره بغيره يكون حاله في العلم دون حال
من يظهر له الشي ويظهره لغيره فقوله
يات بها الله اي يظهرها للاشهاد يوم القيمة
فيحاسب بها عاملها ان الله اي الملك العظيم
لطيف اي نافذ القدرة يتوصل علمه الى كل
خفي عالم بكنهه وعن قتادة لطيف
باستخراجها خبير اي عالم بمواطن الامور فيعلم
مستقرها وروي في بعض الكتب ان هذه
اخر كلمة تكلم بها لقمان فانشقت مرارته
من

من هيبتها فمات قال الحسن معنى الاية هو
الاحاطة بالاشيا صغيرها وكبيرها ولما نبه على
احاطة علمه سبحنه واقامته للحساب امره
بالاشيا صغيرها وكبيرها ولما نبه على احاطة
علمه سبحنه وتعالى واقامته للحساب امره
بما يدخر لذلك توسلا اليه وتخشعا لديه وهو
راس ما يصلح به العمل ويصح التوحيد ويصد قه
بقوله تعالى يا بني مكرر المناداة تنبيها على
فرط النصيحة لفرط الشفقة اقم الصلاة اي بجميع
حدودها وشروطها ولا تغفل عنها بسببا في
نجاة نفسك وتصفية سرك فان اقامتها
وهو الاتيان على النحو المرضي مانعة من الخلل
في العمل ان الصلاة تنهى عن الفحشا والمنكر
لانها الاقبال على من وحده فاعتقدت انه
الفاعل وحده واعرضت عن كل ما سواه لانه
في التحقيق عدم ولهذا الاقبال والاعراض
كانت ثابتة للتوحيد ولهذا نعلم ان
الصلاة كانت في ساير الملل غير ان هياتها
اختلفت وترك ذكر الزكاة تنبيها على

Copyright © King Saud University

ان من حكمته والحكمة تحلية وتخلي ولده من
الدنيا حتى مايكفيهم لقوتهم ولامره بتكميله
بتكميل نفسه توفية بحق الحق عطف
على ذلك تكميله لنفسه بتكميل غيره بقوله
وامر بالمعروف اي كل من تقدم على امره
تهذيبا لغيرك وشفقة على نفسك لتخليص
ابنا جنسك وانه اي كل من قدرته على نهيه
عن المنكر حبا لاخيك ما تحب لنفسك تحقيقا
لنصيحتك وتكميلا لعبادتك ومن هذا
الطراز قول ابي الاسود رحمه الله تعالى ابدا
بنفسك فانهها عن غيها فان انتهت عنه
فانت حكيم لانه امره اولا بالمعروف وهو
الصلاة الناهية عن الفحشا والمنكر فاذا
امر نفسه ونهاها ناسب ان يامر غيره
وينهاه وهذا وان كان من قول لقمان
الا انه لما كان في سياق المدح لكنا مخاطبين
فان قيل كيف قدم في وصيته لابنه الامر
بالمعروف على النهي عن المنكر وحين امر ابنه
قدم النهي عن المنكر على الامر بالمعروف

فقال

فقال لا تشرك بالله ثم قال اقم الصلاة اجيب
بانه كان يعلم ان ابنه معترف بوجود الاله
فما امره امرا مطلقا والمعروف يقدم على
المنكر ولما كان القابض على دينه في غالب
الازمان كالقابض على الجمر قال له واصبر صبرا
عظيما بحيث تكون مستعليا على ما اي الذي
اصابك اي في عبادتك وغيرها من الامر بالمعروف
وغيره سواكان بواسطة العباد ام لا كالمرض
وقد بدا هذه الوصية بالصلاة وختمها
بالصبر لانهما ملاك الاستعانة قال تعالى
واستعينوا بالصبر والصلاه واخرج احمد
عن هشام بن عروة عن ابيه قال مكتوب
في الحكمة يعني حكمة لقمان لتكن كلمتك
طيبة وليكن وجهك بسيطا تكن احب الناس
ممن يعطيهم العطايا وقال مكتوب في الحكمة
احبب حليلك وخليل ابيك وقيل
للقمان اي الناس شر قال الذي لا يبالي ان
يراه الناس مسيئا ومن حكمته انه قال
اقصر عن الحاجة ولا انطق فيما لا يعنيني

Copyright © King Saud University

ولا اكون مضحاكا من غير عجب ولا مشاء لغير
ارب ومنها من كان له من نفسه واعظ
كان له من الله حافظ ومن انصف الناس
من نفسه زاده الله بذلك عزا والذل
في طاعة الله اقرب من التعزز بالمعصية
ومنها انه كان يقول ثلاثة لا يعرفون
الا في ثلاثة مواطن الحليم عند الغضب
والشجاع عند الحرب واخوك عند حاجتك
اليه ولما كان ما احكمه لولده عظيم
الجدوى وجعل ختامه الصبر الذي
هو ملاك الاعمال نبه بذلك بقوله على
سبيل التعليل او الاستيناف ان ذلك
اي الامر العظيم الذي اوصيك به لا سيما
الصبر على المصائب من عزم الامور اي معزوما
بها تسمية لاسم المفعول او الفاعل بالمصدر
اي الامور المقطوع بها والمفروضة او القاطعة
الحازمة بجزم فاعلها ثم حذر عن الكبر
منفرا عنه بلازمه لان نفي الاعم نفي للاخص
بقوله ولا تصاعر خدك اي لا تمله متعمدا امالة
بامالة

بامالة العنق متكلفا لها صرفا عن الحالة القاصدة
قال ابو عبيدة واصل الصعر داء يصيب
البعير يلوي منه عنقه وقرا ابن كثير وابن
عامر وعاصم بغير الف بعد الصاد وتشديد
العين والباقون بالف بعد الصاد وتخفيف
العين والرسم يحتملهما فانه رسم بغير الف وهما
لغتان لغة الحجاز التخفيف وتميم التثقيل ولما
كان ذلك قد يكون لغرض من الاغراض التي لا
تدوم اشار الى المقصود بقوله للناس بلام العلة
اي لا تفعل ذلك لاجل الامالة عنهم وذلك بان لا يكون
الا متهاونا بهم من الكبر بل اقبل عليهم بوجهك
كله مستبشرا منبسطا من غير كبر ولا علو
وعن ابن عباس لا تتكبر فتحقر الناس وتعرض
عنهم بوجهك اذا كلموك وقيل هو الرجل
يكون بينك وبينه الحسنة فيلقاك فتعرض
عنه وقيل هو الذي اذا سلم عليه لوى
عنقه تكبرا وقيل معناه لا تحتقر الفقير ليكن
الفقير والغني عندك سواء ثم اتبع ذلك ما
يلزمه بقوله ولا تمش واشار بقوله في الارض

Copyright © King Saud University

الي ان اصله تراب وهو لا يقدر ان يعدوه و
سيصير اليه واوقع المصدر موقع الحال
والعلة في قوله مرحا اختيالا وتبخترا اي لا تكن
منك هذه الحقيقة لان ذلك مشي اشر بطر
متكبر فهو جدير بان يظلم صاحبه ويخشى
وينبغي بل امش هونا فان ذلك يفضي بك
الي التواضع فتصل الي كل خير فترفق بك الارض
اذا صرت في بطنها ان الله اي الذي له الكبريا
والعظمة لا يحب اي يعذب كل مختال اي
مراي للناس في مشيه متبخترا يري له
فضلا على الناس فخور على الناس بنفسه يظن
ان اسباغ النعم الدنيوية في محبة الله تعالى
له وذلك من جهله فان الله يسبغ نعمه
على الكافر والجاحد فينبغي للعارف ان لا
يتكبر على عباده فان الكبر هو الذي تردى به
سبحنه فمن نازعه فيه قصمه ولما كان
النهي عن ذلك امر باضداده قال واقصد
اي اقتصد واسلك الطريق الوسطى
في مشيك بين ذلك قواما اي ليكن مشيك
قصدا

قصدا لا تخيلا ولا اسراعا اي بين مشيين
لا تدب دبيب المتماوتين ولا تثب وثب
الشطار قال صلى الله عليه وسلم
سرعة المشي تذهب بهاء المومن واما قول
عايشة في عمر رضي الله عنه كان اذا مشى
اسرع فانما ارادت السرعة المرتفعة عن
دبيب المتماوت وقال عطا امش بالسكينة
والوقار لقوله تعالى يمشون على الارض هونا
وعن ابن مسعود كانوا ينهون عن خبب
اليهود ودبيب النصارى والقصة في الافعال
كالقسط والاوزان قال الرازي في
اللوامع وهو المشي الذي ليس فيه تصنع
للخلق لا بتواضع ولا بتكبر واغضض اي انقص
من صوتك لئلا يكون صوتك منكرا وتكون
برفع الصوت فوق الحاجة كالاذان فهو مامور
به وكانت الجاهلية يتمدحون برفع الصوت
قال القايل
جهير الكلام جهير العطاس
جهير الروا جهير النغم

وقال مقاتل اخفض من صوتك فان قيل لم ذكر
المانع من رفع الصوت ولم يذكر المانع من سرعة
المشي اجيب بان رفع الصوت يوذي
السامع ويقرع الصماخ بقوته وربما يخرق
الغشا الذي داخل الاذن واما سرعة
المشي فلا يوذي وان اذت فلا توذي غير
من في طريقه والصوت يبلغ من على اليمين
وعلى اليسار ولان المشي يوذي آلة المشي
والصوت يوذي آلة السمع وآلة السمع على
باب القلب فان الكلام ينقل من السمع
الى القلب ولا كذلك المشي ايضا فلان قبح
القول اقبح من قبح الفعل وحسنه احسن
لان اللسان ترجمان القلب ولما كان رفع الصوت
فوق الحاجة منكرا كان خفضه دونها تماوتا
وتكبرا وكان قد اشار الى النهي عن هذا
بين فافهم ان الطرفين مذمومان فعلل النهي
عن الاول بقوله ان انكر اي اقطع واشنع واوحش
الاصوات كلها المشتركة في المكاره برفعها
فوق الحاجة واخلا الكلام من لطف
التشبيه

التشبيه واخرجه مخرج الاستعارة تصوير
الصوت الرافع صوته فوق الحاجة بصوت
النهاق وجعل المصوت كذلك حمارا مبالغة
في التهجين وتنبيها على انه من كراهة
بمكان فقال لصوت الحمير اي هذا الجنس
لما له من العلو المفرط من غير حاجة فان
كل حيوان قد يفهم من صوته انه يصيح من
ثقل او تعب كالبعير ولغير ذلك والحمار
لو مات تحت الحمل لا يصيح ولو قتل لا يصيح
وفي بعض اوقات عدم الحاجة
يصيح وينهق بصوت اوله زفير واخره
شهيق وهما فعلا اهل النار وافرد
الصوت ليكون نصا على ارادة الجنس
لئلا يظن ان الاجتماع شرط في ذلك ولذكر
الحمار مع ذلك من بلاغة الشتم والذم ما
ليس لغيره ولذلك يستهجن التصريح باسمه
بل يكنون عنه ويرغبون عن التصريح به
فيقولون الطويل الاذنين لا يكنى عن
الاشيا المستقذرة وقد عد في مساوي

Copyright © King Saud University

الاداب ان يجري ذكر الحمار في مجلس قوم من
ذوي المروة ومن العرب من لا يركب الحمار
استنكافا وان بلغت منه الرحلة وانما
ركبه صلى الله عليه وسلم لمخالفتهم عادتهم
واظهار التواضع من نفسه واما الرفع مع
الحاجة فغير مذموم فانه ليس بمستنكر ولا مستشنع
فان قيل كيف يفهم كونه انكر الاصوات مع
ان اخر المنشار بالمبرد ودق النحاس بالحديد
اشد صوتا اجيب من وجهين الاول
المراد انكر اصوات الحيوانات صوت الحمير
قال موسى بن اعين سمعت سفيان
الثوري يقول في قوله تعالى ان انكر الاصوات
لصوت الحمير قال صياح كل شي يسبح الله
تعالى الا الحمار وقال جعفر الصادق في
ذلك هي العطسة القبيحة المنكرة قال وهب
تكلم لقمان باثني عشر الف كلمة من الحكمة ادخلها
الناس في كلامهم ومن حكمته قال خالد
الربعي كان لقمان عبدا حبشيا فدفع اليه مولاه
شاة فقال له اذبحها واتني باطيب
مضغتين

مضغتين منها فاتاه باللسان والقلب ثم
دفع اليه شاة اخرى وقال اذبحها واتني
باخبث مضغتين منها فاتاه باللسان
والقلب فساله مولاه فقال ليس شي
اطيب منهما اذا طابا ولا اخبث منهما اذا خبثا
وقد مرت الاشارة الى ذلك ومن حكمته انه قال
لابنه يا بني ليتبين لك امر ارضيته وكرهته
الا جعلت في الضمير منك ان ذلك خير لك ثم
قال لابنه يا بني ان الله قد بعث نبيا هلم
حتى ناتيه فنصدقه فخرج على حمار وابنه
على حمار وتزودا ثم سارا اياما وليالي حتى
لقيتهما مغارة فاخذا اهبتهما لها فدخلا
فسارا ما شا الله تعالى حتى ظهرا وقد
تعالى النهار واشتد الحر ونفد الما والزاد
واستبطا حماريهما فنزلا وجعلا يشتدان
على سوقهما فبينما هما كذلك اذ نظر لقمان
امامه فاذا بسواد ودخان فقال
في نفسه السواد الشجر والدخان العمران
والناس فبينما هما يشتدان اذ وطي ابن

ناتی

لقمان على عظم ثاني على الطريق في مغشيا عليه
فوثب اليه لقمان وضمه الى صدره واخرج
العظم باسنانه ثم نظر اليه فذرفت عيناه
فقال يا ابت انت تبكي وانت تقول هذا
خير لي وقد نفد الطعام والما وبقيت انا
وانت في هذا المكان فان ذهبت وتركتني
على حالي ذهبت بهم وغم ما بقيت وان
اقمت معي متنا جميعا فقال يا بني اما بكا
فرقة الوالدين واما ما قلت كيف يكون
هذا خير فلعل ما صرفه عنك لاعظم مما
ابتليت به ولعل ما ابتليت به ايسر
مما صرف عنك ثم نظر لقمان امامه
فلم ير ذلك الدخان والسواد واذا بشخص
اقبل على فرس ابلق عليه ثياب بيض
وعمامة بيضا يمسح الهوا مسحا فلم
يزل يرمقه بعينه حتى كان منه قريبا
فتوارى عنه ثم صاح به انت لقمان
قال نعم قال انت الحكيم قال كذلك يقال
قال ما قال لك ابنك قال يا عبد الله
من

من انت اسمع كلامك ولا ارى وجهك قال
انا جبريل امرني ربي بخسف هذه المدينة
ومن فيها فاخبرت انكما تريدانها فدعوت
ربي ان يحبسكما عني بما شا فحبسكما بما
ابتلى به ابنك ولولا ذلك لخسفت بكما مع
من خسفت ثم مسح جبريل بيده على
قدم ابنه فاستوى قايما ومسح بيده
على الذي كان فيه الطعام فاستلا طعاما
وعلى الذي كان فيه الما فامتلا ما ثم حملها
وحماريهما على فرحل بهما كما يرحل الطير فاذا
هما في الدار الذي خرجا بعد ايام وليالي
وعن عبد الله بن دينار ان لقمان قدم من
سفر فلقي غلاما في الطريق فقال ما فعل
ابي قال مات قال الحمد لله ملكت امري
قال ما فعلت امي قال ماتت قال
ذهب همي قال ما فعلت امراتي قال
ماتت قال اجدد فراشي قال ما فعلت اختي
قال ماتت قال سترت عورتي قال ما
فعل اخي قال مات قال انقطع ظهري

Copyright © King Saud University

وعن ابي قلابة قال قيل للقمان اي الناس
اصبر قال صبر لا معه اذى قيل فاي الناس
اعلم قال من ازداد من علم الناس الى
علمه قال فاي الناس خير قال الغني
قيل الغني من المال قال لا قال الغنى
اذا التمس عنده خير وجد والا اغنى نفسه
عن الناس وعن سفيان قيل للقمان
اي الناس شر قال الذي لا يبالي ان يراه
الناس مسيا وعن عبد الله بن زيد
قال قال لقمان الا ان يد الله على افواه
الحكما ولا يتكلم احدهم الا ما هيا الله تعالى
له ولما استدل سبحانه وتعالى بقوله
تعالى خلق السموات بغير عمد على الوحدانية
وبين بحكمة لقمان ان معرفة ذلك غير
مختصة بالنبوة استدل ثانيا على الوحدانية
بالنعم بقوله تعالى الم تروا اي تعلموا علما هو
في ظهوره كالمشاهدة ان الله اي الجامع
لكل كمال سخر لكم اي لاجلكم ما في السموات
من الانارة والاظلام والشمس والقمر والنجوم
والسحاب

والسحاب والمطر والبرد وغير ذلك من الانعامات
مما لا يحصى قال والقمر والنجوم مسخرات
بامره وسخر لكم ما في الارض من البحار
والثمار والابار والانهار والدواب والمعادن
وغير ذلك مما لا يحصى واسبغ اي اوسع واتم
عليكم وقوله تعالى نعمه قراة نافع وابو عمرو
وحفص بفتح العين وبعد الميم هاء مضمومة
والباقون بسكون العين وبعد الميم تا
منصوبة منونا ومعناها الجمع ايضا كقوله
تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
واختلف في قوله تعالى ظاهرة وباطنة
على اقوال فقال عكرمة عن ابن عباس
النعمة الظاهرة القران والاسلام والباطنة
ما ستر عليك من الذنوب ولم يعجل عليك
بالنقمة وقال الضحاك الظاهرة حسن
الصورة وتسوية الاعضا والباطنة المعرفة
وقال مقاتل الظاهرة تسوية الخلق
والرزق والاسلام والباطنة ما ستر
من الذنوب وقال الربيع الظاهرة

الجوارح والباطنة القلب وقال عطا الظاهرة تخفيف
الشرايع والباطنة الشفاعة وقال مجاهد
الظاهرة ظهور الاسلام والنصر على الاعداء والباطنة
الامداد بالملايكة وقال سهل بن عبد الله الظاهرة
اتباع الرسول والباطنة محبته وقيل الظاهرة تمام
الرزق والباطنة حسن الخلق وقيل الظاهرة
الامداد بالملايكة والباطنة القاء الرعب في قلوب
الكفار وقيل الظاهرة الاقرار باللسان والباطنة
الاعتقاد بالقلب وقيل الظاهرة البصر والسمع واللسان
وساير الجوارح الظاهرة والباطنة بالقلب والعقل
والفهم وما اشبه ذلك ويروى في دعا موسى
عليه السلام الهي دلني على اخفا نعمتك على
عبادك فقال اخفى نعمتي عليهم النفس ويروى
ان ايسر ما يعذب به اهل النار الاخذ بالانفاس
ونزل في النضر بن الحارث وابي بن خلف
واشباههم كانوا يجادلون النبي صلى الله عليه
وسلم في الله وفي صفاته ومن الناس
اي اهل مكة من يجادل اي يحاج فلا اهو اعظم
من جداله ولا اكبر مثل كبره ولا اضلال مثل
ضلاله

ضلاله واظهر زيادة التشنيع على هذا المجادل
بقوله تعالى في الله اي المحيط علما وقدرة ثم
بين تعالى مجادلته انها بغير علم اي مستفاد
من دليل بل بالفاظ في ركاكة معانيها لعدم
استنادها الى حس ولا عقل يلحقه باصوات
الحيوانات العجم فكان بذلك حمارا تابعا للهوى
ولا هدى اي من رسول عهد منه سداد
الاقوال والافعال بما ابدى من المعجزات والايات
البينات فوجب اخذ اقواله مسلمة وان لم
يظهر معناها ولا كتاب اي من الله تعالى ثم
وصفه بما هو لازم له بقوله تعالى منير اي
بين غاية البيان بل انما يجادل بالتقليد كما قال
تعالى واذا قيل اي من اي قايل كان لهم
اي المجادلين هذا الجدال اي من اي قايل كان
اتبعوا ما انزل الله اي الذي خلقكم وخلق
اباكم الاولين قالوا جمودا لا انفعل بل نتبع وان
اتيتنا بكل دليل ما وجدنا عليه اباءنا لانهم
اثبت منا عقولا واقوم قيلا واهدى سبيلا
فهذه المجادلة في غاية القبح فان النبي

صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى كلام الله تعالى
وهم ياخذون بكلام اباىهم وبين كلام الله
تعالى وبين كلام العلما بون عظيم فكيف ما بين
كلام الله تعالى وكلام الجهال أ ولو اي ايتبعونهم
ولو كان الشيطان اي البعيد من الرحمة
المحترق باللعنة يدعوهم الى الضلال فيوبقهم
فيما يسخط الرحمن فيوديهم ذلك الى عذاب
السعير وجواب لو محذوف مثل ما اتبعوه
والاستفهام للانكار والتعجب والمعنى
ان الله تعالى يدعوهم الى الثواب والشيطان
يدعوهم الى العذاب وهم مع هذا يتبعون
الشيطان ولما بين تعالى حال المشرك
والمجادل في الله بين تعالى حال المسلم المستسلم
لامر الله تعالى بقوله تعالى ومن يسلم اي في الحال
والاستقبال وجهه اي قصده وتوجهه
وذاته كلها الى الله اي الذي له صفات الكمال
بان فوض امره اليه فلم يبق لنفسه امرا
اصلا فهو لا يتحرك الا بامر منه وامره سبحانه
وهو اي والحال انه محسن اي مخلص بباطنه
كما

كما اخلص بظاهره فهو دايما في حال الشهود
فقد استمسك اي اوجد الامساك بغاية ما
يقدر عليه من القوة في تادية الامور بالعروة
الوثقى اي اعتصم بالعهد الاوثق الذي لا
يخاف معه انقطاع لان اوثق جانب الله
تعالى فان كل ما عداه هالك منقطع وهو
باق لا انقطاع له وهذا من باب التمسك مثلت
حال المتوكل بحال من اراد ان يتدلى من شاهق
فاحتاط لنفسه بان استمسك باوثق عروة
من حبل متين مامون انقطاعه فان قيل كيف
قال هاهنا ومن يسلم وجهه الى الله فعداه
بالى وقال في البقرة بلى من اسلم وجهه
لله وهو محسن فعداه باللام اجيب
بان اسلم يتعدى تارة باللام وتارة بالى
كما يتعدى ارسل تارة باللام وتارة بالى قال
تعالى وارسلناك للناس رسولا وقال تعالى
كما ارسلنا الى فرعون رسولا والى الله الملك
الاعلى عاقبة الامور اي مصير جميع الاشيا
اليه كما ان منه باديتها وانما خص العاقبة

Copyright © King Saud University

لانهم مقرون بالبادية ولما بين تعالى حال المسلم رجع الى
بيان حال الكافر فقال تعالى ومن كفر اي من ستر
ما اداه اليه عقله من ان الله تعالى لا شريك له وانه لا
قدرة اصلا لاحد سواه ولم يسلم وجهه اليه فلا
يحزنك اي يهمك ويوجعك كفره كائنا من كان فانه
لم يفتك بشيء منه ولا معجز لنا ليحزنك ولا تبعة عليك
بسببه في الدنيا وفي الاخرة وافرد الضمير في كفره اعتبارا
بلفظ من لارادة التنصيص على كل فرد وفي التعبير
هنا بالماضي وفي الاول بالمضارع بشارة بدخول
كثير في هذا الدين وانهم لا يرتدون بعد اسلامهم
وترغيبا في الاسلام لكل من كان خارجا عنه
فالاية من الاحتباك ذكر الحزن ثانيا دليلا على حذف
ضده اولا وذكر الاستمساك اولا دليلا على حذف
ضده ثانيا الينا اي في الدارين مرجعهم فننبئهم
اي بسبب احاطتنا بامرهم وعقب رجوعهم بما عملوا
اي ونجازيهم عليه على ان افردنا ان الله اي الذي
لا كفوء له عليم اي محيط العلم بما له من الاحاطة باوصاف
الكمال بذات الصدور اي لا يخفى عليه سرهم
و

وعلانيتهم فينبئهم بما اسرت صدورهم نمتعهم
اي نمهلهم ليتمتعوا بنعيم الدنيا قليلا اي الى
انقضاء اجالهم فان كل ات قريب وانما يزول
بالنسبة الى ما يدوم قليل ثم نضطرهم اي نلجيهم
ونردهم في الاخرة الى عذاب غليظ اي شديد
ثقيل لا ينقطع عنهم اصلا ولا يجدون لهم منه محيصا
من جهة من جهاته فكانه في شدته وثقله
جرم غليظ جدا اذا برك على شيء لا يقدر على
الخلاص منه ثم انه تعالى سلى قلب النبي صلى
الله عليه وسلم بقوله تعالى فلا يحزنك كفرهم
اي لا تحزن على تكذيبهم فان صدقك وكذبهم
يتبين عن قريب وهو رجوعهم الينا على انه
لا يتأخر الى ذلك اليوم بل يتبين قبل يوم القيمة
كما قال تعالى ولئن اللام لام قسم سالتهم من
خلق السموات والارض اي بامرها ومن فيها
والارض كذا وقوله تعالى ليقولن الله اي المسمى
بهذا الاسم حذف منه نون الرفع لتوالي الامثال
وواو الضمير لالتقاء الساكنين فقد اقروا بان
كل ما اشركوا به بعض خلقه ومصنوع

Copyright © King Saud University

ولما تبين بذلك صدقه صلى الله عليه وسلم
وكذبهم قال الله تعالى مستانفا قل الحمد اي الاحاطة
بجميع اوصاف الكمال لله اي للذي له الاحاطة الشاملة
من غير تقييد بخلق الخافقين ولا غيره على ظهور
الحجة بما يوجب تصديقك ولما اثبت لنفسه
سبحانه وتعالى الاحاطة باوصاف الكمال استدل
على ذلك بقوله تعالى لله اي الملك الاعظم ما في
السموات كلها والارض كذلك ملكا وخلقا فلا
يستحق العبادة فيهما غيره ولما ثبت ذلك
انتج قطعا قوله تعالى ان الله اي الذي لا كفو له
هو اي وحده الغني مطلقا لان جميع الاشياء
له ومحتاجة اليه وليس محتاجا الى شي اصلا
الحميد اي المستحق لجميع المحامد لانه المنعم
على الاطلاق المحمود بكل لسان من السنة
الاحوال والاقوال لانه هو الذي انطقها من
قيد الخرس اطلقها ولما قال تعالى لله
ما في السموات والارض فيهما وحكم العقل
الصريح بتناهيهما بين تعالى انه لا حد
ولا ضبط لمعلوماته ومقدوراته

الموجبة

الموجبة لحمده بقوله تعالى ولو ان ما في الارض
اي كلها ودل على الاستغراق وتقضي كل فرد
فرد من الجنس بقوله تعالى من شجرة حيث وحدها
اقلام اي والشجرة يمدها من بعدها على سبيل
المبالغة سبع شجرات وان ما في الارض
من البحر مداد لتلك الاقلام والبحر اي والحال ان
البحر يمده اي يكون مدادا له وزيادة فيه
من بعده اي من ورائه سبعة ابحر تكتب
تلك الاقلام وذلك المداد الذي الارض كلها له
دواة ما نفدت كلمات الله وفنيت الاقلام
والمداد قال المفسرون نزل بمكة قوله تعالى
ويسالونك عن الروح الى قوله وما اوتيتم من
العلم الا قليلا فلما هاجر رسول الله صلى الله
عليه وسلم اتاه احبار اليهود فقالوا يا محمد
بلغنا انك تقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا
افعنيتنا ام قومك فقال صلى الله عليه وسلم
كلا قد عنيت فقالوا الست تقول فيما جاءك
انا اوتينا التورية وفيها علم كل شي فقال
صلى الله عليه وسلم هي في علم الله تعالى

Copyright © King Saud University

تعالى قليل وقد اتاكم ما ان علمتم به انتفعتم
قالوا يا محمد كيف تزعم هذا وانت تقول
ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا فكيف
يجتمع هذا علم قليل وخير كثير فانزل الله
تعالى هذه الاية وقال قتادة ان
المشركين قالوا ان القران وما ياتي به محمد
يوشك ان ينفد فينقطع فنزلت فان
قيل كان مقتضى الكلام ان يقال ولو ان
الشجرة اقلام والبحر مدادا اجيب
بانه اغنى عن ذكر المداد قوله تعالى يمده
لانه من مد الدواة وامدها جعل
البحر الاعظم بمنزلة الدواة وجعل الابحر
السبعة مملوءة مدادا فهي تصب فيه مدادها
ابدا صبا لا ينقطع والمعنى ولو ان اشجار
الارض اقلام والبحر ممدود بسبعة ابحر
وكتبت بتلك الاقلام وبذلك المداد
كلمات الله ما نفدت كلماته ونفدت الاقلام
والمراد كقوله تعالى قل لو كان البحر مدادا
لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد
كلمات

كلمات ربي لان المحصور لا يفي بما ليس بمحصور
فيما لها من عظمة لا تتناهى ومن كبريا لا تجازى
ولا تضاهى فان قيل لم قيل من شجرة
على التوحيد دون اسم الجنس اجيب
بانه اريد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة
شجرة حتى لا يبقى جنس الشجر ولا واحدة
الا وقد بريت اقلاما فان قيل الكلمات
جمع قلة والموضع موضع التكثير لا التقليل
فهلا قيل كلم الله اجيب بان معناه
ان كلماته لا تفي بها البحار فكيف بكلمه وقرا
ابو عمرو والبحر بنصب الراء وذلك من وجهين
احدهما العطف على اسم ان اي ولو ان البحر
يمده الخبر والثاني النصب بفعل مضمر
يفسره يمده والواو حينئذ للحال والجملة حالية
ولم يحتج الى ضمير رابط بين الحال وصاحبها
للاستغنا عنه بالواو والتقدير ولو ان الذي
في الارض حال كون البحر ممدودا بكذا وقرا
الباقون برفع الراء وذلك من وجهين ايضا
احدهما العطف على اسم ان وما في حيزها

Copyright © King Saud University

والثاني انه مبتدا وبعده الخبر والجملة حالية
والرابط الواو وتنبيه قوله تعالى سبعة ليس
لانحصارها في سبعة وانما الاشارة الى المدد
والكثرة ولو بالغ بحر وانما خصصت السبعة
بالذكر من بين الاعداد لانها عدد كثير
يحصر المعدودات في العادة ويدل على ذلك
وجهان الاول ان المعلوم عند كل احد
لحاجته اليه بعد الزمان والمكان فالزمان
منحصر في سبعة ايام والمكان منحصر
في سبعة اقاليم ولان الكواكب السيارة
سبعة والمنجمون ينسبون اليها امورا
فصارت السبعة كالعدد الحاصل للمكررات
الواقعة في العدد فاستعملت في كل كثير
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم المومن
ياكل في معا واحد والكافر ياكل في سبعة
امعا الثاني ان في السبعة معنى يخصها
ولذلك كانت السموات سبعا والارضون
سبعا وابواب جهنم سبعا وابواب

الجنة

الجنة ثمانية لانها الحسنى وزيادة فالزيادة
هي الثامن لان العرب عند الثامن يزيدون
واو العقول الى الها واو الثمانية وليس ذلك
الا للاستيناف لان العدد تم بالسبعة
ثم بين نتيجة ذلك بقوله تعالى ان الله
اي المحيط بكل شي قدرة وعلما عزيز اي
كامل القدرة لانها يتعلق وراثه حكيم
اي كامل العلم لانها يتعلق بالمعلومات تنبيه
قد علم مما تقرر ان الاية من الاحتباك ذكر
الاقلام دليلا على حذف مدادها وذكر
السبعة في مبالغة الابحر دليلا على حذفها
في الاشجار ولما ختم تعالى بهاتين الصفتين
بعد اثبات القدرة على الايداع من غير
انها ذكر بعض اثارها في البعث بقوله تعالى
ما خلقكم اي كلكم في عزته وحكمته الا كخلق نفس
واحدة واعاد الثاني نصا على كل واحد
من الخلق والبعث على حدته بقوله تعالى
ولا بعثكم اي كلكم الا كنفس اي كبعث نفس
وبين الافراد تحقيقا للمراد تاكيدا للسهولة

Copyright © King Saud University

بقوله تعالى **واحدة** فان كلماته مع كونها غير نافدة
وقدرته مع كونها باقية بالغة فنسبة القليل
والكثير الى قدرته على حد سوا لانه لا يشغله
شان عن شان ثم دل على ذلك بقوله تعالى
موكدا **ان الله** اي الملك الاعلى **سميع** اي بالغ
السمع يسمع كل مسموع **بصير** اي بليغ البصر
يبصر كل مبصر لا يشغله شي عن شي ولما
قرر تعالى هذه الاية الخارقة دل عليه
بامر محسوس يشاهد كل يوم مرتين بقوله
تعالى **الم تر** وهو يحتمل بوجهين احدهما ان
يكون الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم
وعليه الاكثر وكانه تعالى ترك الخطاب مع
غيره لان من هو غيره من الكفار لا فايدة
للخطاب معهم ومن هو غيره من المومنين
فهم تبع له والوجه الثاني المراد منه
الوعظ والوعظ يخاطب ولا يعين احدا
فيقول لجمع عظيم يا مسكين الى الله مصيرك
فمن نصرك ولماذا تقصيرك **ان الله** اي
بجلاله وعز كماله **يولج** اي يدخل ادخالا

لا

لا مرية فيه **الليل في النهار** فيغيب فيه بحيث لا
يرى شي من الليل فان النهار قد عم الارض
كلها اسرع من اللمح **ويولج النهار** اي يدخله
كذلك **في الليل** فيخفى حتى لا يبقى له اثر فان
الليل قد طبق الافاق مشارقها ومغاربها
في مثل الطرف فيميز سبحانه كلا منهما من الاخر
بعد اضمحلاله فكذلك الخلق والبعث في قدرته
بعزته وحكمته لبلوغ سمعه ونفوذ بصره
وسخر الشمس اية النهار يدخل الليل فيه **والقمر**
اية الليل كذلك ثم استانف ما سخرا فيه بقوله
تعالى **كل** اي منهما **يجري** في فلكه سايرا متماديا
وبالغا ومنتهيا **الى اجل مسمى** لا يتعداه في منازل
معروفة في جميع الفلك لا يزيد ولا ينقص هذا
في الشهر مرة وتلك في السنة مرة لا يقدر
واحد منهما ان يتعدا طوره ولا ان ينقص
دوره ولا ان يغير سيره تنبيه قال
تعالى يولج بصيغة المستقبل وقال
في الشمس والقمر وسخر بصيغة الماضي لان
ايلاج الليل في النهار امر يتجدد كل يوم وتسخير

الشمس والقمر امر مستمر كما قال تعالى حتى عاد
كالعرجون القديم وقال ههنا الى اجل
وفي الزمر لاجل لان المعتبرين لايقان بالحرفين
فلا عليك في ايهما وقع قال الاكثرون هذا
خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمومنين
وقيل عام ولما كان الليل والنهار محل الافعال
بين ان ما يقع في هذين الزمانين اللذين
هما ينصرف الله لايخفى عليه بقوله تعالى
وان الله اي بماله من صفات الكمال
بما تعملون اي في كل وقت على سبيل التجدد
خبير اي لايخفى عليه شي منه لانه الخالق له
كله دقه وجله ولما ثبت بهذه الاوصاف
الحسنى والافعال العلى انه لاموجد بالحقيقة
الا الله تعالى قال تعالى ذلك اي المذكور
بان اي بسبب ان الله اي الذي لا عظيم سواه
هو وحده الحق اي بسبب انه الثابت في ذاته
الواجب من جميع جهاته المستحق للعبادة
وان ما يدعون اي هولا المختوم على مداركهم
واشار الى سفول رتبتهم بقوله تعالى من دونه
اي غيره

اي غيره الباطل اي العدم في حد ذاته لايستحق
ان تضاف اليه الالهية بوجه من الوجوه وقرا
ابو عمرو وحمزة والكساي وحفص يدعون
بالياء على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب
وان مقطوعة في ما في الرسم وان الله اي الملك
الاعظم وحده هو العلي على خلقه بالقهر
فله الصفات العلى والاسما الحسنى الكبير اي العظيم
في ذاته وصفاته ولما قال تعالى الم تر ان الله
يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر
الشمس والقمر ذكر اية سماوية واشار الى السبب
والمسبب ذكر بعد اية ارضية تدل على باهر
قدرته وكمال نعمته وشمول انعامه واشار
الى السبب والمسبب بقوله تعالى الم تر
وفي المخاطب بذلك ما تقدم ان الفلك اي
السفن كبارا وصغارا تجري اي بكم حاملة
ما تعجزون عن نقل مثله في البر في البحر
اي على وجه الما بنعمة الله اي بانعام الملك
الاعلى المحيط علما وقدرة المحسن اليكم بتعليم
صفتها حتى تهيات كذلك على يد ابيكم نوح

Copyright King Saud University

العبد الشكور عليه السلام وقيل نعمة الله هنا
هي الريح التي بامر الله ليريكم من اياته اي من
عجايب قدرته ودلايله التي تدلكم على انه
الحق الذي اثبت بوجوده وجود ما ترون
من الاحمال الثقال على وجه الماء الذي
ترسب فيه الابرة فما دونها ان في ذلك اي
الامر الهايل البديع الرفيع لايات اي دلالات
واضحات على ما له من صفات الكمال لكل
صبار على المشاق فيبعث نفسه في التفكر
في عدم غرقه في مسيره الى البلاد الشاسعه
والاقطار البعيدة وفي كونه سيره ذهابا
وايابا تارة بريحين وتارة بريح وفي انجا
ابيه نوح عليه السلام ومن اراد الله تعالى
من خلقه به واغراق غيرهم من جميع اهل
الارض وفي غير ذلك من شونه وامورها شكور
اي مبالغ في كل من الصبر والشكر لانهما الايمان
كما ورد الايمان نصفان نصف صبر ونصف
شكر وعلم من صيغة المبالغة في كل منهما
انه لا يعرف قدرها من عظمة الله ما كان
يعرفه

يعرفه في الشدة الا من طبعهم الله تعالى على ذلك
ووفقهم له واعانهم عليه ولهذا قال تعالى
وقليل من عبادي الشكور وها انا اسال الله تعالى
الحنان المنان من فضله ان يجعلني منهم
ويفعل ذلك باهلي واحبابي فانه كريم جواد
ولما ذكر تعالى ان في ذلك لايات ذكر ان الكل
معترفون غير ان البصير يدركه اولا ومن في
بصيرته ضعف لا يدركه اولا كما قال تعالى
واذا غشيهم اي علاهم وهم في الفلك حتى صار
كالمغطي لهم موج اي هذا الجنس وافرده
لشدة اضطرابه واتيانه شيا في اثر شي متتابعا
يركب بعضه بعضا كانه شي واحد واصله
من الحركة والازدحام واختلف في قوله تعالى
كالظلل فقال مقاتل كالجبال وقال الكلبي
كالسحاب والظلل جمع ظله شبه بها الموج في
كثرتها وارتفاعها فان قيل كيف جعل الموج
وهو واحد كالظلل وهو جمع اجيب
بان الموج ياتي منه شي بعد شي فلما
صار والى هذه الحالة دعوا الله

اي مستحضرين لما يقدر عليه الانسان من كماله بجلاله
وجماله عالمين بجميع مضمون الاية السابقة من
حقيقته وعلوه وكبريايه وبطلان ما يدعون
من دونه **مخلصين له الدين** اى الدعا بان ينجيهم
لا يدعون شيا سواه بانفسهم ولا قلوبهم لما اضطروا
الى ذلك **فلما نجاهم** اي خلصهم من تلك الاهوال
الى البر نزلوا عن تلك المرتبة الذين اخلصوا فيها
الدين اي الدعا وانقسموا قسمين **فمنهم** اي تسبب
عن نعمة الانجا انه كان منهم **مقتصد** اي عدل
موف في البر بما عاهد الله عليه في البحر من
التوحيد له بمعنى ثبت على ذلك وهم قليل
ما دل عليه التصريح بالتبعيض قيل نزلت في
عكرمة بن ابي جهل هرب في عام الفتح الى البحر
فجاتهم ريح عاصف فقال عكرمة لئن نجاني الله
من هذه لارجعن الى محمد صلى الله عليه وسلم
ولاضعن يدي في يده فسكنت الريح فرجع
عكرمة الى مكة فاسلم وحسن اسلامه وقال
مجاهد مقتصد في القول مضمر للكفر وقال
الكلبي مقتصد في القول اي من الكفار لان
بعضهم كان اشد قولا واعلا في الافترا

من

من بعض ومنهم من جاحد للنعمة ملق
لجلباب الحيا في التصريح بذلك وهو الاكثر
كما دل عليه ترك التصريح فيه بالتبعيض
فان قيل ما الحكمة في قوله تعالى في العنكبوت
فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد اجيب بانه
لما ذكرها هنا امرا عظيما وهو الموج الذي
الذي كالجبال بقي اثر ذلك في قلوبهم فخرج منهم
مقتصد وهناك لم يذكر مع ركوب البحر معاينة
مثل ذلك الامر فذكر اشراكهم حيث لم يبق عندهم
اثر وقوله تعالى **وما يجحد باياتنا الا كل ختار**
اي غدار فانه نقض للعهد الفطري اي لما
كان في البحر والبحر اشد الغدر **كفور** اي للنعم
في مقابلة قوله تعالى ان في ذلك لايات
اي يعترف بها الصبار الشكور ويجحدها
الختار الكفور فالصبار في موازنة الشكور
كذلك لما لفظا فيهما فظاهر واما كون الختار
في موازنته يعني فلان الختار وهو الغدار
الكثير الغدر وشديد الغدر مثال
مبالغة من الختر وهو اشد الغدر

والعذر لا يكون الا من قلة الصبر لان الصبور لا
يعهد منه الاضرار فانه يصبر ويعرض الامر
الى الله تعالى واما الغدار فيعاهدك ولا يصبر
على العهد فينقضه واما الكفور في مقابلة
الشكور معنى فظاهر ولما ذكر تعالى الدلايل
من اول السورة الى هنا وعظا بالتقوى
بقوله تعالى يايها الناس اي عامة وقيل اهل
مكة اتقوا ربكم اي الذي لا يحسن اليكم غيره
واخشوا اي خافوا يوما لا يشبه الايام وهول
يعدل هول البحر ولا غيره عنه ادنى هول من
اهواله شيء بوجه لا يجزي اي لا يقضي ولا
يغني والد عن ولده والراجع الى الوصف محذوف
اي لا يجزي فيه وفي التعبير بالمضارع اشارة
الى ان الوالد لا يزال تدعوه الوالدية الى
الشفقة على الولد وتجدد عند العطف
والرقة والمفعول اما محذوف لانه اشد
في النفي واما مدلول عليه بما في الشق الذي
بعده وقوله تعالى ولا مولود عطف على
والد ومبتدا خبره هو جاز عن والده اي
فيه

اي فيه شيئا من الجزا وتغيير النظم للدلالة
على ان المولود اولى بانه لا يجزي وقطع طمع
من توقع من المومنين ان ينفع اباه الكافر
في الاخرة ان وعد الله اي الذي له سعا قد
العز والجلال حق اي ان هذا اليوم الذي
هذا شانه هو كاين لان الله تعالى وعده
ووعده حق وقيل ان وعد الله حق
بانه لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو
جاز عن والده شيئا لانه وعد بانه لا تزر
وازرة وزر اخرى ووعد الله حق
فلا تغرنكم الحياة الدنيا بزخرفها ورونقها
فانها زايلة لوقوع اليوم المذكور بالوعد
الحق ولا يغرنكم بالله اي الذي لا اعظم
منه ولا امكاني مع ولايته معكم الغرور
اي الكثير الغرور المبالغ فيه وهو الشيطان
الذي احقر منه لما جمع من البعد والطرد
والاحتراق مع عداوته بما يزين لكم من
امرها ويلهيكم به من تعظيم قدرها
وينسيكم كيدها وغدرها وتعبها

Copyright © King Saud University

واذا ها فيوجب ذلك لكم الاعراض عن ذلك اليوم
فلا تعدونه معادا فلا تتخذون له زادا لما
لما اقترن بغروره من علم الله تعالى وامهاله
قال سعيد بن جبير الغرة بالله ان يعمل
بالمعصية ويتمنى المغفرة وروي ان الحارث
ابن عمرو اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال متى قيام الساعة واني قد القيت حبا
في الارض فمتى السما تمطر وحمل امراتي اذكر ام
انثى وما اعمل غدا واين اموت فنزل قوله تعالى
ان الله اي بما له من العظمة وجميع اوصاف
الكمال عنده اي خاصة علم الساعة اي وقت
قيامها لا علم لغيره بذلك اصلا وينزل الغيث
اي في اوانه المقدر له والمحل المعين له في علمه
وقرا نافع وابن عامر وعاصم بفتح النون
وتشديد الزاي، والباقون بسكون النون
وتخفيف الزاي ويعلم ما في الارحام اي من ذكر
او انثى احي ام ميت تام او ناقص وما تدري
نفس اي من الانفس البشرية وغيرها ماذا
تكسب غدا اي من خير او شر ربما تقوم
على

على شيء وتفعل خلافه وما تدري نفس باي ارض
تموت اي كما لا تدري في اي وقت تموت وبعلمه
الله تعالى وروي عن ابي حاتم عن مجاهد
قال جا رجل من اهل البادية فقال يا رسول الله
ان امراتي حبلى فاخبرني متى تلد وبلادنا
مجدبة فاخبرني متى ينزل الغيث وقد علمت متى
ولدت فاخبرني متى تلد وبلادنا اموت
فانزل الله هذه الاية وعن عكرمة ان رجلا
يقال له الوارث من بني مازن جا الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد متى قيام
الساعة وقد اجدبت بلادنا فمتى تخصب
وقد تركت امراتي حبلى فمتى تلد وقد علمت
ما كسبت اليوم فماذا اكسب غدا وقد علمت
باي ارض ولدت فباي ارض اموت فنزلت هذه
الاية وعن قتادة قال خمس من الغيب
استاثر الله بهن فلم يطلع عليهن ملكا مقربا
ولا نبيا مرسلا ان الله عنده علم الساعة ولا يدري
احد من الناس متى تقوم الساعة في اي سنة
ولا في شهر ليلا ام نهارا وينزل الغيث

فلا يعلم احد متى ينزل الغيث ليلا ام نهارا ويعلم ما في
الارحام فلا يعلم احد ما في الارحام اذكر ام انثى
احمر او اسود وما تدري نفس ماذا تكسب
غدا اخير ام شر وما تدري نفس باي ارض
تموت ليس احد من الناس يدري اين مضجعه
من الارض الي بحر ام في بر ام سهل ام جبل
وعن احمد بن ابي شيبة موقوفا على شهر بن
حوشب ان ملك الموت امر على سليمن فجعل
ينظر الى رجل من جلسايه يديم النظر اليه فقال
الرجل من هذا فقال ملك الموت كان دوام
نظري اليه تعجبا منه اذا امرت ان اقبض روحه
بالهند وهو عندك وعن ابن عمر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم مفاتيح الغيب
خمس لا يعلمهن الا الله لا يعلم ما في غد الا الله
ولا متى تقوم الساعة الا الله ولا ما في الارحام
الا الله ولا متى تقوم الساعة لمنزل الغيث
الا الله وما تدري نفس باي ارض تموت
الا الله وعن ابي هريرة ان رجلا قال يا
رسول الله متى الساعة قال ما المسئول

عنها

عنها باعلم من السايل ولكن ساحدثكم باشراطها
اذا ولدت الامة ربتها فذاك من اشراطها
واذا كانت الحفاة الرعاة روس الناس فذاك
من اشراطها واذا تطاول رعا الغنم في البنيان
فذاك من اشراطها في خمس من الغيب لا يعلمهن الا
الله ثم تلا ان الله عنده علم الساعة الاية
وعن ابي امامة ان اعرابيا وقف على النبي صلى
الله عليه وسلم يوم بدر على ناقة له عشرا
فقال يا محمد ما في بطن ناقتي هذه فقال له
رجل من الانصار دع عنك رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهلم الي حتى اخبرك وقعت
انت عليها وفي بطنها ولد منك فاعرض عنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال
ان الله يحب كل حي كريم ويبغض كل فاحش
لييم متفحش ثم اقبل على الاعرابي فقال
خمس لا يعلمهن الا الله ان الله عنده علم
الساعة الاية وعن سلمة بن الاكوع قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبة
حمرا اذ جاءه رجل على فرس فقال له من انت

Copyright © King Saud University

قال له انا رسول الله قال متى الساعة قال غيب
ومما يعلم الغيب الا الله قال ما في بطن فرسي قال
غيب وما يعلم الغيب الا الله وعن ابن عمر ان
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اوتيت
مفاتيح كل شي الا الخمس ان الله عنده علم الساعة
وعن ابن مسعود قال اوتي نبيكم صلى الله
عليه وسلم مفاتيح كل شي الا الخمس ان الله عنده
علم الساعة الاية وعن علي بن ابي طالب رضي
الله عنه لم يغم على نبيكم الا الخمس من سرائر
الغيب هذه الاية في اخر لقمان ان الله عنده
علم الساعة الى اخر السورة وعن ربعي قال
حدثني رجل من بني عامر انه قال يا رسول
الله هل بقي من العلم شي لا تعلمه فقال لقد
علمني الله خيرا وان من العلم ما لا يعلمه الا الله
الخمس ان الله عنده علم الساعة الاية
وعن بنت معوذ قال دخل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم صبيحة عرسي وعندي
جاريتان تغنيان وتقولان وفينا نبي
يعلم ما في غد فقال اما هذا فلا تقولاه
ما

ما يعلم ما في غد الا الله تعالى وعن ابي عزة
الهذلي قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا اراد الله قبض عبد بارض
جعل له اليها حاجة فلم ينتبه حتى يقدمها
ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تدري
نفس باي ارض تموت وعن ابي مالك ان النبي
صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس في مجلس
فيه اصحابه جاءه جبريل في غير صورته يحسبه
رجلا من المسلمين فسلم عليه فرد عليه السلام
ثم وضع يده على ركبتي النبي صلى الله عليه وسلم
بينما هو جالس قال يا رسول الله ما الاسلام
قال ان تسلم لله وجهك وتشهد ان لا اله
الا الله وان محمدا عبده ورسوله وتقيم الصلاة
وتوتي الزكاة قال فاذا فعلت ذلك فقد
اسلمت قال نعم قال ما الايمان قال ان تومن
بالله واليوم الاخر والملايكة والكتاب والنبيين
والموت والحياة بعد الموت والجنة والنار
والحساب والميزان والقدر خيره وشره قال
فاذا فعلت ذلك فقد امنت قال نعم ثم

قال ما الاحسان قال ان تعبد الله كانك تراه فان
كنت لا تراه فانه يراك قال فاذا فعلت ذلك فقد
احسنت قال نعم فمتى الساعة يا رسول الله
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس من
الغيب لا يعلمها الا الله ان الله عنده علم الساعة
وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري
نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي
ارض تموت ان الله اي المختص باوصاف الكمال عليم
اي شامل علمه للامور كلها كلياتها وجزئياتها
فاثبت العلم المطلق لنفسه بعد ان نفاه
عن الغير في هذه الخمس خبير اي يعلم خبايا
الامور وخفايا الصدور كما يعلم ظواهرها
وجلاياها كل عنده على حد سوا وهو الحكيم
في ذاته وصفاته ولذلك اخفى هذه المفاتيح
عن عباده لانه لو اطلعهم عليها لفات كثير
من الحكم باختلال هذا النظام على ما فيه من
الاحكام فقد انطبق اخر السورة على اثبات
الحكمة باثبات العلم والخبر مع تقرير امر الساعة
التي هي مفتاح الدار الاخرة على اولها المخبر بحكمة

صفته

صفته التي من علمها حق علمها وتخلق بما دعت
اليه وحضت عليه لا سيما الايقان بالاخرة
كان حكيما فسبحان من هذا كلامه وتعالى
كبرياوه وعز مرامه وما رواه البيضاوي
تبعا للزمخشري من ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من قرا سورة لقمان كان له
لقمان رفيقا يوم القيمة واعطي من الحسنات
عشرا بعدد من عمل المعروف ونهى عن المنكر
حديث موضوع سورة السجدة مكية
وهي ثلاثون اية وثلثماية وثمانون كلمة والف
وخمسماية وثمانية عشر حرفا بسم الله ذي الجلال
والاكرام الرحمن بعموم البشارة والنذارة الرحيم
الذي اسكن في قلوب احبابه الشوق اليه
والخضوع بين يديه وتقدم في البقرة وغيرها
الكلام على الم ومما لم يسبق بها اشارة الى ان الله
تعالى ارسل رسوله جبريل عليه السلام الى محمد
الفاتح الخاتم صلى الله عليه وسلم بكتاب
معجز دال باعجازه على صحة رسالته ووحدانية
من ارسله وسرد سبحنه وتعالى هذه الاحرف

Copyright © King Saud University

في اوايل اربع من هذه السور فزادت على الطواسين
بواحدة اشارة الى ان هذه المعاني في غاية
الثبات لا انقطاع لها ولما كان المقصود في
التي قبلها اثبات الحكمة لمنزل هذا الكتاب
الذي فيه تبيان كل شي اخبر سبحنه وتعالى
عن هذا بانه من عنده بقوله تعالى تنزيل
الكتاب اي الجامع لكل هدى على ما ترون
من التدريج من السما لا ريب اي لا شك فيه
لان نافي الشك هو الاعجاز معه لا ينفك
عنه فكل ما تقولونه مما يخالف ذلك تعنت
او جهل غير ريب حال كونه من رب العالمين
اي الخالق لهم المدبر لمصالحهم فلا يجوز في عقل
ولا يخطر في بال ولا يقع في وهم ولا يتصور في
خيال انه يصل شي من كتابه تعالى الى هذا
النبي صلى الله عليه وسلم الكريم بغير امره
ولا يتخيل ان شيا منه ليس بقول الله تعالى
بل لا يتخيل انه من كلامه ولكنه اخذه من بعض
اهل الكتاب لان هذا لا يوهل مع بعض
الملوك فكيف بملك الملوك فكيف بمن هو
عالم

عالم بالسر والجهر محيط علمه بالخفي والجلي
تنبيه في تنزيل الكتاب اعرابات مختلفه
واظهرها ما جرى عليه الجلال المحلي من
ان تنزيل الكتاب مبتدا ولا ريب فيه خبر
اول ومن رب العالمين خبر ثان وقوله تعالى
ام يقولون اي مع ذلك الذي لا يمتري فيه عاقل
افتراه اي تعمد كذبه ام فيه هي المنقطعة والاضراب
للانتقال لا للابطال وقيل الميم صلة اي تقولون
افتراه وقوله تعالى بل هو الحق اي الثابت
ثباتا لا يضاهيه ثبات شي من الكتب قبله
اضراب ثاني ولو قيل بانه اضراب ابطال
لنفس افتراه وحده لكان صوابا وعلى هذا
يقال كل ما في القران اضراب فهو اضراب
انتقال الا هذا فانه يجوز ان يكون ابطالا
لانه ابطال لقولهم اي ليس هو كما قالوا مفترى
بل هو الحق وفي كلام الزمخشري ما يرشد
الى هذا فانه قال والضمير في فيه راجع الى
مضمون الجملة كانه قيل لا ريب في ذلك اي
في كونه من رب العالمين قال ابن عادل

Copyright © King Saud University

ويشهد لوجاهته انه يقول افتراه لان قولهم
هذا مفترى انكار لان يكون من رب العالمين
وكذلك قوله تعالى بل هو الحق من ربك
وما فيه من تقرير انه من عند الله وهذا
اسلوب صحيح محكم انتهى وقوله تعالى من ربك
اي المحسن اليك بانزاله واحكامه حال من الحق
والعامل فيه محذوف على القاعدة وهو
العامل ايضا في لتنذر ويجوز ان يكون العامل
في لتنذر غيره اي انزله لتنذر قوما اي ذوي
قوة وجلد ومنعة ما اتاهم من نذير اي
رسول في هذه الازمان القريبة لقول
ابن عباس ان المراد الفترة ويؤيده اثبات
الجار في قوله تعالى من قبلك ولما ذكر تعالى
علة الانزال اتبعه علة الانذار بقوله تعالى
لعلهم يهتدون اي ليكون حالهم في مجاري
العادات حال من ترجى هدايته الى كمال
الشريعة واما التوحيد فلا عذر لاحد فيه
مع اقامة الله تعالى من حجة العقل مع ما
القته الرسل عليهم الصلاة والسلام ادم

فمن

فمن بعده منا وضح النقل بانار دعواتهم
وتعايا دلالتهم ولذلك قال صلى الله عليه
وسلم لمن سال عن ابيه ابي وابوك في
النار وغير ذلك من الادلة الدالة على ان
من مات قبل دعوته على الشرك فهو في النار
ذكر بعض العلما ان من خصايصه صلى الله
عليه وسلم ان الله تعالى احيي له ابويه
واسلما على يديه ولا بدع في ذلك فان الله
تعالى اكرمه باشيا لا تحصى ولما ذكر تعالى الرسالة
وبين ما على الرسول من الدعا الى التوحيد
واقامة الدليل قال الله اي الحاوي لجميع
صفات الكمال وحده الذي خلق السموات
كلها والارض باسرها وما بينهما من المنافع
العينيه والمعنوية في ستة ايام كما ياتي تفصيله
في فصلت ان شا الله تعالى ثم استوى على
العرش وهو في اللغة سرير الملك استوى
يليق به لم تعهدوا مثله وهو انه تعالى
احد في تدبيره وتدبير ما حواه بنفسه
لا شريك له ولا نايب ولا وزير كما تعهدون

من ملوك الدنيا اذا امتنعت ممالكهم وتباعدت
اطرافها وتنات اقطارها مالكم من دونه لان
كل ماسواه دونه وتحت قهره وراعلى عموم
النفي بقوله تعالى من ولي اي يلي اموركم ويقوم
بمصالحكم وينصركم اذا حل بكم شي مما تنذرون
به ولا شفيع يشفع عنده في تدبيركم او في
احد منكم بغير اذن افلا تتذكرون هذا
فتومنون ولما نفى ان يكون له وزير او شريك
في الخلق ذكر كيف يفعل في هذا الملك العظيم
الذي ابدعه فقال مستانفا مفسرا للمراد
بالاستوا يدبر الامر اي كل امر هذا العالم بان
يفعل في ذلك فعل الناظر في ادبارها لاتقان
خواتمه ولوازمه كما نظر في اقباله لاحكام
فواتحه وعوازمه لا يكل شيا منه الى احد
من خلقه قال الرازي في اللوامع وهذا
دليل على ان استواه على العرش بمعنى
اظهاره القدرة والعرش مظهر التدبير
لا مع التدبر ولما كان المقصود للعرب
انما هو تدبير ما يمكن مشاهدتهم له من
العالم

العالم قال تعالى مفردا من السما اي فينزل
ذلك الامر الذي اتقنه كما يتقن من ينظر في ادبار
ما يعمله الى الارض اي غير منفرض الى ما فوق
ذلك على ان السما تشمل كل عال فيدخل جميع
العالم العلوي والارض تشمل كل ما سفل فيشمل
ذلك العالم السفلي تنبيه هاهنا همزتان
مكسورتان فقالون وابن كثير يسهل الاولى
كالياء مع المد والقصر وورش وقنبل يسهل
الثانية ولهم في ابدالها من غير مد واسقط ابو عمرو
الاولى مع المد والقصر والباقون بتخفيفهما ولما
كان الصعود اشق من النزول على ما جرت
به العوايد فكان بذلك مستبعدا اشار
بذلك بقوله تعالى ثم يعرج اي يصعد اليه
بصعود الملك الى الله تعالى اي الى الموضع
الذي شرفه او امره بالكون فيه كقوله تعالى
اني ذاهب الى ربي ومن يخرج من بيته مهاجرا
الى الله ورسوله ونحو ذلك او الى الموضع الذي
ابتداء منه نزول التدابير الى السما كانه صاعد
في معارج وهي الدرج على ما تتعارفون بينكم

في اسرع من لمح البصر في يوم اي من ايام الدنيا كان
مقداره لو كان الصاعد واحدا منكم على ما تعهدون
الف سنة مما تعدون من سنينكم التي تعهدون قال
البقاعي والذي دل على هذا التقدير شي من العرف
وشي من اللفظ اما اللفظ فالتعبير بكان مع
انتظام الكلام بدونها لو اراد غير ذلك واما العرف
فهو ان الانسان المتمكن يبني البيت العظيم العالي في
سنة مثلها فاذا فرغ صعد الى خادمه اعلاه
في اقل من درجتين من درج الرمل فلا يكون نسبة
ذلك من زمن بنايه الاجزوا ولا يعد هذا وهو
خلق محتاج فما ظنك بمن خلق الخلق في ستة ايام
ولو شا لخلقهم في لمحة وهو غني عن كل شي
قادر على كل شي انتهي فنزول الامر وعروج
العمل في مسافة الف سنة ويعرج في خمسماية
فهو مقدار الف سنة كانه تعالى يقول لو سار
احد من بني ادم لم يقطعه الا في الف سنة
والملايكة يقطعونه في يوم واحد هذا
في وصف عروج الملك من الارض الى السما
واما قوله تعالى تعرج الملايكة والروح اليه

في

٢٦١

خمسين
في يوم كان مقداره الف سنة في يوم من ايام
الدنيا قاله مجاهد والضحاك وورد انه صلى الله
عليه وسلم قال بين السما والارض خمسماية عام ثم
قال اتدرون ما الذي فوقها قلنا الله ورسوله اعلم
قال سما اخرى قال اتدرون كم بينها وبينها قال
الله ورسوله اعلم قال العرش ثم قال اتدرون
ما بينه وبين السما السابعة قلنا الله ورسوله اعلم
قال مسيرة خمسماية عام ثم قال ما هذه تحتكم
قلنا الله ورسوله اعلم قال ارض تدرون ما تحتها
قلنا الله ورسوله اعلم قال ارض اخرى اتدرون
كم بينهما قلنا الله ورسوله اعلم قال مسيرة
سبعماية عام حتى عد سبع ارضين ثم قال ايم الله
لو دليتم بحبل لهبط على علم الله وقدرته وروي
مثل السموات والارض في الكرسي كحلقة ملقاة
في فلاة وان فضل الكرسي على السموات والارض
كفضل الفلاة على تلك الحلقة وقوله تعالى وسع
كرسيه السموات والارض يدل على ان الكرسي
محيط بالكل وقيل مقدار الف سنة وخمسين
الف سنة كلها في القيمة ومعناه حينئذ

Copyright © King Saud University

يدبر الامر من السما الى الارض مدة ايام الدنيا
ثم يعرج اي يرجع الامر والتدبير اليه بعد فناء
الدنيا في يوم كان مقداره ذلك وذلك اليوم
يتفاوت فهو على الكافر كخمسين الف سنة وعلى
المومن دون ذلك بل جاء في الحديث انه يكون
على المومن كمثل صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا
وقيل ان ذلك اشارة الى امتداد نفاد الامر
وذلك لان من نفذ امره غاية النفاد في يوم او
يومين وانقطع لا يكون مثل ما ينفذ امره في
سنين متطاولة فقوله في يوم كان مقداره
الف سنة يعني يدبر الامر في زمان شهر يوم الف
سنة فلم يكن شهر منه وكم يكن سنة منه وكم
يكن دهر منه وعلى هذا فلا فرق بين هذا وبين
قوله مقداره خمسين الف سنة لان ذلك اذا كان
اشارة الى دوام نفاد الامر سوا يعبر بالف سنة
او بخمسين الف سنة لا يتفاوت الا ان المبالغة
بالخمسين اكثر وسياتي بيان فايدتها في موضعها
ان شا الله تعالى ولما تقرر هذا من عالم
الاشباح والخلق ثم عالم الارواح والامر بين

انه

انه تعالى عالم بما كان وما يكون بقوله تعالى
ذلك اي الاله الواحد القهار عالم الغيب والشهادة
اي ما غاب عن الخلق ومنه الذي تقدست مفاتحه
وما حضر فيدبر امرها العزيز اي الغالب على امره
الرحيم على العباد في تدبيره وفيه ايما بانه تعالى
يراعي المصالح تفضلا واحسانا ولما ذكر تعالى
الدليل على الوحدانية من الافاق بقوله تعالى
خلق السموات وما بينهما بذكر الدليل عليها
من الانفس بقوله تعالى الذي احسن كل شي خلقه
قال ابن عباس اتقنه واحكمه فجميع المخلوقات حسنة
وان تفاوتت الى حسن واحسن كما قال تعالى
لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وقال
مقاتل علم كيف كل شي من قول القايل فلان
يحسن كذا اذا كان يتقنه وقيل خلق كل شي
حيوان على صورة لم يخلق البعض على صورة البعض
وقيل احسن الى كل خلقه وقرا نافع والكوفيون
بفتح اللام فعلا ماضيا والجملة صفة للمضاف
او المضاف اليه والباقون بسكونها على انه بدل
من كل شي بدل اشتمال والضمير عايد

Copyright © King Saud University

على كل شي ولما كان الحيوان اشرف الاجناس وكان
الانسان اشرفه خصه بالذكر ليقوم دليل
الوحدانية بالانفس كما قام بالافاق فقال والاعلى
البحث وبدا خلق الانسان اي ادم عليه السلام من طين
قال الرازي ويمكن ان يقال الطين ما وتراب
مجتمعين فالادمي اصله مني والمني اصله غذا
والاغذية اما حيوانية او نباتية والحيوانية
ترجع الى النباتية والنبات وجوده بالما والتراب
الذي هو الطين ثم جعل نسله اي ذريته من سلالة
اي نطفة سميت سلالة لانها تسل من الانسان
اي تنفصل منه وتخرج من صلبه ونحوه قولهم
للولد سليل هذا على وجه التفسير الاول
لان ادم كان من طين ونسله من سلالة
من ما مهين اي من ضعيف وعلى التفسير
الثاني هو انه اصله من طين ثم يوجد
من ذلك الاصل سلالة هي ما مهين وهو نطفة
الرجل واشار الجعظة ما بعد ذلك من خلقه
وتطويره بقوله تعالى ثم سواه قومه بتصوير
اعضايه وابداع المعاني على ما ينبغي
ونفخ

ونفخ فيه اي ادم من روحه اي جعله حيا حساسا
بعد ان كان جمادا واضافة الروح الى الله تعالى
اضافة تشريف كبيت الله وناقة الله فيا له
من شرف ما اعلاه ففيه اشعار بانه خلق عجيب
وان له شانا له مناسبة ما الى الحضرة الربانية
قال البيضاوي ولاجله اي ولاجل كون ان له
شانا الى اخره روي من عرف نفسه فقد عرف
ربه هذا الحديث لا اصل له وبتقدير ان له اصلا
ليس معناه ما ذكر بل معناه من عرف نفسه
وتامل في حقيقتها عرف ان له صانعا موجدا
له واليه اشار بقوله تعالى وفي انفسكم افلا
تبصرون ثم ذكر على ما ترتب على نفخ الروح
في الجسد مخاطبا للذرية بقوله تعالى وجعل
لكم بعد ان كنتم نطفا امواتا السمع اي لتدركوا
به ما يقال لكم والابصار اي لتدركوا بها الاشيا
على ما هي عليه والافئدة اي القلوب المودعة
غرايز العقول فان قيل ما الحكمة في تقديم
السمع على البصر والبصر على الافئدة اجيب
بان الانسان يسمع اولا كلاما فينظر الى

Copyright © King Saud University

قايله ليعرفه ثم يتفكر في قلبه في ذلك الكلام
ليفهم معناه فان قيل ما الحكمة في ذكر المصدر
في السمع وفي البصر والفواد الاسم ولهذا جمع
الابصار والافيدة ولم يجمع السمع لان المصدر
لا يجمع اجيب بان السمع قوة واحدة ولها
محل واحد وهو الاذن ولا اختيار لها فيه
وان الصوت من اي جانب كان واصل اليه
ولا قدرة للاذن على تخصيص السمع بادراك
البعض دون البعض واما البصر فمحله العين
ولها فيه اختيار فانها تتحرك الى جانب المري
دون غيره وكذلك الفواد محله الادراك
وله نوع اختيار يلتفت الى ما يريد دون غيره
فالسمع اصل دون محله لعدم الاختيار له
والعين كالاصل وقوة الابصار التها والفواد
كذلك وقوة الفهم التة فذكر في السمع المصدر
الذي هو القوة وفي الابصار والافيدة الاسم
الذي هو محل القوة ولان السمع قوة واحدة
لها محل واحد ولهذا لا يسمع الانسان في زمان
واحد صورتين فاكثر ويشبهها فان قيل

لم

فان قيل لم قدم السمع ها هنا وقدم القلب في قوله
تعالى في البقرة ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم
وعلى ابصارهم اجيب بانه تعالى عند الاعطا
ذكر الادنى ثم ارتقى الى الاعلى فكانه قال اعطاكم
السمع ثم اعطاكم ما هو اشرف منه وهو القلب
وعند السلب قال ليس لهم قلب يدركون به
ولا ما هو دونه وهو السمع الذي يسمعون به
ممن له قلب يفهم الحقايق ويستخرجها ولما لم
يتبادروا الى الايمان عند التذكر بهذه النعم
الجسام قال تعالى قليلا ما تشكرون اي
يشكرون شكرا قليلا فما مزيدة موكدة للقلة
وقوله تعالى وقالوا اي معطوف على ما سبق
منهم فانهم قالوا محمد ليس رسول والاله ليس
بواحد والبعث ليس بممكن فدل على صحة
الرسالة بنفي الريب عن الكتاب ثم على
الوحدانية بشمول القدرة واحاطة العلم
بابداع الخلق على وجه هو نعمة لهم وختم
بالتعجب من كفرهم وكان استبعادهم للبعث
الذي هو الثالث الاصل من اعظم كفرهم

وهو قولهم ائذا اي البعث اذا ضللنا اي غبنا في الارض
اي صرنا ترابا مخلوطا بتراب الارض ولا نتميز منه
واصله من ضل الماء في اللبن اذا ذهب فيه وقولهم
ائنا لفي خلق جديد اي يجدد خلقنا استفهام
انكار زيادة في الاستبعاد فان قيل انه تعالى
ذكر الرسالة من قبل وذكر دليلها وهو التنزيل
الذي لا ريب فيه وذكر الوحدانية وذكر دليلها
وهو خلق السموات والارض وخلق من طين
ولما ذكر انكارهم الحشر لم يذكر الدليل اجيب
بان ذكر دليله ايضا وهو ان خلقة الانسان
ابتدا دليل على قدرته على الاعادة ولهذا
استدل تعالى على انكار الحشر بالخلق الاول
ثم يعيده وهو اهون عليه وقوله تعالى
الذي انشاها اول مرة وايضا خلق السموات
والارض كما قال اوليس الذي خلق السموات
والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وقرا
ابن عامر الاول نافع والكسائي ائذا ضللنا
اينا الاول بالاستفهام والثاني بالخبر
والثاني بالاستفهام والباقون بالاستفهام

فيهما

فيهما ومذهب قالون وابي عمرو في الاستفهام
وورش وابن كثير تسهيل الثانية من غير
ادخال وهشام بتسهيل الثانية وتحققها
مع الادخال والباقون بتحقيقها من غير ادخال
بل هم بلقاء ربهم كافرون اي جاحدون اضراب عن
الاول اي ليس انكارهم لمجرد الخلق ثانيا بل
يكفرون بجميع احوال الاخرة حتى لو صدقوا
بالخلق الثاني لما اعترفوا بالعذاب والثواب
او يكون المعنى لم ينكروا البعث لنفسه بل
لكفرهم بلقاء الله فانهم كرهوه فانكروا المفضي
اليه ثم بين لهم ما يكون من الموت الى العذاب
بقوله تعالى قل اي يا افضل الخلق لهم يتوفاكم
اي يقبض ارواحكم ملك الموت الذي وكل بكم
اي بقبض ارواحكم وهو عزرائيل عليه السلام
والتوفي استيفا العدد معناه انه يقبض ارواحهم
حتى لا يبقى احد من العدد الذي كتب عليه
الموت روي ان ملك الموت جعلت له الدنيا
مثل راحة اليد ياخذ منها صاحبها ما احب
من غير مشقة وهو يقبض انفس الخلق

Copyright © King Saud University

من مشارق الارض ومغاربها وله اعوان من
ملايكة الرحمة واعوان من ملايكة العذاب
وقال ابن عباس خطوة ملك الموت ما بين
المشرق والمغرب وقال مجاهد جعلت الارض
مثل الطست بينا ولهما حيث يشاوى
بعض الاخبارات ملك الموت على معراج
بين السما والارض فتنزع اعوانه روح الانسان
فاذا بلغ نقرة نحره قبضه ملك الموت
وعن معاذ بن جبل ان لملك الموت حربة
تبلغ ما بين المشرق والمغرب وهو يتصفح
وجوه الناس فما من اهل بيت الا وملك
الموت يتصفحهم في كل يوم مرتين فاذا راى
انسانا قد انقضى اجله ضرب راسه بتلك
الحربة وقال الان يزار بك عسكر الموت فيصير
ملقى لا روح فيه في شي منه وهو على حالة
كاملة لا نقص في شي منه يدعي الخلل بسببه
فاذا كان هذا فعل عبد من عبيده تعالى
صرف في خلقك فقام به مع ما ترونه مع ان
ممازجة الروح البدن اشد من
ممازجة

ممازجة تراب البدن لبقية التراب لانه ربما
يستدل بعض الحذاق على بعض ذلك بنوع
دليل من شم ونحوه فكيف يستبعد ذلك
شي من الاشيا على رب العالمين ومدبر
الخلايق اجمعين نسال الله ان يقبضنا على
التوحيد وان يستعملنا في طاعته ما احيانا
ويفعل ذلك باهلينا واحبابنا ولما قام
هذا البرهان القطعي على قدرته التامة علم ان
التقدير ثم يعيدكم خلقا جديدا كما كنتم اول
مرة فحذفه كما هو عادة القران في حذف
كل ما دل عليه السياق ولم يدع داع الى ذكره
عطف عليه قوله تعالى ثم الى ربكم اي ابتدا
خلقكم وتربيتكم واحسن اليكم غاية الاحسان
ترجعون اي تصيرون اليه احيا فيجازيكم
باعمالكم ولما تقرر دليل البعث على الاخفا
فيه ولا لبس شرع في بعض احواله بقوله
تعالى ولو ترى اي تبصر اذ المجرمون اي
الكافرون ناكسوا رؤسهم اي مطاطوها خوفا
وخجلا وحزنا وذلا عند ربهم اي المحسن

Copyright @ King Saud University

اليهم المتوحد بتدبيرهم قايلين بغاية الذل
والرقة ربنا اي المحسن الينا ابصرنا اي ماكنا
نكذب به وسمعنا منك تصديق الرسل فيما كذبناهم
فيه فارجعنا بمالك من هذه الصفة المقتضية
للاحسان الى الدنيا دار العمل نعمل صالحا فيهما
انا موقنون اي ثابت لنا الان الايقان بجميع ما
اخبرنا به عنك فلا ينفعهم ذلك ولا يرجعون
وجواب لو محذوف تقديره لرايت امرا فظيعا
والمخاطب يحتمل ان يكون النبي صلى الله عليه
وسلم تشفيا لصدره فانهم كانوا يوذونه
بالتكذيب ويحتمل ان يكون عاما واذ على بابها
من الماضي لانه لو تصرف المضارع للمضي وانما جي
هنا ماضيا بتحقق وقوعه نحو اتى امر الله وجعله
ابو البقا مما وقع فيه اذ موضع اذا ولا حاجة اليه
وقوله تعالى ولو شينا اي بما لنا من العظمة لاتينا
كل نفس اي مكلفة لان الكلام فيها هداها فتهتدي
بالايمان والطاعة باختيار منها جواب عن قولهم
ربنا ابصرنا وسمعنا وذلك ان الله تعالى قال
اني لو رجعتكم الى الايمان لم تهديتم في الدنيا

ولما

ولما لم اهدكم تبين انى ما اردت ولا شيت ايمانكم
فلا اردكم وهذا صريح في الدلالة على صحة مذهب
اهل السنة حيث قالوا ان الله تعالى ما اراد الايمان
من الكافر وما شا منه الا الكفر ولكن لم اشا ذلك منه
حق القول مني وانا من لا يخلف الميعاد لان الاخلاف
اما لعجز او نسيان او حاجة ولا شي من ذلك يليق بجناب
ولا يحل بساحتي واكد لاجل انكارهم فقال مقسما
لاملان جهنم اي التي هي محل الهاني من الجنة اي الجن
طايفة ابليس وكانه تعالى انهم تحقيرا لهم عند
من يستعظم امرهم وبداهم لاستعظام لهم ولانهم
الذين اضلوهم والناس اجمعين حيث قلت لابليس
لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين
فلذلك شيت كفر الكافر وعصيان العاصي بعد
ان جعلت لهم اختيارا وغيبت العاقبة عنهم
فصار الكسب ينسب اليهم ظاهرا والخلق في الحقيقة
والمشية لي ولما تسبب عن هذا القول الصادق
انه لا محيص لهم عن عذابهم قال لهم الخزنة
اذا دخلوا جهنم فذوقوا بما اي بسبب نسيتم لقا
يومكم وحققه وبين ذلهم بقوله تعالى هذا اي

Copyright © King Saud University

تركهم الايمان به انا نسيناكم اي عاملناكم بما لنا من
العظمة ولكم من الحقارة معاملة الناسي لكم فتركنا
كم في العذاب وذوقوا عذاب الخلد اي المختص بانه
لا اخر له بما اي بسبب كنتم تعملون اي من الكفر والتكذيب
وانكار البعث ولما ذكر تعالى علامة اهل الكفر ذكر
علامة اهل الايمان بقوله تعالى انما يؤمن باياتنا
اي الدالة على عظمتنا الذين اذا ذكروا بها اي من اي
مذكر كان في اي وقت كان خروا سجدا اي بادروا
الى السجود مبادرة من كان سقط من غير
قصد خضعا لله من شدة تواضعهم وخشيتهم
واخباتهم خضوعا ثابتا دايما وسبحوا اي اوقعوا
التسبيح به عن كل شائبة نقص متلبسين بحمد
ربهم اي قالوا سبحان الله وبحمده وقيل صلوا
بامر ربهم ولما تضمن هذا تواضعهم صرح به في
قوله تعالى وهم لا يستكبرون اي عن الايمان
والطاعة كما يفعل من يصير مستكبرا وقد كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا السورة
التي فيها السجدة فيسجد ونسجد حتى ما يجد
احدنا مكانا لموضع جبهته في غير وقت
الصلاة

الصلاة وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا قرا ابن ادم السجدة فسجد
اعتزل ابليس يبكي يقول يا ويلتا امر ابن ادم
بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود
فابيت فلي النار وهذه من عزائم سجود القران
فتسن للقاري والمستمع والسامع ولما كان
المتواضع ربما ينسب الى الكسل نفى ذلك عنهم مبينا
لما تضمنته الاية السالفة من خوفهم بقوله تعالى
تتجافى اي ترتفع جنوبهم عن المضاجع عبر به
عن ترك النوم قال ابن رواحه
يبيت يجافي جنبه عن فراشه
اذا استثقلت بالمشركين المضاجع
والمضاجع جمع المضجع وهو الموضع الذي يضطجع
عليه يعني الفراش وهم المتهجدون بالليل
الذين يقيمون الصلاة قال انس نزلت فينا
معاشر الانصار كنا نصلي المغرب فلا نرجع الى
رحالنا حتى نصلي العشا مع النبي صلى الله عليه
وسلم كانوا يصلون المغرب الى صلاة العشا
قال عطا هم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشا

Copyright © King Saud University

الاخرة والفجر في جماعة وعنه صلى الله عليه وسلم
من صلى العشا في جماعة كان كقيام نصف ليلة
ومن صلى الفجر في جماعة كان كقيام ليلة وعن
انس كنا نجتنب الفراش قبل صلاة العشا وعنه
ايضا قال ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
راقدا قط قبل العشا ولا متحدثا بعدها فان
هذه الاية نزلت في ذلك وعن ابن عباس ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال هم الذين لا ينامون
قبل العشا فاثنى عليهم فلما ذكر ذلك جعل
الرجل يعتزل فراشه مخافة ان تغلبه عينه
لوقت قبل ان ينام الصغير ويكسل الكبير وعن
مالك بن دينار قال سالت انسا عن هذه
الاية قال كان قوم من اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم من المهاجرين الاولين يصلون
المغرب ويصلون بعدها الى العشا الاخرة
فنزلت هذه الاية فيهم وعن ابن ابي حازم
قال هي ما بين المغرب والعشا صلاة الاوابين
وعن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه
وسلم في قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن
المضاجع.

عن المضاجع قال قيام العبد من الليل وعن
معاذ بن جبل قال كنت مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في سفرنا فاصبحت يوما قريبا منه
ونحن نسير فقلت يا رسول الله اخبرني بعمل
يدخلني الجنة ويباعدني من النار فقال لقد
سالت عظيم وانه ليسير على من يسره الله عليه
قال تعبد الله ولا تشرك به شيا وتقيم الصلاة
وتوتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت
ثم قال الا ادلك على ابواب الخير الصوم جنة
والصدقة تطفي الخطيئة وصلاة الرجل في
جوف الليل ثم قرا تتجافى جنوبهم عن المضاجع
حتى بلغ يعملون ثم قال اخبرك براس الامر
وعموده وذروة سنامه الجهاد ثم قال الا
اخبرك بملاك ذلك كله فقلت بلى يا نبي الله
فاخذ بلسانه فقال كف عنك هذا فقلت
يا رسول الله وانا لمواخذون بما نتكلم به فقال
ثكلتك امك يا معاذ وهل يكب الناس
في النار على وجوههم الا حصايد السنتهم وعن
كعب قال اذا حشر الناس نادى مناد

Copyright © King Saud University

هذا يوم الفصل اين الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع
اين الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى
جنوبهم ثم يخرج عنق من النار فيقول امرت
بثلاث بمن جعل مع الله الها اخر وبكل جبار
عنيد وبكل معتدي لانا اعرف بالرجل من الوالد
بولده والمولود بوالده ويومر بفقرا المسلمين
الى الجنة فيحبسون فيقولون تحبسونا ما كان
لنا اموال وما كنا امرا وعن ابي مسعود ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليكم
بقيام الليل فانه داب الصالحين قبلكم وقربة
الى ربكم وتكفير السيات ومنهاة عن الاثام
ومطردة الدا وعن ابن مسعود ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال عجب ربنا
من رجلين رجل ثار عن وطايه ولحافه
بين حبه واهله الى صلاته رغبة فيما عندي
وشفقة مما عندي ورجل غزا في سبيل
الله فانهزم مع اصحابه فعلم ما عليه من
الانهزام وما عليه في الرجوع فرجع حتى هريق
دمه وعن عايشة ان رسول الله صلى الله
عليه

عليه وسلم كان يقوم الليل حتى يتفطر قدماه
فقلت لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما
تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا
شكورا وعن علي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان في الجنة غرفا يرى ظاهرها من
باطنها وباطنها من ظاهرها اعدها الله لمن الان
الكلام واطعم الطعام وتابع الصيام وصلى بالليل
والناس نيام واخرج البيهقي في شعب الايمان
عن ربيعة الجرشي قال يجمع الله الخلايق يوم
القيمة في صعيد واحد فيكونون ماشا الله
ان يكونوا ثم ينادي مناد سيعلم اهل الجمع
لمن يكون العز والكرم ليقم الذين تتجافى جنوبهم
عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا فيقومون
وفيهم قلة ثم يلبث ماشا الله ان يلبث ثم
يعود فينادي ليعلم اهل الجمع لمن العز والكرم
ليقم الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله
فيقومون وهم اكثر من الاولين ثم يلبث
ماشا الله ان يلبث ثم يعود وينادي سيعلم
اهل الجمع لمن العز اليوم والكرم ليقم الحامدون
على كل حال فيقومون وهم اكثر من

Copyright © King Saud University

الاولين واخرج بن جرير عن ابن عباس تتجافى جنوبهم
عن المضاجع يقول تتجافى لذكر الله اما في الصلاة
واما في قيام او قعودا وعلى جنوبهم لا يزالون
يذكرون الله ولما كان هجران المضجع قد يكون
لغير العبادة بين انه لها بقوله تعالى مبينا لحالهم
يدعون اي داعين ربهم الذي عودهم باحسانه
ثم علله بقوله تعالى خوفا اي من سخطه وعقابه
فان اسباب الخوف من نقايصهم كثيرة سوا
اعرفوا سببا يوجب خوفا اولا لانهم لا يامنوا
مكر الله لانه يفعل ما يشا وطمعا في رضاه
الموجب لثوابه وقال ابن عباس خوفا من
الناس وطمعا في الجنة وعبر به دون الرجا
اشارة الى انهم لشدة معرفتهم بنقايصهم
لا يعدون لاعمالهم شيا بل يطلبون فضله بغير
سبب وان كانوا مجتهدين في طاعته
ولما كانت العبادة تقطع غالبا عن التوسع
في الدنيا ربما دعت نفس العابد الى التمسك
بما في يده خوفا من نقص العبادة عند الحاجة
وصفهم الله تعالى بقوله تعالى ومما رزقناهم
اي

اي بعطيتنا لا بحول منهم ولا قوة ينفقون من غير
اسراف ولا تقتير في جميع وجوه القرب التي شرعنا ها
لهم فلا يبخلون بما عندهم اعتمادا على الخلاق الرزاق
الذي ضمن للخلق بما ضمن لهم اوثق منهم بما عندهم
ولما ذكر تعالى اجر المستكبرين ذكر جزا المتواضعين
بقوله تعالى فلا تعلم نفس اي من جميع النفوس
مقربة ولا غيرها ما اخفي اي خبي لهم اي لهولا
المذكورين من مفاتيح الغيوب وخزاينها كما كانوا
يخفون اعمالهم في الصلاة في جوف الليل وبالصدقة
وبغير ذلك وقرا حمزة بسكون اليا والباقون
بالفتح ولما كانت العين لا تقر فتهجع الا عند
الامن والسرور قال تعالى من قرة اعين
اي من شي نفيس تقر به اعينهم لاجل ما اقلقوها
عن قرارها بالنوم ثم صرح بما افهمته فاء السبب
بقوله تعالى جزا اي اخفاها لهم لجزايهم بما
اي بسبب ما كانوا يعملون اي من الطاعات
في دار الدنيا روى البخاري في التفسير
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال قال الله تعالى اعددت

Copyright © King Saud University

لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر قال ابو هريرة اقروا ان
شيتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين الاية
عن ابن مسعود قال انه لمكتوب في التوراه
لقد اعد الله تعالى للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع
ما لم ترعين ولم تسمع اذن ولم يخطر على قلب بشر
ولا يعلم ملك مقرب ولا نبي مرسل وانه لفي القران
فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وعن
ابن عمر قال ان الرجل من اهل الجنة ليجي
فيشرف عليه النسا فيقلن يا فلان بن فلان
ما انت بمن خرجت من عندها باولى بك منا
فيقول ومن انتن فيقلن نحن اللاتي قال الله تعالى
فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزا بما
كانوا يعملون وعن عامر بن الواحد قال بلغني
ان الرجل من اهل الجنة يمكث في مكان سبعين
سنة ثم يلتفت فاذا هو بامراة احسن مما كان
فيه فتقول له ان لك ان يكون لنا منك
نصيب فيقول من انت فتقول انا مزيد
فيمكث معها سبعين سنة ويلتفت

فاذا

فاذا هو بامراة احسن مما كان فيه فتقول قد ان
لك ان يكون لنا منك نصيب فيقول من انت
فتقول انا الذي قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما
اخفي لهم من قرة اعين وعن كعب الاحبار قال
قال رسول الله صلعم لكم منزل رجل من اهل الجنة كان
يطلب حلالا وياكل حلالا حتى لقي الله على ذلك
فانه يعطى يوم القيمة قصرا من لولوة واحدة
ليس فيها صدع ولا وصل فيها سبعون الف غرفة
واسفل الغرف سبعون الف بيت سقفه صفايح
الذهب والفضة ليس بموصول ولولا ان الله
تعالى سخر له النظر لذهب بصره من نوره غلظ
الحايط خمسة عشر ميلا وطوله في السما سبعون
ميلا في كل بيت له سبعون الف باب يدخل
عليه في كل بيت من كل باب سبعون الف خادم
لا يراهم من في هذا البيت ولا يراهم من في هذا
فاذا خرج من قصره سار في ملكه مثل عمر
الدنيا يسير في ملكه عن يمينه وعن يساره
ومن ورايه وازواجه معه وليس معه
ذكر غيرهم ومن بين يديه ملايكة قد سخروا

له وبين ازواجه ستر وبين يديه ستر ووصايف
ووصاف قد الهموا لما يشتهي وما تشتهي ازواجه
ولا يموت هو ولا ازواجه ولا خدامه ابدا نعيمهم
يزداد كل يوم من غير ان يشبه الاول وقرة اعين
لا تنقطع ابدا لا يدخل عليه فيه روعة ابدا وعن
ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال والذي نفسي بيده لو ان اخر اهل الجنة
رجلا اضاف ادم فمن دونه فوضع لهم طعاما
وشرابا حتى خرجوا عنده ولا ينقصه ذلك شيا
مما اعطاه وعن سهل بن سعد قال بينما
نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يصف الجنة حتى انتهى ثم قال فيها
ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر ثم قال تتجافى جنوبهم عن المضاجع الايتين
قال القرطبي انهم اخفوا عملا واخفي فقدموا
على الله فقرت تلك الاعين وعن ابي اليمان
قال الجنة مائة درجة ولها درجة
فضة وارض فضة ومساكنها فضة
وانيتها فضة وترابها المسك والثالثة
لولو.

لؤلؤ وارضها لؤلؤ ومساكنها لؤلؤ وانيتها
لؤلؤ وترابها المسك وسبع وتسعون بعد ذلك
ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر وتلا هذه الاية فلا تعلم نفس ما اخفي لهم
من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون وعن
المغيرة بن شعبة يرفعه الى النبي صلى الله عليه
وسلم ان موسى عليه السلام سال ربه
فقال اي رب اي اهل الجنة ادنى منزلة فقال
رجل يجي بعد ما دخل اهل الجنة فيقال له
ادخل فيقول كيف ادخل وقد نزلوا منازلهم
واخذوا اخذاتهم فيقال له اترضى ان يكون
لك مثل ما كان لملك من ملوك الدنيا فيقول
نعم اي رب قد رضيت فيقال له فان لك
هذا ما اشتهت نفسك ولذت عينك
فقال موسى اي رب فاي اهل الجنة ارفع منزلة
قال اياها اردت وسا حدثك عنهم اني
غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلا
عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر قال ومصداق ذلك في

Copyright © King Saud University

كتاب الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من
قرة اعين ونزل في علي بن ابي طالب رضي الله
عنه والوليد بن عقبة بن ابي معيط اخي عثمان
لامه حين تنازعا فقال الوليد بن عقبة
لعلي اسكت فانك صبي وانا شيخ وانا والله
ابسط منك لسانا واحد منك سنانا واشجع
جنانا واملا منك حشوا في الكتيبة فقال له علي
اسكت فانك فاسق افمن كان مومنا اي
راسخا في التصديق بجميع ما اخبرت به الرسل
كمن كان فاسقا اي راسخا في الفسق خارجا
عن دائرة الاذعان وقال تعالى لا يستوون ولم
يقل تعالى لا يستويان لانه لم يرد مومنا
واحدا ولا فاسقا واحدا بل اراد جميع المومنين
وجميع الفاسقين فلا يستوي جمع من هولاء
بجمع من اوليك ولا فرد بفرد قال قتادة لا
يستوون في الدنيا ولا عند الموت ولا في الاخرة
ولما نفى استواهم اتبعه حال كل على سبيل
التفصيل وبدا بحال المومن بقوله تعالى
اما الذين امنوا اي تصديقا لهم لايمانهم
وعملوا

وعملوا الصالحات اي الطاعات فلهم جنات الماوى
اي التي ياوي اليها المومنون فانها الماوى
الحقيقي والدنيا منزل مرتحل عنها لا محالة وهي
نوع من الجنان قال الله تعالى ولقد راه نزلة
اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة الماوى
سميت بذلك لما روي عن ابن عباس قال تاوي
اليها ارواح الشهدا وقيل هي عن يمين العرش
نزلا اي عدادا لهم اول قدومهم قال البقاعي كما
يهدي للضيف على ما لاح اي عند قدومه بما
اي بسبب ما كانوا يعملون من الطاعات فان
اعمالهم من رحمة ربهم واذا كانت هذه الجنان
نزلا فما ظنك بعد ذلك هو لعمري ما اشار
اليه قوله صلى الله عليه وسلم ما لا عين
رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
وهم كل لحظة في زيادة لان قدرة الله لا نهاية
لها فاياك وان تخادع او يغرنك ملحد ثم
ثنى بحال الكافر بقوله تعالى واما الذين فسقوا
اي خرجوا عن دائرة الايمان الذي هو معدن
التواضع واهل المصاحبة والملازمة

Copyright © King Saud University

فما واهم النار اي التي لا صلاحية فيها للاوا بوجه
من الوجوه ملجاوهم منزلهم اي فالنار لهم
مكان جنة الماوي للمومنين كلما ارادوا
اي وهم مجتمعون فكيف اذا اراد بعضهم
ان يخرجوا منها اي بان يخيل اليهم ما يظنون
به القدرة على الخروج منها كما كانوا يخرجون
نفوسهم من محيط الادلة ومن دايرة الطاعا
الى ميدان المعاصي والزلات فيعالجون الخروج
فاذا ظنوا انه تيسر لهم وهم بعد في غمراتها
اعيدوا فيها فهو عبارة عن خلودهم فيها
وقيل لهم اي من اي قايل فكل لهم ذوقوا
عذاب النار اهانة لهم وزيادة في تغيظهم
وقوله تعالى الذي كنتم به تكذبون صفة
لعذاب وجوز ابو البقا ان يكون صفة للنار
قال وذكر بمعنى الجحيم والحريق ولما كان [على]
المومنون الان يتمنون اصابتهم بشي من
الهوان قال تعالى ولنذيقنهم من العذاب
الادنى اي عذاب الدنيا قال الحسن هو
مصايب الدنيا واسقامها وقال
عكرمة

عكرمة الجوع بمكة سبع سنين اكلوا فيها الجيف
والعظام والكلاب قال ابن مسعود هو القتل
بالسيف يوم بدر دون العذاب الاكبر وهو عذاب
الاخرة فان عذاب الدنيا لا نسبة له الى عذاب
الاخرة فان قيل ما الحكمة في مقابلة الادنى بالاكبر
والادنى انما هو في مقابلة الاقصى والاكبر انما هو
في مقابلة الاصغر اجيب بانه حصل في عذاب
الدنيا امران احدهما انه قريب والاخر انه قليل
صغير وحصل في عذاب الاخرة ايضا امران
احدهما انه بعيد والاخر انه عظيم كبير لكن العرف
في عذاب الدنيا هو انه الذي يصلح للتخويف
فان العذاب الاجل وان كان قليلا فلا يتحرز [بحرز]
عنه لصغره وعدم فهم كونه عاجلا وقال
في عذاب الاخرة الاكبر لذلك والمعنى ولو قال من
العذاب الابعد الاقصى لما حصل التخويف به
مثل ما يحصل بوصفه من الكبر لعلهم يرجعون
الى الايمان اي من بقي منهم بعد بدر فان
قيل ما الحكمة في هذا الترجي وهو على الله
تعالى محال اجيب بوجهين احدهما

Copyright © King Saud University

معناه لنذيقنهم اذاقة الراجين كقوله تعالى انا
نسيناكم يعني تركناكم كما يترك الناسي حيث لا يلتفت
اليه اصلا وكذلك ههنا والثاني نذيقهم العذاب
اذاقة معقول القول القابل لعلهم يرجعون بسببه
ومن اي لا احد اظلم ممن ذكر بايات ربه اي القران
ثم اعرض عنها فلم يتفكروا فيها وثم لاستبعاد الاعراض
عنها مع فرط وضوحها وارشادها الى اسباب
السعادة بعد التذكر بها عقلا كما في بيت الحماسية
وما يكشف الغما الا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم
يزورها اي لا يكشف الامر العظيم الا رجل كريم
موصوف بما ذكر والغما بتشديد الميم والمد اي
في مدة اقتحام الحرب والشاهد في قوله ثم
يزورها اذ المعنى انه استبعد ان يزور غمرات
الموت بعد ان راها واستيقنها واطلع على شدتها
انا من المجرمين اي الكافرين منتقمون وعبر بصيغة
العظمة تنبيها على ان الذي يحصل لهم من العذاب
لا يدخل تحت الوصف على مجرد العادة في الظالمين
فكيف اذا كانوا اظلم الظالمين والجملة الاسمية
تدل على دوام ذلك عليهم في الدنيا

اما

٢٧٦

اما باطنا بالاستدراج بالنعم واما ظاهرا باحلال
النقم وفي الاخرة بدوام العذاب على ممر الاباد ولما
قرر الاصول الثلاثة عاد الى الاصل الذي بدا به
وهو الرسالة المذكورة في قوله تعالى لتنذر قوما
ما اتاهم من نذير من قبلك بين انه ليس بدعا
من الرسل بقوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب اي
الجامع للاحكام وهو التورية فكان قبلك رسل
مثلك وذكر موسى عليه السلام لقربه من النبي
صلى الله عليه وسلم وهو اول من انزل عليه
كتاب من انبيا بني اسرائيل بعد فترة كثيرة
من الانبيا بينه وبين يوسف عليهما السلام
ولم يختر عيسى عليه السلام للذكر والاستدلال
لان اليهود ما كانوا يوافقون على نبوته
واما النصارى فكانوا يعترفون بنبوة
موسى عليه السلام فذكر المجمع عليه فلا تكن في
مرية واختلف في الهاء في قوله تعالى
من لقايه على اقوال احدها انها عايدة
على موسى والمصدر لمفعوله اي من

لقاءك موسى ليلة الاسرى وامتحن المبرد الزجاج
في هذه المسئلة فاجاب بما ذكر قال ابن عباس
وغيره المعنى فلا تكن في شك في من لقا موسى
فانك تراه وتلقاه روى ابن عباس عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رايت
ليلة اسري بي موسى رجلا ادم طوالا جعدا
كانه من رجال شنوءة ورايت عيسى رجلا
مربوعا الى الحمرة والبياض سبط الراس
ورايت مالكا خازن النار والدجال في ايات
اراهن الله اليه وعن انس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتيت على موسى ليلة
اسري بي عند الكثيب الاحمر وهو يصلي في
قبره فان قيل قد صح في حديث المعراج
انه راه في السما السادسه ومراجعته
له في امر الصلاة كيف الجمع بين هذين الحديثين
اجيب بانه يحتمل ان تكون رويته
في قبره عند الكثيب الاحمر قبل عوده الى
السما وذلك في طريقه الى بيت المقدس ثم
صعد الى السما السادسة وجده هناك

قد

قد سبقه لما يريده الله تعالى وهو على كل
شي قدير فان قيل كيف تصح الصلاة
منه في قبره وهو ميت وقد سقط عنه التكليف
وهو في الدار الاخرة وهي ليست دار عمل وكذلك
راى النبي صلى الله عليه وسلم جماعة وهم
يحجون اجيب عن ذلك باجوبة الاول ان
الانبيا افضل من الشهدا والشهدا عند
ربهم يرزقون فلا يبعد ان يحجوا ويصلوا
كما صح في الحديث وان يتقربوا الى الله تعالى
بما استطاعوا لانهم وان كانوا قد توفوا
فانهم بمنزلة الاحيا في هذه الدار التي هي دار
العمل الى ان تفنى ويفضوا الى دار الجزا التي
هي الجنة الجواب الثاني انه صلى الله عليه
وسلم راى حالهم التي كانوا عليها في حياتهم
ومثلوا له كيف كانوا وكيف كان حجهم
وصلاتهم الجواب الثالث ان التكليف
وان ارتفع عنهم في الاخرة لكن الذكر والشكر
والدعا لا يرتفع قال الله تعالى دعواهم
فيها سبحانك اللهم وقال صلى الله عليه وسلم

Copyright © King Saud University

يلهمون التسبيح كما تلهمون النفس فالعبد يصير
به في الجنة اكثر ما كان يعبد في الدنيا وكيف لا
تكون ذلك وقد صار مثل حال الملائكة
الذين قال الله تعالى في حقهم يسبحون
الليل والنهار لا يفترون غاية ما في الباب
ان العبادة ليست عليهم بتكليف بل هي
مقتضى الطبع ثانيها ان الضمير يعود الى الكتاب
وح يجوز ان تكون الاضافة للفاعل اي من
لقاء الكتاب لموسى او المفعول اي من لقاء
موسى الكتاب لان اللقا تصح نسبته الى كل منهما
لان من لقيك فقد لقيته قال السدي
المعنى فلا تكن في مرية من لقايه اي يلقى
موسى كتاب الله بالرضا والقبول ثالثها
انه يعود على الكتاب على حذف مضاف
اي من لقاء مثل كتاب موسى رابعها
انه عايد على ملك الموت المتقدم ذكره
خامسها عوده الى الرجوع المفهوم من
قوله الى ربكم ترجعون اي لا تك في مرية من
لقاء الرجوع سادسها انه يعود على ما
يفهم

ما يفهم من سياق الكلام مما ابتلي به موسى من
الابتلا والامتحان قاله الحسن اي لا بد ان
يلقى ما لقي موسى من قومه فاختار موسى
عليه السلام الحكمة وهي ان احدا من الانبيا
لم يوذه من قومه الا الذين لم يومنوا واما
الذين امنوا به فلم يخالفوه غير قوم موسى
عليه السلام فان من لا امن به اذاه كفرعون
ومن امن به من بني اسرايىل اذاه ايضا
بالمخالفة فطلب اشيا مثل روية الله جهرة
وكقولهم اذهب انت وربك فقاتلا واظهر
هذه الاقوال ان الضمير اما لموسى واما
لكتاب واختلف في الضمير ايضا في قوله تعالى
وجعلناه على قولين احدهما يرجع الى موسى
وجعلنا موسى هدى اي هاديا لبني اسرايىل
كما جعلناك هاديا لامتك والثاني انه يرجع
الى الكتاب اي وجعلنا كتاب موسى هاديا
كما جعلنا كتابك كذلك وجعلنا منهم اي من
انبيايهم واحبارهم ايمة يهدون اي يرشدون
البيان ويعملون على حسبه بامرنا

Copyright © King Saud University

اي بما انزلنا فيه من الاوامر والنواهي كذلك جعلنا من
امتك صحابة يهدون كما قال النبي صلى الله عليه
وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم
وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو بتسهيل الهمزة
قبل الميم ولهم ايضا ابدالها يا وخففها الباقون
ومد هشام بين الهمزتين بخلاف عنه وقوله تعالى
لما صبروا قرا حمزة والكسائي بكسر اللام وتخفيف
الميم اي بسبب صبرهم على دينهم وعلى البلا
من عدوهم ولاجله وقرا الباقون بفتح
اللام وتشديد الميم اي حين صبرهم على ذلك
وان كان الصبر ايضا انما هو بتوفيق الله تعالى
وكانوا باياتنا اي الدالة على قدرتنا ووحدانيتنا
لما لها من العظمة يوقنون اي لا يرتابون
في شي منها ولا يعملون فعل الشاك عنها بالاعراض
ولما اوهم قوله تعالى منهم انه كان منهم
من يضل عن امر الله تعالى قال الله تعالى
ان ربك اي المحسن اليهم اليك بارسالك
لتتخطر نوابك هو اي وحده يفصل بينهم اي بين
المتمادين والمهديين والضالين والمضلين
يوم

يوم القيمة بالقضا الحق فيما كانوا فيه يختلفون
اي من امر الدين لا يخفى عليه شي منه وامليغز
ما اختلفوا فيه فالحكم فيه لهم او عليهم وما
اختلفوا فيه لا على وجه القصد فيقع في محل
العفو ولما اعاد ذكر الرسالة اعاد ذكر التوحيد
بقوله تعالى اولم يهد اي يبين كما رواه البخاري
عن ابن عباس لهم كم اهلكنا اي كثرة من اهلكنا
من قبلهم من القرون الماضين من المعرضين عن
الايات ونجينا من امن بها وقوله تعالى يمشون
حال من ضمير لهم في مساكنهم اي في اسفارهم
الى الشام وغيرها كمساكن عاد وثمود وقوم
لوط فيعتبروا ان في ذلك اي الامر العظيم لايات
اي دلالات على قدرتنا افلا يسمعون سماع
تدبر واتعاظ فيتعظوا بها اولم اي ايقولون
في انكار البعث اذا اضللنا في الارض يروا انا
اي بما لنا من العظمة نسوق الما اي من السما
والارض الى الارض الجرز اي التي جرز نباتها
اي قطع باليبس والتهشم او بايدي الناس
فصارت ملسا لا نبت فيها وفي البخاري

عن ابن عباس انها الا تمطر مطرا لا يغني عنها شيئا
ولا يقال للتي تنبت كالسباخ جرز ويدل عليه
قوله تعالى فنخرج به اي من اعماق الارض بذلك
الما زرعا اي نبتا لا ساق له باختلاط الما بالتراب
وقيل الجرز اسم موضع باليمن تاكل منه اي من
حبه وورقه وتبنه وحشيشه وانفسهم
اي من الحبوب والاقوات وقدم الانعام لوقوع
الامتنان بها لان بها قوامهم في معايشهم
وابدانهم ولان الزرع غذا للدواب لا بد منه
واما غذا الانسان قد يصلح الحيوان
فكان الحيوان ياكل الزرع ثم الانسان
ياكل من الحيوان فان قيل في سورة عبس
ما للانسان اولا فما الحكمة اجيب
بان السياق فيها الطعام الانسان الذي
هو نهاية الزرع حيث قال فلينظر الانسان
الى طعامه ثم قال فانبتنا فيها حبا وذكر
في طعامه من العنب وغيره ما لا يصلح
للانعام مقدمه وهو هذا السياق
لمطلق اخراج الزرع اولا وصلاحه

انما

٢٨٠

انما هو لاكل الانعام ولا يصلح للانسان ولما
كانت هذه الاية مبصرة قال افلا يبصرون
هذا فيعلمون انا نقدر على اعادتهم بخلاف
الاية الماضية فانها كانت مسموعة فقال افلا
يسمعون ثم لما بين الرسالة والتوحيد
بين الحشر بقوله تعالى ويقولون مع هذا البيان
الذي ليس معه استهزا متى هذا الفتح اي يوم
القيمة وهو يوم الفصل بين المومنين
واعدايهم ويوم نصرهم عليهم وقيل هو
يوم بدر وعن مجاهد والحسن يوم فتح
مكة ان كنتم صادقين اي عريقين في الصدق
بالاخبار لانه بانه لا بد من وقوعه حتى
نومن اذا رايناه قال الله تعالى لنبيه
صلى الله عليه وسلم قل اي لهولاء
الجهلة يوم الفتح اي الذي تستهزون به
وهو يوم القيمة لا ينفع الذين كفروا اي
غطوا ايات ربهم التي لا خفا بها سوا في ذلك
انتم وغيركم ممن اتصف بهذا الوصف
ايمانهم لانه ليس ايمانا بالغيب ولا هم ينظرون

اي يمهلون في ايقاع العذاب بهم لحظة ما من منتظر
ما فات قيل قد سالوا عن وقت الفتح فكيف ينطبق
ينطبق هذا الكلام جوابا عن سوالهم اجيب
بانه كان غرضهم في السوال عن وقت الفتح
استعجالا منهم على وجه التكذيب والاستهزا
فاجيبوا على حسب ما علم من غرضهم في سوالهم
فقيل لهم لا تستعجلوا ولا تستهزوا فكاني
بكم وقد حصلتم في ذلك اليوم وامنتم فلم
ينفعكم الايمان واستنظرتم في ادراك العذاب
فلم تنظروا فان قيل من فسر بيوم الفتح
او بيوم بدر كيف يستقيم على تفسيره
اذ لا ينفعهم الايمان وقد ينفع الطلقا يوم فتح
مكة وناسا يوم بدر اجيب بان المراد ان
المقتولين منهم لا ينفعهم ايمانهم في حال القتل
كما لا ينفع فرعون ايمانه حال ادراك الغرق وقوله
تعالى فاعرض عنهم اي ولا تبالي بتكذيبهم وانتظر
اي انزال العذاب بهم انهم منتظرون اي بك حادث
موت او قتل فيستريحون منك كان ذلك قبل
الامر بقتالهم وقيل انتظر عذابهم بيقينك انهم
منتظرون

انهم منتظرون بلفظهم استهزا كما قالوا فاتنا بما
تعدنا وعن ابي هريرة قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقرا في الفجر يوم الجمعة الم تنزيل
اي في الركعة الاولى وهل اتى على الانسان اي في
الركعة الثانية وعن جابر قال كان النبي صلى
الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرا تبارك والم
تنزيل ويقول هما يفضلان على كل سورة في القران
بسبعين حسنة ومن قراها كتب له سبعون حسنة
ورفع له سبعون درجة وعن ابي بن كعب ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة
الم تنزيل اعطي من الاجر كمن احيا ليلة القدر
وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عنه صلى
الله عليه وسلم من قرا الم تنزيل في بيته
لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة ايام قال شيخ
شيخنا ابن حجر لم اجده **سورة الاحزاب مدنية**
وهي ثلاث وسبعون اية ومائتان وثمانون
كلمة وخمسماية خمسة الاف وتسعماية وتسعون
حرفا وعن ابي ذر قال قال لي ابي بن كعب كم

Copyright © King Saud University

تعدون سورة الاحزاب قال ثلاثا وسبعين
اية والذي يحلف به ابي بن كعب ان كانت
لتعدل سورة البقرة او اطول ولقد قرانا
منها اية الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموها
البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم اراد ان
ذلك من جملة ما نسخ من القران واما ما
حكي ان تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت
عايشة فاكلتها الداجن فمن تاليفات الملاحدة
والروافض لبسم الله الذي مهما اراد كان
الرحمن الذي شملت رحمته كل موجود بالكرم
والجود الرحيم لمن توكل عليه باللطف عليه
ونزلت في ابي سفيان وعكرمة بن ابي جهل
وابي الاعور عمرو بن سفيان السلمي لما قدموا
المدينة ونزلوا على عبد الله بن ابي راس
المنافقين بعد قتال احد وقد اعطاهم النبي
صلى الله عليه وسلم الامان على ان يكلموه
فقام معهم عبد الله بن سعد بن ابي سرح
وطعمة بن ابيرق فقالوا للنبي صلى الله عليه
وسلم وعنده عمر بن الخطاب ارفض ذكر
الهتنا

الهتنا اللات والعزى ومنات وقل ان لها
شفاعة لمن عبدها وندعك وربك فشق على
النبي صلى الله عليه وسلم قولهم فقال عمر
يا رسول الله ايذن لي في قتالهم فقال اني قد
اعطيتهم الامان فقال عمر اخرجوا من لعنة
الله وغضبه عليه وامر النبي صلى الله عليه
وسلم عمر ان يخرجهم من المدينة يا ايها النبي
اتق الله وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
قال ان اهل مكة منهم الوليد بن المغيرة
وشيبة بن ربيعة دعوا النبي صلى الله عليه
وسلم الى ان يرجع عن قوله على ان يعطوه
شطر اموالهم وخوفه المنافقون من اليهود
بالمدينة ان لم يرجع قتلوه فانزل الله تعالى
يا ايها النبي اتق الله اي دم على التقوى كما
يقول الرجل لغيره وهو قايم قم قايما اي
اثبت قايما فسقط بذلك ما يقال الامر
بالشي لا يكون الا عند اشتغال المامور
بغير المامور به اذ لا يصح ان يقال للجالس
اجلس وللساكت اسكت والنبي صلى الله

Copyright © King Saud University

عليه وسلم كان مستقبلا لان الامر بالمداومة
يصح في ذلك فيقال للجالس اجلس هنا حتى
اتيك ويقال للساكت قد احسنت فاسكت تسلم
اي دم على ما انت عليه وايضا من جهة العقل ان
المكلف يتقي هذه عبادة على ثلاثة اوجه بعضهم
يخاف من عقابه وبعضهم يخاف من قطع ثوابه
وثالث يخاف من حجابه فالنبي صلى الله عليه
وسلم يومر بالتقوى بالاول ولا بالثاني
واما الثالث فالمخلص لا يامنه ما دام في الدنيا
فكيف والامور البدنية شاغلة فالادمي في الدنيا
تارة مع الله والاخرى مقبل على ما لابد منه وان
كان معه الله ولهذا اشار بقوله عليه الصلاة
والسلام انما انا بشر مثلكم يوحي الي يعني يرفع
الحجاب عني وقت الوحي ثم اعود اليكم كان منكم
فامر بتقوى توجب ادامة الحضور وقال
الضحاك معناه اتق الله ولا تنقض الذي بينك
وبينهم وقيل الخطاب مع النبي صلى الله
عليه وسلم والمراد الامة تنبيه جعل الله
تعالى نداء نبيه صلى الله عليه وسلم بالنبي
والرسول

والرسول في قوله تعالى يا ايها النبي والرسول في قوله
تعالى يا ايها النبي اتق الله يا ايها النبي لم تحرم يا ايها
الرسول بلغ ما انزل اليك وترك نداءه باسمه
كما قال تعالى يا ادم يا موسى يا عيسى يا داوود كرامة
وتشريفا وتنويها بفضله فان قيل ان لم يرفع اسمه
في الندا فقد واقعه في الاخبار في قوله تعالى محمد
رسول الله وما محمد الا رسول اجيب بان ذلك
لتعليم الناس انه رسول الله وتلقين لهم ان
يسموه بذلك ويدعوه به فلا تفاوت بين الندا
والاخبار الا ترى الى ما لم يقصد به التعليم والتلقين
من الاخبار كيف ذكره بنحو ما ذكر في الندا لقد
جاءكم رسول من انفسكم وقال الرسول يا رب
لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة والله
ورسوله احق ان يرضوه النبي اولى بالمومنين
من انفسهم ولو كانوا يومنون بالله والنبي
ان الله وملائكته يصلون على النبي وقرا نافع
النبي بالهمز والباقون بغير همز ولما وجه الية
صلى الله عليه وسلم الامر بخشية المولى الودود
اتبعه النهي عن الالتفات لنحو العدو والحسود

Copyright © King Saud University

بقوله تعالى ولا تطع الكافرين والمنافقين في شيء من الاشيا
لم يتقدم اليك من الخالق فيه امر وان لاح لك خوف
او برق رجا فيما منهم واحترس منهم فانهم اعداء
الله تعالى واعداء المومنين لا يريدون الا المضارة
والمضادة قال ابو حيان سبب نزولها انه روي
انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كان يحب
اسلام اليهود فتابعه ناس على النفاق وكان
يلين لهم جانبه وكانوا يظهرون النصايح من طريق
المخادعة فنزلت تحذيرا لهم منهم وتنبيها على
عداوتهم اه وبهذا سقط ما قيل لم خص الكافر
والمنافق بالذكر ولان الذكر غيرهما لا حاجة اليه
لانه لا يكون عنده الا مطاعا ولان كل من طلع
طلب من النبي صلى الله عليه وسلم طاعة
فهو كافر ومنافق لان مما يامر النبي صلى الله عليه
وسلم بامر ايجاب معتقدا انه لم يفعله يعاقبه
يحق يكون كافرا وقرا ابو عمرو والدوري عن
الكسائي الكافرين بالامالة محض وورش بين
بين والباقون بالفتح ثم علل تعالى الامر
والنهي بما يزيل الهموم ويوجب الاقبال عليها
والزوم

٢٦٤

واللزوم بقوله تعالى ان الله اي بعظيم كماله كان
ازلا وابدا عليما اي شامل العلم حكيما بالغ
الحكمة فهو تعالى لم يامرك بامر الا وقد علم
ما يترتب عليه ولحكم اصلاح الحال فيه ولما كان
ذلك منها المخالفة كلما يدعوا اليه كافر وكان الكافر
ربما دعى الى شيء من مكارم الاخلاق قيده
بقوله تعالى واتبع اي بغاية جهدك ما يوحي
اي يلقي اليك خفيا كما يفعل المحب مع حبيبه
اليك من ربك اي المحسن اليك بصلاح جميع
امرك واتى موضع الضمير لظاهر ليدل على الاحسان
في التربية لتقوى على امتثال ما امرت به الاية
السالفة ولما امر باتباع الوحي رغبة فيه
بالتعليل باوضح من التعليل الاول في ان مكرهم
خفي بقوله تعالى مذكرا بالاسم الاعظم بجميع ما
يدل عليه من الاسما الحسنى زيادة في التقوى
على الامتثال موكدا للترغيب ان الله بعظمته
وكماله كان ازلا وابدا بما يعملون اي الفريقان
من المكايد وان دق خبيرا اي فلا تهتم بشانهم
فانه سبحانه كافيك وان تعاظم وقرا

ابو عمرو يعملون خبيرا وبما يعملون بصيرا بالياء على
الغيبة على ان الواو ضمير الكفرة والمنافقين
والباقون بالتاء على الخطاب فيهما ولما كان الادمي
موضع الحاجة قال تعالى وتوكل اي دع الاعتماد
على التدبير في كل امورك واعتمد فيها على الله
اي المحيط علما وقدرة فانه يكفيك في جميع
امورك وكفى بالله اي الذي له الامر كله على
الاطلاق وكيلا اي موكولا اليه الامور كلها
فلا تلتفت في شي من امرك غيره لانه ليس لك
قلبان تصدق كل واحد منهما الى واحد كما قال
تعالى ما جعل الله اي الذي له الحكمة البالغة
والعظمة الباهرة لرجل اي لاحد من بني ادم
ولا غيره وخص الرجل لانه اقوى جسما وفهما
فيفهم غيره من باب اولى واشار الى التاكيد
بقوله تعالى من قلبين واكد الحقيقة وقررها
وجلاها وصورها بقوله تعالى في جوفه اي ما
جمع الله تعالى قلبين في جوف لان تقلبين
معدن الروح الحيواني المتعلق بالنفس الانساني
اولا ومنبع القوى باسرها وجديد
البدن

البدن باذن الله تعالى وذلك يمنع التعدد
وما جعل ازواجكم اللاي اباح لكم التمتع بهن
تظهرون منهن كما يقول الانسان للواحدة منهن انت
على كظهر امي امهاتكم بما حرم عليكم من الاستمتاع
بهن حتى تحملوا ذلك على التابيد وترتبوا على
ذلك احكام الامهات كلها وما جعل ادعياكم جمع دعي
وهو من يدعي لغير ابيه ابناكم حقيقة ليحل
لهم ارثكم ويحرم عليكم حلايلكم وغير ذلك من
احكام الابنا والمعنى ان الله سبحنه وتعالى
كان لم يرى في حكمته ان يجعل للانسان قلبين
لانه لا يخلوا اما ان يفعل باحدهما مثل ما يفعل
بالاخر من افعال القلوب فاحدهما فضلة غير
محتاج اليه واما ان يفعل بهذا غير ما يفعل بذلك
فذلك يودي الى اتصاف الجملة بكونه مريدا كارها
عالما ظانا موقنا شاكا كما في حالة واحدة ولم
يرا ايضا ان تكون المراة الواحدة اما لرجل
زوجا له لان الام مخدومة مخفوض لها جناح
الجناح والمراة مستخدمة متصرف فيها بالاستمرار
وغيرها كالمملوكة وهما حالتان متنافيتان
ولم يرا ايضا ان يكون الرجل الواحد دعيا

Copyright © King Saud University

لرجل وابنا له لان البنوة اصالة في النسب و
عراقة فيه والدعوة الصادقة عارضة
بالتسمية لا غير ولا يجتمع في الشي الواحد ان
يكون اصلا غير اصيل هذا مثل ضربه الله
تعالى في زيد بن حارثة وهو رجل سبي صغيرا
وكانت العرب في جهالتها يتغاورون ويتسابون
فاشتراه حكيم بن حزام من لعمته خديجة فلما
تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم وهبته
له وطلبه ابوه وعمه وخير فاختار النبي
صلى الله عليه وسلم فقال له ابوه وعمه
ابا زيد تختار العبودية على الربوبية
قال ما انا بمفارق هذا الرجل فلما راى
رسول الله صلى الله عليه وسلم حرصه عليه
اعتقه وتبناه قبل الوحي واخا بينه وبين
حمزة بن عبد المطلب فلما تزوج رسول الله
صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش وكانت
تحت زيد بن حارثة قال المنافقون تزوج
امراة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك فانزل الله
تعالى هذه الاية فيه وقوله تعالى ما كان محمد
ابا

ابا احد من رجالكم وروي ان رجلا كان يسمى ابا
معمر حميد بن معمر الفهري وكان رجلا لبيبا حافظا
لما يسمع فقالت قريش ما حفظ ابا معمر هذه
الاشيا الا وله قلبان وكان يقول لي قلبان
اعقل بكل واحد منهما افضل من عقل محمد فلما
هزم الله تعالى المشركين يوم بدر انهزم ابو
معمر فيهم فلقيه ابو سفيان وهو معلق احدى
نعليه بيده والاخرى في رجله فقال له ما فعل
الناس فقال له بين مقتول وهارب فقال له
فما بالك احدى نعليك في رجلك والاخرى في
يدك فقال ما ظننت الا انهما في رجلي فاكذب
الله قوله وقولهم وضربه مثلا في الظهار والتبني
وعن ابن عباس كان المنافقون يقولون لمحمد
قلبان فاكذبهم الله تعالى وقيل سهى في صلاته
فقالت اليهود له قلبان قلب مع اصحابه وقلب
معكم وعن الحسن نزلت في ان واحد يقول في
نفسان نفس تامرني ونفس تنهاني فان
قيل ما وجه تعدية الظهار واخواته بعن
اجيب بان الظهار كان طلاقا في الجاهلية

Copyright © King Saud University

فكانوا يتجنبون المراة المظاهر منها كما يتجنبون
المطلقة فكان قولهم تظاهر منها تباعد منها
جهة الظهار فلما تضمن معنى التباعد
منها عدي بمن فان قيل ما معنى قولهم
انت علي كظهر امي اجيب بانهم ارادوا ان
يقولوا انت علي حرام كبطن امي فكنوا عن
البطن بالظهر لئلا يذكر والبطن الذي ذكره
يقارب ذكر الفرج لان عمود البطن ومنه
حديث عمر يجي به احدهم على عمود بطنه
اراد على ظهره ووجه اخر وهو ان اتيان
المراة وظهرها الى السما كان محرما عندهم
محظورا وكان اهل المدينة يقولون اذا اتيت
المراة ووجهها الى الارض جا ولدها احول
فالقصد المطلق منه الى التغليظ تحريم
امراته عليه شبهها بالظهر ثم لم يقنع
بذلك حتى جعله كظهر امه وهو منكر وزور
وفيه كفارة كما سياتي ان شا الله تعالى
في سورة المجادلة وقرا ابن عامر والكوفيون
اللاي بالهمزة المكسورة واليا بعدها في
الوصل

٢٢١٧

في الوصل وسهل اليا كالهمزة ورش والبزي
وابو عمرو مع المد والقصر وعن ابي عمرو والبزي
ايضا ابدالها يا ساكنة مع المد لا غير وقالون
وقنبل بالهمزة ولا يا بعدها وقرا تظهرون عاصم
بضم التا وتخفيف الظا والف بعدها وكسر
الها المخففة وقرا حمزة والكسائي بفتح التا
والظا المخففتين والف بعد الظا وفتح الها
مخففة وابن عامر كذلك الا انه يشدد الظا
والباقون بفتح اليا والظا والها مع تشديد
الظا والها ولا الف بعد الظا وقوله تعالى
ذلكم اشارة الى ان كل ما ذكر وهو الى الاخير
قولكم بافواهكم اي مجرد قول لسان من غير
حقيقة كالهذيان والله اي المحيط علما وقدرة
وله صفات جميع الكمال يقول الحق اي ماله
حقيقة الثابت الذي يوافق ظاهره باطنه
فلا قدرة لاحد على نقضه فان اخبر عن شي
فهو كما قال وهو اي وحده يهدي السبيل
اي يرشد الى سبيل الحق ولما كان كانه قيل

Copyright © King Saud University

فأقول اهدنا الى سبيل الحق قال تعالى ادعوهم
اي الادعيا لابايهم اي الذي ولدوهم ان علموا ولذا
قالوا زيد بن حارثة قال صلى الله عليه وسلم
من دعي الى غير ابيه وهو يعلم فالجنة عليه حرام
اخرجه الشيخان عن سعد بن ابي وقاص ثم
علل تعالى ذلك بقوله هو اي هذا الدعا
اقسط اي اقرب الى العدل من التبني وان
كان انما هو لمزيد الشفقة على المتبني و
الاحسان اليه عند الله اي الجامع لصفات
الكمال وعن ابن عمر ان زيد بن حارثة مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا ندعوه
الا زيد بن محمد حتى نزل القران ادعوهم
لابايهم الاية وقيل كان الرجل في الجاهلية اذا
اعجبه جلد الرجل وظرفه ضمه الى نفسه وجعل
له مثل نصيب الذكر من اولاده من ميراثه وكان
ينسب اليه فيقال فلان بن فلان اما اذا جهلوا
فهو ما ذكر بقوله تعالى فان لم تعلموا اباهم لجهل
اصلي او طاري فاخوانكم اي فهم اخوانكم في الدين

ان

ان كانوا دخلوا في دينكم اي قولوا لهم اخواننا
ومواليكم اي ان كانوا محررين اي قولوا موالي
فلان وعن مقاتل ان لم تعلموا الهاب
فانسبوهم اخوانكم في الدين اي تقول عبد الله
وعبد الرحمن وعبيد الله واشباههم من
الاسما وان يدعى الى اسم مولاه وقيل مواليكم
اولياؤكم في الدين ولما كان عادتهم لخوف
مما نسبق من اخوالهم على النفي لشدة رجوعهم
ورعهم اخبرهم انه تعالى اسقط عنهم ذلك
لكونه خطا وساقه على وجه يعم ما بعد
النهي ايضا بقوله تعالى وليس عليكم جناح
اي اثم وميل واعوجاج وعبر بالظرف ليفيد
ان الخطا اللاثم بوجه ولو عبر بالباء لظن
ان فيه اثما ولكن يعفى عنه فقال تعالى
فيما اخطاتم به اي من الدعا بالبنوة والمظاهر
او في شي قبل النهي او بعده ودل قوله تعالى
ولكن ما اي الاثم فيما تعمدت قلوبكم على
زوال الحرج ايضا فيما وقع بعد النهي على سبيل
النسيان او سبق اللسان ودل تاتيت

الفعل على انه لا يستعمد بعد البيان الشافي
الاقلب فيه رخاوة الانوثة وذل جمع الكثرة
على عموم الاثمان لم ينته المتعمد تنبيه يجوز في ما
هذه وجهان احدهما ان تكون مجرورة المحل
عطف على ما المجرورة قبلها بفي والتقدير
ولكن الجناح فيما تعمدت كما مرت الاشارة اليه
والثاني انها مرفوعة المحل بالابتدا والخبر
محذوف تقديره تواخذون به او عليكم فيه
الجناح ونحوه ولما كان هذا الكرم خاصا
عما تقدم عمم سبحانه وتعالى بقوله **وكان الله** ازلا
وابدا **غفورا** اي من صفته الستر البليغ على
المذنب التايب **رحيما** به ولما نهى تعالى عن
التبني وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد
تبنى زيد بن حارثة مولاه لما اختاره على ابيه
وعمه كما مر علل تعالى النهي فيه بالخصوص
بقوله تعالى دالا على ان الامر اعظم من ذلك
النبي الذي ينبيه الله تعالى بدقايق الاحوال
في بدايع الاقوال ويرفعه دايما من مراقي
الكمال ولا يريد ان يشغله بولد ولا مال

اولي

اولي بالمومنين اي الراسخين في الايمان
فغيرهم اولى في كل شي من امور الدين والدنيا
لما حازه من الحضرة الربانية **من انفسهم** فضلا
عن ابايهم في نفوذ حكمه فيهم ووجوب طاعته
عليهم روى ابو هريرة رضي الله عنه ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال ما مومن
الا وانا اولى الناس به في الدنيا والاخرة
اقروا ان شيتم النبي اولى بالمومنين من
انفسهم فاي مومن ترك مالا فليرثه عصبته
من كانوا فان ترك دينا او ضياعا فلياتني
فانا مولاه وعن جابر انه صلى الله عليه
وسلم كان يقول انا اولى بالمومنين بكل
مومن من نفسه فايما رجل مات وترك
دينا فالي ومن ترك مالا فهو لورثته وعن
ابي هريرة قال كان المومن اذا توفي في عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم يسال هل
عليه دين فان قالوا نعم قال ترك وفا لدينه
فان قالوا نعم صلى عليه وان قالوا لا قال
صلوا على صاحبكم وانما لم يصل عليه صلى

Copyright © King Saud University

الله عليه وسلم اولا فيما اذا لم يترك وفا لان
شفاعته صلى الله عليه وسلم لا ترد وقد
ورد ان نفس المومن محبوسة عن مقامها
الكريم ما لم يوف دينه وهو محمول على منه
قصر في وفايه في حال حياته اما من لم يقصر
لفقره مثلا فلا كما وضحت ذلك في شرح
المنهاج في باب الرهن وانما كان صلى الله
عليه وسلم اولى بهم من انفسهم لانه لا
يدعوهم الا الى العقل والحكمة ولا يامرهم الا
بما ينجيهم وانفسهم انما تدعوهم الى الهوى
والفتنة فتامرهم بما يرديهم فهو يتصرف
فيهم تصرف الاباء بل اعظم بهذا السبب
الرباني فاي حاجة الى السبب الجسماني
وازواجه امهاتهم اي المومنين اي مثلهن
في تحريم نكاحهن او وجوب احترامهن
وطاعتهن اكراما له صلى الله عليه وسلم
لا في حكم الخلوة والنظر والظهار والنفقة
والميراث وهو صلى الله عليه وسلم ابا الرجال
والنسا واما قوله تعالى ما كان محمد
ابا

ابا احد من رجالكم فمعناه ليس احد من رجالكم
ولد صلبه وسياتي ذلك وتحريم سوالهن الا من
وراء حجاب وما يتعلق بذلك ان شا الله تعالى
في محله وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
مر بغلام وهو يقرا في المصحف النبي اولى بالمومنين
من انفسهم وازواجه امهاتهم وهو اب لهم فقال
يا غلام حكها فقال هذا مصحف ابي فذهب
اليه فساله فقال انه كان يلهيني القران و
يلهيك الصفق بالاسواق ومعنى ذلك ان
هذا كان يقرا اولا ونسخ لما روي عن عكرمة
انه قال كان في الحرف الاول النبي اولى
بالمومنين من انفسهم وهو اب لهم وقوله
تعالى واولوا الارحام اي القرابات بانواع
النسب من البنوة وغيرها بعضهم اولى بحق
القرابة ببعض اي في التورية نسخ لما كان
في صدر الاسلام فانهم كانوا فيه يتوارثون
بالحلف والنصرة فيقول ذمتي ذمتك ترثني
وارثك ثم نسخ بالاسلام والهجرة ثم
نسخ باية المواريث وبالاخرة التي في اخر

Copyright © King Saud University

الانفال واعادها تاكيدا فان اية المواريث
مقدمة ترتيلا ونزولا على اية الانفال واية
الانفال على هذه كذلك قوله تعالى **في كتاب الله**
يحتمل ان ذلك في اللوح المحفوظ او فيما انزل وهو
هذه الايات المذكورة او فيما فرض الله ولما
بين انهم اولى بسبب القرابة بين الفضل
عليه بقوله تعالى **من** اي هم اولى بسبب
القرابة من **المومنين** الانصار من غير قرابة
مرحمه **والمهاجرين** اي ومن المهاجرين المومنين
من غير قرابة كذلك وقوله تعالى **الا ان تفعلوا**
استثنا منقطع كما جرى عليه الجلال المحلي
اي لكن ان تفعلوا **الى اوليايكم معروفا** بوصية
فجائز ويجوز ان يكون استثنا من اعم
العام كما قاله الزمخشري في معنى النفع
والاحسان كما تقول القريب اولى من الاجنبي
الا في الوصية تريد انه احق منه في كل نفع
من ميراث وهدية وهبة وصدقة وغير ذلك
الا في الوصية والمراد بفعل المعروف التوصية
لانه لا وصية لوارث وعدي تفعلوا بالى

لانه

لانه في معنى تسدو والمراد بالاوليا المومنين
والمهاجرين في الدين **كان ذلك** اي ما ذكر من اية
ادعوهم والنبي اولى وقيل اولها ما نسخ الارث
بالايمان والهجرة ثابتا **في الكتاب** اي اللوح المحفوظ
والقران **مسطورا** كما قال الاصبهاني وقيل في
التورية اذا نزل رجل بقوم من اهل دينه
فعليهم ان يكرموه ويواسوه وميراثه لذوي
قرابته فالاية من الاحتباك اثبت وصف الايمان
اولا دليلا على حذفه ثانيا ووصف الهجرة
ثانيا دليلا على حذف النصرة اولا **واذ**
اي واذكر حين **اخذنا** بعظمتنا **من النبيين**
ميثاقهم اي عهودهم في تبليغ الرسالة والدعا
الى الدين القيم في المنشط والمكره وفي
تصديق بعضهم لبعض وفي اتباعك فيما امرنا
به في قولنا لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم
جاكم رسول مصدق لما معكم لتومنن به
ولتنصرنه وقوله اقررنا ولما ذكر ما اخذ على
جميع الانبيا من العهد في ابلاغ ما يوحى اليهم
والعمل بمقتضاه ذكر ما اخذ عليهم من العهد

في التبليغ بقوله تعالى **ومنك** اي في قولنا في هذه
السورة اتق الله واتبع ما يوحى اليك وفي المايده
يا ايها النبي بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم
تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من
الناس فلا تهتم بمراعاة عدو ولا خليل ولا حقير
ولا جليل ولما اتم المراد اجماعا وعموما وخصه
صلى الله عليه وسلم من ذلك العموم مبتدا
بقوله صلى الله عليه وسلم كنت اول النبيين
في الخلق واخرهم في البعث بيانا للتشريف ولانه
المقصود بالذات اتبعه بقية اولي العزم
الذين هم اصحاب الكتب ومشاهير ارباب
الشرايع ورتبهم على ترتيبهم في الزمان
لانه لم يقصد المفاضلة بينهم بالتاسية
بالمتقدمين والمتاخرين قال **ومن نوح** اول
الرسل الى المخالفين **وابرهيم** ابي الانبيا **وموسى**
اول اصحاب الكتب من بني اسرايل **وعيسى
ابن مريم** ختام انبيا بني اسرايل ونبه
الي امه منادا به على من ضل فيه بدعوى الالوهية
وبالتوبيخ والتسجيل بالفضيحة تنبيه

ذكر

ذكر هذه الخمسة من عطف الخاص على العام كما علم
مما تقرر وقوله تعالى **واخذنا** اي بعظمتنا
في ذلك **منهم ميثاقا غليظا** اي شديدا بالوفاة
بما حملوه وهو الميثاق الاول وانما كرر لزيادة
وصفه بالغلظ وهو استعارة من وصف الاجرام
والمراد عظم الميثاق وجلالة شانه في بابه
وقيل الميثاق الغليظ اليمين بالله على الوفا
بما حملوا ثم اخذ الميثاق **ليسال** اي الله تعالى
يوم القيامة **الصادقين** اي الانبيا الذين صدقوا
عهدهم **عن صدقهم** اي عما قالوه لقومهم تبكيتا
للكافرين بهم وقيل ليسال الصادقين
المصدقين للانبيا عن تصديقهم لان من قال
للصادق صدقت كان صادقا في قوله وقيل
ليسال الانبيا ما الذي اجابتهم به اممهم
وقيل ليسال الصادقين بافواههم عن صدقهم
بقلوبهم وقوله تعالى **واعد للكافرين عذابا
اليما** اي مولما معطوف على اخذنا من النبيين
لان المعنى ان الله تعالى اكد على الانبيا الدعوة
الى دينه لاجل اثابة المومنين واعد

Copyright © King Saud University

للكافرين عذابا اليما ويجوز ان يعطف على ما دل
عليه ليسال الصادقين كانه قال اثاب
المومنين واعد للكافرين وقيل انه قد حذف
من الثاني ما اثبت مقابلته في الاول ومن
الاول ما اثبت مقابلته في الثاني والتقدير
ليسال الصادقين كانه قال اثاب المومنين
واعد للكافرين وقيل انه قد حذف من
الثاني ما اثبت مقابلته في الاول ومن
الاول ما اثبت مقابلته في الثاني و
التقدير ليسال الصادقين عن صدقهم فاثابهم
ويسال الكافرين عما اجابوا به رسلهم
واعد لهم عذابا اليما ثم حقق الله تعالى
ما سبق لهم من الامر بتقوى الله تعالى بحيث
لا يبقى معه الخوف من احد بقوله تعالى يا ايها
الذين امنوا اذكروا ورغبهم في الشكر بذكر
الاحسان والتصريح بالاسم الاعظم بقوله تعالى
نعمة الله اي الملك الاعلى الذي لا كفو له عليكم
اي لتشكروا عليها بالتعود لامره وعبر
بالنعمة لانها المقصودة بالذات والمراد
انعامه

انعامه يوم الاحزاب وهو يوم الخندق ثم
ذكرها وقت تلك النعمة زيادة في تصويرها
ليذكر لهم ما كان فيه منها بقوله تعالى اذ اي حين
جاتكم جنود اي الاحزاب وهم قريش وغطفان
ويهود وقريظة والنضير وقرا نافع وابن كثير
وابن ذكوان وعاصم بالاظهار والباقون بالادغام
فارسلنا اي فتسبب عن ذلك انا لما راينا عجزكم
عن مقابلتهم ودفعهم ارسلنا عليهم ريحا
وهي ريح الصبا قال عكرمة قالت الجنوب للشمال
ليلة الاحزاب انطلقي بنصرة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت الشمال ان الحرة لا تسري
بالليل فكانت الريح التي ارسلت لهم الصبا
لما روى ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم
قال نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور
لان الصبا ريح فيها روح ما هبت على محزون
الا زال حزنه وجنودا اي وارسلنا جنودا من
الملائكة لم تروها وكانوا الفا ولم تقاتل
يومئذ فبعث الله تعالى عليهم تلك الليلة
ريحا باردة فقلعت الاوتاد وقطعت اطناب

Copyright © King Saud University

الفساطيط واطفات النيران واكفات القدور
وجالت الخيل بعضها علي بعض وكثر تكبير
الملايكة في جوانب عسكرهم حتى كان سيد
كل حي يقول يا بني فلان هلم الي واذا اجتمعوا
عنده قال النجا النجا فانهزموا من غير قتال
لما بعث الله تعالي عليهم من الرعب وكان
الله اي الذي له جميع صفات الجلال
والجمال بما يعملون اي الاحزاب من التحزب والتجمع
والمكر وغير ذلك بصيرا اي بالغ الابصار والعلم
تنبيه قال البخاري قال موسى بن عقبة
كانت غزوة الخندق وهي الاحزاب في
شوال سنة اربع وروى محمد بن اسحاق
عن مشايخه قال دخل حديث بعضهم في
بعض ان نفرا من اليهود منهم سلام بن
ابي الحقيق وحيي بن اخطب وكنانة بن الربيع
ابن ابي الحقيق وهودة بن قيس وابو عمار
الوايلي في نفر من بني النضير ونفر من بني وايل
وهم الذين حزبوا الاحزاب على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقدموا
سنكون

سنكون معكم عليه حتى نستاصله فقالت لهم
قريش يا معشر يهود انكم اهل الكتاب الاول
والعلم بما اصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد
فديننا خير ام دينه قالوا دينكم خير من دينه
وانتم اولى بالحق منه فهم الذين قال الله تعالى
فيهم الم تر الي الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
يومنون بالجبت والطاغوت الي قوله تعالى
وكفى بجهنم سعيرا فلما قالوا ذلك لقريش سرهم
ما قالوا ونشطوا لما دعوهم اليه من
حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
واجمعوا على ذلك ثم خرج اوليك النفر
من اليهود حتى جاوا الي غطفان فدعوهم
الي ذلك واخبروهم انهم سيكونون معهم
عليه وان قريشا بايعوهم على ذلك فاجابوهم
فخرجت قريش وقايدهم ابو سفيان بن حرب
وخرجت غطفان وقايدهم عيينة بن
حصن فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم وبما جمعوا له من الامر ضرب الخندق
على المدينة وكان الذي اشار به على النبي

Copyright © King Saud University

صلى الله عليه وسلم سلمان الفارسي وكان اول
مشهد شهده مع النبي صلى الله عليه وسلم
وهو يومئذ حر فقال يا رسول الله انا كنا
بفارس اذ حوصرنا خندقنا علينا فعمل فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون
حتى احكموه قال انس خرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى الخندق فاذا المهاجرون
في غداة باردة ولم يكن لهم عبيد يعملون ذلك
لهم فلما راي ما بهم من النصب والجزع قال
اللهم ان العيش عيش الاخرة فاغفر للانصار والمهاجرة
فقالوا مجيبين له
نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا ابدا
قال البرا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
ينقل التراب يوم الخندق حتى اغبر بطنه وهو يقول
والله لولا الله ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
فانزلن سكينة علينا
وثبت الاقدام اذ لاقينا
ان الاولى قد بغوا علينا اذا ارادوا فتنة ابينا
ورفع

٢٩٥

ورفع بها صوته ابينا ابينا فلما فرغ رسول
الله صلى الله عليه وسلم من الخندق اقبلت
قريش في عشرة آلاف من الاحابيش وبني كنانة
واهل تهامة وقايدهم ابو سفيان حتى نزلت
بمجمع الاسيال من رومة بين الجرف والغابة
واقبلت غطفان في الف ومن تابعهم من اهل
نجد وقايدهم عيينة بن حصن وعامر بن
الطفيل في هوازن وضامتهم اليهود من
قريظة والنضير حتى نزلوا الى جانب احد
وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم الى سلع
في ثلاثة الاف من المسلمين فضرب هناك
عسكره والخندق بينه وبين القوم
وامر بالذراري والنساء فرفعوا في الاطام
ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب
بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة وكان نزول
غطفان من اعلى الوادي من قبل المشرق
وقريش من اسفل الوادي من قبل المشرق
كما قال تعالى اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم وهو بدل من

Copyright © King Saud University

من اذ جاتكم من فوقكم اي من اعلا الوادي
ومن اسفل منكم اي من اسفل الوادي واذ
اي واذكر حين زاغت الابصار اي مالت عن
سداد القصد فعل الوال الجزع بما حصل من
الغفلة الحاصلة من الرعب وقوله تعالى وبلغت
القلوب الحناجر جمع حنجرة وهي منتهى الحلقوم
كناية عن شدة الرعب والخفقان قال البقاعي
ويجوز وهو الاقرب ان يكون ذلك حقيقة
بجذب الطحال والرية لها عند ذلك بانتفاخهما
الى اعلا الصدر ولهذا يقال للجبان انتفخ نحره
اي ريته فلما اشتد البلا على الناس بعث الله
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عيينة
ابن حصن والى الحارث بن عمرو وهما قايدان
غطفان فاعطاهما ثلث ثمار المدينة على ان
يرجعا بمن معهما عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم واصحابه فجرى بينه وبينهما الصلح
حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة فذكر
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد
ابن معاذ وسعد بن عبادة واستشارهما
فيه

فيه فقال يا رسول الله اشي انزل الله به
لابد لنا من عمل به ام امر تحبه فنصنعه ام
شي تصنعه لنا قال لا والله بل لكم والله
ما اصنع ذلك الا لاني رايت العرب قد
رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فاردت
ان اكسر عنكم شوكتهم فقال له سعد بن معاذ
يا رسول الله قد كنا نحن وهولاء القوم على شرك
بالله وعبادة الاوثان لا نعبد الله ولا نعرفه
وهم لا يطمعون ان ياكلوا منا ثمرة الا قرى او بيعا
افحين اكرمنا الله بالاسلام واعزنا الله تعالى
بك نعطيهم اموالنا ما لنا بهذا من حاجة والله
لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم
فقال صلى الله عليه وسلم انت وذاك فتناول
سعد الصحيفة فمحى ما فيها من الكتابة ثم قال
ليجهدوا علينا فقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعدوهم محاصروهم ولم يكن بينهم
قتال الا فوارس من قريش عمرو بن عبد ود
اخو بني عامر بن لوي وعكرمة بن ابي جهل
وهبيرة بن ابي وهب المخزومي ونوفل بن

Copyright © King Saud University

عبد الله وضرار بن الخطاب ومرداس اخو محارب بن فهر
قد تلبسوا للقتال وخرجوا على خيلهم ومروا على بني
كنانة فقال تهيوا للحرب يا بني كنانة فستعلمون
اليوم من الفرسان ثم اقبلوا نحو الخندق حتى وقفوا
عليه فلما راوه قالوا والله ان هذه لمكيدة
ما كانت العرب تكيدها ثم تيمموا مكانا من
الخندق ضيقا فضربوا خيولهم فاقتحمت فيه
فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع
فخرج علي رضي الله عنه في نفر من المسلمين
حتى اخذوا عليهم الثغرة التي اقتحموا منها
خيلهم واقبلت الفرسان تعنق نحوهم
وكان عمرو بن ود قاتل يوم بدر حتى اثبتته
الجراحة فلم يشهد احد فلما كان يوم الخندق
خرج معلما ليرى مكانه فلما وقف هو وخيله
قال له علي يا عمرو انك كنت تعاهد الله لا
يدعوك رجل من قريش الى خلتين والا اخذت
منه احداهما قال اجل قال له علي فاني ادعوك
الى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم
والى الاسلام قال لا حاجة لي بذلك قال
فاني

فاني ادعوك الى البراز قال ولم يا ابن اخي فوالله
ما احب ان اقتلك قال علي ولكني والله احب
ان اقتلك فحمي عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه
فعقره او ضرب وجهه ثم اقبل الى علي
فتنازلا وتجاولا فقتله علي وخرجت خيله
منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة وقتل
مع عمرو رجلان منبه بن عثمان اصابه سهم
فمات بمكة ونوفل بن عبد الله المخزومي
وكان اقتحم الخندق فتورط فيه فرموه بالحجارة
فقال يا معشر العرب قتلة احسن من هذه
فنزل اليه علي فقتله فغلب المسلمون على
جسده فسالوا رسول الله صلى الله عليه و
سلم ان يبيعهم جسده فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا حاجة لنا في جسده
وثمنه فشانكم به فخلى بينهم وبينه ولما
نشا عن هذا تقلب القلوب وتجدد ذهاب
الافكار كل منهما عبر بالمضارع الدال على دوام
التجدد بقوله تعالى وتظنون بالله اي الذي له
صفات الكمال الظنون اي انواع الظن

Copyright © King Saud University

فظن المخلصون ثبت القلوب ان الله منجز وعده
في اعلا دينه او ممتحنهم فخافوا الذلل وروي
ان المسلمين قالوا بلغت القلوب الحناجر
فهل من شي نقول فقال صلى الله عليه
وسلم قولوا اللهم استر عوراتنا وامن
روعاتنا واما الضعاف القلوب و
المنافقون فما حكى الله عنهم كما سياتي
وقرا نافع وابن عامر الظنونا هنا والرسولا
والسبيلا اخر السورة باثبات الالف في
الثلاثة وقفا ووصلا وابو عمرو وحمزة
بحذف الالف وقفا ووصلا قال الزمخشري
وهو القياس والباقون بالالف في الوقف
دون الوصل زادوها في الفاصلة كما زادوها
في القافية قال اقلي اللوم عاذل والعتابا
ورسم الثلاثة بالالف ولما كانت الشدة
في الحقيقة انما هي للثابت لانه ما عنده
الا الهلاك او النصرة قال تعالى هنالك اي
في ذلك الوقت العظيم البعيد الرتبة
ابتلي المومنون اختبروا فظهر المخلص
من المنافق والثابت من المتزلزل وزلزلوا

اي حركوا

اي حركوا وازعجوا بما يرون من الاهوال
بتظافر الاعدا مع الكثرة وتطاير الاراجيف زلزالا
شديدا فثبتوا بتثبيت الله تعالى لهم على
عدوهم عن صفية قالت مر بنا رجل من يهود
فجعل يطوف بالحصن وقد حاربت بنوا قريظة
وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله
عليه وسلم وليس بيننا وبينهم من يدفع
عنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم في
نحور عدوهم لا يستطيعون ان ينصرفوا الينا
عنهم اذا اتانا ات قالت فقلت يا حسان ان هذا
اليهودي يطوف بنا كما ترى بالحصن واني والله
ما امنه ان يدل على عوراتنا من ورانا من
يهود وقد شغل عنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم واصحابه فانزل اليه فاقتله فقال
يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب والله لقد
عرفت ما انا بصاحب هذا قالت فلما قال ذلك
ولم ار عنده شيا احتجزت ثم اخذت عمودا ثم
نزلت من الحصن اليه فضربته بالعمود حتى قتلته

Copyright © King Saud University

٢٩٩

فلما فرغت منه رجعت الى الحصن فقلت يا حسان
انزل اليه فاسلبه فانه لم يمنعني من سلبه
الا انه قال مالي بسلبه من حاجة يا ابنة عبد
المطلب واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصحابه فيما وصف الله تعالى من الخوف
والشدة لتظاهر عدوهم واتيانهم من
فوقهم ومن اسفل منهم ثم ان نعيم بن مسعود
ابن عامر بن غطفان اتى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني
قد اسلمت وان قومي لم يعلموا باسلامي
فمرني بما شئت فقال رسول الله صلى الله نرغ
عليه وسلم انما انت فينا رجل واحد فخذل عنا
ان استطعت فان الحرب خدعة فخرج نعيم بن
مسعود حتى اتى قريظة وكان لهم نديما في الجاهلية
فقال لهم يا بني قريظة قد عرفتم ودي اياكم وخاصة
ما بيني وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم
فقال لهم ان قريشا وغطفان جاوا لحرب محمد
وقد ظاهرتموهم عليه وان قريشا وغطفان
يسو

ليسوا كهيئتكم البلد بلدكم به اموالكم واولادكم
ونساوكم لا تقدروا على ان تحولوا منه الى غيره
وان قريشا وغطفان اموالهم وابناوهم ونساوهم
بغيره اذا راوا نهزة وغنيمة اصابوها وان
كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين
الرجل والرجل ببلدكم لا طاقة لكم به ان خلا
بكم فلا تقاتلوا القوم حتى تاخذوا منهم رهنا
من اشرافهم يكونون بايديكم ثقة لكم على ان
يكونوا معكم لابي سفيان بن حرب ومن معه
من رجال قريش فقال قد عرفتم ودي اياكم
وفراقي محمدا وقد بلغني امر رايت ان حقا
علي ان ابلغكموه نصحا لكم فاكتموا علي قالوا نفعل
قال تعلموا ان معشر يهود قد ندموا على
ما صنعوا بينهم وبين محمد وقد ارسلوا اليه
ان قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك عنا ان
ناخذ من القبيلتين قريش وغطفان رجالا
من اشرافهم فنعطيكهم فتضرب اعناقهم ثم
نكون معك على من بقي منهم فارسل اليهم
ان نعم فان بعثت اليكم يهود يلتمسون

Copyright © King Saud University

رهنا من رجالكم فلاتدفعوا اليهم رجلا واحدا
ثم خرج حتى اتى غطفان فقال يا معشر
غطفان انتم اصلي وعشيرتي واحب الناس
الي ولا اراكم تتهمونني قالوا صدقت قال
فاكتموا علي قالوا نفعل ثم قال لهم مثل ما
قال لقريش وحذرهم مثل ما حذرهم فلما
كانت ليلة السبت في بسوال سنة خمس وكان
مما صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم
ارسل ابو سفيان ورؤوس غطفان الى بني
قريظة عكرمة بن ابي جهل في نفر من قريش وغطفان
فقالوا انا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر
فاعدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ فيما بيننا
وبينه فارسلوا اليهم ان اليوم السبت وهو
يوم لا نعمل فيه شيا وقد كان احدث فيه
بعضنا حدثا فاصابه ما لم يخف عليكم ان
تسيروا الى بلادكم وتتركونا والرجل في بلادنا
ولا طاقة لنا بذلك من محمد فلما رجعت اليهم الرسل
بالذي قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان
نعلم والله ان الذي حدثكم به نعيم بن مسعود
لحق

لحق فارسلوا الى بني قريظة انا والله لا ندفع
اليكم رجلا واحدا من رجالنا فان كنتم تريدون
القتال فاخرجوا فقاتلوا فقالت بنو قريظة حين
انتهت الرسل اليهم بهذا ان الذي ذكر لكم نعيم
ابن مسعود لحق ما يريد القوم الا ان يقاتلوا
فاذا وجدوا فرصة انتهزوها وان يكن غير ذلك
استمروا الى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل
في بلادكم فارسلوا الى قريش وغطفان انا
والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فابوا
عليهم وخذل الله تعالى بينهم وبعث الله تعالى
الريح في ليال شاتية شديدة البرد فجعلت
تكفا قدورهم وتطرح ابنيتهم فلما انتهى الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختلف
من امرهم قال من يقوم فيذهب الى هولا القوم
فياتينا بخبرهم ادخله الله تعالى الجنة قال
حذيفة فما قام منا رجل ثم صلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم هويا من الليل ثم التفت الينا
فقال مثله فاسكت القوم وما قام منا
رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

Copyright © King Saud University

هو يا من الليل ثم التفت الينا فقال ما من رجل
يقوم فينظر لنا ما فعل القوم على ان يكون
رفيقي في الجنة فما قام رجل من شدة الخوف
وشدة البرد فلما لم يقم احد دعاني رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا حذيفة فلم يكن
لي بد من القيام حين دعاني فقلت لبيك
يا رسول الله وقمت اتيته وان جنبي ليضطربان
فمسح راسي ووجهي ثم قال ايت هولا القوم
حتى تاتيني بخبرهم ولا تحدثن شيا حتى ترجع
الي ثم قال اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه
وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته
فاخذت سهمي وشددت على اصلابي ثم
انطلقت امشي نحوهم كاني امشي في حمام فذهبت
فدخلت في القوم وقد ارسل الله تعالى ريحا
وجنود الله تعالى تفعل بهم ما تفعل
وابو سفيان قاعد يصطلي فاخذت
سهما فوضعته في كبد قوسي فاردت ان ارميه
ولو رميته لاصبته فذكرت قول النبي صلى
الله عليه وسلم لا تحدثن شيا حتى ترجع
فزددت

فرددت سهمي في كنانتي فلما راى ابو سفيان ما تفعل
الريح وجنود الله تعالى بهم لا تقر لهم قرارا ولا نارا
ولا بناء قام فقال يا معشر قريش ليأخذ كل منكم
بيد جليسه فلينظر من هو فاخذت بيد جليسي
فقلت من انت فقال سبحان الله اما تعرفني انا فلان
فاذا رجل من هوازن فقال ابو سفيان يا
معشر قريش انكم والله ما اصبحتم بدار مقام
لقد هلك الكراع والخف واخلفنا بنو قريظة
وبلغنا عنهم الذي نكره وبلغنا من هذه
الريح ما ترون فارتحلوا فاني مرتحل ثم قام الى
جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به
على ثلاث فما اطلق عقاله الا وهو قايم وسمعت
غطفان بما فعلت قريش فاستمروا راجعين الى
بلادهم قال فرجعت الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم كاني امشي في حمام فاتيته وهو
قايم يصلي فلم اخبره الخبر ضحك حتى بدت
انيابه في سواد الليل قال فلما اخبرته
وفرغت قررت وذهب عني الدفا فادناني
النبي صلى الله عليه وسلم فانامني

Copyright © King Saud University

عند رجليه والتى على طرف ثوبه فالصق صدري
ببطن قدميه فلم ازل نايما حتى اصبحت قال
قم يا نومان ثم انه تعالى بين حال غير الثابتين
بقوله تعالى واذ يقول المنافقون معتب بن
قشير وقيل عبد الله بن ابى واصحابه والذين في
قلوبهم مرض اى ضعف اعتقاد ما وعدنا الله
ورسوله الا غرورا اى باطلا استدرجنا به
الى السلاح بما وعدنا به من ظهور هذا الدين
كله والتمكين في البلاد حتى في حفر الخندق فانه
قال انه ابصر بما برق له في ضوئها اصحح
سلمان مدينة صنعا من اليمن وقصور كسرى
من الحيرة من ارض فارس وقصور الشام من
ارض الروم وان تابعيه ليظهرون على ذلك كله
وقد صدق الله وعده في جميع ذلك حتى
لبس سراقة بن مالك بن جعشم سوار كسرى
ابن هرمز كما هو مذكور في دلايل النبوة للبيهقي
وكذبوا في شكهم ففاز المصدقون وخاب الذين
هم في دينهم يترددون واذ قالت طايفة منهم
اي من المنافقين وهم اوس بن قيظي واصحابه
يا

يا اهل يثرب اى المدينة وقال ابو عبيدة يثرب
اسم ارض ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم
في ناحيتها وفي بعض الاخبار ان النبي صلى الله
عليه وسلم نهى ان تسمى المدينة يثرب وقال
هي طابة كانه كره تلك اللفظة فعدلوا عن هذا الاسم
الذي سماها به النبي صلى الله عليه وسلم الى الاسم
الذي كانت تدعى به قديما مع نهيه عنه ولاحتمال
قبحه باشتقاقه من التثريب الذي هو اللوم
والتعنيف وقال اهل اللغة يثرب اسم المدينة
وقيل اسم البقعة التى فيها المدينة وامتناع
صرفها اما للعلمية والوزن او العلمية والتانيث
واما يترب بالمثناة وفتح الرا لموضع اخر باليمن
قال الشاعر
وعدتك وكان الخلف منك سجية
مواعيد عرقوب اخاه بيثرب
وقال اخر
وقد وعدتك موعد الوقت مواعيد عرقوب اخاه يترب
وقرا لا مقام لكم حفص بضم الميم اى لا اقامة لكم
في مكان القتال ومصارفة الابطال

من سالم وما تلبثوا بها اي ما احتبسوا من الفتنة
الا يسيرا اي لا اسرعوا الى الاجابة للشرك طيبة
بها نفوسهم فعلم بذلك انهم لا يقصدون الا الفرار
لا حفظ البيوت من المضار وهذا قول اكثر
المفسرين وقال الحسن المراد بالفتنة الخروج من
البيوت سمي بذلك لان الانسان لا يخرجه من
بيته الا الموت او ما هو يقاربه فكانه فتنة
وعلى هذا يكون الضمير في بها راجع للبيوت او
المدينة اي ما لبثوا بالبيوت او بالمدينة بعد
اعطا الكفر الا يسيرا حتى هلكوا ولقد كانوا
اي هولاء الذين اسرعوا الاجابة الى الفرار
عاهدوا الله اي الذي لا اجل منه من قبل
اي من قبل غزوة الخندق لا يولون الادبار
اي لا ينهزمون وقال يزيد بن رومان هم بنو
حارثة هموا يوم احد ان تفشلوا مع بني سلمة
فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله تعالى ان لا
يعودوا لمثلها وقال قتادة هم اناس كانوا
غابوا عن وقعة بدر فراوا لما اعطى الله تعالى
اهل بدر من الكرامة والفضيلة قالوا لئن
اشهدنا

اشهدنا الله تعالى قتالا لنقاتلن فساق الله تعالى
اليهم ذلك وقال مقاتل والكلبي هم سبعون
رجلا بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط
لنفسي ان تمنعوني ما تمنعون منه انفسكم و
ازواجكم واولادكم قالوا واذا فعلنا ذلك فما لنا يا
رسول الله قال لكم النصر في الدنيا والجنة في الاخرة
قالوا قد فعلنا فذلك عهدهم قال البغوي
وهذا القول ليس بمرضي لان الذين بايعوا ليلة
العقبة كانوا سبعين نفرا ليس فيهم شاك ولا
من يقول مثل هذا القول وانما الاية في قوم عاهدوا
الله تعالى ان يقاتلوا ولا يفروا فنقضوا العهد
اه ولما كان الانسان قد يتهاونون بالعهد
لاعراض المعاهد عنه قال تعالى وكان عهد
الله المحيط بصفات الكمال مسئولا اي عن
الوفا به ثم امر الله تعالى نبيه صلى الله
عليه وسلم بقوله تعالى قل اي لهم واكد
لظنهم نفع الفرار لن ينفعكم الفرار في تاخير
اجالكم في وقت من الاوقات الذي علكان

Copyright © King Saud University

استيذانكم الا بسببه ان فررتم من الموت او القتل اي
الذي كتب لكم لان الاجل ان كان قد حضر لم يتاخر
بالفرار والا لم يقصر بالثبات كما كان علي رضي الله
تعالى عنه يقول

دهم الامر وتوقد الجمر   واشتد من الحرب الحر
اي يومي من الموت افر   يوم لا يقدر او يوم قدر

وذلك ان اجل الله الذي جعله محيطا بالانسان
لا يقدر ان يتعداه اصلا واذا اي فررتم من لا
تمتعون في الدنيا بعد فراركم الا قليلا اي مدة اجالكم
وهي قليل فالعاقل لا يرغب في شيء قليل يفوت
عليه شيا كثيرا ولما كان ربما يقولون بل ينفعنا
لانا طال ما راينا من هرب فسلم ومن ثبت
فاصطلم امر الله تعالى بالجواب عن هذا
بقوله تعالى قل اي لهم منكرا عليهم من ذا الذي
يعصمكم اي يجيركم ويمنعكم من الله اي المحيط
بكل شي قدرة وعلما في حال الفرار وقبله وبعده
ان اراد بكم سوءا اي هلاكا وهزيمة فيرد ذلك
عنكم او يصيبكم بسوء ان اراد اي الله بكم رحمة
اي خيرا سماه بها لانه اثرها والمعنى
هل

هل احترزتم في جميع اعماركم عن سو ارادة فنفعكم
الاحتراز واجتهد غيركم في منعكم رحمته منه فتم
له امره او اوقع الله بكم شيا من ذلك فقدر احد
مع بذل الجهد على كشفه بدون اذنه ويمكن ان
يكون الاية من الاحتباك ذكر السو اولا دليلا على
حذف ضده ثانيا وذكر الرحمة ثانيا دليلا على
حذف ضدها اولا وهذا كله بيان لقوله تعالى
لن ينفعكم الفرار وقوله تعالى ولا يجدون لهم
اي في وقت من الاوقات من دون الله اي غيره
وليا اي يواليهم فينفعهم بنوع نفع ولا نصيرا
اي ينصرهم من امره فيرد ما اراده بهم من السو
عنهم تقريرا لقوله تعالى قد يعلم الله اي الذي
احاط بالجلال والجمال المعوقين منكم اي المبطئين
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم
المنافقون والقائلين لاخوانهم اي ساكني المدينة
هلم اي ايتوا واقبلوا الينا موهمين ان نلجيهم
مما يقام فيه القتال ويواظب فيه القتال ويواظب
فيه على صالح الاعمال قال قتادة هولا ناس
من المنافقين كانوا يثبطون انصار رسول

الله صلى الله عليه وسلم ويقولون لاخوانهم
ما محمد واصحابه الا اكلة راس ولو كانوا لحما لالتقمهم
ابو سفيان واصحابه دعوا الرجل فانه هالك
وقال مقاتل نزلت في المنافقين وذلك ان
اليهود ارسلت الى المنافقين وقالوا ما الذي
يحملكم على قتل انفسكم بيد ابي سفيان ومن
معه فانهم ان قدروا عليكم في هذه المرة
لم يستبقوا منكم احدا فانا اشفق عليكم انتم
اخواننا وجيراننا فهلم الينا فاقبل عبد الله بن
ابي واصحابه على المومنين يعوقونهم ويخوفونه
بابي سفيان ومن معه وقالوا ما ترجون
من محمد ما عنده خير ما هو الا ان يقتلنا هنا
انطلقوا بنا الى اخواننا يعني اليهود فلم
يزداد المومنون بقول المنافقين الا ايمانا
واحتسابا تنبيه هلم اسم صوت سمي به
فعل متعدي مثل احضر وقرب واهل الحجاز
سوا فيه بين الواحد والجماعة وبلغتهم جاء
القران العظيم واما بنو تميم فتقول هلم يا رجل
هلموا يا رجال ولا اي والحال يأتون البأس
اي

اي لجبن او مكانا الا قليلا اي للريا والسمعة
بقدر ما يراهم المخلصون فاذا اشتغلوا بالمعاركة
وكفى كل منهم ما اليه تسللوا عنه ولاذوا وعادوا
بمن لا ينفقهم من الخلق عيانا اذ اشحة اي يبخلون
ما تقدروا والحال ان كلا منهم شحيح عليكم اي
بحصول نفع منهم او من غيرهم نفسا ومالا تنبيه
اشحة جمع شحيح وهو جمع لا يقاس اذ قياس فعيل
الوصف الذي عينه ولامه من واد واحد ان
يجمع على افعلاء نحو خليل واخلا وضنين واضنا
وقد سمع اشحاء وهو القياس والشح بالبخل
وصفهم الله تعالى بالبخل ثم بالجبن بقوله
تعالى فاذا جا الخوف اي لمجي اسبابه
من الحرب ومقدماتها رايتهم اي المخاطب وقوله
تعالى ينظرون في محل حال من مفعول رايتهم
لان الرؤية بصرية وبين بعدهم حسا ومعنى
بحرف الغاية بقوله تعالى اليك اي حال كونهم
تدور فهي اما حال ثانية واما حال من
ينظرون يمينا وشمالا بارادة الطرف اعينهم
اي زائغة رعبا ثم شبهها في سرعة تقلبها

لغير قصد صحيح بقوله تعالى كالذي اي كدورات
اعين الذي يغشى عليه مبتدا اغشيائه من الموت
اي من معالجة سكراته خوفا ولواذا بك وذلك
لان قرب الموت وغشية اسبابه تذهب
عقله ويشخص بصره فلا يطرف فاذا ذهب
الخوف وحيزت الغنايم سلقوكم اي تناولوكم
تناولا صعبا بانواع الاذا ناسين ما وقع
منهم عن قرب من الجبن والخور واصل
السلق البسط بقهر اليد او اللسان ومنه
سلق امراته اي بسطها وجامعها قال القايل
الهي لنا المضجع فان شيت سلقناك وان
شيت على اربع والسليقة الطبيعة المباينة
والسليق المطمين من الارض بالسنة حداد
ذربة قاطعة فصيحة بعد ان كانت عند
الخوف في غاية اللجلجة لا تقدر على الحركة
من قلة الريق ويبس الشفاة وهذا الطلب
العرض الفاني من الغنيمة وغيرها يقال
للخطيب الذرب اللسان الفصيح مسلق وقال
ابن عباس سلقوكم اي عضوكم قد تناولوكم
بالنقص

بالنقص والغيبة وقال قتادة بسطوا السنتهم
فيكم وقت قسمة الغنيمة ويقولون اعطونا فانا
شهدنا معكم القتال ولستم احق بالغنيمة منا ثم بين
المراد بقوله تعالى اشحة اي شحا مستعليا على
الخير اي المال الذي عندهم وفي اعتقادهم انه لا خير
غيره لا يريدون ان يصل شي منه اليكم ولا يفوتهم
شي منه فهو عند الغنيمة اشح قوم وعند الباس
اجبن قوم ولما وصفهم تعالى بهذه الصفات الدنية
اخبر تعالى ان اسبابها التي نشات عنه عدم
الوثوق بالله تعالى لعدم الايمان فقال تعالى
اوليك اي البعدا البغضا لم يومنوا اي لم يوجد
منهم ايمان بقلوبهم وان اقرت به السنتهم فاحبط
الله اي بجلاله وتفرده في كبريايه وكماله اعمالهم
التي كانوا ياتونها مع المسلمين فاظهر بطلانها
اذ لم تثبت لهم الاعمال فبطل وقال قتادة
ابطل الله تعالى جهادهم وكان ذلك على الله
بما له من صفات العظمة يسيرا اي هينا لتعلق
الارادة به وعدم ما يمنعه عنه وقوله تعالى
يحسبون الاحزاب لم يذهبوا يجوز ان يكون مستانفا

Copyright © King Saud University

اي هم من الخوف بحيث انهم لا يصدقون ان
الاحزاب قد ذهبوا عنهم ويجوز ان يكون
حالا من احد الضماير المتقدمة اذا صح المعنى
بذلك ولو بعد العامل قاله ابو البقا والمعنى ان
هولا المنافقين يحسبون الاحزاب يعني
قريشا وغطفان واليهود ولم يتفرقوا عن قتالهم
من غاية الجبن عند ذهابهم كانهم غايبون
حيث لا يقاتلون كقوله تعالى ولو كانوا فيكم
ما قاتلوا الا قليلا وقرا ابن عامر وعاصم
وحمزة بفتح السين والباقون بالكسر
وان يات الاحزاب بعد ما ذهبوا كرة
اخرى يودوا اي يتمنوا لو انهم بادون في
الاعراب اي كاينون في البادية بين الاعراب
الذين هم عندهم في محل نقص وممن يكره
مخالطته ثم ذكر حال فاعل بادون بقوله تعالى
يسالون كل وقت عن انبايكم اي اخباركم
العظيمة مع الكفار وما اليه امركم جريا على ما اليه
امركم على ما هم عليه من النفاق ليبقوا لهم عندكم وجها
كانهم مهتمون بكم يظهرون بذلك تحرقا على غيبتهم
من

من هذه الحرب ولو اي والحال انهم لو كانوا هولا
المنافقون فيكم هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة
وكان قتال ما قاتلوا معكم الا قليلا نفاقا كما
فعلوا قبل ذهاب الاحزاب من حضورهم معكم
تارة واستيذانهم في الرجوع الى منازلهم اخرى
ولما اخبر تعالى عنهم بهذه الاحوال التي هي غاية
في الدنا اقبل عليهم اقبالا يدلهم على تناهي الغضب
بقوله تعالى موكدا محققا لاجل انكارهم لقد كان
لكم ايها الناس كافة الذين المنافقون في غمارهم
في رسول الله اسوة اي قدوة حسنة اي
صالحة وهو المواسى به اي المقتدى به كما تقول
في البيضة عشرون منا حديدا اي في نفسها
هذا المبلغ من الحديد او ان فيه خصلة حسنة
من حقها ان يوتسى بها كالثبات في الحرب
ومقاسات الشدايد اذ كسرت رباعيته وجرح
وجهه وقتل عمه واوذي بضروب الاذى
فواساكم مع ذلك بنفسه فافعلوا انتم كذلك
واستنوا بسنته تنبيه الاسوة اسم وضع
موضع المصدر وهو الايتسا فالاسوة من

Copyright © King Saud University

من الايتسا كالقدوة من الاقتدا وايتسا فلان
بفلان اي اقتدا به وقرا عاصم بضم الهمزة
والباقون بكسرها وهما لغتان كالقدوة
والقدوة والعدوة والعدوة وقوله تعالى
لمن كان اي كونا كان جبلة له يرجوا الله
اي في جبلته انه يجدد الرجا مستمرا للذي لا
عظم في الحقيقة سواه فيومل اسعاده
ويخشى ابعاده تخصيص بعد التعميم للمومنين
اي ان الاسوة برسول الله صلى الله عليه
وسلم لمن كان يرجوا الله قال ابن عباس
يرجوا الثواب وقال مقاتل يخشى الله واليوم
الاخر اي يخشى يوم البعث الذي فيه جزا الاعمال
وذكر الله كثيرا اي الذي له صفات الكمال
وقيده بقوله تعالى ولما راى المومنون اي
الكاملون في الايمان الاحزاب اي الذين ادهشت
رويتهم القلوب قالوا اي مع ما حصل لهم
من الزلزال وتعاظم الاهوال هذا اي الذي
نراه من الهول ما وعدنا الله اي الذي له

الامر

الامر كله من تصديق دعوانا الايمان بالبلا
والامتحان ورسوله المبلغ بنحو قوله تعالى ام
حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين
خلوا من قبلكم ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما
يعلم الله الذين جاهدوا منكم احسب الناس
ان يتركوا وامثال ذلك ثم قالوا في مقابلة
قول المنافقين ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا
وصدق الله اي الذي له صفات الكمال ورسوله
اي الذي من كماله اي ظهر صدقهما في عالم الشهادة ده
في كل ما وعدا به من النصر والظفر كما رايناه
وهما صادقان فيما غاب عنا مما وعدا به من
نصر وغيره واظهار الاسمين للتعظيم والتيمن
بذكرهما قال بعض المفسرين ولو اعيدا مضمرين
لجمع بين الباري تعالى واسم رسوله صلى الله
عليه وسلم فكان يقال وصدقا وقد رد صلى
الله عليه وسلم على من جمعهما بقوله من
يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما
فقد غوى وانكر عليه بقوله بئس خطيب
القوم انت قلت ومن يعص الله ورسوله

قصدا الى تعظيم الله تعالى وقيل انما رد عليه
لانه وقف على بعضهما واستشكل بعضهم الاول
بقوله حتى يكون الله ورسوله احب اليه مما
سواهما فقد جمع بينهما في ضمير واحد واجيب
بانه صلى الله عليه وسلم اعرف بقدر الله منا
فليس لنا ان نقول كما يقول وقد يقال اذا
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ذلك فالله جل وعلا اولى وح فالقايل
بانه انما رد عليه لانه وقف على بعضهما
اولى ولما كان هذا قولا يمكن ان يكون لسانيا
فقط كقول المنافقين اكده لظن المنافقين
ذلك بقوله تعالى شاهدا لهم وما زادهم
اي ما رواه من امرهم او الرعب الا ايمانا
بالله ورسوله وتسليما بجميع جوارحهم في جميع
القضا والقدر ثم وصف الله تعالى بعض
المومنين بقوله تعالى من المومنين اي
المذكورين سابقا وغيرهم رجال اي في غاية
العظمة عند ناثم وصفهم بقوله تعالى صدقوا
ما عاهدوا الله المحيط علما وقدرة

وقدرة عليه اي اقاموا بما عاهدوا الله عليه
ووفوا به فمنهم من قضى نحبه اي نذره بان قاتل
حتى استشهد كحمزة ومصعب بن عمير وانس
ابن النضر والنحب الصدر استعير للموت
لانه كنذر لازم في رقبة كل حيوان وقيل
النحب الموت ايض قال قتادة قضى نحبه
يعني اجله وقيل قضى نحبه اي بذل جهده
في الوفا بالعهد من قول العرب نحب فلان
في سيره يومه وليلته اي اجتهد وقيل قضى
نحبه قتل يوم بدر او يوم احد روى ان
انسا قال غاب عمي انس بن النضر عن قتال
بدر فقال يا رسول الله غبت عن اول قتال
قاتلت المشركين لئن اشهدني الله قتال
المشركين ليرين الله ما اصنع فلما كان يوم احد
وانكشف المشركون المسلمون قال اللهم اني
اعتذر اليك مما صنع هولا يعني اصحابه وابراء
اليك مما صنع هولا المشركين ثم تقدم فاستقبله
سعد بن معاذ فقال يا ابا عمرو الى اين فقال

Copyright © King Saud University

واها لريح الجنة اجدها دون احد فقاتل حتى قتل
قال انس بن مالك فوجدنا في جسده بضعا وثمانين
ضربة بالسيف وطعنة برمح او رمية بسهم فوجدناه
قد قتل وقد مثل به المشركون فما عرفه احد الا اخته
ببنانه قال انس كنا نرى او نظن ان هذه الاية
نزلت فيه وفي اشباهه ومنهم اي الصادقين من
ينتظر اي السعادة كعثمن وطلحة وما بدلوا اي
العهد ولا غيروه تبديلا اي شيئا من التبديل
روي ان من لم يقتل في عهد النبي صلى الله
عليه وسلم طلحة بن عبد الله احد العشرة المشهود
لهم بالجنة ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم
احد وفعل ما لم يفعله غيره لزم النبي صلى الله عليه وسلم
فلم يفارقه وذب عنه ووقاه بيده حتى شلت اصبعه
قال اسمعيل بن قيس رايت يد طلحة شلا وقى بها
النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد وعن معوية
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول طلحة ممن قضى نحبه وعن طلحة
لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم
من احد صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه

ثم قرا رجال صدقوا ما عاهدوا الله
عليه الاية كلها فقام اليه رجل فقال يا رسول
الله من هولا فقال ايها السايل هذا منهم
وعنه ايضا ان اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم قالوا لاعرابي جاهل سله عمن قضى
نحبه من هو وكانوا لا يجترون على مسالته
يهابونه ويوقرونه فساله الاعرابي فاعرض
عنه ثم ساله فاعرض عنه ثم ساله فاعرض
عنه ثم اني اطلعت من باب المسجد فقال
اين السايل عمن قضى نحبه فقال الاعرابي انا
فقال هذا ممن قضى نحبه وهذا يقوي القول
بان المراد بالنحب بذل الجهد في الوفا بالعهد
وعن خباب بن الارت قال هاجرنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل
الله نبتغي وجه الله تعالى فوجب اجرنا
على الله فمنا من مضى لم ياكل من اجره
شيا منهم مصعب بن عمير قتل يوم احد
فلم يوجد له شي يكفن فيه الا نمرة فكنا اذا
وضعناها على راسه خرجت رجلاه

Copyright © King Saud University

منها واذا وضعناها على رجليه خرج راسه منها
فقال صلى الله عليه وسلم ضعوها مما يلي
راسه واجعلوا على رجليه من الاذخر قال
ومنا من اينعت له ثمرته فهو يهدبها اينعت
اي ادركت ونضجت له ثمرتها ويهدبها اي
يجنيها وهذا كناية عما فتح الله لهم من الدنيا
وعن زيد بن ثابت قال لما نسخنا المصحف
من المصاحف فقدت اية من سورة الاحزاب
كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقروها لم اجدها مع احد الا مع خزيمة بن
ثابت الانصاري الذي جعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة
رجلين من المومنين رجال صدقوا ما
عاهدوا الله عليه فالحقتها في سورتها في
المصحف ليجزي الله اي الذي يريد اظهار
جميع صفاته يوم البعث للخاص والعام
ظهورا تاما الصادقين اي في الوفا بالعهد
وادعائهم امنوا به بصدقهم اي بفعل
امرهم وينعهم في الاخرة فالصدق سبب

وان

وان كان فضلا منه لانه الموفق له تنبيه
في لام ليجزي وجهان احدهما انها لام العلة
والثاني انها لام الصيرورة وفيما يتعلق به
وجهان اما بصدقوا واما بما زادهم واما
بما بدلوا وعلى هذا جعل المنافقون كانهم صدقوا
عاقبة السو واراد وها بتبديلهم كما قصد
الصادقون عاقبة الصدق بوفايهم لان كلا
الفريقين مسوق الى عاقبة من الثواب
والعقاب فكانهما استويا في طلبها والسعي
لتحصيلها ويعذب المنافقين اي الذين اخفوا
الكفر واظهروا الاسلام في الدارين بكذبهم
في دعواهم الايمان المقتضي لبيع النفس
والمال ان شا بان يميتهم على نفاقهم او يتوب
عليهم ان شا بان يهديهم الى التوبة فيتوبوا
فالكل بارادته تنبيه جواب ان شا
مقدر وكذا مفعول شا اي ان شا تعذيبهم
عذبهم وقرا حمزة قالون والبزي وابو عمرو
باسقاط الهمزة الاولى مع المد والقصر وسهل
ورش وقنبل الثانية وابدلاها ايضا

حرفا مد وخففها الباقون وفي الابتدا في بالثانية
الجميع بالتحقيق ولما كانت يوم المنا فقين مستبعدة
لما يرون من صلابتهم في الخداع وخبث سرايرهم
قال مقلد ذلك كله على وجه التاكيد ان الله
اي بماله من الجلال والجمال كان ازلا وابدا غفورا
لمن تاب رحيما بهم ثم بين تعالى بعض ما جزاهم
الله تعالى بصدقهم بقوله تعالى ورد الله اي بماله
من صفات الكمال الذين كفروا وهو من تحزب
من العرب وغيرهم على رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى بلادهم عن المدينة ومضايقة المومنين
حال كونهم بغيظهم اي متغيظين لم يشف
صدورهم بنيل ما ارادوا بل تفرقوا عن غير
طايل حال كونهم لم ينالوا خيرا اي لا من الدين
ولا من الدنيا بل ذلا وندامة فهو حال ثانية
او حال من الحال الاولى فهي متداخلة وكفى الله
اي بماله العزة والكبريا المومنين القتال بما ابقى
في قلوبهم من الداعية للانصراف بالريح
والجنود من الملايكة وغيرهم منهم نعيم بن
مسعود لما تقدم من الحيلة التي فعلها
قال

قال سعيد بن المسيب لما كان يوم الاحزاب حصر
النبي صلى الله عليه وسلم بضع عشر ليلة حتى
خلص لكل امرئ منهم الكرب وحتى قال النبي
صلى الله عليه وسلم اللهم اني انشد عهدك
ووعدك انك ان تشا لا تعبد فبينما هم على ذلك
اذ جا نعيم بن مسعود الاشجعي وكان يامنه
الفريقان جميعا فخذل بين الناس فانطلق
الاحزاب منهزمين من غير قتال فذلك قوله
تعالى وكفى الله المومنين القتال وكان الله
اي الذي له صفات الكمال ازلا وابدا قويا على
احداث ما يريده عزيزا غالبا على كل شي
ولما اتم الله تعالى حال الاحزاب اتبعه
حال من عاونوهم بقوله تعالى وانزل
الذين ظاهروهم اي عاونوا الاحزاب من اهل
الكتاب وهم بنوا قريظة ومن دخل معهم
في حصنهم من بني النضير من صياصيهم
اي حصونهم متعلق بانزل ومن لابتدا
الغاية والصياصي جمع صيصة وهي الحصون

او العلاج والعاقل ويقال لكل ما يمتنع ويتحصن
صيصة ومنه قيل لقرن الثور والظبي ولشوكة
الديك صيصية عن سعيد بن جبير قال
كان يوم الخندق بالمدينة فجا ابو سفيان بن
حرب ومن تبعه من قريش ومن تبعه من
كنانة وعيينة بن حصن ومن تبعه من
غطفان وطليحة ومن تبعه من بني اسد
وبنو الاعور ومن تبعه من بني سليم و
قريظة كان بينهم وبين رسول الله صلى
الله عليه وسلم عهد فنقضوا ذلك
وظاهروا المشركين فانزل الله تعالى
وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب
من صياصيهم وكانت غزوة بني قريظة
في اخر ذي القعدة سنة خمس من الهجرة
وعن موسى بن عقبة انها في سنة اربع
قال علما السير ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اصبح في الليلة التي انصرف
الاحزاب راجعين الى بلادهم انصرف رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمومنون
عن

عن الخندق الى المدينة ووضعوا السلاح
فلما كان الظهر اتى جبريل عليه السلام الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم على فرسه
الحيزوم والغبار على وجه الفرس والسرج
فقال ما هذا يا جبريل قال من متابعة
قريش فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن وجه الفرس وعن سرجه فقال يا رسول
الله ان الملايكة لم تضع السلاح ان الله تعالى
يامرك بالسير الى بني قريظة وانا عامد اليهم
فان الله تعالى داقهم دق البيض على الصفا
وانهم لك طعمة فاذن في الناس ان من كان
سامعا مطيعا فلا يصلي العصر الا في بني قريظة
وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
علي بن ابي طالب برايته اليهم فابتدرها
الناس فسار علي حتى اذا دنا من الحصون
سمع منهم مقالة قبيحة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم فرجع حتى لقي رسول الله صلى
الله عليه وسلم بالطريق فقال يا رسول
الله لا عليك ان تدنوا من هولاء الاخباث

قال اظنك سمعت لي حسنهم اذى قال نعم يا رسول
الله قال لقد راوني لم يقولوا من ذلك شيا فلما لو
دنى رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصنهم قال
يا اخوان القردة هل اخزاكم الله وانزل بكم نقمته قالوا
يا ابا القاسم ما كنت جهولا ومر رسول الله صلى الله
عليه وسلم على اصحابه قبل ان يصل الى بني
قريظة قال هل مر بكم احد قال مر بنا دحية بن
خليفة على بغلة شهبا على قطيفة من ديباج
قال صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل بعث
الى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم ويقذف
في قلوبهم الرعب ولما اتى رسول الله صلى
الله عليه وسلم بني قريظة نزل على بير من
ابارها فتلاحق به الناس فاتاه رجال
من بعد صلاة العشا الاخرة ولم يصلوا العصر
لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصلي
احد العصر الا في بني قريظة فصلوا العصر
بها بعد العشا الاخرة فما عابهم الله تعالى
بذلك ولا عنفهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكان حيي بن اخطب دخل على بني

بني قريظة في حصنهم حين رجعت عنهم قريش
وغطفان وقال كعب بن اسد بما كان عاهده
فلما ايقنوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
غير منصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب
ابن اسد يا معشر يهود انه قد نزل بكم من الامر
ما ترون واني عارض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا
ايها شئتم قالوا وما هي قال انبايع هذا الرجل
ونصدقه فوالله لقد تبين لكم انه نبي مرسل
وانه الذي تجدونه في كتابكم فتامنوا على دياركم
وابنائكم واموالكم ونسائكم قالوا لا نفارق
حكم التورية ابدا ولا نستبدل به غيره قال
فاذا ابيتم هذا فلنقتل ابناينا ونسايينا
ثم نخرج الى محمد واصحابه رجالا مصلتين
بالسيوف ولم نترك وراءنا ثقلا يهمنا حتى
يحكم الله بيننا وبين محمد واصحابه فان نهلك
نهلك ولم نترك وراءنا احدا ولا شيا نخشى
عليه وان نظهر فلعمري لنتخذن النساء
والابنا قالوا انقتل هولاء المساكين
فما خير العيش بعدهم قال فان ابيتم

Copyright © King Saud University

هذه فان الليلة ليلة السبت فعسى ان يكون
محمد واصحابه قد امنوا فانزلوا لعلنا ان نصيب
منهم غرة قالوا انفسد سبتنا ونحدث فيه
ما لم يكن احدث فيه من كان قبلنا فتركهم
قال على السير وحاصرهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة حتى
جهدهم الحصار فقال لهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم تنزلون على حكمي فابوا
وكانوا قد طلبوا ابا لبابة بن عبد المنذر
اخا بني عمرو بن عوف وكانوا حلفا الاوس
يستشيرونه في امرهم فارسله رسول الله
صلى الله عليه وسلم اليهم فلما راوه قام
اليه الرجال والنسا والصبيان يبكون
في وجهه فرق لهم فقالوا يا ابا لبابه
اترى ان ننزل على حكم محمد قال نعم واشار
بيده الى حلقه يعني انه يقتلكم قال ابو
لبابه فوالله ما زالت قدماي حتى قد
عرفت اني قد خنت الله ورسوله
ثم انطلق ابو لبابه على وجهه ولم يات
رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى

حتى ارتبط في المسجد الى عمود من عمده وقال
لا ابرح من مكاني حتى يتوب الله تعالى على
مما صنعت وعاهد الله تعالى لا يطا بني
قريظة ابدا ولا يراني الله تعالى في بلد خنت
فيه الله تعالى ورسوله فلما بلغ رسول الله
صلى الله عليه وسلم خبره وابطا عليه قال اما
لو جاني لاستغفرت له فاما اذا فعل فما انا
بالذي اطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
تنزلون على حكم سعد بن معاذ فرضوا به
فقال سعد حكمت فيهم ان تقتل مقاتلتهم
وتسبى ذراريهم ونساوهم فكبر النبي صلى
الله عليه وسلم وقال لقد حكمت فيهم بحكم
الله من فوق سبعة ارقعة ثم استنزلهم
وخندق في سوق المدينة خندقا وقدمهم
فضرب اعناقهم وهم من ثمانمايه الى تسعمايه
وقيل كانوا ستمايه مقاتل وسبعمايه
اسير وقذف اي الله تعالى في قلوبهم الرعب
حتى سلموا انفسهم للقتل واولادهم ونساوهم

Copyright © King Saud University

للسبي كما قال الله تعالى فريقا تقتلون وهم الرجال
يقال كانوا ستماية وتاسرون فريقا وهم النسا
والذراري يقال كانوا سبعماية وخمسين وقيل
تسعماية فان قيل ما فايدة تقديم المفعول في
الاول حيث قال تعالى فريقا تقتلون وتاخيره
في الثاني حيث قال وتاسرون فريقا اجيب
بان الرازي قال ما من شي من القران الا
وله فايدة منها ما يظهر ومنها ما لا يظهر
والذي يظهر من هذا والله اعلم ان القايل
يبدا بالاهم فالاهم والاقرب فالاقرب والرجال
كانوا مشهورين وكان القتل واردا عليهم
وكان الاسرا هم النسا والذراري ولم يكونوا
مشهورين والسبي والاسر اظهر من القتل
لانه يبقى فيظهر لكل احد انه اسير فقدم
من المحلين ما اشتهر على الفعل القايم به
ومن الفعلين ما هو اشهر قدمه على
المحل الخفي اهـ وقرا ابن عامر والكساي
الرعب بضم العين والباقون بسكونها
ولما ذكر الناطق بقسميه ذكر الصامت
بقوله تعالى واورثكم ارضهم من الحدايق
والمزارع

والمزارع وديارهم اي حصونهم لانه يحامي
عليها ولا يحامي على غيرها واموالهم من النقد
والماشية والسلاح والاثاث وغيرها
فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم للفارس
ثلاثة اسهم وللفرس سهمان وللفرس
سهم كما للراجل مما ليس له فرس سهم واخرج
منها الخمس وكانت الخيل ستة وثلاثين
فرسا وكان هذا اول من وضع فيه
السهمان وجرى على سنته في المغازي
واصطفى رسول الله صلى الله عليه
وسلم من سباياهم ريحانة بنت عمرو
ابن قريظة وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم عرض عليها ان يتزوجها ويضرب
عليها الحجاب فقالت يا رسول الله تتركني
في ملكك فهو اخف علي وعليك فتركها
وكانت حين سباها كرهت الاسلام وابت
الا اليهودية فعزلها رسول الله صلى
الله عليه وسلم ووجد في نفسه من امرها
فبينما هو مع اصحابه اذ سمع وقع نعلين

خلفه فقال ان هذا لثعلبة بن شعبة يبشرني
باسلام ريحانة فجاه فقال يا رسول الله قد
اسلمت ريحانة فسره ذلك روي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم
للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار في
ذلك فقال انكم في منازلكم قال عمر انا نخمس كما
خمست يوم بدر قال لا انما جعلت هذه طعمة
لي دون الناس قال رضينا بما صنع الله ورسوله
وانزل الله تعالى توبة ابي لبابة على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو في بيت ام سلمة
فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يضحك فقلت بم ضحكت يا رسول الله اضحك الله
تعالى سنك فقال تيب على ابي لبابة فقالت
الا ابشره بذلك يا رسول الله قال بلى ان
شئت فقامت على باب حجرتها وذلك قبل ان
ان يضرب عليهن الحجاب فقالت
يا ابا لبابة ابشر فقد تاب الله
تعالى عليك فثار الناس اليه
ليطلقوه فقال لا والله

لا والله حتى يكون رسول الله صلى الله عليه
وسلم هو الذي يطلقني بيده فلما مر عليه
خارجا الى الصبح اطلقه ومات سعد بن معاذ
بعد انقضا غزوة بني عايشة فحضره رسول
الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر
والذي نفس محمد بيده اني لاعرف بكا عمر من
بكا ابي بكر وانا في حجرتي قالت وكانوا كما قال
الله تعالى رحما بينهم واختلف في تفسير
قوله تعالى وارضا اي واورثكم ارضا لم تطوها
فعن مقاتل انها خيبر وعليه اكثر المفسرين
وعن فارس والروم وعن قتادة كنا نحدث الحسن
انها مكة وعن عكرمة كل ارض تفتح الى
يوم القيمة ومن بدع التفاسير انه اراد
نساهم انه ولما كان ذلك امرا باهرا سهله
بقوله تعالى وكان الله اي ازلا وابدا بماله
من صفات الكمال على كل شي هذا وغيره
قديرا اي شامل القدرة روي ابو هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يقول لا اله الا الله وحده اعز جنده

Copyright © King Saud University

ونصر عبده وغلب الاحزاب وحده فلا شي
بعده ولما ارشد الله تعالى نبيه صلى الله
عليه وسلم الى جانب ما يتعلق بجانب
التعظيم لله تعالى بقوله تعالى يا ايها النبي
اتق الله ذكر ما يتعلق بجانب الشفقة
وبدا بالزوجات فانهن اولى الناس بالشفقة
ولهذا قدمهن في النفقة فقال يا ايها النبي قل
لازواجك اي نسايك ان كنتن اي كونا راسخا
تردن اي اختيارا على الحياة ووضعها
بما يزهدها ذوي الهمم ويذكرهن له
عمل بالاخرة بقوله تعالى الدنيا
اي ما فيها من السعة والرفاهية والنعمة
وزينتها اي الفانية لما امرني به ربي
من الاعراض عنه واحتقاره من امرها
لانها ابغض خلقه اليه لانها قاطعة عنه
فتعالين اصلها ان الامر يكون اعلا من
المامور فيدعوه ان يرفع نفسه اليه
ثم كثر حتى صار معناه اقبل وهو هنا
كناية عن الاخبار والارادة بعلاقة

ان

ان المخير يدعوا الى من يخيره امتعكن اي اعطا احسن
به اليكن من متعة الطلاق وهي واجبة
لزوجة لم يجب لها نصف مهر فقط بان وجب
لها جميع المهر وكانت مفوضة لم توطا ولم
يفرض لها شي صحيح اما في الاولى فلان
المهر في مقابلة منفعة بضعها وقد
استوفاها الزوج فتجب لها متعة واما
في الثانية فلان المفوضة لم يحصل لها
شي فيجب لها متعة للايحاش بخلاف من
وصف لها النصف فلا متعة لها لانها
لم تستوف منفعة بضعها فيكفي نصف
مهرها للايحاش هذا اذا كان الفوات
لا بسببها وسن ان لا تنقص عن
ثلاثين درهما او ما قيمته ذلك وان لا تبلغ
نصف المهر فان تراضيا بشي فذاك والا
قدرها القاضي باجتهاده بقدر حالهما
من يساره واعساره ونسبها وصفاتها
قال تعالى ومتعوهن على الموسع
قدره وعلى المقتر قدره واسرحكن اي عن

Copyright © King Saud University

حبالة عصمتي سراحا جميلا اي طلاقا من غير
مضارة ولا نوع حقه ولا مغاهرة وان كنتن
ايهما لكن من الحيلة تردن الله اي الامر بالاعراض
عن الدنيا ورسوله اي المؤتمر بما امره به
من الانسلاخ عنها المبلغ للعباد جميع ما
ارسله به من امر الدنيا والدين لا يدع شيئا
لما له عليكن وعلى سائر الناس من الحق بما
يبلغهم عن الله تعالى والدار الاخرة التي هي الحيوان
بما لها من البقا والعلو والارتقا فان الله اي بماله
من جميع الصفات والكمال اعد اي في الدنيا والاخرة
للمحسنات منكن اي اللاتي يفعلن ذلك اجرا عظيما
تستحقر دونه الدنيا وزينتها ومن للتبعيض
لانهن كلهن محسنات قال المفسرون سبب
نزول هذه الاية ان نساء النبي صلى الله
عليه وسلم سالنه عن عرض الدنيا
وطلبن منه زيادة في النفقة واذينه بغيرة
بعضهن على بعض فهجرهن رسول الله صلى
الله عليه وسلم والى ان لا يقربهن شهرا
ولم يخرج الى اصحابه فقالوا ما شانه وكانوا
يقولونا

يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم
نساه فقال عمر لاعلمن لكم شانه قال
فدخلت على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقلت يا رسول الله اطلقتهن قال
لا فقلت يا رسول الله اني دخلت المسجد
والمسلمون يقولون طلق رسول الله صلى
الله عليه وسلم نساه فانزل فاخبرهم
انك لم تطلقهن قال نعم ان شيت
فقمت على باب المسجد فناديت باعلى
صوتي لم يطلق رسول الله صلى الله عليه
وسلم نساه ونزل قوله تعالى واذا
جاهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به
ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر
منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فكنت
الذي استنبط ذلك الامر وانزل الله تعالى
اية التخيير وكان تحت رسول الله صلى
الله عليه وسلم تسع نسوة خمس من
قريش عايشة بنت ابي بكر وحفصة
بنت عمر وام حبيبة بنت ابي سفيان

Copyright © King Saud University

وام سلمة بنت ابى امية وسودة بنت زمعة
واربع من غير القرشيات وزينب بنت جحش
الاسدية وميمونة بنت الحارث الهلالية وصفية
بنت حيي بن اخطب الخيبرية وجويرية بنت الحارث
فلما نزلت اية التخيير اعرض عليهن رضي الله
تعالى عنهن ذلك وبدا رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعايشة راس المحسنات اذ ذاك
وكانت احب اليه فخيرها وقرا عليها القران فا
ختارت الله ورسوله والدار الاخرة فراى
الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه
وسلم وتابعنها على ذلك قال قتادة
فلما اخترن الله ورسوله شكرهن الله على
ذلك وقصره عليهن فقال تعالى لا
يحل لك النسا من بعد وعن جابر بن
عبد الله قال دخل ابو بكر يستاذن على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد
الناس جلوسا ببابه لم ياذن لاحد منهم فاذن
لابى بكر فدخل ثم اقبل عمر ثم استاذن فاذن
له فوجد النبي صلى الله عليه

عليه وسلم جالسا حوله نساه واجما ساكتا
قال فقال لاقولن شيا اضحك النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
لو رايت بنت خارجة سالتني النفقة
فقمت اليها فوجات عنقها فضحك النبي
صلى الله عليه وسلم وقال هن حولي
كما ترى يسالنني النفقة فقام ابو بكر
الى عايشه يجا عنقها وقام عمر الى حفصه
يجا عنقها كلاهما يقول تسالن رسول الله
صلى الله عليه وسلم شيا ليس
عنده ثم اعتزلهن شهرا وتسعا و
عشرين يوما ثم نزلت هذه الاية يا ايها
النبي قل لازواجك حتى بلغ المحسنات
منكن اجرا عظيما قال فبدا بعايشه
فقال يا عايشة انى اعرض عليك امرا
لا احب ان تعجلي فيه حتى تستشيري فيه
ابويك قالت وما هو يا رسول الله فتلا
عليها الاية فقالت افيك يا رسول الله
استشير ابوي بل اختار الله ورسوله

Copyright © King Saud University

والدار الاخرة واسالك ان لا تخبر امراة من نسائك
بالذي قلت قال لا تسالني امراة منهن
الا اخبرتها ان الله لم يبعثني معنتا ولا
متعنتا ولكن بعثني معلما مبشرا قوله
واجما اي مهتما والواجم الذي اسكته
الهم وعلته الكابة وقيل الحزين قوله فجائت
عنقها اي دققته قوله لم يبعثني معنتا العنت
المشقة والصعوبة روى الزهري
ان النبي صلى الله عليه وسلم اقسم
ان لا يدخل على ازواجه شهرا قال الزهري
فاخبرني عروة عن عايشة قالت فلما مضت
تسع وعشرون اعدهن فقال ان
الشهر تسع وعشرون تنبيه اختلف
العلما في هذا الخيار هل كان ذلك تفويض
الطلاق اليهن حتى يقع بنفس الاختيار
او لا ذهب الحسن وقتادة واكثر اهل
العلم الى انه لم يكن تفويض الطلاق وانما
خيرهن على انهن اذا اخترن الدنيا فارقهن
لقوله تعالى فتعالين امتعكن واسرحكن
سراحا

سراحا جميلا ويدل على انه لم يكن جوابهن
على الفور فانه قال لعايشة لا تعجلي حتى
تستشيري ابويك وفي تفويض الطلاق يكون
الجواب على الفور وذهب اخرون الى انه كان
تفويض طلاق ولو اخترن كان طلاقا واختلف
العلما في حكم التخيير فقال عمر وابن مسعود
وابن عباس اذا خير الرجل امراته فاختارت
زوجها لا يقع شيا ولو اختارت نفسها وقع
طلقة واحدة وهو قول عمر بن عبد العزيز
وابن ابي ليلى وسفيان والشافعي واصحاب
الراي الا ان عند اصحاب الراي انه يقع طلقة
باينة اذا اختارت نفسها وعند الاخرين
رجعية وقال زيد بن ثابت اذا اختارت
الزوج تقع طلقة واحدة وان اختارت
نفسها فثلاث وهو قول الحسن ورواية
عن مالك وروي عن علي انها ان اختارت
زوجها تقع طلقة واحدة رجعية وان
اختارت نفسها فطلقة باينة واكثر
العلما على انها ان اختارت زوجها لا يقع شي

وقال مسروق ما ابالي خيرت امراتي واحده او مائة
او الفا بعد ان تختارني قال الرازي وهنا
مسايل منها هل كان هذا التخيير واجبا على النبي
صلى الله عليه وسلم ام لا والواجب ان التخيير كان
قولا واجبا من غير شك لانه ابلاغ للرسالة وا‌ما
التخيير لان الله تعالى لما قال له قل لهن صار من
الرسالة واما التخيير فمبني على ان الامر للوجوب ام لا
والظاهر انه للوجوب ومنها ان واحدة منهن
لو اختارت نفسها وقلنا انها لا تبين الا بابانة
النبي صلى الله عليه وسلم فهل كان يجب على
النبي صلى الله عليه وسلم الطلاق ام لا الظاهر
نظرا الى منصب النبي صلى الله عليه وسلم
انه كان يجب لان الخلف في الوعد من النبي غير
جايز بخلاف احدنا فانه لا يلزمه شرعا الوفا بما
يعد ومنها ان المختارة بعد البينونة هل
كانت تحرم على غيره ام لا الظاهر انها لا تحرم
والا لم يكن التخيير ممكنا لها من التمتع بزينة
الدنيا ومنها ان من اختارت الله
ورسوله هل كان يحرم على النبي

صلى الله عليه وسلم طلاقها ام لا الظاهر الحرمة
نظرا الى منصب الرسول صلى الله عليه وسلم
على معنى ان النبي صلى الله عليه وسلم
لا يباشره اصلا لا بمعنى انه لو اتى به لعوقب
او عوتب اه ولما خيرهن واخترن الله
ورسوله هددهن الله للتوقي عما يسوء
النبي صلى الله عليه وسلم واوعدهن
بتضعيف العذاب بقوله يا نساء النبي اي
المختارات له لما بينه وبين الله تعالى مما
يظهر لشرفه من يات منكن بفاحشة اي
سيئة من قول او فعل كالنشوز وسوء
الخلق واختيار الحياة الدنيا وزينتها
على الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم
وقال غير ذلك وقال ابن عباس المراد
هنا بالفاحشة النشوز وسوء الخلق
وقيل هو كقوله تعالى لئن اشركت ليحبطن
عملك وقرا ابن كثير وشعبة مبينة بفتح
اليا التحتية اي ظاهر فحشها والباقون بكسرها
اي واضحة ظاهرة في نفسها يضاعف لها العذاب

Copyright © King Saud University

اي بسبب ذلك ضعفين اي ضعفي عذاب غيرهن
اي مثليه وانما ضوعف عذابهن لان ما قبح
من سائر النساء كان اقبح منهن واقبح
لان زيادة قبح المعصية تتبع زيادة
الفضل والمرتبة ولذلك كان ذم العقلا
للعاصي العالم اشد منه للعاصي الجاهل
ولان المعصية من العالم اقبح ولذلك
جعل حد الحر ضعفي حد العبد وعوتب
الانبيا بما لم يعاتب غيرهم وقرا نافع
وعاصم وحمزة والكسائي بالياء التحتية
فالف بعد الضاد وتخفيف العين
مفتوحة العذاب بالرفع وابن كثير
وابن عامر بالنون ولا الف بعد
الضاد وتشديد العين مكسورة العذاب
بالنصب وابو عمرو بالياء وتشديد العين
مفتوحة العذاب بالرفع وقوله تعالى وكان
ذلك على الله يسيرا فيه ايذان بان كونهن
نساء النبي صلى الله عليه وسلم ليس يغني
عنهن شيئا وكيف يغني عنهن وهو
سبب

سبب مضاعفة العذاب فكان داعيا الى
تشديد الامر عليهن غير صارف عنه ولما بين
تعالى زيادة عقابهن اتبعه زيادة ثوابهن بقوله
تعالى ومن يقنت اي يطع منكن لله الذي
هو اهل لان لا يلتفت الى غيره ورسوله
الذي لا ينطق عن الهوى فلا تخالفه فيما امر
به ولا تختار عيشا لغير عيشته وتعمل اي
مع ذلك بجوارحها صالحا اي في جميع ما امر به
سبحانه او نهى عنه فلا يقتصر على عمل القلب
نؤتها اجرها مرتين اي مثلي ثواب غيرهن من النسا
قال مقاتل مكان كل حسنة عشرين حسنة
مرة على الطاعة ومرة لطلبهن رضا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بحسن الخلق وطيب المعاشرة
والقناعة تنبيه قوله تعالى نؤتها اجرها
مرتين في مقابلة قوله تعالى يضاعف لها
العذاب ضعفين وفيه لطيفة ان عند ايتا
الاجر ذكر المؤتي وهو الله تعالى وعند العذاب
لم يصرح بالعذاب فقال يضاعف وهذا
اشارة الى كمال الرحمة والكرم وقرا

حمزة والكسائي بالياء التحتية في يعمل ويؤتها حملا
على لفظ من وهو الاصل والباقون بالتاء الفوقية
في يعمل على معنى من والنون في نؤتها على ان فيه
ضمير اسم الله تعالى واعتدنا اي هيانا مع ما لنا من
العظمة لها اي بسبب قناعتها مع النبي صلى الله
عليه وسلم المريد للتخلي من الدنيا التي يبغضها
الله تعالى مع ما في ذلك من توفير الحظ في الاخرة
رزقا كريما اي في الدنيا والاخرة زيادة على اجرها
اما في الدنيا فلان ما يرزق منه يوفق لصرفه
على وجه يكون فيه اعظم الثواب ولا يخشى من
احله عقاب واما في الاخرة فلا يوصف ولا يحد
ولا يكد فيه اصلا وهذا ما جرى عليه البقاعي
وهو اولى مما جرى عليه اكثر المفسرين من
الاقتصار على رزق الجنة وعلله الرازي
بقوله ووصف رزقا بكونه كريما مع ان الكريم لا
يكون وصفا الا للرازق وذلك اشارة الى ان
الرزق في الدنيا مقدر على ايدي الناس التاجر
يسترزق من السوق والعاملون والصناع
من المستعملين والملوك من الرعية والرعية
منهم

منهم فالرزق في الدنيا لا ياتي بنفسه فلاجل
هذا لا يوصف في الدنيا بالكريم الا الرازق وفي
الاخرة يوصف بالكريم نفس الرزق اه ولما
ذكر تعالى ان عذابهن ضعف عذاب غيرهن واجرهن
مثل اجر غيرهن صرف كالجواب بالنسبة الى الاما
قال تعالى يا نساء النبي لستن كاحد قال
البغوي ولم يقل كواحدة لان الاحد عام يصلح
للواحد والاثنين والجمع والمونث والمذكر
والمعنى لستن كجماعة واحدة من جماعات
النساء اذا تقصيت جماعة النساء واحدة واحدة
لم يوجد منهن جماعة واحدة تساويكن في الفضل
والسابقة ومنه قوله تعالى والذين امنوا بالله
ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم يريد بين
جماعة واحدة منهم تسوية بين جميعهم بانهم
على الحق المبين وقوله تعالى لا نفرق بين احد
من رسله وقوله تعالى فما منكم من احد عنه
حاجزين والحمل على الافراد بان يقال ليست
كل واحدة منكن كواحدة من احاد الدنيا صحيح
بل اولى ليلزم تفضيل الجماعة بخلاف الحمل
على الجمع وعن ابن عباس معنى لستن كاحد

من النسا يريد ليس قدركن عندي مثل قدر غيركن
من النسا الصالحات انتن اكرم علي وثوابكن اعظم
ولما كان المعنى بل انتن اعلا النسا ذكر شرط
ذلك بقوله تعالى **ان اتقيتن** الله تعالى اي جعلتن
بينكن وبين غضب الله تعالى وغضب رسوله
صلى الله عليه وسلم وقاية ثم سبب عن هذا
النهي بقوله تعالى **فلا تخضعن** اذا تكلمتن بحضرة
اجنبي **بالقول** اي بان يكون لينا عذبا رخيما
والخضوع التطامن والتواضع واللين التطامن
ثم سبب عن الخضوع قوله تعالى **فيطمع**
اي في الخيانة **الذي في قلبه مرض** اي فساد
وريبة من فسق ونفاق او نحو ذلك
وعن زيد بن علي قال المرض مرضان فمرض
زنا ومرض نفاق وعن ابن عباس ان نافع
ابن الازرق قال له اخبرني عن قوله تعالى
فيطمع الذي في قلبه مرض قال الفجور
والزنا قال تعرف العرب ذلك قال نعم
اما سمعت الاعشى يقول

حافظ للفرج راض بالتقى
ليس ممن قلبه فيه مرض

والتعبير بالطمع للدلالة على ان امنيته
لا سبب لها في الحقيقة لان اللين في كلام
النسا

النسا خلق لهن لا تكلف فيه واريد من نسا
النبي صلى الله عليه وسلم التكلف للاتيان
بهذه بل المراة مندوبة الى الغلظة في المقالة اذا
خاطبت الاجانب لقطع الاطماع ولما نهاهن
عن الاسترسال مع سجية النسا في رخاوة الصوت
امرهن بضده بقوله تعالى **وقلن قولا معروفا**
اي يعرف انه بعيد عن محل الطمع من ذكر الله وما
تحتجن اليه من الكلام مما يوجب الدين والاسلام
بتصريح وبيان من غير خضوع ولما امرهن
في القول وقدمه لعمومه اتبعه الفعل بقوله
تعالى **وقرن** اي اسكن وامكثن دايما **في بيوتكن**
من كسر القاف وهم غير نافع وعاصم جعل
الماضي قرر بفتح العين ومن فتح وهو نافع وعاصم
فهو عنده قرر بكسرها وهما لغتان ومن فتح
القاف فخم الرا ومن كسرها رقق الرا وعن محمد بن
سيرين قال نبيت انه قيل لسودة زوج النبي
صلى الله عليه وسلم ما لك لا تحجين ولا تعتمرين
كما تفعل اخواتك فقالت قد حججت واعتمرت
وامرني الله ان اقر في بيتي فوالله لا اخرج

Copyright © King Saud University

من بيتي حتى اموت فوالله ماخرجت من بابحجرتها
حتى اخرجتها بجنازتها واختلف في معنى التبرج
في قوله تعالى ولا تبرجن فقال مجاهد وقتادة
هو التكسر والتقطع والتغنج وقال ابن جريج هو التبختر
وقيل هو ابراز الزينة وابراز المحاسن للرجال وقراء
البزي بتشديد التاني الوصل والباقون بالتخفيف
واختلف ايض في معنى قوله تعالى تبرج الجاهلية
الاولى فقال الشعبي هي مابين عيسى ومحمد
صلى الله عليه وسلم وقال ابو العالية هي زمن
داوود وسليمان عليهما السلام كانت المراة تتخذ
قميصا من الدرع غير مخيط الجانبين فترى خلقها فيه
وقال الكلبي ذلك الوقت في زمن نمروذ الجبار كانت
المراة تتخذ الدرع من اللولو فتلبسه وتمشي وسط
الطريق ليس عليها شي غيره وتعرض نفسها
على الرجال وروى عكرمة عن ابن عباس
قال الجاهلية الاولى فيما بين نوح وادريس
عليهما السلام وكانت الف سنة وان
بطنين من ولد ادم كان احدهما يسكن
السهل والاخر يسكن الجبل وكان
رجال الجبل صباحا وفي النسا

وفي النسا دمامة وكان نسا السهل صباحا
وفي الرجال دمامة وان ابليس اتى رجلا من
اهل السهل واجر نفسه منه وكان يخدمه
واتخذ شيا من الذي يزمر به الرعا فجا بصوت
لم يسمع الناس مثله فبلغ ذلك من حوله فاتوهم
وهم يستمعون اليه واتخذوه عيدا يجتمعون
اليه في السنة فيتزوج النسا الرجال ويتزوج
الرجال لهن وان رجلا من اهل الجبل هجم عليهم
في عيدهم ذلك فراي النسا وصباحتهن
فاتى اصحابه فاخبرهم بذلك فتحولوا اليهم فنزلوا
معهم وظهرت الفاحشة بينهم فذلك قوله
تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وقال
قتادة ما قبل الاسلام وقيل الجاهلية
الاولى ما عليه الكفر قبل الاسلام والجاهلية
الاخرى جاهلية الفسوق في الاسلام يعضده
قوله تعالى صلى الله عليه وسلم لابي ذر كما
في الصحيحين ان فيك جاهلية كفرا واسلام
وقول البيضاوي عن الدردا وقال ابن حجر لم
اجده عن الدردا وقيل قد تذكر الاولى وان

لم تكن لها اخرى كقوله تعالى وانه اهلك
عادا الاولى ولم تكن لها اخرى ولما امرهن
بلزوم البيوت للتخلية عن الشوايب ارشدهن
الى التحلية بالرغايب بقوله تعالى واقمن الصلاة
اي فرضا ونفلا صلة لما بينكن وبين الخالق
ان الصلاة تنهى عن الفحشا والمنكر وآتين
الزكاة احسانا الى الخلايق وفي هذه بشارة
بالفتوح وتوسيع الدنيا عليهن فان العيش
وقت نزولها كان ضيقا عن القوت فضلا عن
الزكاة ولما امرهن بخصوص ما تقدم انهما
اصل الطاعات البدنيه والماليه ومن اعتنا
بهما حق الاعتنا جرناه الى ما وراهما ثم
وجمع في قوله تعالى واطعن الله اي الذى
له صفة الكمال ورسوله اي الذي لا ينطق
عن الهوى فيما امرابه ونهيا عنه انما يريد
الله اي الذي هو لذو الجلال والاكرام بما امركن
به ونهاكن عنه من الاعراض عن الزينة
وما يتبعها والاقبال عليه ليذهب اي لاجل
ان يذهب عنكم الرجس اي الاثم الذي نهى

الله

نهى الله تعالى عنه قاله مقاتل وقال ابن
عباس يعني عمل الشيطان وما ليس فيه رضا
الرحمن وقال قتادة يعني السو وقال مجاهد
الرجس الشك وقوله تعالى اهل البيت في
ناصبة اوجه احدها الندا اي يا اهل البيت
او المدح اي امدح اهل البيت والاختصاص
اي اخص اهل البيت كما قال صلى الله عليه
وسلم نحن معاشر الانبيا لا نورث والاختصا ص
في المخاطب اقل منه في المتكلم وسمع بك الله
نرجوا الفضل والاكثر انما هو في المتكلم كقولها
نحن بنات طارق نمشي على النمارق وقوله
نحن بني ضبة اصحاب الجمل الموت احلا عندنا
من العسل وقولهم نحن العرب اقرى الناس
للضيف واختلف في اهل البيت والاولى
فيهم ما قال البقاعي انهم كل من يكون من
الزام النبي صلى الله عليه وسلم من الرجال
والنسا والازواج والاماء والاقارب وكل
ما كان الانسان منهم اقرب وبالنبي صلى الله
عليه وسلم اخص والزم كان بالارادة

Copyright © King Saud University

لحق ولحدر ويؤيده قول البيضاوي وتخصيص
الشيعة أهل البيت بفاطمة وعلي وابنيهما
رضي الله تعالى عنهم لما روي انه عليه الصلاة
والسلام خرج ذات يوم غدوة وعليه مرط
من شعر اسود فجلس فاتت فاطمة
فادخلها فيه ثم جاء علي فادخله فيه ثم جا الحسن
والحسين فادخلهما فيه ثم قال انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس اهل البيت والاحتجاج
بذلك على عصمتهم وكون اجماعهم حجة ضعيف
وعن ابن عباس انهم نسا النبي صلى الله عليه وسلم
لانهن في بيته وتلا قوله تعالى واذكرن ما
يتلى في بيوتكن من ايات الله وعن ام سلمة
قالت في بيتي انزل انما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس اهل البيت قالت فارسل رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى فاطمة وعلي والحسن
والحسين فقال هولا اهل بيتي فقلت
يارسول الله اما انا من اهل البيت قال بلى
ان شا الله وقال زيد بن ارقم اهل بيته من
حرم الصدقة بعده ال علي وال عقيل

وال

وال جعفر وال عباس وقال الرازي والاولى
ان يكون يقال هم اولاده وازواجه والحسن
والحسين وعلي منهم لانه كان من اهل بيته
لمعاشرته بنت النبي صلى الله عليه وسلم وللملازمته
له ولما استعار للمعصية الرجس استعار
للطاعة الطهر ترغيبا لاصحاب الطباع السليمة
والعقول المستقيمة في الطاعة وتنفيرا لهم على
المعصية بقوله تعالى ويطهركم اي يفعل في
طهوركم الصيانة عن جميع المقذورات الحسية
والمعنوية فعل المبالغ فيه وزاد ذلك عظما
للصدر بقوله تعالى تطهيرا وعن ابن عباس قال
شهدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة
اشهر ياتي كل يوم على باب علي بن ابي طالب
عند وقت كل صلاة فيقول السلام عليكم
ورحمة الله وبركاته انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا
الصلاة رحمكم الله كل يوم خمس مرات ثم بين
تعالى ما انعم به عليهن من ان بيوتهن مهابط
بقوله تعالى واذكرن اي في انفسكن ذكرا دايما

Copyright © King Saud University

واذكونه لغيركن على جهة الوعظ والتعليم
ما يتلى اي ما يتتابع ويولى ذكره في بيوتكن
اي بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم الذي
خيركن وقوله تعالى من ايات الله والحكمة اي
القران بيان للموصول فيتعلق باعني ويجوز
ان يكون حالا اما من الموصول واما من
عايده المقدر فيتعلق بمحذوف ايضا واختلف
في قوله تعالى والحكمة فقال قتادة يعني السنة
وقال قتادة احكام القران ومواعظه ان الله
اي الذي له جميع العظمة كان اي لم يزل لطيفا
اي يوصل الى المقاصد بلطايف الاضداد
خبيرا اي بجميع خلقه يعلم ما يسرون وما
يعلنون لا تخفى عليه خافية فيعلم من يصلح
لبيت النبي صلى الله عليه وسلم ومن لا وما
يصلح للناس دنيا ودينا وما لا يصلحهم
والطرق الموصلة لكل ما قضاه وقدره وان
كانت على غير ما يالفه الناس من انقطع الى الله
كفاه الله تعالى كل مونة ورزقه من حيث لا
يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله
اليها

٢٢١

اليها ولقد صدق الله تعالى وعده في لطفه
وحقق بره في خبره بان فتح على نبيه صلى الله
عليه وسلم خيبر فافاض بها من رزقه الواسع
ولما توفي نبيه صلى الله عليه وسلم ليحميه
من زهرة الحياة الدنيا فتح الفتوحات الكبار
من بلاد فارس والروم ومصر وما بقي من
اليمن ودم الفتح جميع الاقطار الشرق والغرب
والجنوب والشمال ومكن اصحاب نبيه
صلى الله عليه وسلم من كنوز تلك البلاد
وذخاير اوليك الملوك حتى صار الصحابة
رضوان الله تعالى عليهم يكيلون المال
كيلا وزاد الامر حتى دون عمر رضي الله
عنه الدواوين وفرض للناس عامة
ارزاقهم حتى للرضعا وكان اولا لا يفرض
للمولود حتى يفطم فكانوا يستعجلون
بالفطام فنادى مناديه لا تعجلوا اولادكم
بالفطام فانا نفرض لكل مولود في الاسلام
وفاوت بين الناس في العطا بحسب القرب
من النبي صلى الله عليه وسلم والبعد منه

Copyright © King Saud University

وبحسب السابقة في الاسلام والهجرة وترد
الناس منازلهم بحيث ارضي جميع الناس
حتى قدم عليه خالد بن عرفطة فساله عما
وراه فقال تركتهم يسالون الله تعالى ان الله
يزيد في عمرك من اعمارهم قال عمر انما هو حقهم وانا
اسعد باداية اليهم واني لاعم نصيحتي كل من
طوقني الله امره فان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من مات غاشا لرعيته
لم يرح ريح الجنة فكان فرضه لازواج النبي
صلى الله عليه وسلم اثني عشر الفا لكل واحدة هي
ونحو الف دينار في كل سنة واعطى عايشة
خمسة وعشرين الفا لحب رسول الله صلى
الله عليه وسلم اياها فابت ان تاخذ
الاما تاخذ صواحباتها وروي عن برزة
بنت رافع قالت لما خرج العطا ارسل عمر
الى زينب بنت جحش بالذي لها فلما ادخل
اليها قالت غفر الله لعمر غيري من اخواتي
اقوى على قسم هذا مني قالوا هذا
كله لك قالت سبحان الله ثم قالت صبوه
وا

واطرحوا عليه ثوبا ثم قالت لي ادخلي يديك
واقبضي منه قبضة فاذهبي بها الى بني فلان
وبني فلان من ذوي رحمها وايتام لها و
قسمته حتى بقيت منه بقية تحت الثوب
قالت برزة بنت رافع غفر الله لك يا ام المومنين
والله لقد كان لنا في هذا المال حق قالت
فلكم ما تحت الثوب قالت فوجدنا ما تحته
خمسماية وثمانين درهما ثم رفعت يدها الى
السما وقالت اللهم لا تدركني عطا لعمر بعد
عامي هذا فماتت قال البقاعي ذكر ذلك
البلاذري في كتاب فتوح البلاد اهـ وعن
مقاتل قال قالت ام سلمة بنت امية
ونسيبة بنت كعب الانصارية للنبي
صلى الله عليه وسلم ما بال ربنا يذكر الرجال
ولا يذكر النسا في شي من كتابه نخشى ان لا يكون
فيهن خير فانزل الله تعالى ان المسلمين
والمسلمات اي الداخلين في الاسلام المنقادين
لحكم الله في القول والعمل ولما كان الاسلام
مع كونه اكمل الاوصاف واعلاها يمكن ان
يكون بالظاهر فقط اتبعه المحقق له
وهو الاسلام الباطن بالتصديق

Copyright © King Saud University

التام بغاية الاذعان فقال عاطفا له ولما بعده
من الاوصاف التي يمكن اجتماعها بالواو للدلالة
على تمكن الجامعين لهذه الاوصاف في كل وصف
منها **والمومنين والمومنات** اي المصدقين بما يجب
ان يصدق به ولما كان المومن المسلم قد لا يكون
في عمله مخلصا قال **والقانتين والقانتات**
اي في ذلك كله من قول وعمل ولما كان الصدق
وهو اخلاص القول والعمل عن شوب يلحقه
او شي يدنسه قد لا يكون دايما قال مشيرا
الى ان ما لا يكون دايما لا يكون صدقا في الواقع
والصادقين والصادقات اي على الطاعات
وعن المعاصي ولما كان الصبر قد يكون لسجية
دل على صرفه الى الله بقوله تعالى **والصابرين**
والصابرات اي على الطاعات وعن المعاصي
ولما كان قد يكون سجية دل على صرفه
الى الله تعالى بقوله تعالى **والخاشعين والخاشعات**
اي المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم
ولما كان الخشوع وهو الخضوع والاخبات
والسكون لا يصح مع توفر المال فانه
سكون اليه قال معلما انه اذ ذاك
لا

لا يكون على حقيقته **والمتصدقين والمتصدقات**
بما وجب في اموالهم وبما استحب سرا وعلانية
تصديقا لخشوعهم ولما كان بذل المال قد لا يكو
مع الايثار اتبعه ما يعين عليه بقوله تعالى
والصايمين والصايمات اي فرضا ونفلا للايثار
بالقوت وغير ذلك ولما كان الصوم يكسر
شهوة الفرج وقد يثيرها قال تعالى **والحافظين**
فروجهم والحافظات اي عما لا يحل لهم وحذف
مفعول الحافظات لتقدم ما يدل عليه والتقدير
والحافظات وكذلك والذاكرات وحسن الحذف
رووس الفواصل ولما كان حفظ الفرج وسائر
الاعمال لا تكاد توجد الا بالذكر وهو الذي
يكون عنه المراقبة الموصلة الى المحاضرة
المحققة للمشاهدة المحببة بالفنا قال
تعالى **والذاكرين الله كثيرا والذاكرات**
اي بقلوبهم والسنتهم في كل حال ومن علامات
الاكثار من الذكر اللهج به عند الاستيقاظ
من النوم وقال مجاهد لا يكون العبد
من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكر الله تعا

Copyright © King Saud University

قايما وقاعدا ومضطجعا روي ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال سبق المفردون قال وما
المفردون قال الذاكرون الله تعالى كثيرا والذاكرات
قال عطا بن رباح من فوض امره الى الله
عز وجل فهو داخل في قوله تعالى ان المسلمين
والمسلمات ومن اقر بان الله تعالى ربه ومحمدا
صلى الله عليه وسلم رسوله ولم يخالف
قلبه لسانه فهو داخل في قوله تعالى والمؤمنين
والمؤمنات ومن اطاع الله تعالى في الفرض
والرسول صلى الله عليه وسلم في السنة
فهو داخل في قوله تعالى والقانتين والقانتات
ومن صان قوله عن الكذب فهو داخل في قوله
تعالى والصادقين والصادقات
ومن صبر على الطاعة وعن المعصية
على الذرية فهو داخل في قوله تعالى و
والصابرين والصابرات ومن صلى ولم
يعرف من عن يمينه وعن يساره فهو
داخل في قوله تعالى والخاشعين
والخاشعات ومن تصدق في كل اسبوع

٢٢٤

اسبوع بدرهم فهو داخل في قوله تعالى والمتصدقين
والمتصدقات ومن صام في كل شهر ايام البيض
الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر
فهو داخل في قوله تعالى والصايمين والصايمات
ومن حفظ فرجه عن الحرام فهو داخل في قوله
تعالى والحافظين فروجهم والحافظات ومن
صلى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل
في قوله تعالى والذاكرين الله كثيرا والذاكرات
اعد الله اي الذي لا يقدر احد ان يقدره
حق قدره مع انه لا يتعاظمه شي لهم مغفرة
اي لما اقترفوا من الصغاير لانها مكفرات
بفعل الطاعات والاية عامة وفضل الله
واسع ولما ذكر تعالى الفضل بالتجاوز
اتبعه الفضل بالكرم والرحمة بقوله تعالى
واجرا عظيما اي على طاعتهم والاية وعدلهن
ولامثالهن بالاثابة على الطاعة والتورع
بهذه الخصال روي ان سبب نزول هذه
الاية ان ازواج النبي صلى الله عليه
وسلم قلن يا رسول الله ذكر الله

الرجال في القران ولم يذكر النسا بخير فما فينا خير
نذكر به انا نخاف ان لا تقبل منا طاعة فانزل
الله تعالى هذه الاية روي ان اسما بنت
عميس رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر بن ابي
طالب فدخلت على نساء النبي صلى الله عليه
وسلم فقالت هل نزل فينا شي من القران
قلن لا فاتت النبي صلى الله عليه وسلم
فقالت يا رسول الله ان النسا لفي خيبة
وخسار قال ومم ذاك لانهن لا يذكرن بخير
كما تذكر الرجال فانزل الله عز وجل هذه
الاية وقيل لما نزل في نسا النبي صلى الله عليه
وسلم ما نزل قال نسا المسلمين فما نزل فينا
شي فنزلت تنبيه عطف الاناث على الذكور
لاختلاف جنسهما والعطف فيه ضروري
لاختلافهما وعطف الزوجين وهو مجموع
المومنين والمومنات على الزوجين وهو
مجموع المسلمين والمسلمات لتغاير وصفيهما
وليس العطف فيه بضروري بخلافه
في الاول لان اختلاف الجنس اشد من
اختلاف

اختلاف الصفة وفايدة العطف عند تغاير
الاوصاف الدالة على ان اعداد المعد من
المغفرة والاجر العظيم اي تهيئته للمذكورين
للجمع بين هذه الصفات فصار المعنى ان
الجامعين والجامعات لهذه الطاعات العشر
اعد الله تعالى لهم مغفرة واجرا عظيما وقوله
تعالى **وما كان** اي وما صح **لمومن ولا مومنة**
اذا قضى الله ورسوله امرا اي اذا قضى رسول
الله وذكر الله تعالى لتعظيم امره والاشعار
بانه كقضا الله تعالى نزل في زينب بنت
جحش الاسدية واخيها عبد الله بن جحش
وامها امية بنت عبد المطلب عمة النبي صلى
الله عليه وسلم لما خطب النبي صلى الله عليه
وسلم زينب على مولاه زيد بن حارثة وكان
اشترى زيد في الجاهلية بعكاظ فاعتقه
وتبناه فلما خطب النبي صلى الله عليه وسلم
زينب رضيت وظنت انه يخطبها لنفسه
فلما علمت انه يخطبها لزيد بن حارثة ابت
وقالت انا بنت عمتك يا رسول الله

Copyright © King Saud University

فلا رضاه لنفسي وكانت بيضا جميلة فيها حدة
وكذلك كره اخوها ذلك رواه الدارقطني بسند
ضعيف وقيل في ام كلثوم بنت عقبة وهبت نفسها
للنبي صلى الله عليه وسلم فزوجها من زيد ان
يكون لهم الخيرة من امرهم اي ان يختاروا من امرهم
شيئا بل يجب عليهم ان يجعلوا اختيارهم تبعا
لاختيار الله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم
تنبيه الخيرة مصدر من تخير كالطيرة
من تطير على غير قياس والجمع الضمير في قوله تعالى
لهم وفي قوله تعالى من امرهم لعموم مومن ومومنة
من حيث انهما في سياق النفي ويجوز ان يكون
الضمير في من امرهم لله ولرسوله صلى الله
عليه وسلم وجمع للتعظيم كما جرى عليه
البيضاوي وقرا ان يكون الكوفيون وهشام
بالياء التحتية والباقون بالفوقية ولانه
صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى
ومن عصاه فقد عصى الله تعالى كما قال تعالى
ومن يعص الله اي الذي لا امر لاحد معه
ورسوله اي الذي معصيته معصية الله
تعالى

تعالى لكونه بينه وبين الخلق في بيان ما ارسل
به اليهم وقوله تعالى فقد ضل قرأ قالون
وابن كثير وعاصم بالاظهار والباقون بالادغام
وزاد ذلك بقوله تعالى ضلالا مبينا اي فقد
اخطا خطا ظاهرا لا خفاء به فالواجب على كل
احد ان يكون معه صلى الله عليه وسلم
في كل ما يختاره وان كان فيه اعظم المشقات
عليه تخلقا بقول الشاعر

وقف الهوى بي حيث انت فليس لي
متاخر عنه ولا متقدم
واهنتني فاهنت نفسي عامدا
ما من يهون عليك ممن يكرم

فلما نزلت هذه الاية رضيت زينب بذلك
وجعلت امرها بيد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكذلك اخوها فانكحها صلى
الله عليه وسلم زيدا فدخل بها وساق
اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة
دنانير وستين درهما وخمارا ودرعا
وازارا وملحفة وخمسين مدا من الطعام

Copyright © King Saud University

وثلاثين صاعا من تمر وسكنت عنده حينا
ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى
زيدا ذات يوم لحاجته فابصر زينب قايمة
في درع وخمار وكانت بيضا جميلة ذات خلق
من اتم نسا قريش فوقعت في نفسه
واعجبه حسنها فقال سبحان الله مقلب
القلوب وانصرف فلما جا زيد ذكر ذلك كله
ففطن زيد فالقى في نفسه كراهتها في الوقت
فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
اني اريد ان افارق صاحبتي قال مالك ارا
بك منها شي قال لا والله يا رسول الله
ما رايت منها الا خيرا ولكنها تتعاظم على
لشرفها وتوذيني بلسانها فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم امسك عليك زوجك
يعني زينب بنت جحش واتق الله في امرها
فانزل الله تعالى واذ تقول للذي انعم الله
عليه اي الملك الذي له كل الكمال عليه
وقولي بينه عليه الصلاة والسلام اياه
وقرا نافع وابن كثير وابن ذكوان
وعام

وعاصم بالاظهار والباقون بالادغام ثم
بين تعالى منزلته من النبي صلى الله عليه وسلم
بقوله تعالى وانعمت عليه اي بالعتق والتبني
حيث استشارك في فراق زوجته التي اخبرك
الله تعالى انه يفارقها وستصير زوجتك امسك
عليك زوجك اي زينب واتق الله الذي له
جميع العظمة في جميع امرك وتخفي اي والحال
انك تخفي ان تقول قولا مخفيا ما في نفسك
اي ما اخبرك الله من انها تصير احدى زوجاتك
وتزويجك بها وامرك بالدخول عليها وهذا
دليل على انه ما اخفى غير ما اعلمه الله تعالى
من انها ستصير زوجته عند طلاق زيد
لان الله تعالى ما ابدى غير ذلك ولو اخفى غيره
لابداه سبحانه وتعالى لانه لا يبدل له وقول
ابن عباس كان في قلبه حبها بعيد وكذا قول
قتادة وده انه لو طلقها زيد وكذا قول
غيرهما كان في قلبه لو فارقها زيد تزوجها
ولما ذكر تعالى اخفاه ذكر علته بقوله تعالى
عاطفا على تخفي وتخشى الناس اي من تجبر

بما اخبر الله تعالى به فيصبو اليك موجات
الظنون لاسيما اليهود والمنافقون وقال
ابن عباس والحسن تستحييهم وقيل تخاف
ايمة الناس ان يقولوا امر رجلا بطلاق امراته
ثم نكحها **والله** اي والحال ان الذي لا شي اعظم
منه **احق ان تخشاه** اي وحده ولا تجمع
خشية الناس مع خشيته من ان تؤخر شيا
اخبرك به حتى ياتيك فيه امر قال عمر وابن
مسعود وعايشة ما نزلت على رسول الله صلى
الله عليه وسلم اية هي اشد عليه من هذه
وروي عن مسروق قال قالت عايشة لو كتم
النبي صلى الله عليه وسلم شيا من الوحي لكتم
هذه الاية وتخفي في نفسك ما الله مبديه
ويويد ما مر ما روى ابو سفيان
بن عيينة عن علي عن زيد بن جدعان
قال سالني علي بن الحسين زين
العابدين ما يقول الحسن في قوله تعالى
وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس
والله احق ان تخشاه قال قلت يقول لما
جا زيد الى النبي صلى الله عليه وسلم
قال

قال يا رسول الله اني اريد ان اطلقها قال له
امسك عليك زوجك وقد اعلمك انها ستكون
من ازواجك وهذا هو اللايق والاليق بحال
الانبيا وهو مطابق للتلاوة ولان الله تعالى
اعلم انه يبدي ويظهر ما اخفى ولم يظهر غير
تزويجها منه فقال تعالى **فلما قضى زيد منها
وطرا** اي حاجة من زواجها والدخول بها
وذلك بانقضا عدتها منه لانه لما يعرف انه
لا حاجة له فيها وانه قد تقاصرت عنها
همته والا راجعها **زوجناكها** اي ولم نحوجك
الى ولي من الخلق يعقد لك عليها تشريفا
لك ولها بما لنا من العظمة التي خرقنا بها
عوايد الخلق حتى اذعن لذلك كل من علم به
ومرت به جميع النفوس ولم يقدر منافق
ولا غيره على الخوض في ذلك ببنت شفة مما
يوهنه ويوثر فيه فلو كان الذي اضمره
رسول الله صلى الله عليه وسلم محبتها
او ارادة طلاقها لكان يظهر ذلك لانه
لا يجوز ان يخبر انه يظهره ثم يكتمه

Copyright © King Saud University

خلا يظهره فدل على انه انما عوتب على اخفا ما اعلمه
الله تعالى من انها ستكون زوجة له وانما اخفاه
استحيا ان يقول لزيد ان التي تحتك في نكاحك
ستكون امراتي قال البغوي وهذا هو الاولى
والاليق وان كان الاخر وهو انه اخفى محبتها
او نكاحها لو طلقها لا يقدح في حال الانبيا لان
العبد غير ملوم على ما يقع في قلبه من مثل
هذه الاشيا ما لم يقصد فيه الماثم لان الود
وميل النفس من طبع البشر وقوله امسك
عليك زوجك واتق الله امر بالمعروف وهو
خشية الاثم فيه وقوله والله احق ان تخشا
لم يرد به انه لم يكن يخشى الله فيما سبق فانه
عليه الصلاة والسلام قال انا اخشاكم
لله واتقاكم له ولكن المعنى الله احق ان
تخشاه وحده ولا تخشى احدا معه فانت
تخشاه وتخشى الناس ايضا ولكنه لما
ذكر الخشية من الناس ذكر ان الله احق
بالخشية في عموم الاحوال وفي جميع الاشيا
انتهى وذكر قضا الوطر ليعلم ان زوجة

المتبنى

المتبنى تحل بعد الدخول بها اذا طلقت وانقضت
عدتها وروى مسلم في صحيحه عن انس قال
لما انقضت عدة زينب قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لزيد اذهب فاذكرني لها
قال فانطلق زيد حتى اتاها وهي تخمر عجينها
قال فلما رايتها عظمت في صدري حتى ما
استطيع ان اذكرها لان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهري ونكصت على
عقبي فقلت يا زينب ارسل رسول الله صلى
الله عليه وسلم يذكرك قالت ما انا بصانعة
شيا حتى او امر ربي فقامت الى مسجدها
ونزل القران وجا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فدخل عليها بغير اذن قال ولقد رايتنا
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعمنا
الخبز واللحم حتى امتد النهار فخرج الناس وبقي
رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعته
فجعل يتتبع حجر نسايه يسلم عليهن ويقلن
يا رسول الله كيف وجدت اهلك قال فما

Copyright © King Saud University

ادري انا اخبرته ان القوم خرجوا واخبرني
قال فانطلق حتى دخل البيت فذهبت ادخل
معه فالقى الستر بيني وبينه ونزل الحجاب
وعن انس قال ما اولم النبي صلى الله
عليه وسلم على شي من نسايه ما اولم على زينب
بنت جحش اولم بشاة وفي رواية اكثر وافضل
ما اولم على زينب قال ثابت فما اولم قال اطعمهم
خبزا ولحما حتى تركوه قال انس كانت زينب
تفتخر على ازواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول
زوجكن اهاليكن وزوجني الله من فوق سبع
سموات وقال الشعبي كانت زينب تقول
للنبي صلى الله عليه وسلم اني لادل عليك بثلاث ما
من نسايك امراة تدل بهن جدي وجدك واحد
وانكحنيك الله في السما وان السفير جبريل
عليه السلام واخرج بن سعيد والحاكم
عن محمد بن يحيى بن حبان قال جا رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى بيت
زيد بن حارثة يطلبه وكان زيد انما
يقال له زيد بن محمد فربما فقده رسول
الله

الله صلى الله عليه وسلم الساعة فيقول
اين زيد فجا منزله يطلبه فلم يجده وتقوم اليه
زينب بنت جحش زوجته فضلا فاعرض
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ليس
هو هاهنا يا رسول الله فادخل فابى ان
يدخل فاعجبت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فولى وهو يهمهم بشي لا يكاد يفهم
منه الا ربما اعلن سبحان ربي العظيم سبحان
مصرف القلوب فجا زيد الى منزله فاخبرته
امراة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتى منزله فقال زيد الا قلت له ان يدخل قالت
قد عرضت ذلك عليه فابى قال فسمعت شيا
قال سمعته حين ولى وتكلم بكلام ولا افهمه
وسمعته يقول سبحان الله العظيم سبحان
مقلب القلوب فجا زيد حتى اتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
بلغني انك جيت منزلي فهلا دخلت يا
رسول الله لعل زينب اعجبتك فافارقها
فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم

Copyright © King Saud University

امسك عليك زوجك فما استطاع زيد
اليها سبيلا بعد ذلك اليوم فياتي الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيخبره فيقول امسك عليك
زوجك ففارقها زيد واعتزلها وانقضت عدتها
فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس
يتحدث مع عايشة اذ اخذته غشية فسري عنه
وهو يتبسم ويقول من يذهب الى زينب يبشرها
ان الله زوجنيها من السما واذ تقول للذي الاية
قالت عايشة فاخذني ما قرب وما بعد لما
يبلغنا من جمالها واخرى هي اعظم الامور واشرفها
زوجها الله من السما وقلت هي تفتخر علينا
بهذا ولما ذكر تعالى التزويج على ما له من العظمة
ذكر علته بقوله تعالى لكيلا يكون على المومنين
حرج اي ضيق واثم في ازواج ادعيايهم
اي الذين تبنوا بهم واجروهم في تحريم ازواجهن
مجرى ازواج المتبنين على الحقيقة اذا قضوا
منهن وطرا اي حاجة بالدخول بهن ثم الطلاق
وانقضا العدة فايدة لا تنقطع عن الرسم
من كيلا تنبيه الادعيا جمع الداعي وهو

وهو المتبني اي زوجناكها زينب وهي امراة زيد
الذي تبنيته ليعلم ان زوجة المتبني حلال
للمتبني وان كان قد دخل بها المتبني بخلاف
امراة ابن الصلب لا تحل للاب وكان امر الله
من الحكم بتزويجها وان كرهت وتركت اظهار
ما اخبرك الله تعالى به كراهية لسو المقالة
واستحيا من ذلك وكذا كل امر يريده سبحانه
وتعالى مفعولا اي قضا الله تعالى ماضيا وحكمه
نافذ في كل ما اراده ولا معقب لحكمه ما كان على
النبي اي الذي منزلته من الله الاطلاع على
ما لا يطلع عليه غيره من الخلق من حرج فيما
فرض اي قدر الله بما له من صفات الكمال
واوجبه له لانه لم يكن على المومنين مطلقا
حرج في ذلك فكيف براس المومنين وقوله تعالى
سنة الله منصوب بنزع الخافض اي كسنة
الله في الذين خلوا من قبل من الانبيا لانه لا حرج
عليهم فيما اباح لهم قال الكلبي ومقاتل اراد
داود حين جمع بينه وبين المراة التي هويها
فكذلك جمع بين محمد صلى الله عليه وسلم

Copyright © King Saud University

وزينب وقيل اراد بالنكاح السنة فانه من سنة الانبيا
عليهم الصلاة والسلام فكان من كان من الانبيا هذا
سنتهم فقد كان لسليمن بن داود الف امراة
وكان لداود ماية امراة وكان امر الله اي قضا الله
الملك الاعظم في ذلك وغيره قدرا واكده بقوله تع
مقدورا اي لا خلف فيه ولا بد من وقوعه في حينه
الذي حكم بكونه فيه وقوله تعالى الذين نعت الذين
قبله يبلغون اي الى اممهم رسالات الله اي الملك
الاعظم سوا كانت في نكاح ام غيره ويخشونه اي
فيخبرون بكل ما اخبرهم به ولا يخشون احدا
قل او جل الا الله فلا يخشون قالة الناس فيما احل
الله لهم وكفى بالله اي المحيط بجميع صفات الكمال
حسيبا اي حافظا لاعمال خلقه ومحاسبهم ولما
افاد كل ما ان الدعي ليس ابنا وكانوا قد قالوا لما
تزوج زينب كما رواه الترمذي عن عايشة تزوج
حليلة ابنه قال تعالى ما كان اي بوجه من الوجوه
محمد اي على كثرة نسايه واولاده ابا احد من رجالكم
لا مجازا بالتبني ولا حقيقة بالولادة فثبت
بذلك انه يحرم عليه زوجة الابن

الابن ولم يقل تعالى من بنيكم فانه لم يكن له في ذلك
الوقت خمس وما داناها ابن ذكر لعلمه انه
سيولد له ابنه ابراهيم عليه السلام مع ما
كان قبله من البنين الطاهر والطيب والقاسم
وانه لم يبلغ احد منهم الحلم عليه السلام قال
البيضاوي ولو بلغوا لكانوا رجالا لا رجالهم اه
وهذا مما ياتي على المرا والتبني قال البغوي
والصحيح انه اراد باحد من رجالكم الذي لم
يلدهم اه وهذا الاول اوجه كما جرى عليه
البقاعي ثم لما نفي تعالى ابوته عنه قال
ولكن كان في علم الله غيبا وشهادة رسول
الله اي الملك الاعظم الذي كل من سواه عبده
وخاتم النبيين اي اخرهم الذي ختمهم لان
رسالته عامة ومعها اعجاز القران فلا حاجة
مع ذلك الى استنبا ولا ارسال وذلك مقتض لانه
لا يبلغ له ولدا اذ لو بلغ له ولد لاق منصبه
ان يكون منبيا اكراما له لانه اعلا النبيين
رتبة واعظمهم شرفا وليس لاحد من الانبيا
كرامة الا وله مثلها او اعظم منها ولو صار

Copyright © King Saud University

احد من ولده رجلا لكان نبيا بعد ظهور نبوته
وقد قضى الله تعالى ان لا يكون بعده نبي
اكراما له روى احمد وابن ماجه عن انس
وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال في ابنه ابراهيم عليه السلام
لو عاش ابراهيم لكان نبيا صديقا وللبخاري
نحوه للبراء بن عازب وللبخاري من حديث
ابن ابي اوفى لو قضى ان يكون بعد محمد صلى
الله عليه وسلم نبي لعاش ابنه ولكن لا
نبي بعده لم يقطعه ولدا ذكرا يصير رجلا
وقيل من لا نبي بعده يكون اشفق على
امته واهدى لهم اذ هو كالوالد لولده
ليس له غيره والحاصل انه لا ياتي بعده
نبي مطلقا بشرع جديد ولا بتجدد بعده
مطلقا استنبا وهذه الاية مثبتة لكونه
خاتما على ابلغ وجه واعظمه وذلك انها
في سياق الانكار بان يكون بينه وبين
احد من رجالهم نبوة حقيقة او مجازية
ولو كانت بعده لاحد لم يكن ذلك
الا

الا لولد له ولان فايدة اثبات النبي تتميم شي
لم يات به من قبله وقد حصل به صلى الله عليه
وسلم التمام فلم يبق بعد ذلك مرام بعثت
لاتمم مكارم الاخلاق واما تجديد ما وهي مما
احدث بعض الفسقة فالعلما كافون به
لوجود ما خص به صلى الله عليه وسلم من
هذا القران المعجز الذي من سمعه فكانما سمعه
من الله عز وجل لوقوع التحقق والقطع
بانه لا يقدر غيره ان يقول شيا منه فمهما
حصل ذهول عن ذلك قدره من يريد الله
تعالى من العلما فهو د الاستبصار كما روي
في بعض الاثار علما امتي كانبيا بني اسرا يل
واما اتيان عيسى عليه السلام بعد تجديد
المهدي لجميع ما وهي من اركان المكارم فلاجل
فتنة الدجال ثم طامة ياجوج وماجوج ونحو
ذلك مما لا يستقل باعبايه غير نبي وما احسن
قول حسان بن ثابت في مرثيته لابراهيم
ابن النبي صلى الله عليه وسلم

Copyright © King Saud University

مضى ابنك محمود العواقب لم يشب
بعيب ولم يذمم بقول ولا فعل
واي انه عاش ساواك في العلا
فاتوان تبقى وحيدا بلا مثل
وقال الغزالي في اخر كتابه الاقتصاد ان الامة
فهمت من هذا اللفظ ومن قراين احواله صلى الله عليه
وسلم انه افهم عدم نبي بعده ابدا وعدم رسول
بعده ابدا وانه ليس فيه تاويل ولا تخصيص
وقال ان من اوله بتخصيص النبيين باولي العزم
من المرسلين ونحو هذا فكلامه من انواع الهذيان
لا يمنع الحكم بتكفيره لانه مكذب لهذا النص
الذي اجمع الامة على انه غير موول ولا مخصوص
انتهى وقد بان بهذا ان اتيان عيسى عليه
السلام غير قادح في هذا النص فانه من امته
صلى الله عليه وسلم المقررين لشريعته وهو
قد كان نبيا قبله لم يتجدد له شي لم يكن فلم يكن
ذلك قادحا في الختم وهو مثبت لشرف نبينا صلى الله
عليه وسلم اذ لولاه لما وجد وذلك انه لم يكن لنبي
من الانبيا شرف الا وله صلى الله عليه وسلم مثله
او اعلا منه وقد كان الانبيا تاتي مقدرة لشريعة نبينا
صلى

صلى الله عليه وسلم وقرا عاصم بفتح التا والباقون
بكسرها فالفتح اسم للالة التي يختم بها كالطابع
والقالب لما يطبع به ويقلب فيه والكسر
على انه اسم فاعل وقال بعضهم هو بمعنى
المفتوح يعني بمعنى اخرهم لانه ختم النبيين
فهو خاتمهم **وكان الله** اي الذي له كل صفة
كمال ازلا وابدا **بكل شي** من ذلك وغيره **عليما**
فيعلم من يليق بالختم ومن يليق بالبدء
قال الاستاذ ولي الدين الملوي في كتابه
حصن النفوس في سوال القبر ولخصاصه
صلى الله عليه وسلم بالاحمدية والمحمدية
علما وصفة برهان على ختمه اذ الحمد
مقرون بانقضا الامور مشروع عنده واخر
دعواهم ان الحمد لله رب العالمين وروى
ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال مثلي ومثل الانبيا كمثل قصر
احكم بنيانه ترك منه موضع لبنة نطاف
به النظار يتعجبون من حسن بنيانه الا
موضع تلك اللبنة لا يعيبون بسواها

Copyright © King Saud University

فكنت انا موضع تلك اللبنة ختم بي البنيان
وختم بي الرسل وقال عليه الصلاة والسلام
ان لي اسما انا محمد وانا احمد وانا الماحي
يمحو الله تعالى بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الله
تعالى الناس على قدمي وانا العاقب والعاقب
الذي ليس بعده نبي ولما كان ما اثبته
لنفسه سبحنه وتعالى من احاطة العلم مستلزما
للاحاطة باوصاف الكمال قال تعالى يا ايها الذين
امنوا اي ادعوا ذلك بالسنتهم اذكروا الله اي الذي
هو اعظم من كل شي تصديقا لدعواكم ذلك
ذكرا كثيرا قال ابن عباس لم يفرض الله تعالى
على عباده فريضة الا جعل لها حدا معلوما
ثم عذر اهلها في حال العذر وغير الذكر فانه
لم يجعل له حدا ينتهي اليه ولم يعذر اهله في تركه
الا مغلوبا على عقله وامرهم به في الاحوال
فقال تعالى فاذكروا الله قياما
وقعودا وعلى جنوبكم وقال تعالى
اذكروا الله ذكرا كثيرا اي بالليل
والنهار والبر والبحر والصحة
والسقم في السر والعلانية وقال

مجاهد

مجاهد الذكر الكثير ان لا ينساه ابدا فيعم ذلك سائر
الاوقات وسائر ما هو اهله من التقديس
والتهليل والتحميد وسبحوه بكرة واصيلا اي
اول النهار واخره خصوصا وتخصيصها بالذكر
للدلالة على فضلها على سائر الاوقات لكونهما
مشهودين كافراد التسبيح من جملة الاذكار
لانه العمدة فيها وقال البغوي وسبحوه اي
صلوا له بكرة اي صلاة الصبح واصيلا يعني
صلاة العصر وقال الكلبي واصيلا صلاة
الظهر والعصر والعشائين وقال مجاهد
معناه قولوا سبحان الله والحمد لله ولا اله
الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله
فعبر بالتسبيح من اخواته وقيل المراد
من قوله تعالى ذكرا كثيرا هذه الكلمات يقولها
الطاهر والجنب والمحدث وعن انس لما
نزل قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون
على النبي قال ابو بكر يا رسول الله ما انزل
الله تعالى عليك خيرا الا اشركنا فيه انزل الله
تعالى هو الذي يصلي عليكم اي يرحمكم

Copyright © King Saud University

وملائكته اي يستغفرون لكم فالصلاة من الله
تعالى رحمة ومن الملائكة استغفار للمومنين فذكر
صلاته تحريضا للمومنين على الذكر والتسبيح قال
السدي قالت بنو اسرائيل لموسى عليه السلام
ايصلي ربنا فكبر هذا الكلام على موسى فاوحى الله
تعالى قل لهم اني اصلي وان صلاتي رحمتي وقد
وسعت رحمتي كل شي وقيل الصلاة من الله
اشاعة الذكر الجميل له في عباده وقيل الثنا عليه
واستغفار الملائكة ودعاوهم للمومنين ترحم عليهم
وهو سبب الرحمة من حيث انهم مجابوا الدعوة
فقد اشتركت الصلاتان واللفظ المشترك يجوز
استعماله في معنييه معا وكذلك الجمع بين
الحقيقة والمجاز في لفظ جايز قال الرازي
وينسب هذا القول للشافعي رحمه الله تعالى
وهو غير بعيد وذلك لان الرحمة والاستغفار
مشتركان في العناية بحال المرحوم والمستغفر
له والمراد هو القدر المشترك فتكون الدلالة
تضمينية بحال المرحوم والمستغفر له والمراد
هو القدر المشترك فتكون الدلالة تضمينيه

تضمينيه ولما فعل الملائكة منسوبا اليه قال
تعالى ليخرجكم اي لديم اخراجه اياكم بذلك
من الظلمات اي الكفر والمعصية الى النور اي
الايمان والطاعة اي ليخرجكم من الجهل الموجب
للضلال الى العلم المثمر المثمر للهدي وكان
اي ازلا وابدا بالمومنين اي الذين صار الايمان
لهم وصفا رحيما اي بليغ الرحمة بتوفيقهم حيث
اعتنى بصلاح امرهم واستعمل في ذلك
ملايكته المقربين فحملهم ذلك على الاخلاص
في الطاعات فرفع لهم الدرجات في روضات
الجنات تحيتهم اي المومنين يوم يلقونه
اي يريدون الله سلام اي يسلم الله تعالى
عليهم ويسلمهم من جميع الافات وروى
عن البرا بن عازب قال تحيتهم يوم يلقونه
سلام يعني يلقون سلام يعني يلقون
ملك الموت لا يقبض روح مومن الا يسلم
عليه وعن ابن مسعود قال اذا جا ملك
الموت ليقبض روح المومن قال ربك يقريك
السلام وقيل تسلم عليهم الملايكة

Copyright © King Saud University

وتبشرهم حين يخرجون من قبورهم واعد اي والحال انه اعد
لهم اي بعد السلامة الدائمة اجرا كريما هو الجنة وتقدم
ذكر الكريم في الرزق فان قيل الاعداد انما تكون ممن
لا يقدر عند الحاجة الى الشي عليه واما الله تعالى فغير
محتاج ولا عاجز فحيث يلقاه يوتيه ما يرضى به
وزيادة فما معنى الاعداد من قبل اجيب
بان الاعداد للاكرام لا للحاجة قال البيضاوي و
لعل اختلاف النظم لمحافظة الفواصل والمبالغة
فيما هو اهم يا ايها النبي اي الذي يخبرهم عما يطلع
مما لا يطلع عليه غيره انا ارسلناك اي بعظمتنا
الى سائر خلقنا شاهدا اي عليهم بتصديقهم
وتكذيبهم ونجاتهم وضلالتهم او شاهدا للرسل
بالتبليغ وهو حال مقدرة او مقارنة لقرب الزمان
ومبشرا اي لمن امن بالجنة ونذيرا اي لمن كذب بالنار
وداعيا الى الله اي الى توحيده وطاعته وقوله تعالى
باذنه حال اي متلبسا بتسهيله ولا يراد
حقيقة الاذن لانه مستفاد من ارسلناك وسراجا
اي مثله في الاهتداء به يمد البصائر فيجلي ظلمات الجهل
بالعلم للبصر لمواقع الزلل كما يمد النور الحسي نور

نور الابصار منيرا اي نيرا على من اتبعه فيصير في
اعظم ضيا ومن تخلف عنه كان في اشد ظلام
وعبر به دون الشمس مع ان الشمس اشد
اضاءة من السراج لان نور الشمس لا يوخذ منه
شي والسراج يوخذ منه انوار كثيرة اذا انطفى
الاول يبقى الذي اخذ منه وكذلك ان غاب
النبي صلى الله عليه وسلم كان كل صحابي سراجا
يوخذ منه نور الهداية كما قال صلى الله عليه
وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم
قال ابن عادل وفي هذا الخبر لطيفة وهي ان
النبي صلى الله عليه وسلم لم يجعل اصحابه
كالسرج وجعلهم كالنجوم ولان النجم لا يوخذ
منه نور بل له في نفسه نور اذا غرب لا يبقى
نور ويستفاد منه فكذلك الصحابي اذا مات
فالتابعي يستنير بنور النبي صلى الله عليه
وسلم فلا ياخذ الا قول النبي صلى الله عليه
وسلم وفعله فانوار المجتهدين كلهم من النبي
صلى الله عليه وسلم ولو جعلهم كالسرج
والنبي صلى الله عليه وسلم كان سراجا

وكان المجتهدان يستنير بما اراد منهم ويأخذ
النور من اختار وليس كذلك فان مع نص
النبي صلى الله عليه وسلم لا يعمل بقول الصحابي
بل يوخذ النور من النبي صلى الله عليه وسلم
ولا يوخذ من الصحابي بل يجعله سراجا تنبيه
جوز الفراء ان يكون الاصل وتاليا سراجا
ويعني بالسراج القران وعلى هذا فيكون من
عطف الصفات وهي لذات واحدة لان التالي
هو المرسل وقوله تعالى وبشر المؤمنين
عطف على محذوف مثل فراقب احوال امتك
ولم يقل النذر المعرضين اشارة للكرم وقوله
تعالى بان لهم من الله فضلا كبيرا كقوله تعالى
اعد لهم اجرا عظيما والعظيم والكبير متقاربان
ولما امره سبحانه وتعالى بما يسره نهاه عما
يضره بقوله تعالى ولا تطع الكافرين والمنافقين
اي لا تترك ابلاغ شيء مما انزلت اليك من الانذار
وغيره كراهة لشيء من مقالهم رافقا لهم في امر
زينب وغيرها فانك نذير لهم وزاد على
ما في اول السورة محط الفائدة
في قوله

في قوله مصرحا بما اقتضاه ما قبله ودع
اي اتركه على حالة حسنة لك وامر جميل
بك اذاهم فلا تحسب لهم حسابا اصلا واصبر
عليه فان الله تعالى دافع عنك لانك داع باذنه
وتوكل على الله اي الملك الاعلى وكفى بالله اي
الذي له الاحاطة الكاملة وكيلا اي حافظا قال
البغوي وهذا منسوخ باية القتال ولما بدا
الله تعالى بتاديب النبي صلى الله عليه وسلم
بذكر ما يتعلق بجانب الله تعالى بقوله تعالى
يا ايها النبي اتق الله وثنى بما يتعلق بجانب
من هو تحت يده من ازواجه بقوله تعالى
بعده يا ايها النبي قل لازواجك وثلث بما
يتعلق بذكر العامة بقوله تعالى يا ايها النبي
انا ارسلناك شاهدا وكان تعالى كلما
ذكر لنبيه صلى الله عليه وسلم مكرمة وعلمه
ادبا ذكر للمؤمنين ما يناسبه فلذلك
بدا في ارشاد المؤمنين بجانب الله تعالى فقال
يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ثم ثنى
بما يتعلق بجانب من تحت ايديهم بقوله تعالى

Copyright © King Saud University

يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المومنات اي عقدتم على
الموصوفات بهذا الوصف الشريف المقتضي لغاية
الرغبة فيهن واتم الوصلة بينكم وبينهن ثم كما
ثلث في تاديب النبي بجانب الامة ثلث في حق
المومنين بما يتعلق بها فقال بعد هذا يا ايها
الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي يا ايها الذين
امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما فان قيل
اذا كان هذا ارشادا ما يتعلق بجانب من هو
من خواص المراة فلم خص المطلقات اللاتي
طلقن قبل المسيس لقوله تعالى ثم طلقتموهن
من قبل ان تمسوهن اي تجامعوهن اطلق
المس على الجماع لانه من طريق له كما سمي الخمر
اثما لانها سببه اجيب بان هذا ارشاد
الى اعلا درجات المكرمات ليعلم منها ما دونها
وبيانه ان المراة اذا طلقت قبل المسيس
لم يحصل بينهما تاكيد العهد ولهذا قال تعالى
في حق الممسوسة وكيف تاخذونه وقد افضى
بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا
فاذا امر الله تعالى بالتمتع والاحسان
مع

مع من لا مودة بينه وبينها فما ظنك بمن حصلت
المودة بالنسبة اليها بل الافضا وحصل تاكدها
بحصول الولد بينهما وهذا كقوله تعالى ولا تقل
لهما اف ولا تنهرهما ولو قال لا تضربهما ولا تشتمهما
ظن انه حرام لمعنى يختص بالضرب او الشتم
فاما اذا قال لا تقل لهما اف علم منه معان كثيرة
فكذلك هاهنا لما امر بالاحسان مع من لا مودة
فيعلم منه الاحسان مع الممسوسة ومن
لم تطلق بعد ومن ولدت عنده منه وقرا
حمزة والكسائي بضم التا والف بعد الميم
والباقون بفتح التا ولا الف بعد الميم ولما
كانت العدة حقا للرجال وان كانت لا تسقط
باسقاطهم لما فيها من حق الله تعالى قال تعالى
فما لكم عليهن من عدة اي ايام يتربصن فيها
بانفسهن تعتدونها اي تحصونها وتستوفونها
بالاقرا وغيرها فتعتدونها صفة لعدة و
تعتدونها تفتعلونها اما من العدد واما من
الاعتداد اي تحسبونها وتستوفون عددها
من قولك عد الدراهم فاعتدها اي

Copyright © King Saud University

اي استوفى عددها نحو كيلته فاكتاله ووزنته فاتزنه فان قيل ما الفايدة في الاتيان بثم وحكم من طلقت على الفور بعد العقد كذلك اجيب بان ذلك ازاحة لما قد يتوهم ان تراخي الطلاق ربما تمكن الاصابة كما يوثر في النسب فيوثر في العدة وظاهر يقتضي عدم وجوب العدة بمجرد الخلوة وتخصيص المومنات والحكم عام للتنبيه على ان شان المومن ان لا ينكح الا مومنة تخيرا لنطفة المومن وفي هذه الاية دليل على ان تعليق الطلاق قبل النكاح لا يصح لان الله تعالى رتب الطلاق بكلمة ثم وهي للتراخي حتى لو قال لاجنبية اذا نكحتك فانت طالق او كل امراة اتزوجها فهي طالق فنكح لا يقع عليه الطلاق وهو قول علي وابن مسعود وجابر ومعاذ وعايشة وبه قال اهل العلم منهم الشافعي واحمد وروي عن ابن مسعود انه قال يقع الطلاق وهو قول النخعي واصحاب

الراي

الراي وقال ربيعة ومالك والاوزاعي ان عين امراة يقع وان عمم لا يقع وروى عكرمة عن ابن عباس انه قال كذبوا على ابن ان كان قالها فزلة من عالم في الرجل يقول ان تزوجت فلانة فهي طالق يقول الله تعالى اذا نكحتم المومنات ثم طلقتموهن ولم يقل اذا طلقتموهن ثم نكحتموهن وروى عطا عن جابر لا طلاق قبل النكاح وقوله تعالى فمتعوهن اي اعطوهن ما يستمتعن به بمحله كما قال ابن عباس اذا لم يكن سمى لها صداقا والا فلها نصف الصداق ولا متعة لها وقال قتادة هذه الاية منسوخة بقوله تعالى فنصف ما فرضتم اي فلا متعة لها مع وجوب نصف المهر واختلف في المتعة هل هي واجبة او مندوبة وهي عندنا واجبة بشروط وقد تقدم الكلام عليها عند قوله تعالى فتعالين امتعكن وعند بعض الايمة انها مندوبة وقال بعضهم هي مندوبة

عند استحقاقها نصف المهر واجبة عند عدمه
وذهب بعضهم الى انها تستحق المتعة بكل حال
لظاهر الاية وسرحوهن سراحا جميلا اي خلوا
سبيلهن بالمعروف من غير ضرار وليس
عليهن عدة قبل السراح الجميل ان لا يطالبه
بما دفعه اليها بان يخلي لها جميع المهر وقوله تعالى
يايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن
اي مهورهن لان المهر اجر على البضع بيان
لايثار الافضل له لا لتوقف الحل عليه
وليفيد احلال بكونها مسببة بقوله تعالى
وما ملكت يمينك مما افاء الله اي الذي له
الامر كله عليك مثل صفية بنت حيي النضرية
بكونها مهاجرات معه في قوله تعالى وبنات
عمك اي الشقيق وغيره وبنات عماتك اي نسا
قريش ولما بدا بالعموم لشرفها اتبعه قوله
تعالى وبنات خالك جاريا في الافراد والجمع
على ذلك النحو وبنات خالاتك من نساء بني
زهرة قال البقاعي ويمكن في ذلك احتباك
عجيب وهو وبنات عمك وبنات اعمامك
وبنات

وبنات عماتك وبنات خالك وبنات اخوالك وبنات
خالتك وبنات خالاتك اه وقوله اللاتي هاجرن
معك يحتمل تقييد الحل بذلك في حقه خاصة
ويعضده ما روى الترمذي والحاكم عن ام هاني
بنت ابي طالب انها قالت خطبني رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني
ثم انزل الله تعالى انا احللنا لك ازواجك
الاية فلم اكن احل له لاني لم اهاجر كنت من الطلقا
اي من الاسرا اي الذين طلقوا من الاسر وخلوا
سبيلهم قال ابن عادل ثم نسخ شرط الهجرة
في التحليل اه ثم ان الله تعالى ذكر ما خص به
نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى
وامراة حرة مومنة ان وهبت نفسها للنبي
ان اراد النبي اي الذي اعلينا قدره بما
خصصناه به ان يستنكحها اي يوجد نكاحه
لها بجعلها من منكوحاته فتصير له بمجرد ذلك
بلا مهر ولا ولي ولا شهود وخرج بالمومنة
الكتابية فلا تحل له لانها تكره صحبته ولانه
اشرف ان يضع ماءه في رحم كافرة ولقوله تعالى

Copyright © King Saud University

وازواجها انهم ولا يجوز ان تكون المشركة ام
المومنين ولخبر سالت ربي ان لا ازوج الا من كان معي
في الجنة فاعطاني رواه الحاكم وصحح اسناده واما
التسري بالكتابية فلا يحرم عليه قال الماوردي لانه
صلى الله عليه وسلم تسرى بريحانة وكانت يهودية
من بني قريظة واستشكل بعضهم هذا تعليلهم السابق
بانه اشرف من ان يضع ماوه في رحم كافرة واجيب
بان القصد بالنكاح اصالة التوالد فاحتيط
له وبانه يلزم فيه ان تكون الزوجة المشركة ام
المومنين بخلاف الملك فيهما وخرج بالحرة الرقيقة
وان كانت مومنة لان نكاحها معتبر بخلاف
بخوف العنت وهو معصوم وبفقدان مهر حرة
ونكاحه غني عن المهر ابتداء وانتهاء وبرق الولد
ومنصبه صلى الله عليه وسلم منزه عنه
تنبيه في نصب امراة وجهان احدهما
انها عطف على مفعول احللنا اي واحللنا
امراة موصوفة بهذين الشرطين قال ابو
البقا وقد رد هذا قوم وقالوا احللنا ماض
وان وهبت وهو صفة المراة مستقبل

مستقبل فاحللنا في موضع جواب الشرط
لا يكون ماضيا في معنى قال وهذا ليس بصحيح
لان معنى الاحلال هاهنا الاعلام بالحل اذا وقع
الفعل على ذلك كما تقول ابحت لك ان تكلم فلانا
ان سلم عليك والثاني انه نصب بمقدر تقديره
وتحل لك امراة وفي قول الله تعالى ان وهبت
ان اراد اعتراض الشرط على الشرط والثاني
هو قيد في الاول ولذلك يعربونه حالا لان الحال
قيد ولهذا اشترط الفقهاء ان يتقدم الثاني على
الاول في الوجود فلو قال لزوجته ان اكلت
ان ركبت فانت طالق فلا بد ان يتقدم الركوب
على الاكل وهذا التحقيق لجاذبية والتقييد
كما ذكر اذ لو لم يتقدم لخلا جزء من الاكل غير
مقيد بركوب فلهذا اشترط تقدم الثاني
ولكن يشترط ان لا يكون ثم قرينة تمنع من
تقدم الثاني على الاول كقوله لامراة ان تزوجتك
ان طلقتك فعبدي حر لا يتصور هنا تقدم
الطلاق على التزويج قال بعض المفسرين
وقد عرض لي اشكال على ما قاله الفقهاء

Copyright © King Saud University

بهذه الاية وذلك ان الشرط الثاني هنا لا يمكن
تقدمه في الوجود بالنسبة الى الحكم بالنبي صلى
الله عليه وسلم لانه لا يمكن عقلا وذلك ان
المفسرين فسروا قوله تعالى ان اراد بمعنى قبل
الهبة لان القبول منه صلى الله عليه وسلم
بهم نكاحه وهذا لا يتصور تقدمه على الهبة
اذا القبول متاخر فان القصة كانت في تاخر
ارادته عن هبتها ولما جاء ابو حيان الى هنا
جعل الشرط الثاني مقدما على الاول
على القاعدة العامة ولم يستشكل شيا مما
ذكر قال ذلك للبعض وقد عرضت هذا
الاشكال على جماعة من اعيان زماننا فاعترفوا
به ولم يظهر عنه جواب الا ما قدمته من انه
ثم قرينة مانعة من ذلك كما مثلته
انفا ولما كان ربما فهم ان غير النبي
صلى الله عليه وسلم يشاركه في هذا
المعنى قال الله تعالى مبينا للخصوصية
خالصة لك اي وزاد المعنى بيانا بقوله تعالى
من دون المومنين اي من الانبيا وغيرهم

تنبيهات

تنبيهات الاولى في اعراب خالصة وفيه اوجه احدها
انه منصوب على الحال من فاعل وهبت اي حالة
كونها خالصة لك دون غيرك ثانيها انها نعت مصدر
مقدر اي هبة خالصة فنصبها بوهبت ثالثها انها
حال من امراة لانها وصفت فتخصصت وهو بمعنى
الاول واليه ذهب الزجاج وقيل غير ذلك والمعنى
انا احللنا لك امراة مومنة وهبت نفسها لك بغير
صداق التنبيه الثاني في انعقاد النكاح بلفظ
الهبة في حق الامة وفيه خلاف فقال سعيد
ابن المسيب والزهري ومجاهد وعطا لا
ينعقد الا بلفظ النكاح او التزويج به قال مالك
وربيعة والشافعي ومعنى الاية ان اباحة الوطي
بالهبة وحصول التزويج بلفظها من خواصه
صلى الله عليه وسلم قال النخعي وابو حنيفة
واهل الكوفة ينعقد بلفظ الهبة والتمليك
وان معنى الاية ان تلك المراة صارت خالصة لك
زوجة من امهات المومنين لا تحل لغيرك ابدا
بالتزويج واجيب بان هذا التخصيص بالواهبة
لا فايدة فيه فان ازواجه صلى الله عليه وسلم

كلهن خالصات له وما مر فللتخصيص فايدة
التنبيه الثالث في التي وهبت نفسها للنبي
صلى الله عليه وسلم هل كانت عنده امراة
منهن فقال عبد الله بن عباس ومجاهد
لم يكن عند النبي صلى الله عليه وسلم امراة وهبت
نفسها منه ولم يكن عنده امراة الا بعقد نكاح
او ملك يمين وقوله تعالى وهبت نفسها
على طريق الشرط والجزا وقال غيرهما بل
كانت موهوبة وهو ظاهر الاية واختلفوا فيها
فقال الشعبي هي زينب بنت خزيمة الهلالية
يقال لها ام المساكين وقال قتادة هي
ميمونة بنت الحارث وقال علي بن الحسين و
الضحاك ومقاتل هي ام شريك بنت جابر من
بني اسد وقال عروة بن الزبير هي خولة
بنت حكيم من بني سليم التنبيه الرابع في ذكر شي
من خصايصه صلى الله عليه وسلم وقد ذكرت
فيها اشيا كثيرة بشرح الصدر بها في شرح
التنبيه فلا اطيل بذكرها هنا
ولكن اذكر منها طرفا يسيرا
تبركا ببركة صاحبها عليه افضل

عليه افضل الصلاة والسلام فان ذكرها مستحب
قال النووي في روضته ولا يبعد القول بوجوبها
لئلا يرى الجاهل بعض الخصايص في الخبر الصحيح
فيعمل به باصل التاسي فوجب بيانها لتعرف
وهي اربعة انواع احدها الواجبات وهي
اشيا كثيرة منها الضحى والوتر والاضحية وفي
الحديث ما يدل على الوجوب قال الضحى وقياسه
ان الوتر كذلك ومنها السواك لكل صلاة والمشاورة ورع
لذوي الاحلام في الامر وتخيير نسايه مع مفارقته
طلبا للدنيا واختياره طلبا للاخرة ولا يشترط
الجواب له منهن فورا فلو اختارته واحدة
لم يحرم عليه طلاقها او كراهته توقفت الفرقة
على الطلاق وليس قولها اخترت نفسي بطلاق
كما مرت الاشارة عليه وتزوجها بعد الفراق
النوع الثاني محرمات وهي اشيا كثيرة منها الزكاة
والصدقة وتعلم الخط والشعر ومد
العين الى متاع الدنيا وخاينة الاعين
وهي الايمان بما يظهر خلافه دون الخديعة
في الحرب وامساك من كرهت نكاحه

Copyright © King Saud University

ومنها نكاح كتابية لا التسري بها كما مر ولا يحرم عليه
اكل الثوم ونحوه ولا الاكل متكيا النوع الثالث
التخفيفات والمباحات وهي كثيرة جدا منها
تزويج من شا من النسا لمن شا ولو لنفسه
بغير اذن من المراة ووليها متوليا للطرفين
وزوجه الله تعالى وابيح له الوصال
وصفي المغنم ويحكم ويشهد لولده ولو
نفسه وابيح له نكاح تسع وقد تزوج
صلى الله عليه وسلم بضعة عشر ومات عن
تسع قال الايمة وكثرة الزوجات في حقه
صلى الله عليه وسلم للتوسعة في تبليغ
الاحكام عنه والواقعة سرا مما لا يطلع
عليه الرجال ونقل محاسنه الباطنة فانه
صلى الله عليه وسلم تكمل له الظاهر
والباطن وحرم عليه الزيادة عليهن
ثم نسخ وسياتي ذلك ان شا الله تعالى
وينعقد نكاحه محرما وبلفظ الهبة
ايجابا لا قبولا بل يجب لفظ النكاح
او التزويج لظاهر قوله تعالى ان

اراد

ان اراد النبي ان يستنكحها ولا مهر للواهبة له
وان دخل بها وتجب اجابته على امراة رغب
فيها ويجب على زوجها طلاقها لينكحها النوع
الرابع الفضايل وهي كثيرة لا تدخل تحت الحصر
منها تحريم منكوحاته على غيره سوا كن موطوات
ام لا مطلقا باختيارهن ام لا وتحرم سراريه
وهن اما وهن الموطوات بخلاف غير الموطوات
وتقدم ان نساوه امهات المومنين لا المومنات
بخلافه صلى الله عليه وسلم فانه ابو الرجال
والنسا وتقدم الكلام على قوله تعالى ما كان
محمد ابا احد من رجالكم وان ثوابهن وعقابهن
مضاعف ومنها انه يحرم سوالهن
الا من ورا حجاب وافضلهن خديجة ثم
عايشة وافضل نسا العالمين مريم ابنة
عمران اذ قيل بنبوتها ثم فاطمة بنت رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم خديجة
ثم عايشة ثم اسية امراة فرعون واما
خبر الطبراني خير نسا العالمين مريم ابنة عمران
ثم خديجة بنت خويلد ثم فاطمة

لبنت محمد ثم اسية امراة فرعون واجيب
عنه بان خديجة انما فضلت فاطمة باعتبار
الامومة لا باعتبار السيادة وتقدم انه
صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ومنها
انه اول النبيين خلقا وافضل الخلق
على الاطلاق وخص بتقديم نبوته فكان
نبيا وادم منجدل في طينته وبتقديم
اخذ الميثاق عليه وانه اول من قال
بلى وقت الست بربكم وتخلق ادم وجميع
المخلوقات من اجله وبكتابة اسمه الشريف
على العرش والسموات والجنان وسائر
ما في الملكوت وبشق صدره الشريف و
بجعل خاتم النبوة بظهره بازا قلبه وانه
اول من تنشق عنه الارض يوم القيمة واول
من يقرع باب الجنة اول شافع واول
مشفع واكرم بالشفاعات الخمس يوم
القيمة اولها العظمى في الفصل بين اهل
الموقف حين يفزعون اليه بعد الانبيا
الثانية في ادخال خلقه الجنة بغير حسا
جعلنا

جعلنا الله واحبابنا منهم الثالثة في ناس
استحقوا دخول النار فلا يدخلونها
الرابعة في ناس دخلوا النار فيخرجون
منها الخامسة في رفع درجات ناس في الجنة
وكلها ثبتت بالاخبار وخص منها بالعظمى
ودخول خلق من امته الجنة بغير حساب
وهي الثانية قال النووي في روضته
ويجوز ان يكون خص بالثالثة والخامسة
ايضا ونصر بالرعب مسيرة شهر وجعلت
له الارض مسجدا وترابها طهورا واحلت له
الغنايم وارسل الى الكافة ورسالة غيره
خاصة واما عموم رسالة نوح بعد
الطوفان فلانحصار الباقين في من كان
معه في السفينة وهو اكثر الانبيا اتباعا
وامته خير الامم وافضلها اصحابه وافضل
الخلق الخلفا الاربعة على ترتيبهم في الخلافة
ثم باقي العشرة وهي معصومة لا تجتمع
على ضلالة وصفوفهم كصفوف الملايكة
ولها ثواب كثير على سائر الامم منها

Copyright © King Saud University

انها اول من يدخل الجنة بعد الانبيا ومنها وضع
الاصر وليلة القدر والجمعة ورمضان على احد
قولين ونظر الله اليهم ومغفرته لهم اول ليلة
منه وطيب خلوف فم الصايم عنده تعالى و
استغفار الملايكة في ليله ونهاره وامر الله تعالى
الجنات تتزين لهم ورد صدقاتهم في فقرايهم
والغرة والتحجيل من اثر الوضو وسلسلة
الاسناد والحفظ عن ظهر قلب واخذ العلم
عن الاحداث والمشايخ وكتابه صلى الله
عليه وسلم معجز محفوظ عن التغيير والتبديل
واقسم بعده حجة على الناس ومعجزات
ساير الانبيا انقرضت وشريعته مويدة ناسخة
لغيرها من الشرايع وتطوعه قاعدا كقايم ويحرم
رفع الصوت فوق صوته قال القرطبي وكره بعضهم
رفعه عند قبره صلى الله عليه وسلم ولا تبطل
صلاة من خاطبه بالسلام وتجب اجابته في الصلاة
ولو بالفعل ولا تبطل ويحرم نداوه باسمه كيا محمد
لا بكنيته كيا ابا القاسم ويحرم التكني بكنيته مطلقا
وقيل تختص بزمنه وقيل عن اسمه محمد وكان يتبرك

يتبرك ويستشفى ببوله ودمه وفضلاته
النازلة من الدبر لا ترى بخلافها من
القبل والذي صوبه بعض المتاخرين
طهارتها وهو الصواب واولاد بناته
ينسبون اليه واعطى جوامع الكلم وكان
يوخذ عن الدنيا عند تلقي الوحي ولا يسقط
عنه التكليف ورويته في النوم حق ولا
يعمل بها فيما يتعلق بالاحكام لعدم ضبط
النايم والكذب عمدا عليه كبيرة ولا يجوز
الجنون على الانبيا ولا الاحتلام ولا تاكل
الارض لحومهم وفي هذا القدر كفاية ومن
اراد الزيادة عليه على ذلك فعليه بكتب
الخصايص فان العلما قد صنفوا في ذلك
تصانيف وانا اسال الله تعالى من
فضله وكرمه ان يشفعه فينا ويدخلنا
معه الجنة ويفعل ذلك باهلينا و
مشايخنا واخواننا ومحبينا ولا يحرمنا
زيارته ولا رويته قبل الممات ولما كان
التخصيص لا يصح ولا يتصور الا من

محيط العلم بان هذا الامر ما كان لغير المخصوص
قام القدرة لمنع ذلك من غير صنى ولك
قال الله تعالى **قد** اي اخبرناك بان هذا
امر يخصك غيرهم لانا قد **علمنا ما فرضنا**
اي قدرنا نعطيتك **عليهم** اي على المومنين
في ازواجهم اي من شرايط العقد وانهم لا تحل
لهم امراة بلفظ الهبة منهم منها ولا بد ون
مهر ولا بد ون ولي وشهود وهذا عام
لجميع المومنين المتقدمين والمتاخرين
و في ما ملكت ايمانهم من الاما بشرا وغيرهم
بان تكون الامة ممن تحل لمالكها كالكتابية
بخلاف المجوسية والوثنية وان تستبري قبل
الوطي وقيل المراد ان احدا غيرك لا يملك
رقبة بهبتها لنفسها منه فيكون احق
من سيدها ولما فرغ من تعليل الدونية
على التخصص لفا ونشرا مشوشا بقوله
تعالى **لكيلا يكون عليك حرج** اي ضيق
في شي من امر النسا حيث احللنا لك
انواع المنكوحات وزدناك الواهبة
فلكيلا

٢٥٨

فلكيلا متعلق بخالصة وما بينهما اعتراض ومن
دون متعلق بخالصة كما تقول خلص من كذا
وكان الله اي المتصف بصفات الكمال ازلا
وابدا **غفورا رحيما** اي بليغ الستر على عباده
وكما ذكر تعالى ما فرض في الازواج والاما الشامل
للعدل في عشرتهن وكان صلى الله عليه وسلم
اعدل الناس فيهما واشدهم لله خشية وكان يعدل
بينهن ويعتذر مع ذلك عن ميل القلب الذي
هو خارج عن طوق البشر بقوله اللهم هذا
قسمي فيما املك فلا تلمني فيما املك خفف عنه
سبحانه وتعالى بقوله **ترجي** اي توخر وتترك
مصلحتها **من تشا منهن وتووي** اي تضم
اليك من تشا وتصلحها وقرا نافع وحفص
وحمزة والكسائي بيا ساكنة بعد الجيم
من الرجا اي توخرها مع افعال تكون بها
راجية لعطفك والباقون بهمزة مضمومة
وهو مطلق التاخير **ومن ابتغيت** اي اطلبت
ممن عزلت اي من القسمة **فلا جناح عليك**
اي في وطيها وضمها اليك تنبيه

اختلف المفسرون في معنى هذه الاية فاشهر
الاقوال انها في القسم بينهن وذلك ان التسوية
بينهن في القسم كانت واجبة عليه فلما نزلت هذه
الاية سقط عنه وصار الاختيار اليه فيهن
وقال ابن زيد نزلت هذه الاية حين غار بعض
امهات المومنين على النبي صلى الله عليه وسلم
وطلب بعضهن زيادة في النفقة فهجرهن
النبي صلى الله عليه وسلم شهرا حتى نزلت اية
التخيير فامر الله عز وجل ان يخيرهن بين
الدنيا والاخرة وان يخلي سبيل من اختارت الدنيا
ويمسك من اختار الله ورسوله على انهن امهات
المومنين وان لا ينكحن ابدا وعلى ان يودي اليه من
يشاء ويرجي من يشاء فرضين قسم لهن او لم
يقسم قسم لبعضهن دون بعض او فضل
بعضهن في النفقة والقسمة فيكون
الامر في ذلك اليه يفعل كيف يشا وكان
ذلك من خصايصه فاخترنه ورضين بذلك على
هذا الشرط وذلك لان النبي صلى الله عليه
وسلم بالنسبة الى امته نسبة السيد المطاع والرجل
وان لم

وان لم يكن نبيا فالزوجة في ملك نكاحه
والنكاح عليها رق فكيف بزوجات النبي
صلى الله عليه وسلم بالنسبة اليه فانهن
كالمملوكات له ولا يجب القسم بين المملوكات
واختلفوا هل اخرج احدا منهن عن القسم
فقال بعضهم لم يخرج احدا منهن عن القسم
بل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
مع ما جعل الله له من ذلك يسوي بينهن
في القسم الا سودة فانها رضيت بترك
حقها من القسم وجعلت يومها لعايشة
وقيل اخرج بعضهن روى جرير عن منصور
عن ابي رزين قال لما نزلت اية التخيير
اشفقن ان يطلقهن فقلن يا رسول
الله اجعل لنا من مالك ونفسك ما شيت
ودعنا على حالنا فنزلت هذه الاية
فارجا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعضهن واوى اليه بعضهن فكان ممن
اوى عايشة وحفصة وزينب وام
سلمة وكان يقسم بينهن سوا وارجا

Copyright © King Saud University

منهن خمسا ام حبيبة وميمونة وسودة وصفية
وجويرية فكان لا يقسم لهن ما شا وقال مجاهد
ترجي من تشا منهن اي تعتزل من تشا منهن بغير
طلاق وترد اليك من تشا بعد العزل بلا تجديد
عقد وقال ابن عباس تطلق من تشا منهن وتمسك
من تشا وقال الحسن تترك نكاح من شيت من نسا
امتك تعالى وكان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا خطب امراة لم يكن لغيره خطبتها حتى يتركها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل تقبل من
تشا من المومنات اللاتي يهبن انفسهن لك
فتؤويها اليك وتترك من تشا فلا تقبلها
روى هشام عن ابيه قال كانت خولة بنت حكيم
من اللاتي وهبن انفسهن للنبي صلى الله عليه
وسلم فقالت عايشة اما تستحي المراة ان
تهب نفسها للرجل فلما نزلت ترجي من تشا منهن قلت
يا رسول الله ما ارى ربك الا يسارع في هواك ذلك اي
التفويض الى مشيتك ادنى اي اقرب ان اي الى ان
تقر اعينهن اي بما حصل لهن من عشرتك الكريمة وهو
كناية عن السرور والطمانينة ببلوغ المراد لان من كان كذلك
كانت

٢٦٠

كانت عينه قارة ومن كان مهموما كانت عينه
كثيرة التقلب هذا اذا كان من القرار بمعنى
السكون ويجوز ان يكون من القر الذي هو ضد
الحر لان المسرور تكون عينه باردة والمهموم
تكون عينه حارة فلذلك يقال للصديق اقر
الله تعالى عينك وللعدو اسخن الله تعالى
عينك ولا يحزن اي بالفراق وغيره مما يحزن
من ذلك ويرضين لعلمهن ان ذلك من الله تعالى
بما اتيتهن اي من الاجور وغيرها من نفقة
وحشم وايثار وغيرها ثم اكد ذلك بقوله
تعالى كلهن اي ليس منهن واحدة الا هي
كذلك لان حكم كلهن فيه سوا ان سويت
بينهن وجرت ذلك تفضلا منك وان
رجحت بعضهن علمن انه بحكم الله تعالى
فتطمين نفوسهن وزاد ذلك تاكيدا لما
لذلك من القرابة بقوله تعالى والله اي
لما له من الاحاطة بصفات الكمال يعلم
ما في قلوبكم اي الخلايق كلهم فلا بدع ان
يعلم ما في قلوب هولا وكان الله اي ازلا

Copyright © King Saud University

وابدا عليما اي بكل شي من يطيعه ومن يعصيه
حليما لا يعاجل على من عصاه بل يديم احسانه
اليه في الدنيا فيجب ان يتقي لعلمه وحلمه فعلمه
موجب للخوف منه وحلمه مقتض للاستحيا
منه واخذ الحليم شديد فينبغي لعبده ان يعلم
عمن يعلم تقصيره في حقه فانه سبحانه
وتعالى ياجره على ذلك بان يحكم عنه فيما عليه
منه ويرفع قدره ويعلي ذكره وروى البخاري
في التفسير عن معاذ عن عايشة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يستاذن في
يوم المراة منا بعد ان انزلت هذه الاية
ترجي من تشا منهن الاية فقلت لها ما كنت
تقولين قالت كنت اقول له ان كان ذلك
الي فاني لا اريد يا رسول الله ان اوثر عليك
احدا ولما امره الله تعالى بالتخيير وخيرهن
واخترن الله ورسوله زاد الله تعالى
سرورهن بقوله تعالى لا تحل لك النسا من بعد
اي بعد من معك من هولا التسع اللاتي اخترنك
شكرا من الله لهن لكونهن لما نزلت اية
التخيير

التخيير اخترن الله ورسوله فحرم عليه النسا
سواهن ونهاه عن تطليقهن وعن الاستبدال
بهن بقوله تعالى ولا ان تبدل بهن اي هولا
التسع واغرق في النفي بقوله تعالى من اي شيا
من ازواج اي بان تطلقهن اي هولا المغيبات
او بعضهن وتاخذ بدلها من غيرهن ولو
اعجبك حسنهن اي النسا المغايرات لمن معك
قال ابن عباس يعني اسما بنت عميس الخثعمية
امراة جعفر بن ابي طالب فلما استشهد
اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخطبها
فنهي عن ذلك وقرا ابو عمرو ولا تحل لك النسا من
بعد بالتا الفوقية والباقون باليا التحتية
وشدد البزي التا من ان تبدل تنبيه
في الاية دليل على اباحة النظر الى من يريد
نكاحها لكن من غير العورة في الصلاة فينظر
الرجل من الحرة الوجه والكفين ومن الامة
ما عدا ما بين السرة والركبة واحتج لذلك
بقوله صلى الله عليه وسلم للمغيرة وقد
خطب امراة انظر اليها فانه احرى ان يودم

Copyright © King Saud University

بينكما اي تدوم المودة الالفة رواه الحاكم وصححه
وقوله تعالى الاما ملكت يمينك استثنا من النسا
لانه يتناول الازواج والاما اي فتحل لك وقد ملك
بعدهن مارية وولدت له ابراهيم ومات
واختلف هل ابيح له النسا من بعد قالت عايشة
ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل
له النسا اي فنسخ ذلك وابيح له ان ينكح اكثر منهن
باية انا احللنا لك ازواجك فان قيل هذه الاية
متقدمة وشرط الناسخ ان يكون متاخرا اجيب
بانها موخرة في النزول مقدمة في التلاوة وهذا
اصح الاقوال وقال انس مات على التحريم وقال
عكرمة والضحاك معنى الاية لا تحل لك النسا من
بعد التي احللنا لك بالصفة التي تقدم ذكرها
وقيل لابي بن كعب لو مات نسا النبي صلى الله
عليه وسلم كان يحل له ان يتزوج قال وما يمنعه
من ذلك قال قوله تعالى لا تحل لك النسا من
بعد قال انما احل الله تعالى له ضربا من النسا
فقال يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك ثم
يقول لا تحل لك النسا من بعد

قال

قال ابو صالح امر ان لا يتزوج اعرابية ولا
ولا غريبة ويتزوج من نسا قومه من
بنات العم والعمة والخال والخالة ان شاء
ثلثماية وقال مجاهد معناه لا تحل لك
اليهوديات ولا النصرانيات بعد المسلمات
ولا ان تبدل بهن يقول ولا ان تبدل بهن
من ازواج كانت العرب في الجاهلية يتبادلون
بازواجهم يقول الرجل للرجل بادلني بامراتك
وابادلك بامراتي تنزل لي عن امراتك وانزل
لك عن امراتي فانزل الله تعالى ولا ان تبدل
بهن من ازواج يعني تبادل بازواجك
غيرك بان تعطيه زوجتك وتاخذ زوجته
الا ما ملكت يمينك لا باس ان تبادل
بجاريتك ما شيت فاما الحراير فلا روى
عطا بن يسار عن ابي هريرة قال دخل
عيينة بن حصن على النبي صلى الله عليه
وسلم بغير اذن ومعه عايشة فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم يا عيينة اين
الاستيذان قال يا رسول الله ما

Copyright © King Saud University

استأذنت علي رجل من مضر منذ ادركت ثم قال
من هذه الحميرة الى جنبك فقال هذه عايشة
ام المومنين فقال عيينة افلا انزل لك عن
احسن الخلق فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله حرم ذلك فلما خرج
قالت عايشة من هذا يا رسول الله قال
هذا احمق مطاع وانه على ما ترين لسيد
قومه ولما امر الله تعالى في هذه الايات
باشيا ونهى عن اشيا وحد حدودا حذر
من التهاون بشي منها ولو بنوع تاويل
بقوله تعالى وكان الله اي الذي لا شي اعظم
منه وهو المحيط بجميع صفات الكمال على كل
شي رقيبا اي حافظا عالما بكل شي قادرا
عليه فتحفظوا امركم ولا تتخطوا ما حد
لكم وهذا من اثر الاسما وعيدا ولما ذكر
حالة النبي صلى الله عليه وسلم مع امته
في قوله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا
ذكر حالهم معه من الاحترام له صلى الله
عليه وسلم بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا

اي ادعوا الايمان صدقوا دعواكم فيه بان لا
تدخلوا بيوت النبي اي الذي ياتيه الانبا من علام
الغيوب مما فيه رفعته في حال من الاحوال اصلا
الا في حال ان يوذن لكم اي ممن له الاذن
في بيوته صلى الله عليه وسلم منه او ممن
ياذن له في الدخول بالدعا الى طعام اي اكله
حال كونكم غير ناظرين اي منتظرين اناه اي نضجه
وهو مصدر انى ياني وقرا هشام وحمزة
والكسائي بالامالة وورش بالفتح وبين
اللفظين والباقون بالفتح ولما كان هذا
الدخول بالاذن مطلقا وكان يراد تقييده
قال تعالى ولكن اذا دعيتم اي ممن له الدعوة
فادخلوا اي لاجل ما دعاكم له ثم تسبب
عنه بقوله تعالى فاذا طعمتم اي اكلتم طعاما
او شربتم شرابا فانتشروا اي اذهبوا حيث
شئتم في الحال ولا تمكثوا بعد الاكل والشرب
لا مستريحين لقرار الطعام ولا مستانسين
لحديث اي طالبين الانس لاجله فانه
قال الحسن حسبك بالثقلا ان الله لم

Copyright © King Saud University

يتجوز في امورهم وعن عايشة انها قالت حسبك
بالثقلاء ان الله تعالى لم يحتملهم ثم علل ذلك
تعالى مصوبا الخطاب الى جميعهم معظما له
باداة البعد ان ذلكم اي الامر الشديد وهو
المكث بعد الفراغ كان يؤذي النبي اي الذي
هيناه لسماع ما ننبئه به مما يكون سببه
شرفكم وعلوكم في الدارين فاحذروا ان
تشغلوه عن شي منه ثم سبب عن ذلك المانع
من مواجهتهم له بما يريد اداوه بقوله تعالى
فيستحيي منكم اي بان يامركم بالانصراف
والله اي الذي له جميع الامر لا يستحيي من الحق
اي لا يفعل فعل المستحيي فيودبه ذلك الى ترك
الامر به تنبيه قال اكثر المفسرين نزلت
هذه الاية في شان وليمة زينب حين بنا بها
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما روى
شهاب قال اخبرني انس بن مالك انه كان
ابن عشر سنين فقدم رسول الله صلى الله
عليه وسلم المدينة قال فكانت ام هاني
توطيني على خدمة النبي صلى الله عليه
وسلم فخدمته عشر سنين وتوفي
وانا

وانا ابن عشرين سنة فكنت اعلم الناس بشان
الحجاب حين انزل وكان اول ما انزل في ابتنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت
جحش اصبح النبي صلى الله عليه وسلم بها عروسا
فدعا القوم واصابوا الطعام ثم خرجوا وبقي
رهط منهم عند النبي صلى الله عليه وسلم
فاطالوا المكث فقام النبي صلى الله عليه وسلم
فخرج وخرجت معه لكي يخرجوا فمشي النبي
صلى الله عليه وسلم ومشيت حتى جا عتبة
حجرة عايشة ثم ظن انهم قد خرجوا فرجع
ورجعت معه حتى اذا دخل على زينب
فاذاهم جلوس لم يخرجوا فرجع النبي
صلى الله عليه وسلم ورجعت معه حتى اذا
بلغ حجرة عايشة فظن انهم قد خرجوا فرجع
ورجعت معه فاذاهم قد خرجوا فضرب
النبي صلى الله عليه وسلم بيني وبينه الستر
ونزلت اية الحجاب وقال ابو عثمان واسمه
الجعد عن انس قال فدخل يعني رسول
الله صلى الله عليه وسلم البيت

Copyright © King Saud University

وارخى الستر وانى لفي الحجرة وهو يقول يا ايها الذين
امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الاية روى ابو يعلى
الموصلي عن انس قال بعثتني ام سليم برطب الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعته بين يديه
فاصاب منه ثم اخذ بيدي فخرجنا وكان حديث عهد
بعرس بنت جحش قال فمر بنساء من نسائه وعنده
رجال يتحدثون فهنيته وهناه الناس فقالوا الحمد
لله اقر بعينك يا رسول الله فمضى حتى اتى عائشة فاذا
عندها رجال فكره ذلك وكان اذا كره الشيء عرف في
وجهه قال فاتيت ام سليم فاخبرتها فقال
ابو طلحة لئن كان ما قال ابنك ليحدثن امر
قال فلما كان من العشي خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم فصعد المنبر ثم تلا
هذه الاية يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا
بيوت النبي الاية وروى البخاري وغيره عنه
قال كان النبي صلى الله عليه وسلم هدية فقلت
لها افعلي فعمدت الى تمر واقط وسمن فاتخذت وارسلت
بها معي اليه فقال لي ضعها ثم امرني فقال ادع
لي رجالا سماهم وادع لي من لقيت ففعلت

فعلت الذي امرني فرجعت فاذا البيت غاص
باهله وفي رواية الترمذي ان الراوي قال
قلت لانس كم كانوا قال زهاء ثلاث مائة
فرايت النبي صلى الله عليه وسلم وضع يده
على تلك الحيسة وتكلم بما شاء الله تعالى ثم
يدعو عشرة عشرة ياكلون منه ويقول لهم
اذكروا اسم الله تعالى وليأكل كل رجل مما يليه
حتى تصدعوا كلهم عنها قال الترمذي فقال
لي يا انس ارفع فرفعت فما ادري حين وضعت
كان اكثر او حين رفعت فخرج مني من خرج
وبقي قوم يتحدثون فنزلت ولما كان
البيت يطلق على المراة لملازمتها له عادة
اعاد الضمير عليه مرادا به النساء استخداما
قال تعالى واذا سالتموهن اي الازواج متاعا
اي شيئا من الات البيت فاسالوهن اي ذلك
المتاع كائنين وكائنات من وراء حجاب
اي ستر يستركم عنهن ويسترهن عنكم وقرا
ابن كثير والكسائي بفتح السين ولا همزة
بعدها والباقون بسكون السين

وهمزة مفتوحة بعدها **ذلكم** اي الامر العالي
الرتبة **اطهر لقلوبكم وقلوبهن** اي من وسواس
الشيطان والريب لان العين وزيرة القلب
فاذا لم تنظر العين لم يشته القلب فاما اذا
رات العين فقد يشتهي القلب وقد لا
يشتهي فالقلب عند عدم الروية اطهر
وعدم الفتنة حينئذ اظهر روي ابن شهاب
عن عروة عن عايشة ان ازواج النبي
صلى الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل
اذا تبرزن الى المصانع وهو صعيد
افيح فكان عمر يقول للنبي صلى الله
عليه وسلم احجب نساءك فلم يكن رسول
الله صلى الله عليه وسلم يفعل فخرجت
سودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله
عليه وسلم ليلة من الليالي عشا
وكانت امراة طويلة فناداها عمر الا قد
عرفناك يا سودة حرصا ان ينزل الحجاب
فانزل الله عز وجل الحجاب وعن انس
قال قال عمر وافقت ربي في ثلاثة
قلت يا رسول الله لو اتخذت من
مقام

مقام ابراهيم مصلى وقلت يا رسول الله
يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات
المومنين بالحجاب فانزل الله تعالى اية الحجاب
قال وبلغني ما اذى رسول الله صلى الله
عليه وسلم نساه قال فدخلت عليهن
فجعلت استقريهن واحدة واحدة قلت
والله لتنتهن او ليبدلنه الله ازواجا خيرا
منكن حتى اتيت على زينب فقالت يا عمر
اما كان في رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما يعظ نساه حتى تعظهن انت قال فخرجت
فانزل الله عسى ربه ان طلقكن ان يبدله
ازواجا خيرا منكن الاية ولما بين تعالى
للمومنين الادب اكده بما يحملهم على ملاطفة
نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى
وما كان اي وما صح وما استقام **لكم** في حال
من الاحوال **ان توذوا رسول الله** فله اليكم
من الاحسان ما يستوجب به منكم غاية
الاكرام والاجلال فضلا عن الكف عن
الاذى فلا توذوه بالدخول على شي

سن بيوته بغير اذنه او المكث بعد فراغ الحاجة
ولا بغير ذلك ولما كان قد قصر رسول الله
صلى الله عليه وسلم عليهن ثم احل له
غيرهن الله تعالى عليه بقوله تعالى ولا ان
تنكحوا اي فيما يستقبل من الزمان ازواجه
من بعده اي فراقه بموت او طلاق سوا
ادخل بها ام لا ابدا زيادة في شرفه صلى الله
عليه وسلم واظهار المزية ولانهن امهات
المومنين ولانهن ازواجه في الجنة
ولان المراة في الجنة مع اخر ازواجها
كما قاله ابن القشيري روي ان هذه الاية
نزلت في رجل من اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم قال لين قبض رسول الله
صلى الله عليه وسلم لانكحن عايشة
قال مقاتل بن سليمان هو طلحة بن
عبيد الله فاخبر الله تعالى ان ذلك
محرم وقال ان ذلكم اي الايذا بالنكاح
وغيره كان عند الله اي القادر على كل شي
عظيما اي ذنبا عظيما فان قيل روي
معمر عن الزهري عن ان العالية
بنت

بنت ظبيان التي طلقها النبي صلى الله عليه
وسلم تزوجت رجلا وولدت له اجيب
بان ذلك كان قبل تحريم ازواج النبي صلى
الله عليه وسلم على الناس وقيل لا تحرم غير
الموطوءة لما روي ان الاشعث بن قيس تزوج
المستعيذة في ايام عمر فامر برجمها فاخبر بانه
صلى الله عليه وسلم فارقها قبل ان يمسها
فترك من غير نكير فاما اساوه صلى الله عليه
وسلم فيحرم منهن الموطوءة على غيره اكراما
له بخلاف غير الموطوات وقيل لا يحرم من
الموطوات ايضا ونزل فيمن اضمر نكاح عايشة
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان تبدوا اي بالسنتكم وغيرها شيئا اي
من ذلك وغيره او تخفوه في صدوركم فان
الله اي الذي له جميع الصفات الكمالات
كان اي ازلا وابدا به هكذا كان الاصل
ولكنه ياتي بما يعمه وغيره فقال بكل
شي اي من ذلك وغيره عليما فهو يعلم

فما اسررتم وما اعلنتم وانه بالعلم في كيمة فيجازي
عليه من ثواب وعقاب وفي هذا التعميم مع
البرهان على المقصود مزيد تهويل ومبالغة
في الوعيد ولما نزلت اية الحجاب قال الاباء
والابناء والاقارب ونحن نكلمهن ايضا من ورا
حجاب فنزل قوله تعالى لا جناح اي لا اثم
عليهن في ابايهن دخولا وخلوة من غير
حجاب سوا كان الاب من النسب او من
الرضاع ولا ابنايهن اي من البطن او الرضاعة
ولا اخوانهن اي لان عارهن عارهم
ولا فرق ان يكونوا من النسب او الرضاع
ولا ابنا اخوانهن فانهن بمنزلة ابايهم
ولا ابنا اخواتهن فانهن بمنزلة امهاتهم
وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو بابدال
الهمزة الثانية يا خالصة في الوصل وحققها
الباقون وفي الابتدا بالثانية لجميع
بالتخفيف ولا نسايهن اي المسلمات
القربى منهن والبعدا بمنزلة واحدة
واما الكافرات فهن بمنزلة الاجانب
من

من الرجال لكن رجح النووي انه يجوز ان ننظر
منها ما يبدو اعند المهنة ولا ما ملكت
ايمانهن من العبيد لانهم لما لهن عليهم من السلطان
يبعد منهم الريبة هيبة لهن مع مشقة
الاحتجاب عنهم تنبيه قدم تعالى الاب ثم
اطلاعهم على بناتهم اكثر وكيف وهم قد روا
جميع بدن البنات في حال صغرهم ثم
الابنا ثم الاخوة وذلك ظاهر وانما الكلام
في بني الاخوة حيث قدمهم الله تعالى على
بني الاخوات لان بني الاخوات اباوهم ليسوا
محارم خلات ابنايهم وبني الاخوة اباوهم
محارم ايضا ففي بني الاخوة مفسدة ما
وهي ان الابن ربما يحكي حالته عند ابيه
محرم ولا كذلك في بني الاخوة فان قيل لم
يذكر الله تعالى من المحارم الاعمام والاخوال
فلم يقل ولا اعمامهن ولا اخوالهن اجيب
عن ذلك بوجهين احدهما ان ذلك معلوم
في بني الاخوة وبني الاخوات لان من علم
ان بني الاخ للعمات محارم وكذلك الحال

في امر الخالة وثانيهما ان الاعمام ربما يذكرون
بنات الاخ عند ابنايهم وهم غير محارم
وكذلك الخال في ابن الخال وذكر ملك
اليمين بعد هذا كله لان المفسدة في
التكشف لهم ظاهرة وقوله تعالى واتقين
عطف على محذوف اي امتثلن ما امرتن به
واتقين الله اي الذي لا شي اعظم منه فلا
تقربن شيئا مما يكرهه وانما امرهن لان الريبة
من جهة النسا اكثر لانه لا يكاد رجل يتعرض
الا لمن ظن بها الاجابة لمن يرى من مخايلها
او مخايل اشكالها ولما كان الخوف لا يعظم
الا ممن كان حاضرا مطلقا قال ان الله
اي العظيم الشان كان اي ازلا وابدا على كل
شي اي من افعالكن وغيرها شهيدا اي
لا يغيب عنه شي وان دق فهو مطلع عليكن
حال الخلوة فلا تخفى عليه خافية ولما امر تعالى
بالاستيذان وعدم النظر الى نسايه احتراما
له كمل بيان حرمته بقوله تعالى ان الله
وملايكته يصلون على النبي اي محمد
صلى

صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس اراد ان الله
تعالى يرحم النبي والملايكة يدعون له وعن
ابن عباس ايضا يصلون يبركون والصلاة من
الله رحمة ومن الملايكة استغفار وقال ابو
العالية صلاة الله تعالى ثناوه عليه عند
الملايكة وصلاة الملايكة الدعا تنبيه بيان كمال
حرمته في ذلك ان حالاته منحصرة في حالتين
حالة خلوة فذكر ما يدل على احترامه في تلك
الحالة بقوله تعالى لا تدخلوا بيوت النبي وحالة
في ملا والملا اما الملا الاعلى واما الملا الادنى
اما احترامه في الملا الاعلى فان الله وملايكته
يصلون عليه واما احترامه في الملا الادنى
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا صلوا عليه
اي ادعوا له بالرحمة وسلموا تسليما اي حيوه
بتحية واظهروا شرفه بكل ما يصل قدرتكم
اليه من حسن متابعته وكثرة الثنا الحسن
عليه والانقياد لامره في كل ما يامر به ومنه
الصلاة والسلام عليه بالسنتكم روى عبد
الرحمن بن ابي ليلى لقيني كعب بن عجرة فقال

Copyright © King Saud University

الا اهدي لك هدية سمعتها من رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقلت بلى فاهدها لي
قال قلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم
عليك فكيف نصلي عليك قال قولوا اللهم
صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على
ابراهيم وعلى ال ابراهيم في العالمين انك حميد
مجيد وروي ابو حميد الساعدي انهم
قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا
اللهم صل على محمد وازواجه وذريته كما
كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد
وروي بن مسعود قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان اولى الناس بي
يوم القيمة اكثرهم على صلاة وروي ابو
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من صلى على واحدة صلى الله عليه عشرا
وروى عبد الله بن ابي طلحة عن ابيه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ذات
يوم والبشرى ترى في وجهه فقلنا انا
لنرى

لنري البشري في وجهك فقال جاني جبريل فقال
يا محمد ان ربك يقول اما يرضيك ان لا يصلي عليك
احد من امتك الا صليت عليه عشرا ولا يسلم
عليك احد من امتك الا سلمت عليه عشرا وروي
عامر بن ربيعة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم
يقول من صلى علي صلاة صلت عليه الملايكة
ما صلى علي فليقل العبد من ذلك او ليكثر
وروي انس ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه
عشر صلوات وحطت عنه عشر خطيات
ورفعت له عشر درجات وروي عبد الله بن
مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان لله ملايكة سياحين في الارض يبلغوني عن
امتي السلام تنبيه دلت الاية على وجوب
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كان الامر
للوجوب قالوا وقد اجمع العلما انها لا تجب في غير
الصلاة فتعين وجوبها فيها المناسب لها من الصلاة
التشهد في اخرها فتجب في التشهد اخر الصلاة

Copyright © King Saud University

اي بعده وهو كمذهب الشافعي واحد واحدى
الروايتين عن احمد فالقايل بوجوبها في العمر
مرة في غيرها محجوج باجماع من قبله ولحديث
كيف نصلي اذا نحن صلينا عليك في صلاتنا
فقال قولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد الى
اخره وقيل تجب كلما ذكر واختارها الطحاوي
من الحنفية والحليمي من الشافعية لقول جابر
ان النبي صلى الله عليه وسلم رقى المنبر فلما رقى
الدرجة الاولى قال امين ثم رقى الثانية فقال
امين ثم رقى الثالثة فقال امين فقالوا يا رسول
الله سمعناك تقول امين ثلاث مرات فقال لما
رقيت الدرجة الاولى جاني جبريل فقال اشقى
عبد ادرك رمضان فانسلخ منه ولم يغفر له فقلت
امين ثم قال اشقى عبد ادرك والديه او احدهما
فلم يدخلاه الجنة فقلت امين ثم اشقى عبد ذكرت
عنده ولم يصل علي فقلت امين ثم في رواية
رقا المنبر فقال امين امين امين قيل
يا رسول الله ما كنت تصنع هذا فقال قال لي
جبريل رغم انف رجل

فقال قال لي جبريل رغم انف رجل ادرك ابويه
او احدهما لم يدخله الجنة فقلت امين ثم قال
رغم انف عبد دخل عليه رمضان لم يغفر له فقلت
امين ثم قال رغم انف امرئ ذكرت عنده فلم
يصل علي فقلت امين وكذا قولوا وسلموا امر
فيجب السلام ولم يجب في غير الصلاة فيجب فيها
وهو قولنا في التشهد سلام عليك ايها النبي
وذكر في السلام المصدر للتاكيد ولم يوكد
الصلاة لانها كانت موكدة بقوله تعالى ان الله
وملايكته يصلون على النبي واقل الصلاة عليه
اللهم صلي على محمد واكملها اللهم صل على محمد
وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم وعلى ال
ابراهيم وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت
على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد
وال ابراهيم اسمعيل واسحق الانبيا
محمد صلى الله عليه وسلم فانه من نسل
اسمعيل لم يكن من نسله نبي غيره وخص ابراهيم
بالذكر لان الرحمة والبركة لم يجتمعا لنبي غيره
فقال تعالى رحمت الله وبركاته عليكم

Copyright © King Saud University

اهل البيت فان قيل اذا صلى الله وملايكته
عليه فاي حاجة به لصلاتنا اجيب بان الصلاة عليه
ليس لحاجة اليها والا فلا حاجة الى صلاة الملايكة
مع صلاة الله عليه وانما هو اظهار وتعظيم منا
شفقة علينا ليثيبنا الله عليه ولهذا قال صلى
الله عليه وسلم من صلى علي واحدة صلى الله عليه
عشرا وفي رواية وملايكته سبعين وتجوز
الصلاة على غيره تبعا وتكره لمحمد استقلالا
لانه في العرف صار شعارا لذلك لذكر الرسل
ولذا كره ان يقال عز وجل وان كان
عزيزا جليلا ولما امر الله تعالى باحترام نبيه
صلى الله عليه وسلم بين عن اذا نفسه وايذا
رسوله بقوله تعالى ان الذين يوذون الله اي الذي
لا اعظم ولا نعمة عندهم الا من فضله ورسوله اي
الذي استحق عليهم بما يخبرهم به عن الله تعالى ما لا يقدرون
على القيام بشكره لعنهم الله اي ابعدهم واقصاهم
في الدنيا بالحمل على ما يوجب السخط والاخرة
بادخال دار الاهانة قال تعالى واعد لهم
عذابا مهينا اي ذا اهانة وهو النار
ومعنى

ومعنى يوذون الله يقولون فيه ما صورته
اذى وان كان تعالى لا يلحقه ضرر ذلك
حيث وصفوه بما لا يليق بجلاله من اتخاذ
الانداد ونسبة الولد والزوجة اليه قال ابن
عباس هم اليهود والنصارى والمشركون
فاما اليهود فقالوا عزير ابن الله وقالوا
يد الله مغلولة وقالوا ان الله فقير ونحن
اغنيا واما النصارى فقالوا المسيح ابن الله
وثالث ثلاثة واما المشركون فقالوا الملايكة
بنات الله والاصنام شركاوه وعن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الله عز وجل كذبني ابن ادم ولم يكن له
ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه
اياي فقوله لن يعيدني كما بداني وليس اول
الخلق باهون علي من اعادته واما شتمه
اياي فقوله اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد
الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد
وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال قال الله تعالى يوذيني

Copyright © King Saud University

يوذيني ابن ادم ىسب الدهر وانا الدهر بيدي
الامر اقلب الليل والنهار معنى الحديث انه كان
من عادة العرب في الجاهلية ان يسبوا الدهر
ويذموه عند النوازل لاعتقادهم ان الذي
يصيبهم في افعال الدهر فقال تعالى انا الدهر
اي انا الذي احل بهم النوازل وانا فاعل الدهر
الذي تنسبونه للدهر في زعمكم وقيل معنى
يوذون الله يلحدون في اسمايه وصفاته
وقيل هم اصحاب التصاوير وعن ابي هريرة
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول قال الله عز وجل ومن اظلم ممن ذهب
يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة وليخلقوا حبة او
شعيرة ويحتمل ان يكون ذلك على حذف
مضاف اي اوليا الله تعالى كقوله تعالى
واسال القرية قال صلى الله عليه وسلم
قال الله تعالى من عادى لي وليا فقد اذنته
بالحرب وقال من اهان لي وليا فقد
بارزني بالمحاربة ومعنى الاذى هو مخالفة
امر الله وارتكاب معاصيه ذكره على ما

يتعارفه

يتعارفه الناس بينهم والله عز وجل
منزه عن ان يلحقه اذى من احد وقال
بعضهم اتى بالجلالة تعظيما والمراد يوذون
رسول الله كقوله تعالى اعنا الله واما ايذا
الرسول صلى الله عليه وسلم فقال ابن
عباس انه شج في وجهه وكسرت رباعيته
وقيل ساحر شاعر مجنون ولما كان من اعظم
اذاه اذى من تابعه وكان الاتباع لكونهم
غير معصومين يتصور ان يوذوا بالحق قال
تعالى مقيدا للكلام والذين يوذون المومنين
والمومنات اي الراسخين في صفة الايمان
بغير ما اكتسبوا اي بغير شي واقعوه متعمدين
له حتى اباح اذاهم فقد احتملوا اي كلفوا
انفسهم ان حملوا بهتانا اي كذبا فجورا زايدا
على الحد موجبا للخزي في الدنيا والاخرة
واثما مبينا اي ذنبا ظاهرا جدا موجب
للعقاب في الاخرة تنبيه اختلفوا في سبب
نزول هذه الاية فقال مقاتل نزلت
في علي بن ابي طالب كانوا يوذونه ويسمعونه
وقيل نزلت في شان عايشة وقال

Copyright © King Saud University

وقال الضحاك والكلبي نزلت في الزناة الذين كانوا
يمشون في طريق المدينة يبتغون النسا اذا برزن
بالليل لقضا حوايجهن فيغمزون المراة فان هلكت
اتبعوها وان زجرتهم انتهوا عنها ولم يكونوا يطلبون
الا الاما ولكن لا يعرفون يعرفون الحرة من الامة
لان زي الكل كان واحدا يخرجن في درع وخمار
الحرة والامة فشكوا ذلك الى ازواجهن فذكروا ذلك
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية
والذين يوذون المومنين والمومنات الاية ثم نهى الحراير
ان تتشبهن بالاما بقوله تعالى يايها النبي ذكره
بالوصف الذي هو منبع المعرفة والحكمة قل لازواجك
بدا بهن لما لهن به من الوصلة بالنكاح وبناتك
ثنى بهن لما لهن من الوصلة ولهن من الفضل
من الشرف واخرهن عن الازواج لان ازواجه
يكفونه امرهن ونسا المومنين يدنين اي يقربن
عليهن اي على وجوههن وجميع ابدانهن فلا يدعن
شيا منها مكشوفا من جلابيبهن ولا يتشبهن
بالاما في لباسهن اذا خرجن لحاجتهن بكشف الشعور
ونحوها ظنا ان ذلك اخفى لهن واستر والجلباب
القميص

القميص وثوب واسع دون الملحفة ما ستر
اللباس والخمار وهو كل ما غطى الراس وقال
البغوي الجلباب الملاة التي تشتمل بها المراة
فوق الدرع والخمار وقال حمزة الكرماني قال
الخليل كل ما يستر به من دثار وشعار وكسا
فهو جلباب والكل يصح ارادته هنا فان
كان المراد القميص فادناوه اسباغه حتى
يغطي بدنها ورجليها وان كان ما يغطي
الراس فادناوه ستر وجهها وعنقها
وان كان المراد ما دون الملحفة فالمراد
ستر الوجه واليدين وقال ابن عباس
وعبيدة امر نسا المومنين ان يغطين روسهن
ووجوههن بالجلابيب الا عينا واحدة
ليعلم انهن حراير ولما امر تعالى بذلك علله
بقوله تعالى ذلك اي الستر ادنى اي اقرب
من تركه في ان يعرفن انهن حراير بما يميزهن
عن الاما فلا اي فيتسبب عن معرفتهن
ان لا يوذين ممن يتعرض للاما فلا يشتغل
قلبك عن تلقي ما يرد عليك من الانبا

الالهية قال ابن عادل ويمكن ان يقال المراد
يعرفن انهن لا يزنين لان من تستر وجهها
مع انه ليس بعورة اي في الصلاة لا يطمع
فيها انها تكشف عورتها فيعرض انهن
مستورات لا يمكن طلب الزنا منهن انتهى ولما
رقاهن تعالى لهذا الامر خفف عاقبة ما كن
فيه من التشبه بالاما فاخبرهن الله تعالى
بوسع كرمه وجوده بقوله تعالى وكان الله
اي الذي له الكمال المطلق ازلا وابدا غفورا
اي لما سلف منهن من ترك الستر فهو
يمحو الذنوب عينا واثرا رحيما بهن وبمن
يمتثل اوامره يمتثل واسره ويجتنب مناهيه
قال البغوي قال انس مرت بعمر جارية
مقنعة فعلاها بالدرة وقال يا لكاع اتتشبهين
بالحراير القي القناع ويظهر ان عمر انما فعل
ذلك خوفا من ان تلتبس الاما بالحراير
فلا يعرف الحراير فيعود الامر كما كان المادون
بما مضى وغير اهل النفاق ومن داناهم
حذرهم بقوله تعالى لئن لم ينته عن الاذى

المنافقون

٢٧٥

المنافقون اي الذين يبطنون الكفر ويظهرون
الاسلام والذين في قلوبهم مرض اي غل
يقرب من النفاق حامل على المعاصي و
المرجفون في المدينة المومنين اي بالكذب
وذلك ان ناسا منهم كانوا اذا خرجت سرايا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوقعون
في الناس انهم قد قتلوا وهزموا ويقولون
قد اتاكم العدو ونحو ذلك واصل الرجفة
التحريك من الرجفة وهي الزلزلة سمي به
الاخبار الكاذبة لكونها متزلزلة غير ثابتة
لنغرينك بهم اي لنسلطنك عليهم بالقتل
والجلا او بما يضطرهم الى طلب الجلا وقوله
تعالى ثم لا يجاورونك اي لا يساكنونك فيها اي
المدينة عطف على لنغرينك وثم للدلالة
على ان الجلا ومفارقة رسول الله صلى
الله عليه وسلم اعظم ما يصيبهم الا قليلا
اي زمانا او جوارا قليلا ثم يخرجون منها
وقيل تسلط عليهم حتى تقتلهم وتخلي
منهم المدينة وقوله تعالى ملعونين

Copyright © King Saud University

اي مبعودين عن الرحمة حال من فاعل يجاورونك
قال ابن عطية والزمخشري وابو البقا اينما
ثقفوا اي وجدوا اخذوا وقتلوا ثم اكده بالمصدر
بغضا فيهم وارهابا لهم بقوله تعالى تقتيلا
اي الحكم فيهم هذا على وجه الامر به وقوله تعالى
سنة الله اي المحيط بجميع العظمة مصدر
موكد اي سن الله ذلك في الذين خلوا من قبل اي
الامم الماضيه وهو ان يقتل الذين نافقوا الانبيا
وسعوا في وهنهم بالارجاف ونحوه اينما ثقفوا ولن
تجد لسنة الله اي لطريقة الملك الاعظم تبديلا
اي ليست هذه السنة مثل الحكم الذي يتبدل وينسخ
فان النسخ يكون في الاقوال اما الافعال اذا وقعت
والاخبار لا تنسخ ولما بين تعالى ما لهم في الدنيا
انهم ملعونين ومهانين ومقتلين اراد ان يبين
حالهم في الاخرة فذكرهم بالقيمة وذكر ما يكون لهم
فيها بقوله يسالك يا اشرف الخلق الناس اي
المشركون استهزاما منهم وتعنتا وامتحانا
عن الساعة اي متى تكون في اي وقت قل اي
لهم في جوابهم انما علمها عند الله اي الذي

احاط

٢٧٦

احاط علمه بجميع الاشيا وما يدريك اي اي شي يعلمك
امر الساعة ومتى يكون قيامها انت لا تعرفه
لعل الساعة اي التي لا ساعة في الحقيقة غيرها
لما لها من العجايب تكون اي توجد وتحدث
على وجه مهول عجيب قريبا اي في زمن قريب
قال البقاعي ويجوز ان يكون التذكير لاجل
الوقت لان السوال عنها انما هو عن تعيين
وقتها قال في البخاري في الصحيح اذا وصفت
صفة المونث قلت قريبة واذا جعلته
ظرفا وبدلا ولم ترد الصفة نزعت الها
من المونث وكذلك لفظها في الاثنين والجمع
للذكر والانثى ثم استانف الاخبار بحال
السايلين عنها بقوله تعالى ان الله اي الملك
الاعلى لعن اي ابعد ابعادا عظيما من
رحمته الكافرين اي الساترين لما من شانه
ان يظهر مما دلت عليه العقول السليمة
من امرها واعد اي اوجد وهيا لهم من الان
سعيرا اي نارا شديدة الاضطرام والتوقد
لتكذيبهم بها وبغيرها مما وضح لها دلته

Copyright King Saud University

خالدين اي مقدرا خلودهم فيها اي السعير ولعاد
عليها الضمير مونثا لانها مونثة اولانه في
معنى جهنم وقوله ابدا بيان لارادة الحقيقة
لئلا يتوهم بالخلود المكث الطويل لا يجدون
وليا اي يتولى امرا مما يصيبهم بشفاعة او غيرها
ولا نصيرا ينصرهم وقوله تعالى يوم معمول
لخالدين اي مقدرا خلودهم فيها على تلك
الحال يوم تقلب اي تقليبا كثيرا وجوههم
في النار اي ظهرا لبطن كاللحم يشوى بالنار
حالة كونهم يقولون وهم في محل الجزا وقد فات
المحل القابل للعمل متمنين بقولهم يا ليتنا اطعنا
اي في الدنيا الله اي الذي لا امر لاحد معه لما
لا يدركونه تلاحقه لانهم لا يجدون ما يقرون
انه يرد عليهم من ولي ولا نصير ولا غيرهما
سوى هذا التمني ولما كان المقام للمبالغة
في الاذعان والخضوع اعادوا العامل
بقولهم واطعنا الرسولا اي الذي بلغنا
عنه حتى لا نبتلى بهذا العذاب تنبيه
تقدم الكلام على القراءة في الرسولا و
السبيلا

والسبيلا واول السورة عند الظنونا وقالوا
اي الاتباع منهم لما لم ينفعهم شي متبرمين بالدعا
على من اضلهم بما لا يبري عليلا ولا يشفي غليلا
ربنا اي ايها المحسن الينا واسقطوا اداة النداء
على عادة اهل الخصوص بالحضور زيادة في
التوفيق باظهار انه لا واسطة لهم الا ذلهم
وانكسارهم انا اطعنا سادتنا وكبرانا يعنون
قادتهم الذين لقنوهم الكفر وقرا ابن عامر
بالف بعد الدال وكسر التا على جمع الجمع
للدلالة على الكثرة والباقون بغير الف بعد
الدال وفتح التا على انه جمع تكسير غير مجموع
بالف وتا فاضلونا اي فتسبب عن ذلك
انهم اضلونا بما كان لهم من النفوذ الكلمة
السبيلا اي طريق الهدى واحالوا ذلك
على غيرهم كما هي عادة المخطي في الاحالة على غيره
مما لا ينفعه ثم كانه قيل فما تريدون
لهم قالوا مبالغين في الرقة للاستعطاف
باعادة الرب ربنا اي المحسن الينا آتهم
ضعفين من العذاب اي مثلي عذابنا

لانهم ضلوا واضلوا والعنهم لعنا كبيرا اي اطردهم
عن محال الرحمة طردا متناهيا وقرا عاصم بالبا
الموحدة اي لعنا هو اشد اللعن واعظمه والباقون
بالثا المثلثة اي كثير العدد ولما بين تعالى ان
من يوذي الله ورسوله يلعن ويعذب ارشد
المومنين الى الامتناع من الايذا بقوله تعالى
يايها الذين امنوا اي صدقوا بما يتلى عليهم لاتكونوا
بايذايكم الرسول صلى الله عليه وسلم بامر
زينب وغيره كونا هو كالطبع لكم كالذين اذوا
موسى من قومه بني اسرايل اذوه بانواع الاذا
كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم حين
قسم قسما فتكلم فيه بعضهم فقال لقد
اوذي موسى باكثر من هذا فصبر واختلفوا
فيما اوذي به موسى فروى ابو هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان موسى كان رجلا حييا ستيرا
لايرى من جسده شي استحيا منه
فاذاه من اذاه يعني بني اسرايل
فقالوا ما تستر هذا التستر الا من

عيب

عيب بجلده اما من عيب من جلده اما من
برص او من ادرة واما افة وان الله
تعالى اراد ان يبريه مما قالوا كما قال تعالى
فبراه اي فتسبب عن اذاهم ان براه الله
اي الذي له صفات الجلال والكمال مما قالوا
فخلا يوما وحده ليغتسل فوضع ثيابه
على حجر ثم اغتسل فلما فرغ اقبل الى ثيابه
لياخذها ففر الحجر بثوبه فجمح موسى عصاه
وطلب الحجر فجعل يقول ثوبي حجر ثوبي حجر
حتى انتهى الى ملا من بني اسرايل فراوه
عريانا احسن ما خلق الله وابراه مما
يقولون وقام الحجر فاخذ ثوبه واستتر به
وطفق بالحجر يضربه بعصاه فوالله ان
الحجر لندبا من اثر ضربه ثلاثا او اربعا
او خمسا والادرة عظم الخصية لنفخة
فيها وقوله فجمح اي اسرع وقوله ندبا هو
بفتح النون والدال واصله اثر الجرح
اذا لم يرتفع عن الجلد فشبه به الضرب
بالحجر وقال قوم اذاوهم ان رموه

Copyright © King Saud University

لما مات هرون في التيه ادعوا على موسى انه قتله
فامر الله الملائكة حتى مروا به على بني اسرائيل فعرفوا
انه لم يقتله فبراه مما قالوا وقال ابو العالية هو
ان قارون استاجر مومسة اي زانية لتقذف موسى
بنفسها على راس الملا فعصمها الله تعالى وبرا
موسى من ذلك وكان سبب الخسف بقارون
ومن معه وقال عبد الله بن مسعود لما كان
يوم حنين اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ناسا في القسمة فاعطى الاقرع بن حابس من
الابل واعطى فلانا كذا فامن العرب واثرهم في
القسمة فقال رجل والله ما عدل فيها وما
اريد بها وجه الله فقلت والله لاخبرن بها
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاتيته
واخبرته بما قال فتغير وجهه حتى كان كالصرف
ثم قال فمن يعدل اذا لم يعدل الله ورسوله ثم قال
يرحم الله موسى قد اوذي باكثر من هذا
فصبر الصرف بكسر الصاد صبغ
احمر يصبغ به الاديم ولما قصدهم
بهذا الاذى اسقاط وجاهته قال

قال تعالى وكان اي موسى عليه السلام
كونا راسخا عند الله اي الذي لا يزال من والى
وجيها اي معظما رفيع القدر ذو وجاهة
يقال وجه الرجل يوجه فهو وجيه اذا كان
ذا جاه وقدر قال ابن عباس كان حظيا
عند الله تعالى لا يسال شيا الا اعطاه وقال
الحسن كان مستجاب الدعوة وقيل كان
محببا مقبولا ولما نهاهم عن الاذى امرهم
بالنفع ليصيروا ذوي وجاهة عنده
مكررا للندا استعطافا واظهارا للاهتمام
بقوله تعالى يايها الذين امنوا اي ادعوا ذلك
اتقوا الله اي صدقوا دعواكم بمخافته من
لجميع العظمة فاجعلوا لكم وقاية
من سخطه بان تبذلوا له جميع ما اودعكم
من الامانة وقولوا في حق النبي صلى الله
عليه وسلم في امر زينب وغيرها وفي
حق بناته ونسايه وفي حق المومنين
ونسايهم وغير ذلك قولا سديدا قال ابن
عباس صوابا وقال قتادة عدلا وقال

Copyright © King Saud University

الحسن صدقا وقال عكرمة هو قول لا اله الا
الله وقيل مستقيما يصلح لكم اعمالكم قال
ابن عباس يتقبل حسناتكم وقال مقاتل يزكي
اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم اي يمحها عينا واثرا فلا
يعاقب عليها ولا يعاتب ومن يطع الله اي الذي
اعظم منه ورسوله اي الذي عظمته من
عظمته في الاوامر والنواهي فقد فاز واكد
ذلك بقوله تعالى فوزا عظيما اي ظفر بجميع
مراداته يعيش في الدنيا حميدا وفي الاخرة
سعيدا ولما ارشد الله تعالى المومنين
الى مكارم الاخلاق وادب النبي صلى الله
عليه وسلم باحسن الادب بين ان التكليف
الذي وجهه الله تعالى الى الانسان امر
عظيم بقوله تعالى انا عرضنا الامانة واختلف
في هذه الامانة المعروضة فقال ابن عباس اراد
بالامانة الطاعة من الفرايض التي فرضها
الله تعالى على عباده عرضها على السموات
والارض والجبال على انهم ان ادوها اثابهم
وان ضيعوها عذبهم وقال ابن مسعود
الامانة

الامانة ادا الصلوات وايتا الزكوة وصوم
رمضان وحج البيت وصدق الحديث وقضا
الدين والعدل في المكيال والميزان واشد من
هذا كله الودايع وقال مجاهد الامانة الفرايض
وحدود الدين وقال ابو العالية ما امروا به
ونهوا عنه وقال زيد بن اسلم هو الصوم
والغسل من الجنابة وما خفي من الشرايع وقال
عبد الله بن عمرو بن العاص اول ما خلق الله من
الانسان فرجه وقال هذه امانتي استودعتها
فالفرج امانة والعين امانة واليد امانة
والرجل امانة ولا ايمان لمن لا امانة له
وقال بعضهم هي امانات الناس والوفا
بالعهود فحق على مومن ان لا يغش مومنا
ولا معاهدا في شي قليل ولا كثير وهي
رواية الضحاك عن ابن عباس وجماعة
من التابعين واكثر السلف ان الله تعالى
عرض هذه الامانة على السموات والارض
والجبال فقال لهن تحملين هذه الامانة
بما فيها قلن وما فيها فقال ان احسنتن

Copyright © King Saud University

جوزين وان عصين عوقبن فابين على عظم
اجرامها وقوة اركانها وسعة ارجائها ان
يحملنها اي وقلن يا رب نحن مسخرات لامرك
لا نريد ثوابا ولا عقابا واشفقن منها اي وقلن
ذلك خوفا وخشية وتعظيما لله تعالى وان لا يقوموا
بها لا معصية ومخالفة وكان العرض عليهم تخييرا
لا الزاما ولو الزمهن لم يمتنعن من حملها فالجمادات
كلها خاضعة لله عز وجل مطيعة ساجدة كما قال
تعالى للسموات والارض ائتيا طوعا او كرها قالتا
اتينا طائعين وقال في الحجارة وان منها لما يهبط من
خشية الله وقال تعالى الم تر ان الله يسجد له من
في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال
والشجر والدواب الاية وقال بعض اهل العلم
ركب الله فيهن العقل والفهم حين عرض
عليهن الامانة حتى عقلن الخطاب واجبن
بما اجبن وقال بعضهم المراد بالعرض على
السموات والارض هو العرض على اهل السموات والارض عرضها
على من فيها من الملائكة كقوله تعالى واسال القرية اي
اهلها وقيل المراد المقابلة اي قابلنا الامانة
ع

مع السموات والارض والجبال فرجحت الامانة
قال البغوي والاول اصح وهو قول اكثر
العلماء تنبيه قوله تعالى فابين اتى بضمير
هذه كضمير الاناث لان جمع التكسير غير
العاقل يجوز فيه ذلك وانما ذكر ذلك لئلا
يتوهم انه قد غلب المؤنث وهو السموات
على المذكر وهو الجبال فان قيل ما الفرق
بين اباهن واباء ابليس في قوله تعالى ان
يكون مع الساجدين اجيب بان الاباء
هناك استكبارا لان السجود كان فرضا
وها هنا استصغارا لان الامانة
كانت عرضا وانما امتنعن خوفا كما قال
الله تعالى واشفقن منها اي خفن من
الامانة ان يؤدينها فيلحقهن العقاب
وحملها الانسان اي ادم قال تعالى لادم
اني عرضت الامانة على السموات والارض
فلم تطقها فهل انت آخذها بما فيها
قال يا رب وما فيها قال ان احسنت
جوزيت وان اساءت عوقبت

Copyright © King Saud University

فتحملها ادم عليه السلام وقال بين اذني وعاتقي
فقال تعالى اما اذا تحملت فساعينك اجعل لبصرك
حجابا فاذا اخشيت فلا تكشفه على ما حرمت عليك
قال مجاهد فما كان بين ان تحملها وبين ان اخرج
من الجنة الا مقدار ما بين الظهر والعصر وحكى
النقاش باسناده عن ابن مسعود انه قال مثلت
الامانة بصخرة ملقاة ودعيت السموات
والارض والجبال اليها فلم يقربوا منها وقالوا لا
نطيق حملها وجاء ادم من غير ان يدعى وحرك
الصخرة وقال لو امرت بحملها لحملتها فقلنا احمل
فحملها الى ركبتيه ثم وضعها وقال لو اردت ان
ازداد لازددت فقلنا له احمل فحملها الى حقويه
وقال والله لو اردت ان ازداد لزدت فقلت
له احمل فحملها حتى وضعها على عاتقه فاراد
ان يضعها فقال له الله تعالى مكانك فانها
في عنقك وعنق ذريتك الى يوم القيمة
انه كان ظلوما جهولا قال ابن عباس ظلوما
لنفسه جهولا بامر الله تعالى وما احتمل
من الامانة وقال الكلبي ظلوما
حين

حين عصى ربه جهولا لا يدري ما العقاب
في ترك الامانة وقال مقاتل ظلوما لنفسه
جهولا بعاقبة ما تحمل وذكر الزجاج وغيره
من اهل المعاني في قوله وحملها الانسان
قولا اخر فقال ان الله تعالى ايتمن ادم واولاده (ده)
على شيء وايتمن السموات والارض والجبال
على شيء فالامانة في حق بني ادم ما ذكرنا
من الطاعة والقيام بالفرايض والامانة
في حق السموات والارض والجبال هي الخضوع
والطاعة لما خلقن له وقوله تعالى فابين
ان يحملنها اي ابين الامانة يقال فلان
حمل الامانة اي اثم فيها بالخيانة
قال تعالى وليحملن اثقالهم انه كان ظلوما جهولا
حكي عن الحسن على هذا التاويل انه قال و
حملها الانسان يعني الكافر والمنافق حملوا
الامانة اي خانا والاول قول السلف وهو
اولى وقيل المراد بالامانة العقل والتكليف
وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة
الى استعدادهن وبابايهن الاباء الطبيعي

Copyright © King Saud University

الذي هو عدم اللياقة والاستعداد وتحمل
الانسان قابليته واستعداده لها وكونه
ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية
والشهوية وعلى هذا يحسن ان يكون علة
للحمل عليه فان من فوائده العقل ان يكون
مهيمنا على القوتين حافظا لهما عن التعدي
ومجاوزة ومعظم مقصود التكليف تعديلها
وكسر سورتها وعن ابي هريرة قال بينما
رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس
يحدث القوم فجا اعرابي فقال متى الساعة
فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحدث فقال بعض القوم سمع ما قال
فكره ما قال وقال بعضهم بل لم يسمع حتى
اذا قضى حديثه قال اين السايل عن الساعة قال
ها انا يا رسول الله قال اذا ضيعت الامانة
فانتظر الساعة وعنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اد الامانة الى من
ايتمنك ولا تخن من خانك وعن ابي سعيد
الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم

وسلم ان اعظم الامانة عند الله يوم القيمة
الرجل يفضي الى امرأته وتفضي اليه ثم ينشر سرها
وقوله تعالى ليعذب الله اي الحمل الاعظم متعلق
بعرضنا المرتب اليه حمل ادم المنافقين والمنافقات
والمشركين والمشركات اي المضيعين الامانة تنبيه
لم يع حاسه تعالى فلم يقل ويعذب الله المشركين
والمشركات واعاده في قوله تعالى ويتوب الله
اي بما له من الفطنة على المومنين والمومنات اي
المودين الامانة ولو قال تعالى ويتوب الله على المومنين
والمومنات كان المعنى حاصلا ولكنه اراد تفضيل
المومن على المنافق فجعله كالكلام المستانف ولما
ذكر تعالى في الانسان وصفين الظلوم والجهول
ذكر من اوصافه تعالى وصفين بقوله تعالى
وكان الله اي على ماله من الكبريا والعظمة
غفورا للمومنين حيث عفى عن فرطاتهم
رحيما بهم حيث اثابهم بالعفو على طاعتهم
مكرما لهم بانواع الكرم وما رواه البيضاوي
من انه صلى الله عليه وسلم قال من قرا
سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت

بميته اعطي الامان من عذاب القبر حديث موضوع
رواه الثعلبي سورة سبا مكية
الا ويرى الذين اوتوا العلم الاية وهي اربعة وخمسون
اية وثمانماية وثلاث وثمانون كلمة واربعة الاف
وخمسماية واثنى عشر حرفا بسم الله اي الذي من
شمول قدرته اقامة الحساب الرحمن اي الذي من
عموم رحمته ترتيب الثواب والعقاب الرحيم
اي الذي يمن على اهل كرامته بطاعته حتى لا عقاب
يلحقهم ولا عتاب ولما ختم السورة التي قبل هذه
بصفتي المغفرة والرحمة بدا هذه بقوله الحمد لله
اي ذي الجلال والجمال على هذه النعمة فان السور
المفتتحة بالحمد خمس سورتان في النصف الاول
وهما الانعام والكهف وسورتان في النصف
الاخر وهما هذه السورة وسورة الملايكة والخامسة
هي فاتحة الكتاب تقرا مع النصف الاول ومع
النصف الاخير والحكمة فيها ان نعم الله مع
كثرتها وعدم قدرتنا على احصايها منحصرة
في قسمين نعمة الايجاد ونعمة الابقا فان الله
تعالى خلقنا اولا برحمته وخلق لنا

سا

ما نقوم به وهذه النعمة توجد مرة اخرى
بالاعادة فانه يخلقنا مرة اخرى ويخلق لنا
ما ندوم به فلنا حالتان الابدا والاعادة وفي كل
حالة له تعالى نعمتان نعمة الايجاد ونعمة
الابقا فقال في النصف الاول الحمد لله الذي
خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور
اشارة الى الشكر على نعمة الايجاد ويدل
عليه قوله تعالى الذي خلقكم من طين
فاشار الى الايجاد الاول وقال في السورة
الثانية الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب
ولم يجعل له عوجا قيما لينذر فاشار الى
الشكر على نعمة الابقا فان الشرايع بها
البقا ولولا شرع ننقاد له لاتبع كل واحد
هواه ووقعت المنازعات وادت الى
التقاتل والنفاق وقال هاهنا الحمد لله
الذي له ما في السموات وما في الارض
ملكا وخلقا اشارة الى نعمة الايجاد والثاني
بدليل قوله تعالى وله اي وحده الحمد اي
الاحاطة بالكمال في الاخرة اي ظاهرا

Copyright © King Saud University

ولاباطنا وقال في سورة الملايكة الحمد
لله فاطر السموات والارض اشارة الى نعمة
الابقا بدليل قوله تعالى جاعل الملايكة رسلا
اي يوم القيمة يرسلهم الله تعالى مسلمين
على المسلمين كما قال تعالى وتتلقاهم
الملايكة وقال تعالى عنهم سلام عليكم
طبتم فادخلوها خالدين وفاتحة الكتاب
لما اشتملت على ذكر نعمتين اشار بقوله
تعالى مالك يوم الدين الى النعمة
الاجلة ورتب الافتتاح والاختتام عليها
فان قيل قد ذكرتم ان الحمد هاهنا
اشارة الى النعم التي في الاخرة فلم ذكر
الله تعالى السموات والارض اجيب
بان نعم الاخرة غير مرتبة فذكر الله
تعالى النعم المرتبة وهي ما في السموات
وما في الارض ثم قال وله الحمد
في الاخرة لقياس نعم الاخرة بنعم الدنيا
ويعلم فضلها بدوامها وقيل الحمد
في الاخرة وهو حمد اهل الجنة كما قال
اهل
تعالى

تعالى وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا
الحزن والحمد لله الذي صدقنا وعده ولقد م
الكلام على الحمد لغة واصطلاحا والشكر
كذلك في اول الفاتحة فتح الله علينا بكل
خير وفعل ذلك باحبابنا ولما تقرر ان
الحكمة لا تتم الا بايجاد الاخرة قال تعالى
وهو الحكيم الذي بلغت حكمته النهاية التي
لامزيد عليها والحكمة هي العلم بالامور
على وجه الصواب متصلا بالعمل
على وفقه الخبير اي البليغ الخبرة وهو العلم
بظواهر الامور وبواطنها حالا ومالا ثم
بين كمال خبرته بقوله تعالى يعلم ما يلج اي
يدخل في الارض اي هذا الجنس من تراب
وملايكة وما وحرارة وبروده وغير
ذلك وما يخرج منها وما ينزل من السما
وما يعرج فيها من الكلام الطيب والملايكة
قال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب
والاعمال الصالحة قال تعالى والعمل
الصالح يرفعه تنبيه قدم ما يلج

Copyright © King Saud University

في الارض على ما ينزل من السما لان الجنة
مبدينا ولا سم نشتق تاليتنا وقال تعالى وما
يعرج فيها ولم يقل يعرج اليها اشارة الى
قبول الاعمال الصالحة لان كلمة الى للغاية فلو قال
فما يعرج اليها لفهم الوقوف عند السموات
فقال وما يعرج فيها ليفهم نفوذه فيها
وصعود فيها ولهذا قال في الكلم الطيب
اليه يصعد الكلم الطيب لان الله تعالى
هو المنتهى ولا مرتبة فوق الوصول
اليه وهو اي والحال انه وحده مع
كثرة نعمه المعمة للابدان الرحيم اي المنعم
بانزال الكتب وارسال الرسل لاقامة الاديان
وغير ذلك الغفور اي المحا للذنوب المفرطين
في شكر نعمة مع كثرتها او في الاخرة مع ماله
من سوابق هذه النعم الغاية للحصر تنبيه
قدم تعالى صفة الرحمة على صفة العفو
ليعلم ان رحمته سبقت غضبه ثم بين
تعالى ان هذه النعمة التي يستحق الله
تعالى بها الحمد وهي نعمة الاخرة
انكرها

انكرها قوم فقال وقال الذين كفروا اي ستروا
ما دلتهم عليه عقولهم من براهينها الظاهرة
لا تاتينا الساعة اي انكروا مجيها واستظهارها
استهزا بالوعد به وقوله تعالى لنبيه صلى
الله عليه وسلم قل اي لهم بلى رد لكلامهم
واثبات لما نفوه وربي اي المحسن الي بما عمني به
معكم وبما خصني به معكم وبما خصني من
تنبيي وارسالي اليكم والى غير ذلك من امور
لا يحصيها الا هو لتاتينكم اي الساعة لتظهر
فيها ظهورا تاما الحكمة بالعدل والفضل
وغير ذلك من عجايب الحكم والفضل وقوله
تعالى عالم الغيب قراة نافع وابن عامر
برفع الميم على هو عالم او مبتدا وخبره
ما بعده وابن كثير وابو عمرو وعاصم بجرها
نعتا لربي وقرا حمزة والكسائي لعلام
الغيب بلام والف مشددة وخفض
الميم لا يعزب اي لا يغيب عنه مثقال اي وزن
ذرة من ذات ولا معنى والذرة النملة
الحمرا اي صغيرة جدا صارت مثلا

Copyright © King Saud University

مثله في اقل القليل فهي كناية عنه وقرا الكسائي
بكسر الزاي والباقون بضمها وقوله تعالى
في السموات ولا في الارض فيه لطيفة وهي ان الانسان
له جسم وروح فالاجسام اجزاوها في الارض والارواح
في السما فقوله تعالى في السموات اشارة الى علمه بالارواح
وما فيهما من الملايكة وغيرهم وقوله تعالى ولا في
الارض اشارة الى علمه بالاجسام وما في الارض
من غيرها فاذا علم الارواح والاجسام على
قدر جمعها فلا استبعاد في الاعادة وقوله تعالى
ولا اصغر اي ولا يكون شي اصغر من ذلك اي
المثقال ولا اكبر اي منه الا في كتاب مبين اي
بين هو اللوح المحفوظ جملة موكدة لنفي العزو
فان قيل فاي حاجة الى ذكر الاكبر فان من علم
الاصغر من الذرة لا بد وان يعلم الاكبر اجيب
بانه تعالى اراد بيان اثبات الامور في
الكتاب فلو اقتصر على الاصغر لتوهم متوهم
انه يثبت الصغاير لكونها محل النسيان واما
الاكبر فلا ينسى فلا حاجة الى اثباته فقال
الاثبات في الكتاب ليس كذلك فان الاكبر

ايضا

ايضا مكتوب ثم بين علة ذلك كله بقوله
تعالى ليجزي الذين آمنوا وعملوا تصديقا
لايمانهم الصالحات اي وانه ما خلق الاكوان
الا لاجل الانسان فلا يدعه بغير جزا ثم بين
تعالى جزاهم بقوله تعالى اولئك اي العالوا
الرتبة لهم مغفرة اي لزلاتهم وهفواتهم
لان الانسان المبني على النقصان لا يقدر
ان يقدر العظيم السلطان حق قدره
ورزق كريم اي جليل عزيز دايم لذيذ نافع
شهي لا كدر فيه وهو رزق الجنة تنبيه
ذكر تعالى في الذين امنوا وعملوا الصالحات
امرين الايمان والعمل الصالح وذكر لهم
امرين المغفرة والرزق الكريم فالمغفرة
جزا الايمان فكل مومن مغفور له لقوله
تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر
ما دون ذلك لمن يشا وقوله صلى الله عليه
وسلم يخرج من قال لا اله الا الله وفي قلبه
وزن ذرة من ايمان والرزق الكريم على
العمل الصالح وهذا مناسب فان من

Copyright © King Saud University

عمل السيد الكريم عملا فعند فراغه لابد ان
ينعم عليه وقوله تعالى كريم بمعنى ذا كرم او
مكرم او لانه ياتي من غير طلب بخلاف رزق
الدنيا فانه لم يطلب ويتسبب اليه لا ياتي
غالبا فان قيل ما الحكمة في تمييز الرزق
بانه كريم ولم يصف المغفرة اجيب
بان المغفرة واحدة وهي للمومنين واما
الرزق فمنه شجرة الزقوم والحميم ومن
الفواكه والشراب والطهور فميز الرزق
لحصول الانقسام فيه ولم يميز المغفرة
لعدم الانقسام فيها ولما بين تعالى
حال المومنين يوم القيمة بين حال
الكافرين في ذلك اليوم بقوله سبحانه
وتعالى والذين سعوا اي فعلوا فعل
الساعي في اياتنا اي القران بالابطال
وتزهيد الناس فيها وقوله تعالى
معجزين قراه ابن كثير وابو عمرو بغير
الف بعد العين وتخفيف الجيم
وكذا في اخر السورة اي سابقين لكي
يفوتنا

يفوتنا اولئك اي المقدرون على ان يبلغوا مرادا
بمعاجزتهم لهم عذاب من رجز اي سيء العذاب
اليم اي مولم وقرا ابن كثير وحفص اليم بالرفع
على انه صفة لعذاب والباقون بالجر على انه
صفة لرجز قال الرازي قال هناك لهم رزق
كريم ولم يقل بمن التبعيضية فلم يقل لهم نصيب
من رزق ولا رزق من جنس كريم وقال
ها هنا لهم عذاب من رجز اليم بلفظة صالحة
للتبعيضية وذلك اشارة الى سعة الرحمة
وقلة الغضب وقوله تعالى ويرى الذين اوتوا
العلم اي قذفه الله تعالى في قلوبهم سوا كانوا
ممن اسلم من العرب او اهل الكتاب وقيل
مومنوا اهل الكتاب عبد الله بن سلام
واصحابه وقيل الصحابة ومن شايعهم
فيه وجهان احدهما انه عطف على ليجزي
اي وليعلم الذين اوتوا العلم والثاني
انه مستانف اخبر عنهم بذلك الذي انزل
اليك من ربك اي القران اليك بانزاله
هو الحق اي انه من عند الله تعالى

Copyright © King Saud University

كتنبيه الذي انزل اليك هو المفعول الاول
وهو ضمير فصل والحق مفعول ثان
لان الروية علمية وقوله تعالى ويهدي الى صراط
اي طريق العزيز الحميد في فاعله وجهان اظهرهما
انه ضمير الذي انزل وهو القرات والثاني ضمير
اسم الله تعالى وهاتان الصفتان يفيدان
الرهبة والرغبة العزيز الحميد يفيد التخويف
والانتقام من الكذب والحميد يفيد الترغيب في
الرحمة للمصدق وقال الذين كفروا هي قال بعضهم
على وجه التعجب لبعض هل ندلكم على رجل يعنون
محمدا صلى الله عليه وسلم ينبيكم اخبارا لا
اعظم منه بما هواه من العجب الخارج عما يفعله
اذا مزقتم اي قطعتم وفرقتم بعد موتكم
وقوله تعالى كل ممزق يحتمل ان يكون اسم مفعول اي
كل تمزيق فلم يبق شي من اجسادكم مع شي بل صار
الكل بحيث لا يميز بين ترابه وتراب الارض ويحتمل
ان يكون ظرف مكان بمعنى اذا مزقتم وذهبت بكم
الرياح والسيول كل مذهب انكم لفي خلق جديد
اي تنشون خلقا جديدا بعد ان تكونوا
رفاتا

رفاتا وترابا وبالهمز في قوله افترى اي تعمد
على الله كذبا الذي لا اعلم منه كذبا اي بالاخبار
بخلاف الواقع وهو عاقل يصح منه القصد
بهمزة استفهام فالقرا الجميع يحققونه
واستغنى بها عن همزة الوصل فانه
تحذف لاجلها فلذلك ثبتت هذه الهمزة
ابتدا ووصلا قال البغوي هذه الف
استفهام دخلت على الف الوصل فلذلك
نصبت على ام به جنة اي جنون يحمله
به بذلك واستدل الحافظ بهذه
الاية على ان الكلام ثلاثة اقسام صدق
وكذب ولا صدق ولا كذب ووجه الدلالة
منه على القسم الثالث ان قولهم ام به
جنة لا جائز ان يكون كذبا لانه قسم الكذب
وقسيم الشي غيره ولا جائز ان يكون
صدق لانهم لم يعتقدوه فثبت قسم ثالث
واجيب عنه بان المعنى انه لم يفتر
ولكن عبر عن هذا بقولهم ام به جنة
لان المجنون لا افترا له تنبيه

قوله افترا يحتمل ان يكون من تمام قول الكافرين
اولا اي من كلام القايلين هل ندلكم ويحتمل
ان يكون السامع المجيب للقايل هل ندلكم
كان القايل لما قيل له هل ندلكم على رجل
قال له هو يفتري على الله كذبا ان كان
يعتقد خلافه ام به جنة مجنون ان كان
لا يعتقد خلافه ولما كان الجواب ليس به
شي من ذلك عطف عليه قوله تعالى بل الذين
لا يومنون اي لا يجدون الايمان لانهم طبعوا
على الكفر بالاخرة المشتملة على البعث والعذاب
في العذاب اي في الاخرة والضلال البعيد
اي عن الصواب في الدنيا فرد الله تعالى
عليهم ترديدهم واثبت لهم سبحنه وتعالى
ما هو اقطع من القسمين قوله تعالى بل الذين
في العذاب في مقابلة قولهم افترى على الله كذبا
وقوله تعالى والضلال البعيد في مقابلة
قولهم به جنة وكلاهما مناسب اما العذاب
فلان نسبة الكذب الى الصادق حود الى انه
شهادة عليه بانه يستحق العذاب فجعل
العذاب

العذاب عليهم حيث نسبوا الكذب الى البري
واما المجنون فلان نسبة الجنون الى العاقل
دونه في الايذاء فلانه فانه لا يشهد عليه
بانه يعذب وانما ينسبه الى عدم الهداية
فبين تعالى انهم هم الضالون ثم وصف
ضلالهم بالبعد ووصف الضلال به للاسناد
المجازي لان من يسمي الهدى ضالا يكون
اضل والنبي صلى الله عليه وسلم هادي كل
مهتدي ولما ذكر تعالى الدليل على كونه
عالم الغيب وكونه مجازيا على السيات والحسنات
ذكر دليلا اخر فيه التهديد والتوحيد بقوله
تعالى افلم يروا اي ينتظروا الى ما بين ايديهم
اي امامهم وما خلفهم وذلك اشارة الى جميع
الجوانب من كل الخافقين فقوله تعالى من
السما والارض دليل التوحيد فانهما يدلان
على الوحدانية ويدلان على الحشر والاعادة
لانهما يدلان على كمال القدرة لقول الله تعالى
اوليس الذي خلق السموات والارض
بقادر على ان يخلق مثلهم واما دليل

Copyright © King Saud University

التهديد نقوله تعالى ان نشا اى بما لنا من
العظمة نخسف بهم الارض اي كما فعلنا بقارون
وزوبه لانه ليس نفوذ بعض افعالنا فيها باولى
من غيره او نسقط عليهم كسفا اى قطعة
من السما فتهلكهم بها وقرا حفص بفتح السين
والباقون بسكونها تنبيه في قوله تعالى افلم
يروا الروايات المشهور ان قدره الزمخشري
افعموا فلم يروا وغيره يدعي ان الهمزة مقدمة
على حرف العطف وقوله من السما بيان
للموصول فيتعلق بمحذوف ويجوز ان يكون
حالا فيتعلق به ايضا قيل وثم حال
محذوفة تقديره افلم يروا الى كذا مقهورا
تحت قدرتنا او محيطا بهم فيعلموا انهم حيث
كانوا فان ارضي وسماي محيطة بهم
لا يخرجون من اقطارها وانا القادر عليهم
وقرا حمزة والكسائي ان نشا نخسف
بهم الارض او يسقط بالياء في الثلاثة
كقوله تعالى افترى على الله كذبا والباقون
بالنون وادغم الكسائي الفاء في الباء واظهرها
الباقون

الباقون ان في ذلك اي فيما ترون من السما
والارض لاية اي علامة بينة تدل على قدرتنا
على البعث لكل عبد اي متحقق انه مربوب
ضعيف مسخر لما يراد منه منيب اي فيه
قابلية الرجوع الى ربه بقلبه ولما ذكر تعالى
من ينيب من عباده وكان من جملتهم داود
كما قال ربه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب
ذكره بقوله تعالى ولقد اتينا اي اعطينا
اعطا عظيما والاعلى نهاية المكنة بما لنا من
العظمة داوود منا فضلا اي النبوة والكتاب
اي الملك وجميع ما اوتي من حسن الصوت
وتليين الحديد وغير ذلك مما خص به وهذا
الاخير اولى تنبيه قوله تعالى منا فضلا
فيه اشارة الى بيان فضل داوود عليه
السلام لان قوله تعالى ولقد اتينا داوود
فضلا مستقل بالمفهوم وتام كما يقول
القايل اتى الملك زيدا خلعة فاذا قال
القايل اتاه منه خلعة يفيد انه كان من
خاص ما يكون له فكذا ايتا الله تعالى

Copyright © King Saud University

الفضل عام لكن النبوة من عنده خاص بالبعض
ونظيره قوله تعالى يبشرهم ربهم برحمة منه
ورضوان فان رحمة الله تعالى واسعة
تصل الى كل احد لكن رحمته في الاخرة على المومنين
رحمة من عنده لخواصه وقوله تعالى يا
جبال محكي بقول مضمر ثم ان شيت
قدرته مصدرا او يكون بدلا من فضل
على جهة تفسيره به كانه قيل اتيناه
فضلا قولنا يا جبال وان شيت قدرته
وقلا وح لك وجهان ان شيت جعلته
بدلا من اتينا معناه اتينا قلنا يا جبال
وان شيت جعلته مستانفا اوبي
اي ارجعي معه بالتسبيح اذا سبح امر
من التاويب وهو الترجيع وقيل
التسبيح بلغة الحبشة وقال العيني
اصله من التاويب في السير وهو ان
يسير النهار كله وينزل ليلا كانه يقول
اوبي النهار كله وينزل ليلا كانه يقول
اوبي النهار كله بالتسبيح معه وقال
وهب نوحي معه وقيل سيري معه
وقوله تعالى والطير منصوب باجماع
القرا

القرا السبعة واختلف في وجه نصبه على اوجه
احدها انه عطف على محل جبال لانه منصوب
تقدير الان كل منادي في موضع نصب الثاني
انه عطف على فضلا قاله الكساى ولابد من
حذف مضاف تقديره اتيناه فضلا وتسبيح
الطير الثالث انه منصوب باضمار فعل اي
وسخرنا له الطير قاله ابو عمرو وتنبيه لم يكن الموافق
في التاويب منحصرا في الطير والجبال ولكن
ذكر الجبال لان الصخور للجمود والطير المنفور وكلا هما
تستبعد منه الموافقه فاذا وافقه هذه الاشيا
فغيرها اولى ثم من الناس من لم يوافقه
وهو القاسيه قلوبهم التي هي اشد قسوة قال
المفسرون كان داوود اذا نادى بالنياحة
اجابت الجبال بصداها وعكفت الطير عليه
من فوقه فصدى الجبال الذي يسمعه
الناس اليوم من ذلك وقيل كان داوود
اذ انخلل الجبال فسبح الله جعلت الجبال
تجاوبه بالتسبيح نحو ما يسبح وقيل
كان داوود اذا لحقه فتور اسمعه

Copyright © King Saud University

الله تسبيح الجبال تنشيطا له وقال وهب بن منبه
كان يقول للجبال سبحي وللطير اجيبي ثم ياخذ في
تلاوة الزبور بين ذلك بصوته الحسن فلا يرى الناس
للنظر احسن من ذلك ولا يسمعون شيا اطيب منه
وذلك كما كان الحصى يسبح في كف النبي صلى الله عليه
وسلم وكف ابي بكر وعمر وكما كان الطعام يسبح في
حضرته الشريفة وهو ياكل وكما كان الحجر يسلم
عليه وسكفة الباب وحوايط البيت تومن على
على دعايه وحنين الجذع مشهور وكما كان الضب
يشهد له والجمل يشكو اليه ويسجد بين يديه
ونحو ذلك وكما جا الطير الذي يسمى الحمرة تشكو الذي
اخذ بيضها فامر النبي صلى الله عليه وسلم برده رحمة
لها ولما ذكر تعالى طاعة اكثف الارض والطف الحيوان
الذي انشاه الله تعالى ذكر سبحانه وتعالى ما
انشاه من ذلك الاكثف وهو اصلب الاشيا بقوله
تعالى والنا له الحديد اي الذي ولدناه من الجبال جعلناه
في يده كالشمع والعجين يعمل منه ما يشا من غير نار
ولا ضرب مطرقة وذلك في قدرة الله تعالى
يسير وكان سبب ذلك ما روي في
الاخبار

في الاخبار ان داود لما ملك بني اسرايل كان من عادته
ان يخرج للناس متنكرا فاذا راى رجلا لا يعرفه
تقدم اليه يساله عن داوود ويقول له ما تقول
في داود واليكم هذا اي رجل هو فيثنون عليه
ويقولون خيرا فقيض الله له ملكا في صورة ادمي
فلما راه داوود تقدم اليه على عادته يساله فقال
الملك نعم الرجل هو لولا خصلة فيه فراع داوود
ذلك وقال ما هي يا عبد الله قال انه ياكل ويطعم
عياله من بيت المال قال فتنبه لذلك وسال الله
تعالى ان يسبب له سببا يشغني عن بيت المال
يتقوت منه ويطعم عياله فالان الله
له الحديد وعلمه صنع الدرع وانه اول
من اتخذها يقال انه كان يبيع كل درع باربعة
الاف فياكل ويطعم منها عياله ويتصدق منها
على الفقرا والمساكين وقال انه كان
يعمل كل يوم درعا يبيعه بستة الاف درهم فينفق
منها الفين على نفسه وعياله ويتصدق باربعة
الاف على فقرا بني اسرايل وانما اختار الله له
ذلك لانه وقاية للروح التي من امر

وتحفظ الادمي المكرم عند الله تعالى
من القتل فالزراد خير من القواس والسياف
وغيرهما لان القوس والسيف وغيرهما من السلاح
ربما يستعمل في قتل النفس المحرمة بخلاف
الدرع قال صلى الله عليه وسلم كان داوود
لا ياكل الا من عمل يده ثم ذكر سبحانه
وتعالى علة الالانة بصيغة الامر اشارة
الى ان علمه كان لله تعالى بقوله ان اعمل سابغات
اي دروعا طوالا واسعات يجرها لابسها على الارض
وذكر الصفة يعلم منها الموصوف واختلف في معنى
قوله تعالى وقدر في السرد اي نسج الدروع
يقال لصانعه الزراد والسراد فقيل قدر
المسامير في حلق الدروع اي لا تجعل
المسامير غلاظا فتكسر الحلق ولا رقاقا فتتقلقل
فيها وتهال المسمار في الحلقة يقال درع مسرودة
اي مسمورة الحلق وقدر في السرد اجعله على القصد
وقدر الحاجة وقيل اجعل كل حلقة مساوية لاختها
مع كونها ضيقة لئلا ينفذ منها سهم ولتكن في
تخنها بحيث لا يقطعها السيف ولا تثقل على الدارع

فتمنعه

فتمنعه خفة التصرف وسرعة الانتقال في الكر
والفر والطعن والضرب في البرد والحر والظاهر
كما قال البقاعي انه لم يكن في خلقها مسامير لعدم
الحاجة بالالانة الحديد اليها والا لم يكن بينه
وبين غيره فرق ولا كان للالانة كبير فائدة
وقد اخبر بعض من راى ما نسب اليه بغير مسامير
وقال الرازي يحتمل ان يقال السرد هو عمل الزرد
وقوله تعالى وقدر في السرد اي انك غير مامور
به امر ايجاب انما هو اكتساب والكسب يكون
بقدر الحاجة وباقي الايام والليل للعبادة فقدر
في ذلك العمل ولا تشغل جميع اوقاتك بالكسب
بل حصل به القوت ويدل عليه قوله تعالى واعملوا
صالحا اي لستم مخلوقين الا للعمل الصالح فاعملوا
ذلك واكثروا منه اما المكتسب فقدروا فيه
ثم اكد طلب العمل الصالح بقوله تعالى اني بما
تعملون بصير اي مبصر فاجازيكم به ثم يريد
بهذا داود وآله تنبيه كما الان الله تعالى
الحديد لداود الان لنبينا صلى الله عليه وسلم
في الخندق تلك الكدية وذلك بعد ان لم تكن

المعاول تعمل فيها وبلغت غاية الجهد منهم فضربها
رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربة واحدة
وفي رواية رش عليها ما فعادت كثيبا لا ترد
فاسا وتلك الصخرة التي اخبر سلمان عنها انها
كسرت فوسهم ومعاولهم وعجزوا عنها فضربها
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث ضربات
كسر في كل ضربة ثلثا منها وبرقت مع كل ضربة
برقة كبر معها تكبيرة واضات للصحابة
رضي الله عنهم ما بين لابتي المدينة بحيث
كانت في النهار كالمصباح في جوف بيت
مظلم فسالوه عن ذلك فاخبرهم صلى الله
عليه وسلم ان احدى الضربات اضات لي
صنعا من ارض اليمن حتى راي ابوابها من
مكانه ذلك واخبره جبريل عليه السلام
انها ستفتح على امته واضات له الاخرى
قصور الحيرة البيض كانها انياب الكلاب واخبر
انها مفتوحة لهم واضات له الاخرى قصور
الشام الحمر كانها انياب الكلاب واخبر
بفتحها عليهم فصدقه الله تعالى في الجميع
ما

ما قال واعظم من ذلك تصليب الخشب له حتى
يصير سيفا قوي المتن للحديدة وذلك ان سيف
عبد الله بن جحش تقطع يوم احد فاعطاه رسول
الله صلى الله عليه وسلم عرجونا فصار في يده
سيفا قايمته منه فقاتل به حتى فكان يسمى
العون ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده حتى
قتل وهو عنده وعن الواقدي انه انكسر
سيف سلمة بن اسلم يوم بدر فاعطاه رسول
الله صلى الله عليه وسلم قضيبا كان في يده
من عراجين رطاب فقال اضرب به فاذا هو
سيف جيد فلم يزل عنده حتى قتل والحام
داوود الحديد ليس باعجب من الحام النبي صلى
الله عليه وسلم ليد معوذ بن عفرا لما قطعها
ابو جهل يوم بدر فاتى بها يحملها في يده
الاخرى فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه
وسلم فالصقها ولصقت وصحت مثل اختها
كما نقله البيهقي وغيره ومعجزاته صلى الله
عليه وسلم لا تحصر وانما اذكر لبعضها

Copyright © King Saud University

تبركا بذكره صلى الله عليه وسلم واسال الله العظيم
ان يحشرنا في زمرته ويفعل ذلك باهلنا
ومحبينا ولما اتم الله تعالى ما اراد من ايات داود
عليه السلام اتبعها بعض ايات ابنه سليمن
عليه السلام المشاركة في الانابة بقوله تعالى
ولسليمن اي عوضا عن الخيل التي عقرها الله تعالى
الريح قرا شعبة الريح بالرفع على الابتدا والخبر
في الجار قبله او محذوف والباقون بالنصب
باضمار فعل وسخرنا غدوها اي سيرها من
الغدوة بمعنى الصباح الى الزوال شهر اي تحمله
شهر ورواحها اي من الزوال الى الغروب شهر
اي مسيرته فكانت تسير به في يوم واحد
مسيرة شهرين قال الحسن كان يغدو من
دمشق فيقيل باصطخر وبينهما مسيرة
شهر للراكب المسرع وهذا كما سخر الله
الريح لنبينا صلى الله عليه وسلم في غزوة
الاحزاب فكانت تهدم خيامهم وتضرب وجوههم
بالتراب والحجارة وهي لا تجاوز عسكرهم الى ان
هزمهم الله تعالى بها وكما حملت شخصين
من

من الصحابة في غزوة تبوك فالقتها بجبال
طي وتحمل من اراد الله تعالى من اوليا امته
كما هو في غاية الشهرة ونهاية الكثرة واما
امر الاسرا والمعراج فهو من الجلالة والعظم
بحيث لا يعلمه الا الله تعالى مع ان الله تعالى
صرفه في ايات السما بحبس المطر تارة وارساله
اخرى ولما ذكر الله تعالى الريح اتبعها ما هو
من اسباب تكوينه بقوله تعالى واسلنا
اي اذبنا بما لنا من العظمة له عين القطر
اي النحاس حتى صار كانه عين ما فجريت
ثلاثة ايام بلياليهن كجري الما وعمل الناس الى
اليوم مما اعطي سليمان ومن الجن اي الذي
سخرناهم عن الغيوب من الشياطين وغيرهم
عطف على الريح اي وسخرنا له من الجن
من يعمل بين يديه اي قد امكنه الله تعالى منهم
غاية الامكان في غيبته وحضوره باذن اي
بامر ربه اي بتمكين المحسن اليه ومن يزغ اي يمل
منهم عن امرنا اي امرنا الذي هو من امرنا
نذقه من عذاب السعير اي النار في الاخرة

Copyright © King Saud University

وقيل في الدنيا بان يضربه الملك بسوط منها
ضربة يحرقه وهذا كما امكن بنبينا صلى الله
عليه وسلم من ذلك العفريت فخنقه وهم
بربطه حتى تلعب به صبيان المدينة ثم
تركه تادبا مع اخيه سليمن عليه السلام فيما
سال الله تعالى فيه واما الاعمال التي يدور
عليها اقامة الدين فاغناه الله تعالى فيها
عن الجن بالملايكة الكرام وسلط جمعا
من صحابته على جماعة من مردة الجان
منهم ابو هريرة لما وكله النبي صلى الله
عليه وسلم بحفظ زكاة رمضان ومنهم
ابي بن كعب قبض على شخص منهم كان
يسرق من تمره وقال لقد علمت الجن ما فيهم
اشد مني ومنهم معاذ بن جبل لما جعله
النبي صلى الله عليه وسلم على صدقة
المسلمين فاتاه شيطان يسرق وتصور
له بصور منها صورة فيل فضبطه والتفت
يداه عليه وقال له يا عدو الله تشكى له
الفقر واخبره انه من جن نصيبين
وانهم

وانهم كانت لهم المدينة فلما بعث النبي صلى الله
عليه وسلم اخرجهم منها وساله ان يخلي عنه
على ان لا يعود ومنهم بريدة ومنهم ابو
ايوب الانصاري ومنهم زيد بن ثابت ومنهم
عمر بن الخطاب صارع الشيطان فصرعه عمر
ومنهم عمار بن ثابت قاتل الشيطان فصرعه
عمار وادمى انف الشيطان بحجر ذكر ذلك
البيهقي في الدلايل واما عني القطب بما تضمنه
قول النبي صلى الله عليه وسلم اعطيت مفاتيح
خزاين الارض ومفاتيح الارض هذا ما يتعلق
بالارض وقد زيد صلى الله عليه وسلم
على ذلك بان ايده ربه سبحنه وتعالى
بالنصر في خزاين السما تارة بشق القمر وتارة
برجم النجوم وتارة باختراق السموات
وتارة بحبس المطر وتارة بارساله الى غير
ذلك مما اكرمه الله تعالى به مما لا يحيط الا الله
عز وجل صلى الله عليه وسلم وعلى اله وازواجه
وذريته واصحابه واحشرنا ومحبينا معهم
في دار كرامته ولما اخبر تعالى انه سخر لسليمان

Copyright © King Saud University

الجن ذكر حالهم في اعمالهم بقوله تعالى يعملون له في اي وقت شا
ما يشا اي عمله من محاريب اي ابنية مرتفعة
غير مساجد يصعد اليها بدرج سميت بذلك لانها
يذب عنها ويحارب عليها ومساجد والمحراب
مقدم على كل مسجد ومجلس وبيت وكان
مما عملوه له بيت المقدس ابتداه داود عليه
السلام ورفعه قامة رجل فاوحى الله تعالى
اليه اني لا اقضي ذلك على يديك ولكن ابن لك
اسمه اقضي تمامه على يديه فلما توفاه الله
تعالى استخلف سليمن عليه السلام
فاحب اتمام بنا بيت المقدس فجمع الجن والشيا طين
وقسم عليهم الاعمال فخص كل طايفة منهم بعمل
يستصلحه له فارسل الجن والشياطين في
تحصيل الرخام والمها الابيض من معادنه
وامر ببنا المدينة بالرخام والصفايح وجعلها
اثني عشر ربضا وانزل على ربض سبطا من الاسباط
وكانوا اثني عشر سبطا فلما فرغ من بنا المدينة
ابتدا في بناء المسجد فوجه الشياطين
فرقا يستخرجون الذهب والفضة

والفضة والياقوت من معادنها والدر الصافي
من البحر وفرقا يقتلعون الجواهر من الحجارة
من اماكنها وفرقا ياتونه بالمسك والعنبر
وساير الطيب من اماكنها فاتي من ذلك بشي
لا يحصيه الا الله تعالى ثم احضر الصناع
وامرهم بنحت تلك الحجارة المرتفعة وتصييرها
الواحا واصلاح تلك الجواهر وثقب اليواقيت
واللالي فبنا المسجد بالرخام الابيض والاصفر
والاخضر وعمده باساطين المها الصافي وسقفه
بالواح الجواهر الثمينة وفصص سقفه وحيطانه
باللالي والياقوت وساير الجواهر وبسط
ارضه بالواح الفيروزج فلم يكن يومئذ
في الارض بيت ابهى ولا انور من ذلك المسجد
وكان يضي في الظلمة كالقمر ليلة البدر
فلما فرغ منه جمع احبار بني اسرايل فاعلمهم
انه بناه لله تعالى وان كل شي خالص فيه
لله تعالى واتخذ ذلك اليوم الذي فرغ منه
عيدا روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما

Copyright © King Saud University

فرغ سليمن من بناء بيت المقدس سال ربه
ثلاثا فاعطاه فانا ارجوان يكون اعطاه
الثالثه سال حكما يصادف حكمه فاعطاه
اياه وساله ملكا لا ينبغي لاحد من بعده
فاعطاه وساله ان لا ياتي هذا البيت
احد يصلي فيه ركعتين الا خرج من ذنوبه
كيوم ولدته وانا ارجوان يكون قد
اعطاه ذلك فلم يزل بيت المقدس
على ما بناه سليمان حتى غزاه بخت
نصر فخرب البيت والمدينة وهدمها
ونقض المسجد واخذ ما كان في سقوفه
وحيطانه من الذهب والفضة والدر
والياقوت وساير الجواهر الى دار ملكه
من ارض العراق وبنا الشياطين باليمن
لسليمن حصونا كثيرة عجيبة من الصخر
وتماثيل جمع تمثال وهو كل شي مثلته
بشي اي كانوا يعملون له تماثيل اي صورا
من نحاس وزجاج ورخام ونحو ذلك
فان قيل كيف استجاز سليمن
على

عليه السلام عمل التصاوير اجيب بان
هذا مما يجوز ان تختلف فيه الشرايع لانه
ليس من مقبحات العقل كالظلم والكذب وعن
ابي العالية لم يكن اتخاذ التصاوير اذ ذاك
محرما ويجوز ان يكون غير صور الحيوان
كصور الاشجار وغيرها لان التمثال كل ما
صور على مثل صورة غيره من حيوان
وغيره او بصور محذوفة الروس روي
انهم عملوا اسدين في اسفل كرسيه و
نسرين في اعلاه فاذا اراد ان يصعد
بسط له الاسدان ذراعيهما واذا قعد
اظله النسران باجنحتهما وقيل كانوا
يتخذون صور الملايكة والانبيا والصالحين
في المساجد ليراها الناس فيزدادوا
عبادة قيل ان هذا كان اول الامر فلما
تقادم الزمن قال لهم ابليس ان اباكم
كانوا يعبدون هذه التصاوير فعبدوا
الاصنام ولم تكن التصاوير ممنوعة في شريعتهم
كما ان عيسى كان يتخذ صورا من

Copyright © King Saud University

من الطين فينفخ فيها فتكون طيرا **وجفان**
اي قصاع وصحاف يوكل فيها واحدتها جفنة **كالجوابي**
جمع جابية وهي الحوض الكبير يجبي اليه الماء اي
يجمع يقال كان يجلس على الجفنة الواحدة الف رجل
ياكلون منها وقرا ورش وابو عمرو باثبات اليا بعد
الواحدة في الوصل دون الوقف وابن كثير باثباتها
وقفا ووصلا والباقون بالحذف وقفا ووصلا
ولما ذكر القصاع على وجه يتعجب منه ذكر ما يطبخ فيه
طعام تلك الجفان بقوله تعالى **وقدور راسيات**
اي ثابتات ثباتا عظيما لانها لكبرها كالجبال لها
قوائم لا يحركن عن اماكنها لعظمهن ولا يبدلن ولا
يعطلن وكان يصعد عليها بالسلالم وكانت
باليمن ولما ذكر المساكن وما يتبعها اتبعها الامر
بالعمل بقوله تعالى **اعملوا** اي وقلنا لهم تمتعوا و
اعملوا ودل على مزيد قربهم بحذف اداة النداء
وعلى شرفهم بالتعبير بالال بقوله تعالى **ال داود**
وقوله تعالى **شكرا** يجوز فيه اوجه احدها
انه مفعول به اي اعملوا الطاعة سميت الصلاة
ونحوها شكرا لسدها مسده ثانيها انه مصدر
من

٣٩٩

من معنى اعملوا كانه قال اشكروا شكرا بعملكم
او اعملوا عمل شكر ثالثها انه مفعول من اجله
اي لاجل الشكر واقتصر على هذا البقاعي
رابعها انه مصدر واقع موقع الحال
اي شاكرين خامسها انه منصوب
بفعل مقدر من لفظه تقديره واشكروا شكرا
سادسها انه صفة لمصدر اعملوا تقديره
اعملوا عملا شكرا اي ذا شكر تنبيه كما قال
تعالى عقب قوله تعالى ان اعمل سابغات
اعملوا صالحا قال عقب ما تعمله الجن له اعملوا
ال داود شكرا اشارة الى انه لا ينبغي ان يجعل
الانسان نفسه مستغرقة في هذه الاشياء
وانما الاكثار من العمل الصالح الذي يكون شكرا
وقوله تعالى **وقليل** خبر مقدم وقوله تعالى
من عبادي صفة له وقوله تعالى **الشكور** مبتدا
والمعنى ان العامل بطاعتي للتوفر الدواعي
بظاهره وباطنه من قلبه ولسانه وبدنه
على الشكر بان يصرف جميع ما انعم الله تعالى
عليه فيما يرضيه قليل ومع ذلك لا يوفي

حقه لان توفيقه للشكر نعمة تستدعي شكرا اخر
لا الى نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى عجزه
عن الشكر وعبر بصيغة فعول اشارة الى ان
من يقع منه مطلق الشكر كثير واقل ذلك
حال الاضطرار قيل المراد من ال داوود
هو داود نفسه وقيل داود وسليمان
واهل بيته قال جعفر بن سليمان سمعت
ثابتا يقول كان داود نبي الله صلى الله
عليه وسلم قد جزاء ساعات الليل
والنهار الا وانسان من ال داوود قايم
يصلي وقال صلى الله عليه وسلم في صلاة
النافلة افضل الصلاة صلاة داود كان
ينام نصف الليل وينام ثلثه وينام سدسه
وقال في صوم التطوع افضل الصيام
صيام داوود كان يصوم يوما ويفطر يوما
وروي عن عمر انه سمع رجلا يقول اللهم اجعلني
من القليل فقال عمر ما هذا الدعا فقال اني
سمعت الله يقول وقليل من عبادي الشكور
فانا ادعوه ان يجعلني من ذلك القليل
فقال

فقال عمر كل الناس اعلم من عمر ولما كان الموت
مكتوبا على كل احد قال تعالى فلما قضينا
وحقق صفة القدرة باداة الاستعلا بقوله
تعالى عليه اي سليمان عليه السلام الموت قال
اهل العلم كان سليمن يتجرد في بيت المقدس
السنة والسنتين والشهر والشهرين واقل من
ذلك واكثر فيدخل فيه ومعه طعامه وشرابه
فلما دنا اجله لم يصبح الا راى في محرابه شجرة
نابتة قد انطقها الله تعالى فسالها ما اسمك
فتقول كذا وكذا فيقول لاي شي خلقت فتقول
لكذا وكذا فيومر بها فتقطع فان كانت تنبت
لغرس غرسها وان كانت تنبت لدوا كتب
ذلك حتى نبتت الخروبة فقال لها ما انت
قالت الخروبة قال لاي شي تنبت قالت
لخراب مسجدك قال عليه السلام ما كان
الله ليخربه وانا حي انت الذي على وجهك
هلاكي وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها
في حايطه ثم قال اللهم عم على الجن موتي حتى تعلم
الانس ان الجن لا يعلمون الغيب وقال لملك الموت

Copyright © King Saud University

اذا امرت بي فاعلمني فقال امرت بك وقد بقيت من
عمرك ساعة فدعا الشياطين فبنوا له صرحا من
قوارير ليس له باب فقام يصلي متكيا على عصاه
فقبض الله روحه وهو متكيا عليها وكانت
الشياطين تجتمع حول محرابه اينما صلى وكان
للمحراب كوى بين يديه وخلفه فكانت تعمل
الاعمال الشاقة التي كانوا يعملونها في حياته
وينظرون الى سليمان فيرونه قايما متكيا
على عصاه فيحسبونه حيا فلا ينكرون خروجه
الى الناس لطول صلاته فمكثوا يدابون له
بعد موته حولا كاملا حتى اكلت الارض
عصا سليمان فخر ميتا فعلموا بموته كما قال
تعالى **ما دلهم على موته الا دابة الارض** اي الارضة
لانا جعلنا له من سعة العلم ووفور الهيبة ونفوذ
الامر ما تمكن به من اخفا موته **تاكل منساته** قال البخاري
يعني عصاه فالمنساة العصا اسم اله من نسات اخره
كالمسعة والمكنسة من نساة الغنم اي زجرتها
وسقتها ومنه نسا الله في اجله اي اخره وقرا
نافع وابو عمرو بعد السين بالف وابن ذكوان

بعد

بعد السين همزة ساكنة والباقون بهمزة
مفتوحة بعد السين فاذا وقف حمزة سهل
الهمزة وقيل لم يكن شيطان ينظر اليه في صلاته الا
احترق فمر به شيطان فلم يسمع صوته فرجع فلم
يسمع فنظر فاذا سليمن قد خر ميتا ففتحوا عنه
فاذا العصا قد اكلتها الارضة **فلما خر** اي سقط
على الارض بعد ان قصمت الارضة عصاه **تبينت
الجن** اي علمت هذا بينا لا يقدرون معه على
تدبيج وتلبيس وانفضح امرهم وظهر ظهورا
تاما **ان** اي انهم **لو كانوا** اي الجن **يعلمون الغيب**
اي علمه **ما لبثوا** اي اقاموا حولا **في العذاب المهين**
من ذلك العمل الذي كانوا مسخرين فيه ويجوز ان
تكون ان تعليلية ويكون التقدير تبين حال
الجن فيما يظن بهم من انهم يعلمون الغيب لانهم
الى اخره وسبب علمهم مدة كونه ميتا قبل
ذلك انهم وضعوا الارضة على موضع من العصى
فاكلت منها يوما وليلة مقدارا فحسبوا على
ذلك النحو فوجدوا المدة سنة فشكرت الجن
الارضة فهم ياتونها بالما والطين في جوف الخشب

Copyright © King Saud University

تنبيه قد تقدم ان كل شي ثبت لمن قبل نبينا
صلى الله عليه وسلم من الانبيا من الخوارق
ثبت له مثله او اعظم منه اما لنفسه او لاحد
من امته وهذا الذي ذكر لسليمن عليه السلام وهذا
من حفظه بعد موته سنه لا يتميل قد ثبت مثله
لشخص من هذه الامة من غير شي يعتمد عليه
قال القشيري في رسالته في باب احوالهم
عند الخروج من الدنيا وقال ابو عمران الاصطخري
رايت ابا تراب في البادية قايما ميتا لا يمسكه
شي اهـ فايده روي ان سليمان كان عمره
ثلاثا وخمسين سنه ومده ملكه اربعون سنه
وملك يوم ملكه وهو ابن ثلاث عشر سنه
وابتدا في بنا بيت المقدس لاربع سنين
مضين من ملكه وروي ان داوود اسس
بنا بيت المقدس في موضع فسطاط
موسى عليه السلام فمات قبل ان يتم
فوصى به الى سليمان فامر الشياطين
باتمامه ولما بقي من عمره سنة سال
الله تعالى ان يعمي عليهم موته حتى
يزعوا

منه وليبطل دعواهم علم الغيب وروي ان افريدون
جا ليصعد كرسيه فلما دنا ضرب الاسدان ساقه
فكسراها فلم يجسر احد بعد يدنوا منه ولما بين تع
حال الشاكرين لنعمه بذكر داوود وسليمان
بين حال الكافرين لانعمه بحكاية اهل سبا فقال لقد
لقد كان لسبا اي القبيلة المشهورة روى ابو سبرة
النخعي عن ابي فروة بن مسيك القطيعي قال قال
رجل يا رسول الله اخبرني عن سبا اكان رجلا
ام امراة او ارضا قال كان رجلا من العرب وله
عشرة من الولد تيامن منهم ستة وتشام
منهم اربعة فاما الذين تيامنوا فكندة والاشعريون
والازد ومذحج وانمار وحمير فقال رجل وما
انمار قال الذين منهم خثعم وبجيلة واما الذين
تشاموا فلخم وجذام وعاملة وغسان
وسبا يجمع هذه القبايل كلها والجمهور على ان جميع
العرب ينقسمون الى قسمين قحطانية وعدنانية
فالقحطانية شعبان حضرموت وسبا والعدنانية
شعبان ربيعة ومضر واما قضاعة
فمختلف فيهم فبعضهم نسبها الى قحطان

Copyright © King Saud University

وبعضهم الى عدنان فان قيل ان قحطان اول من قيل
له انعم صباحا وابيت اللعن قال بعضهم وجميع
العرب منسوب الى اسمعيل بن ابراهيم وليس
بصحيح فان اسمعيل نشا بين جرهم بمكة وكانوا
عربا والصحيح ان العرب العاربة كانوا قبل
اسمعيل منهم عاد وثمود وطسم وجديس
واهم وجرهم والعماليق يقال انهم كان
ملكا يقال انه اول من سقف البيوت
بالخشب والستارة المنشور وكانت الفرس
تسميه ادم الاصغر وبنوم قبيلة يقال لها
دبا هلكوا بالرمل اسال الله عليهم
واهلكهم وطمس مناهلهم وفي ذلك
يقول الشعر ۞ وكر دهر على وبار ۞ فهلكت
عنوة وبار ۞ واسم عبد شمس بن يشجب
ابن يعرب بن قحطان وسمي سبا قيل لانه
اول من سبا في العرب قال السهيلي ويقال
انه اول من تتوج وذكر بعضهم انه كان
مسلما وله شعر يشير فيه بوجود النبي
صلى الله عليه وسلم قال في سلمان
سيملك

سيملك بعدنا ملكا عظيما ۞ نبي لا يرخص في الحرام
ويملك بعده منهم ملوك ۞ يدينون العباد بكل دام
ويملك بعده منا ملوك ۞ يصير الملك فينا بانقسام
ويملك بعد قحطان نبي ۞ تقي مخبت خير الانام
يسمى احمدا ياليت اني ۞ اعمر بعد مبعثه بعام
فاعضده واحبوه بنصري ۞ بكل مدجج وبكل رامي
متى يظهر فكونوا ناصريه ۞ ومن يلقاه يبلغه سلامي
وقرا البزي وابو عمرو بعد الموحدة بهمزة مفتوحة من
غير تنوين لانه صار اسم قبيلة وقنبل بهمزة
ساكنة والباقون بهمزة مكسورة منونة
وكذا وقف حمزة وهشام ابدلا الهمزة الفا
ولهما ايضا الروم مع التسهيل وقرا في مسكنهم
اي هي في غاية الكثرة حمزة وحفص بسكون
السين وفتح الكاف وبلا الف بينهما اشارة الى
انها لشدة اتصال المنافع والمرافق كالمسكن
الواحد وقرا الكسائي كذلك الا انه بكسر الكاف
والباقون بفتح السين والف بعدها وكسر الكاف
اشارة الى انها في غير الملايمة لهم واللين وكانت
بارض مارب من بلاد اليمن قال حمزة

Copyright © King Saud University

الكرماني قال ابن عباس على ثلاث فراسخ من صنعا **آية**
اي علامة ظاهرة على قدرتنا ثم فسر الاية بقوله تعالى
جنتان عن يمين وشمال اي عن يمين الوادي وشماله قد
احاطت الجنتان بذلك الوادي وقيل عن يمين من اتاهما
وشماله فان قيل كيف عظم الله تعالى جنتي اهل سبا و
جعلهما اية ورب قرية من قريات العراق يحتف بها من
الجنان ما شئت اجيب بانه لم يرد بستانين
اثنين فحسب وانما اراد جماعة من البساتين جماعة
عن يمين بلدتهم واخرى عن شمالهم وكل واحدة من
الجماعتين في تقاربها وتضامها كانها جنة واحدة كما
تكون بلاد الريف العامر وبساتينها او اراد بستاني
كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله كما قال الله تعالى
جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب فكانت اخصب البلاد
واكثرها ثمارا حتى كانت المراة تضع على راسها مكتلا
فتطوف بها بين الاشجار فيمتلي المكتل من جميع
انواع الفواكه من ان تمس شيا بيدها مما يتساقط
فيه من الثمر وقوله تعالى **كلوا من رزق ربكم** اي المحسن
اليكم الذي اخرج لكم منها ما تشتهون **واشكروا له**
اي خصوه بالشكر بالعمل في كل ما يرضيه ليديم لكم

النعمة

النعمة حكاية لما قال لهم نبيهم او لسان الحال
او دلالة بانهم كانوا احقا بان يقال لهم ذلك
ثم استانف تعظيم ذلك بقوله **بلدة طيبة**
اي حسنة التربة ليس بها سباخ حسنة الهوى
سليمة من الهوام ليس فيها بعوضة ولا ذبابة
ولا برغوث ولا عقرب ولا حية يمر الغريب بها
وفي ثيابه القمل فيموت من طيب هواها واشار
الى انه لا يقدر احد ان يقدره حق قدره بقوله
تعالى **ورب غفور** اي لذنب من شكره وتقصيره
فلا يعاقب عليه ولا يعاتب قال البقاعي
واخبرني بعض اهل اليمن انها اليوم مغازة بقرب
صنعا قال وفي بعضها عنب يعمل منه زبيب
كبار جدا في مقدار در بلي بلاد الشام وهو
في غاية الصفا كانه قطع المصطكا وليس له
نوى اصلا اه ولما تسبب عن هذا الانعام
بطرهم الموجب لاعراضهم عن الشكر دل
على ذلك بقوله تعالى **فاعرضوا** عن شكره
فكفروا قال وهب ارسل الله تعالى الى
سبا ثلاث عشر نبيا فدعوهم الى الله

Copyright © King Saud University

تعالى وذكروهم نعم الله تعالى عليهم وانذروهم
عقابه فكذبوهم وقالوا ما نعرف الله تعالى علينا من
نعمة فقولوا لربكم فليحبس هذه النعمة عنا
ان استطاع ولما تسبب عن اعراضهم مقتهم بينبه
بقوله تعالى **فارسلنا عليهم سيل العرم** جمع
عرمة وهو ما يمسك الما من بنا وغيره الى وقت
حاجته اي سيل واديهم فاغرق جنتيهم واموالهم
قال ابن عباس ووهب وغيرهما كان ذلك بنته
بلقيس وذلك انهم كانوا يقتتلون على ما واديهم
فامرت بواديهم فسد بالعرم وهو المسناة
بلغة حمير فسدت ما بين الجبلين وجعلت
له ابوابا ثلاثة بعضها فوق بعض وبنت
منه دونها بركة ضخمة وجعلت فيها اثني عشر
مخرجا على عدة انهارهم يفتحونها اذا احتاجوا
الى الما واذا استغنوا سدوها فاذا جا
المطر اجتمع اليه ما اودية اليمن فاحتبس
السيل من ورا السد فامرت بالباب
الاعلى ففتح فجرى ماوه في البركة فكانوا
يسقون من الباب الاعلى ثم من الثاني

ثم

ثم من الثالث الاسفل فلا ينفد الما حتى يثوب الما
من السنة المقبلة فكانت تقسمه بينهم على
ذلك فبقوا على ذلك بعدها مدة فلما طغوا وكفروا
سلط الله تعالى عليهم جرذا يسمى الخلد فنقب
السد من اسفله فاغرق الما جنتهم واموالهم
وخرب ارضهم قال وهب وكان فيما يزعمون
ويجدون في علمهم وكهانتهم انه يخرب سدهم
فارة فلم يتركوا فرجة بين حجرين الا ربطوا عندها
هرة فلما جا زمانه وما اراد الله تعالى بهم
من التفريق اقبلت فيما يذكرون فارة حمرا كبيرة
الى هرة من تلك الهرر فساورتها حتى استاخرت
عنها الهرة فدخلت في الفرجة التي للسيل وهم لا
يدرون ذلك فلما جا السيل وجد خللا فدخل
فيه حتى اقتلع السد وفاض على اموالهم
فغرقها ودفن بيوتهم الرمل فغرقوا ومزقوا كل
ممزق حتى صاروا مثلا عند العرب يقولون
صار بنوا فلان ايدي سبا وتفرقوا ايادي
سبا اي تفرقوا وتبددوا فنزل الاوس
والخزرج منهم قال البقاعي وكان ذلك في الفترة

Copyright © King Saud University

التي بين عيسى وبين نبينا صلى الله عليه وسلم

تنبيه في العرم اقوال غير ما ذكر احدها انه من باب اضافة الموصوف لصفته في الاصل اذ الاصل السيل العرم والعرم الشديد واصله من العرامة وهي الشراسة والصعوبة الثاني انه من باب حذف الموصوف واقامة صفته مقامه تقديره فارسلنا عليهم سيل المطر العرم اي الشديد الكثير الثالث ان العرم اسم للوادي الذي كان فيه الماء نفسه قال ابن الاعرابي العرم السيل الذي لا يطاق وقيل كان ماء احمر ارسله الله تعالى عليهم من حيث شاء الرابع انه اسم للجرذ وهو الفار قيل هو الخلد وانما اضيف اليه لانه تسبب عنه كما مر وبدلناهم بجنتيهم اي جعلنا لهم بدلهما جنتين هما في غاية ما يكون من مضادة جنتيهم ولذلك فسرهما بقوله تعالى اعلاما بان اطلاق الجنتين عليهما مشاكلة لفظية للتهكم بهم ذواتي اكل خمط اي ثمر بشع والخمط الاراك

الاراك وثمره يقال له البرير هذا قول اكثر المفسرين وقال المبرد والزجاج كل نبت قد اخذ طعما من المرارة حتى لا يمكن اكله فهو خمط وقال ابن الاعرابي الخمط ثمر شجر يقال له فسوة الضبع على صورة الخشخاش لا ينتفع به وعن ابي عبيدة كل شجر ذي شوك وقرا ابو عمرو اكل بغير تنوين والباقون بالتنوين وسكن الكاف نافع وابن كثير وضمها الباقون قال البغوي فمن جعل الخمط اسما للماكول فالتنوين في كل حسن ومن جعله اصلا وجعل الاكل ثمرة فالاضافة فيه ظاهرة والتنوين سائغ تقول العرب في بساتين فلان اعناب كرم واعناب كرم تترجم الاعناب بالكرم لانها منه وقوله تعالى واثل اي وذواتي اثل وشيء من سدر قليل معطوفان على اكل على خمط فان الاثل هو الطرفا ولا ثمر له وقيل هو شجر يشبه الطرفا اعظم منه واجود عودا وقيل هو نوع من الطرفا ولا يكون عليه ثمر الا في بعض الاوقات يكون شيء كالعفص اخضر

Copyright © King Saud University

في طعمه وطبعه والسدر شجر معروف وهو شجر النبق
وينتفع بورقه لغسل اليد ويغرس في البساتين
ولم يكن هذا من ذلك بل سدر بري لا ينتفع به ولا
يصلح ورقه لشي ولهذا قال بعضهم السدر سدران
سدر له ثمر غضة ولا توكل ولا ينتفع بورقه في الاغتسال
وهو الضال وسدر له ثمرة توكل وهو النبق
ويغتسل بورقه والمراد بالاية الاول وقال قتادة
كان شجرهم خير الشجر فغيره الله تعالى شر الشجر تنبيه
قد بينت في شرح المنهاج على ان البا في الابدال و
التبديل والتبدل والاستبدال هل تدخل على
المتروك او على الماخوذ عند قول المنهاج ولو
ابدل ضادا بظا ذلك اي الجزا العظيم جزيناهم بالتبديل ع
بما لنا من العظمة بما كفروا اي غطوا الدليل
الواضح وهو ما جا به الرسل اذ روي انه بعث
اليهم ثلاثة عشر نبيا فكذبوهم وقيل بكفرانهم النعمة
وهل يجازي اي مثل هذا الجزا الذي هو على وجه
العقاب الا الكفور اي الا البليغ في الكفر وقال مجاهد
يجازي اي يعاقب ويقال في العقوبة يجازي وفي
بعض المثوبة يجزي قال الفرا المومن يجزي

و

ولا يجازي اي يجزي الثواب بعمله ولا يكافى
بسياته وقال بعضهم المجازاة تقال في
النقمة والجزا في النعمة لكن قوله تعالى ذلك
جزيناهم يدل على ان يجزي في النقمة
قال ابن عادل ولعل من قال ذلك اخذه
من المجازاة مفاعلة وهي في اكثر الامر تكون
ما بين اثنين يوجد من كل واحد جزا في حق
الاخر وفي النعمة لا تكون مجازاة لان الله
تعالى مبتدي بالنعم وقيل المومن تكفر
سياته بحسناته والكافر يحبط عمله فيجازي
بجميع ما يفعله من السو ولقايل ان يقول
لم قيل وهل يجازي الا الكفور على اختصاص
الكفر بالجزا والجزا عام للمومن والكافر لانه لم
يرد الجزا العام وانما اراد الخاص وهو العقاب
بل لا يجوز ان يراد العموم وليس بموضعه
الا انك لو قلت جزيناهم بما كفروا وهل يجازي
الا الكافر والمومن لم يصح ولم يسد كلاما
فتبين انه تخييل من السواك معتمل اوان
الصحيح الذي لا يجوز غيره ما جا عليه

كلام الله تعالى الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه وقرا حمزة والكسائي وحفص
بالنون مضمومة وكسر الزاي الكفور بالنصب
والباقون بالياء مضمومة ونصب الزاي
الكفور بالرفع ولما تم الخبر عن الجنان التي
هي القوام نعمة ونقمة اتبعه مواضع السكان
بقوله تعالى وجعلنا اي بما لنا من العظمة بينهم
اي بين سبا وهم باليمن وبين القرى التي باركنا
فيها اي بالتوسعة على اهلها بالما والشجر
وغيرهما وهي قرى الشام التي يسيرون
اليها للتجارة قرى ظاهرة اي متواصلة
من اليمن الى الشام وقدرنا فيها السير
اي بحيث يقيلون في واحدة ويبيتون
في اخرى الى انتهاء سفرهم ولا يحتاجون
فيه الى حمل زاد وما من سبا الى الشام
فلا يحملون شيئا مما جرت به عوائد
السفار فكان سيرهم في الغدو والرواح
على قدر نصف يوم فاذا ساروا نصف
يوم وصلوا الى قرية ذات مياه واشجار

وقال

وقال قتادة كانت المراة تخرج ومعها
مغزلها وعلى راسها مكتلها فتمتهن بمغزلها
فلا تاتي بيتها حتى يمتلي مكتلها من الثمار
فكان ما بين اليمن والشام كذلك فهي حقيقة
بان يقال لاهلها والنازلين بها على سبيل
الامتنان بلسان القال او الحال سيروا ودل
على تقاربها جدا قوله تعالى فيها ودل على
كثرتها وطول مسافتها وصلاحيتها المسير
اي وقت اريد مقدما بما هو اول على الامن
واعدل للسير في البلاد الحارة بقوله تعالى
ليالي واشار الى كثرة الظلال والرطوبة
والاعتدال الذي يمكن معه السير في جميع
النهار بقوله تعالى واياما اي في اي وقت
شئتم ودل على عظم امانها في كل وقت بالنسبة
الى كل على امنين اي لا تخافون في ليل ونهار
وان طالت مدة سفركم فيها او سيروا
فيها ليالي اعماركم واياما اي لا تلقون فيها
الا الامن فلا تخافون عدوا ولا جوعا ولا
عطشا وقيل تسيرون فيه ان شيتم

Copyright © King Saud University

فيها ليالي واين شئتم اياما لعدم الخوف بخلاف
المواضع المخوفه فان بعضها يسلك ليله ليله
يعلم العدو بسيرهم وبعضهم يسلك نهار اليله
يقصدهم العدو واذا كان العدو وغير مجاهر
بالقصد والعداوة ولما انقضى الخبر عن هذه
الاوصاف التي تستدعي غاية الشكر لما فيها
من الالطاف دل على بطرهم للنعمة بها
بانهم جعلوها سببا للضجر والملال بقوله
تعالى فقالوا اي على اوجه الدعا ربنا بعد
بين اسفارنا اي الى الشام اي اجعلها
مفاوز ليتطاولوا فيها على الفقرا بركوب
الرواحل وتزود الازواد والما فبطروا النعمة
كبني اسرايل لما طلبوا الثوم والبصل
فاجابهم الله تعالى بتخريب القرى المتوسطة
وقرا ابن كثير وابو عمرو وهشام بتشديد
العين ولا الف قبلها فعل طلب والباقون
بالف قبل العين وتخفيف العين وقرا
بلفظ الخبر على انه شكوى منهم لبعد سفرهم
افراطا في الترفية وعدم الاعتداد بما

انعم

انعم الله تعالى عليهم فيه وظلموا اي عدوا النعمة
نقمة والاحسان اساءة انفسهم بالكفر فجعلنا
هم بما لنا من العظمة احاديث اي عبرة لمن
بعدهم يتحدث الناس بهم تعجبا وضرب مثل
فيقولون ذهبوا سبا وتفرقوا ايادي سبا
قال كثير

ايادي سبا يا عز ما كنت بعدكم
فلا يحل للعينين بعدك منظر

ومزقناهم كل ممزق اي فرقناهم في كل جهة
من البلاد كل التفريق قال الشعبي
لما غرقت قراهم تفرقوا في البلاد اما غسان
فلحقوا بالشام ومر الازد الى عمان وخزاعة
الى تهامة ومر خزيمة الى العراق والاوس
والخزرج ان في ذلك اي المذكور لايات اي عبر
ودلالات بينة جدا على قدرة الله تعالى
على التصرف فيما بين ايديهم وما خلفهم
من السما والارض بالايجاد والاعدام
للذوات والصفات بالخسف والمسخ فان
لا فرق بين خارق وخارق وعلى

بطرهم لتلك النعمة حين سلوها ودعوا بازالتها
دليل على ان الانسان ما دام حيا فهو في نعمة
يجب عليه شكرها كاينة ما كانت وان كان يراها
بلية لانه لما طبع عليه من القلق كثيرا ما يرى النعم
نقما واللذة الما ولذلك ختم الاية بالصبر وبصيغة
المبالغة بقوله تعالى لكل صبار على طاعة الله تعالى
وعن معصيته شكور لنعمه قال مقاتل يعني المومن
من هذه الامة صبور على البلا شكور للنعما قال
مطرف هو المومن اذا اعطى شكر واذا ابتلى صبر
وقرا قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس اي الذي هو
من البلس وهو ما لا خير عنده والابلاس وهو
الياس من كل خير ليكون ذلك ابلغ في التبكيت و
التوبيخ ظنه الكوفيون بتشديد الدال بعد الصاد
اي ظنه فيهم ظنا حيث قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين
الا عبادك ولا تجد اكثرهم شاكرين فصدق ظنه وحققه
بفعله ذلك بهم واتباعهم اياه والباقون بالتخفيف
اي صدق عليهم في ظنه بهم اي على اهل سبا كما قال اكثر
المفسرين حين راى انهماكهم في الشهوات والناس كلهم كما قاله
مجاهد اي حين راى اباهم ادم ضعيف العزم وما ركب فيهم

في

فيهم من الشهوة والغضب اوسع من الملايكة
اتجعل فيها من يفسد فيها فقال لاضلنهم
ولاغوينهم او الكفار ومنهم سبا كما قال
الجلال المحلي فاتبعوه اي بغاية الجهد بميل الطبع
الا فريقا من المومنين استثنا متصل على
قول مجاهد ومنقطع على قول غيره قال السدي
عن ابن عباس يعني المومنين كلهم لان المومنين
لم يتبعوه في اصل الدين وتقليلهم بالاضافة
الى الكفار او الا فريقا من فرق المومنين لما
لم يتبعوه في العصيان وهم المخلصون قال
ابن قتيبة ان ابليس لما سال النظرة فانظره
الله قال لاغوينهم ولاضلنهم لم يكن مستيقنا
وقت هذه المقالة ان ما قاله فيهم يتم
وانما قاله ظنا فلما اتبعوه واطاعوه صدق
عليهم ما ظنه فيهم ولما كان ذلك ربما
اوهم ان ابليس امرهم بنفسه نفاه بقوله
وما اي والحال انه ما كان اصلا له عليهم
اي الذين اتبعوه ولا غيرهم واغرق فيما هو

Copyright © King Saud University

الحق من النفي بقوله تعالى من سلطان اي تسلط
قاهر بشيء من الاشيا بوجه من الوجوه لانه مسلم
في كونه عبدا عاجزا مقهورا ذليلا خايفا مدحورا
قال القشيري هو مسلط ولو امكنه ان يضل
غيره امكنه ان يمسك على الهداية نفسه الا
اي لكن نحن سلطناه عليهم بسلطاننا وسكناه
قيادهم بقهرنا وعرضنا التمييز الذي هو
سبب العلم بالعلم فقال لنعلم اي بما لنا
من الغفلة من يومن اي يوجد الايمان لله
بالاخرة ليتعلق علمنا بذلك في عالم
الشهادة في حال تميزه تعلقا تقوم به
الحجة في مجاري عادة البشر كما كان متعلقا
به في عالم الغيب ممن هو منها اي الاخرة في شك
فهو لا يجد لها ايمانا اصلا لان الشك
ظرف له محيط به وانما استعار الاموضع
لكن اشارة الى انه مكنه تمكينا تاما صار به
كمن له سلطان حقيقي بنسبه قال
الرازي ان علم الله تعالى من الازل
الى

الى الابد محيط بكل معلوم وعلمه لا يتغير
وهو في كونه عالما لا يتغير ولكن يتغير تعلق
علمه فان العلم صفة شفة يظهر فيها كل ما في
نفس الامر فعلم الله تعالى في الازل ان العالم
سيوجد فاذا وجد علمه موجودا بذلك العلم
واذا عدم علمه معد وما كذلك المراة المصقولة
الصافية يظهر فيها صورة زيد ان قابلها ثم اذا
قابلها عمرو تظهر فيها صورته والمراة لا تتغير
في ذاتها ولا تبدلت في صفاتها وانما التغيير
في الخارجات وكذا هنا قوله تعالى الا لنعلم
اي يقع في العلم صدور الكفر من الكافر والايمان
من المومن وكان علمه في انه ليكفر زيد ويومن
عمرو وقال البغوي المعنى انا لنميز المومن
من الكافر واراد علم الوقوع والظهور وقد
كان معلوما عنده بالغيب وقوله تعالى
وربك اي المحسن اليك باخزاء الشيطان بنبوتك
واجتنابه عن امتك على كل شيء من المكلفين
وغيرهم حفيظ اي حافظا تم حفظ تحقيق
ذلك ان الله تعالى قادر على منع ابليس

Copyright © King Saud University

منهم عالم بما سيقع فالحفظ يدخل في مفهومه
العلم والقدرة اذ الجاهل بالشي لا يمكنه حفظه
ولا العاجز ولما بين تعالى حال الشاكرين
وحال الكافرين وذكرهم بما مضى عاد الى خطابهم
فقال تعالى لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قل اي يا اعلم الخلق باقامة هولا الذين اشركوا
ما لا يشك في حقارته من له ادنى مسكة
ادعوا الذين زعمتم اي انهم الهة كما تدعون الله
تعالى لا سيما في وقت الشدائد وحذف مفعولي
زعم وهما ضميرهم والهة تنبيها على استهجان
ذلك واستبعاده وليس المذكور في الاية
مفعولي زعمتم ولا قايما مقام المفعول
لفساد المعنى وبين حقارتهم بقوله تعالى
من دون الله اي الذي حاز جميع العظمة
والمعنى ادعوهم فيما همكم من جلب نفع او دفع
ضر لعلهم يستجيبون لكم ان صح دعواكم ثم
اجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب وانه لا
يقبل المكابرة فقال لا يملكون مثقال ذرة
من خير او شر في السموات ولا في الارض اي في امر
ما

ما وذكرهما للعموم العرفي اولان الهتهم بعضها
سماوية كالملايكة والكواكب وبعضها ارضية
كالاصنام اولان الاسباب القريبة للخير والشر
سماوية وارضية والجملة استيناف لبيان حالهم
ولما كان هذا ظاهرا في نفي الملك الخاص عن ثبوت
المشاركة نفى المشاركة ايضا بقوله تعالى موكدا تكذيبا
لهم فيما يدعونه وما لهم اي الالهة فيهما اي في السموات
والارض ولا فيهما واغرق في النفي بقوله تعالى من
شرك اي شركة لا خلقا ولا ملكا وما له اي الله
منهم واكد النفي باثبات الجار فقال من ظهير
اي معين على شي يريده من تدبير امرهما
وغيرهما فكيف يصح مع هذا العجز ان يدعوا
كما يدعى ويرجوا كما يرجى ويعبد كما يعبد
ولما كان قد بقي من اقسام النفع الشفاعة
وكان المقصود منها اثرها لا عينها نفاه بقوله
تعالى ولا تنفع الشفاعة عنده اي فلا تنفعهم
الشفاعة كما يزعمون اذ لا تنفع الشفاعة
عند الله الا لمن اذن له اي وقع منه اذن له على
لسان من شا من جنوده بواسطة واحدة

Copyright © King Saud University

او اكثر في ان يشفع في غيره وفي ان يشفع فيه غيره
وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي بضم الهمزة والباقون
بفتحها وقوله تعالى حتى اذا فزع عن قلوبهم غاية
لمفهوم الكلام من ان ثم انتظار الاذن وتوقفا
وتمهلا وفزعا من الراجين للشفاعة والشفعا
هل يوذن لهم او لا يوذن وانه لا يطلق الاذن
الا بعد ملي من الزمان وطول من التربص
ومثل هذه الحال دل عليه قوله عز من قايل
رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا
يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح والملايكة
صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال
صوابا كانه قيل يتوقعون ويتربصون مليا
فزعين ذهلين حتى اذا فزع عن قلوبهم اي
كشف الفزع عن قلوبهم اي كشف الفزع
عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة
يتكلم بها رب العزة في اطلاق الاذن قالوا
اي قال بعضهم لبعض ماذا قال ربكم
اي في الشفاعة ذاكرين صفة الاحسان يرجع
اليهم رجاوهم فتسكن بذلك قلوبهم قالوا
قال القول الحق اي انه الثابت الذي لا يمكن

ان

الذي لا يمكن ان يبدل بل يطابق الواقع فلا
يكون شي يخالفه وهو الاذن في الشفاعة
لمن ارتضى منهم وهم المومنون وهو العلي الكبير
اي ذو العلو فلا رتبة الا دون رتبته والكبريا
فليس لملك ولا نبي ان يتكلم ذلك اليوم الا باذنه
روى البخاري في التفسير عن ابي هريرة ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله
الامر في السما صوتت الملايكة باجنحتها
خضعانا لقوله كانه سلسلة على صفوان فاذا
فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا
الحق وهو العلي الكبير فيسمعها مسترق السمع
ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض ووصفه
سفيان بكفه فحرفها وبدد بين اصابعه
فيسمع الكلمة ويلقيها الى من تحته ثم يلقيها
الاخر الى من تحته حتى يلقيها على لسان
الساحر الكاهن او فربما ادركه الشهاب
قبل ان يلقيها وربما القاها قبل ان يدركه
فيكذب معها مائة كذبة فيقال اليس قد
قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا فيصدق

بتلك الكلمة التي من في السما وعن ابن مسعود قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله
ان يوحي بالامر تكلم بالوحي اخذت السما رجفة
او قال رعدة شديدة خوفا من الله تعالى فاذا
سمع بذلك اهل السموات صعقوا وخروا له سجدا
فيكون اول من يرفع راسه جبريل فيكلمه الله
من وحيه بما اراد ثم يمر جبريل على الملايكة
كلما مر بسما ساله ملايكتها ماذا قال ربنا
يا جبريل فيقول جبريل قال الحق وهو العلي
الكبير فيقولون كلهم مثل ما يقول جبريل فينتهي
جبريل بالوحي حيث امره الله تعالى وقال
مقاتل والكلبي والسدي كانت الفترة بين
عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام خمسماية
وخمسين وقيل ستماية سنة لم تسمع
الملايكة فيها وحيا فلما بعث الله تعالى محمدا صلى
الله عليه وسلم كلم جبريل عليه السلام
بالرسالة الى محمد صلى الله عليه وسلم فلما
سمعت الملايكة ظنوا انها الساعة لان محمدا
صلى الله عليه وسلم عند اهل السموات
من

من اشراط الساعة فصعقوا مما سمعوا خوفا
من قيام الساعة فلما انحدر جبريل جعل يمر
بكل سما فيكشف عنهم فيرفعون روسهم
ويقول بعضهم لبعض ماذا قال ربنا قالوا
الحق يعني الوحي وهو العلي الكبير وقال الحسن
وابن زيد حتى اذا كشف الفزع عن قلوب
المشركين عند نزول الموت اقامة للحجة عليهم
قالت لهم الملايكة ماذا قال ربكم في الدعا قالوا
الحق فاقروا به حيث لم ينفعهم الاقرار ولما
سلب تعالى عن شركايهم ان يملكوا شيا من
الاكوان واثبت جميع الملك له وحده امر نبيه
محمدا صلى الله عليه وسلم بما ان يقررهم بما
يلزم منه ذلك بقوله تعالى قل من يرزقكم من
السموات اي بالمطر والارض بالنبات وافرد
الارض لانهم لا يعلمون غيرها ثم امره الله تعالى
ان يتولى الاجابة بقوله قل الله اي ان لم يقولوا
رازقنا الله تعالى فقل انت رازقكم الله وذلك
للاشعار بانهم يقرون به بقلوبهم الا انهم
ربما ابوا ان يتكلموا به لان الذي

Copyright © King Saud University

تمكن من صدورهم من العناد وحب الشرك قد الجم
افواههم عن النطق بالحق مع علمهم بصحته ولانهم ان
لم يتفوهوا بان الله تعالى رازقهم لزمهم ان يقال لهم فما
لكم لا تعبدون من يرزقون وتوثرون عليه من لا
يقدر على الرزق الا ترى الى قوله تعالى قل من يرزقكم
من السما والارض امن يملك السمع والابصار حتى قال
فسيقولون الله ثم قال تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال
فكانهم كانوا يقرون بالسنتهم مرة ومرة يتلعثمون
عنادا وفرارا وحذارا من الزام الحجة ونحوه قوله
عز وجل قل من رب السموات والارض قل الله قل افتتخذ تم
من دونه اوليا لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا
وامره ان يقول لهم بعد الالزام والالجام الذي ان لم
يزد على اقرارهم بالسنتهم لم يتقاصر عنه وانا او اياكم
اي احد الفريقين من الذين يوحدون الرازق من
السموات والارض بالعبادة ومن الذين يشركون به
الجماد الذي لا يوصف بالقدرة لعلى هدى اي في متابعة
ما ينبغي ان يعمل مستعلين عليه او في ضلال عن الحق
مبين اي بين في نفسه داع الى كل احد
المعرفة انه ضلال وهذا هو ليس على طريق

الشك

الشك لانه صلى الله عليه وسلم لم يشك انه
على هدى ويقين وان الكفار على ضلال وانما
هذا الكلام جار على ما يخاطب به العرب من
استعمال الانصاف من محاوراتهم على سبيل
الفرض والتقدير وتسميه اهل البيان الاستدراج
وهو ان يذكر المخاطب امرا يسلمه وان كان بخلاف
ما يذكر حتى يصغي الى ما يلقيه اليه اذ لو بداه
بما يكره لم يصغ ونظيره قولهم اخزى الله الكاذب
مني ومنك ومثله قول حسان يريد رسول
الله صلى الله عليه وسلم وابو سفيان
اتهجوه ولست له بكفو فشركما لخيركما الفدا
فان ابي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقا
مع العلم لكل احد انه صلى الله عليه وسلم
خير خلق الله كلهم تنبيه ذكر تعالى في الهدى
كلمة على وفي الضلال كلمة في لان المهتدي كانه
مرتفع مطلع فذكر بكلمة التعالي فكانه مستقل
على فرس جواد يركضه حيث شا والضال
منغمس في الظلمة غريق فيها فاتى بكلمة
في فكانه منغمس في ظلام مرتبك فيه لا

Copyright © King Saud University

يدري اين يتوجه قال البغوي وقال بعضهم
او بمعنى الواو والالف فيه صلة كانه يقول وانا
واياكم لعلى هدى او في ضلال مبين يعني نحن
على الهدى وانتم في الضلال قل اي لهم لا
تسالون اي من سايل ما عما اجرمنا اي لا تواخذون
به ولا نسال اي في وقت من الاوقات من سايل ما
عما تعملون اي من الكفر والتكذيب وهذا داخل في
الانصاف وابلغ من التواضع حيث اسند والاجرام
الى انفسهم والعمل الى المخاطبين وقيل المراد بالاجرام
الصغاير والزلات التي لا تخلو منها مومن
وبالعمل الكفر والمعاصي العظام قل اي لهم
يجمع بيننا ربنا اي يوم القيمة ثم يفتح اي يحكم
بيننا بالحق اي الامر الثابت الذي لا يقدر احد
منا ولا منكم التخلف عنه وهو العدل والفصل
من غير ظلم ولا ميل فيدخل المحقين الجنة
والمبطلين النار وهو الفتاح اي الحاكم الفاصل
في القضايا المتعلقة البليغ لما انغلق فلا يقدر
احد على فتحه العليم اي البالغ العلم بكل دقيق
وجليل فلا تخفى عليه خافية قل اي لهم

اروني اي اعلموني الذين الحقتم به اي بالله شركا
اي في العبادة هل يخلقون وهل يرزقون وقوله
تعالى كلا اي لا يخلقون ولا يرزقون ردع لهم عن
مذهبهم بعد ما كسرهم بابطال المقايسة كما قال
ابراهيم عليه السلام اف لكم ولما تعبدون من دون
الله بعد ما حجهم وقد نبه على تفاحش غلطهم
بقوله بل هو الله العزيز اي الغالب على امره
الذي لا مثل له وكل شيء يحتاج اليه الحكيم اي المحكم
لكل ما يفعله فلا يستطيع احد نقض شي منه
فكيف يكون له شريك وانتم ترون ما ترونه
من هاتين الصفتين المنافيتين لكل تنبيه
في هذا الضمير وهو قولان احدهما انه ضمير
عايد الى الله تعالى اي ذلك الذي الحقتم به
شركا هو الله العزيز الحكيم صفتان والثاني
انه ضمير الامر والشان والله مبتدا والعزيز
الحكيم خبران والجملة خبر هو فان قيل ما معنى
قوله اروني وكان يراهم ويعرفهم اجيب
بانه اراد بذلك ان يريهم الخطا العظيم في
الحاق الشركا بالله ان يقاس على اعينهم

Copyright © King Saud University

سفه وبين اصنامهم ليطلعهم على لحالة القياس
اليه والاشراك به ولما بين تعالى مسئلة
التوحيد شرع في الرسالة بقوله تعالى وما
ارسلناك اي بعثناك الا كافة للناس اي الا رسالا
عاما شاملا لكل ما شمله ايجادنا حال من الناس
قدم للاهتمام وقول البيضاوي ولا يجوز
جعلها حالا من الناس اي لان تقدم حال
المجرور عليه كتقدم المجرور على الجار رده ابو
حيان بقوله هذا ذهب اليه الجمهور وقد
وذهب ابو علي وابن كيسان وابن برهان
وابن ملكون الى جوازه وهو الصحيح انتهى
وهذا هو الذي ينبغي اعتماده ويؤيده
قوله صلى الله عليه وسلم كان النبي
صلى الله عليه وسلم كان النبي يبعث
الى قومه خاصة وبعثت الى الناس
عامة ومن امثلة ابي علي زيد خير ما يكون
خير منك التقدير زيد خير منك خير ما
يكون وانشد
اذا المرء اعيته المطالب ناشئا

فطلبها

٤٢٠
٤١٧

فطلبها كهلا عليه شديد اي
فطلبتها عليه وانشد ايضا
تسليت طرا عنكم بعد بينكم بذكراكم حتى كانكم عندي
اي عنكم طرا وقيل انه حال من كاف ارسلناك
والمعنى الا جامعا للناس في الابلاغ والكافة
بمعنى الجامع والهاء فيه للمبالغة كهي في علامة
وراوية قال الزجاج وقيل ان كافة صفة
لمصدر محذوف تقديره الا ارسالة كافة
قال الزمخشري الا ارسالة عامة لهم محيطة
بهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها
احد منهم قال ابو حيان اما كافة بمعنى
عامة فالمنقول عن النحويين انها لا تكون
حالا ولم يتصرف فيها بغير ذلك فجعلها صفة
لمصدر محذوف خروج عما نقلوا ولا يحفظ
ايضا عما نقلوا استعمالها للموصوف المحذوف
قال البقاعي واما الجن فالامر مشهور اي انه
ارسل اليهم واما الملائكة فالدلائل على الارسال
اليهم في غاية الظهور اه وهذا هو اللائق
بعموم رسالته وان خالف في ذلك الجلال

Copyright © King Saud University

المحلي في شرحه على جمع الجوامع وفي عموم رسالته
صلى الله عليه وسلم فضيلة على جميع الانبيا فلان
كان داود عليه السلام افضل بطاعة الجبال له
والطير والحديد وسليمان عليه السلام بما ذكر فقد
فضل محمد صلى الله عليه وسلم نبينا بارساله للناس
كافة والحصا سبح في كفه والجبال امرت بالسير معه
ذهبا وفضة والحمرة شكت اليه اخذ فراخها وبيضها
والضب شهد له بالرسالة والجمل شكى اليه وسجد له
والاشجار اطاعته والاحجار سلمت عليه وانتثرت
بامره وغير ذلك مما لا يدخل تحت الحصر وانما ذكرت
ذلك تبركا بذكره صلى الله عليه وسلم وانا اسال الله
تعالى ان يشفع في وفي والدي وجميع احبابي
وبقية المسلمين ولما كانت البشارة هي الخبر الاول
الصادق السار وكان في ذكرها رد قولهم في الكذب
والجنون قال تعالى بشيرا اي مبشرا للمومنين بالجنة
ونذيرا اي منذرا للكافرين بالعذاب ولكن اكثر الناس
اي كفار مكة لا يعلمون فيحملهم جهلهم على مخالفتك ولما
سلب عنهم العلم المتعمد لنفيه بقوله تعالى معبرا
بصيغة المضارع الدال على ملازمة

التكرير

التكرير للاعلام بانه على سبيل الاستهزا لا
الارشاد ويقولون من فرط جهلهم معاقبة
ما يوعدون متى هذا الوعد اي البشارة والنذارة
في يوم الجمع وغيره فسموه وعدا زيادة في
الاستهزا ولما كان قول الجماعة اجدر بالقبول
وابعد عن الرد من قول الواحد اشار الى زيادة
جهلهم بقوله تعالى ان كنتم اي ايها النبي واتباعه
صادقين اي متمكنين في الصدق قل لكم اي ايها
الجامدون الاجلاف الذين لا يجوزون الممكنات
ولا يتدبرون ما وضح من الدلالات ميعاد
يوم اي لا يحتمل القول وصف عظمه لما ياتي
فيه لكم من العقاب سوا كان يوم الموت
كما قال الضحاك والبعث كما قاله الاكثر من
المفسرين لا تستاخرون اي لا يوجد تاخركم
عنه ساعة لان الاتي به عظيم القدرة محيط
العلم ولذلك قال ولا تستقدمون اي لا
يوجد تقدمكم لحظة فما دونها ولا تتمكنون
من طلب ذلك فان قيل كيف انطبق هذا
جوابا على سوالهم اجيب بانهم ما سالوا

Copyright © King Saud University

عن ذلك وهم منكرون له لا تعنتا لا استرشادا
فجا الجواب على طريق التهديد مطابقا لمجى
السوال على سبيل الانكار والتعنت وانهم
مرصدون بيوم يفاجيهم فلا يستطيعون
تاخرا عنه ولا تقدما عليه وقال الذين كفروا
موكدين قطعا للاطماع عن دعايهم لن نومن
اي نصدق ابدا وصرحوا بالمنزل عليه صلى الله
عليه وسلم بالبشارة فقالوا بهذا القران
اي وان جمع جميع الحكم والمقاصد المتضمنة
لبقية الكتب ولا بالذي بين يديه اي قبله من
الكتب التوراة والانجيل وغيرهما بل نحن
قانعون بما وجدنا عليه اباءنا وذلك لما روي
ان كفار مكة سالوا بعض اهل الكتاب
فاخبروهم ان صفة هذا النبي عندهم في كتبهم
فاغضبهم ذلك وقرنوا الى القران جميع من
تقدمه من كتب الله في الكفر فكفروا بها جميعا
وقيل الذي بين يديه يوم القيمة والمعنى انهم
جحدوا ان يكون القران من الله وان يكون
ما دل عليه من الاعادة للجزاء حقيقة

بل

عن عاقبة امرهم وما لهم في الاخراج فقال تعالى
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمخاطب
ولو اي والحال انهم لو ترى اي يوجد منك
رويا لحالهم اذ الظالمون اي الذين يضعون الاشيا
في غير محلها فيصدقون اباءهم بالاحسان بسببه
مكدر من غير دليل ولا يصدقون نعمهم
الذي لا نعمة عندهم ولا عند اباءهم الا منه موقوفون
اي بعد البعث بايدي جنوده او غيرها باليسر امر
منه عند ربهم اي في موضع المحاسبة يرجع بعضهم
اي على وجه الخصام عداوة كان سببها موادده
في الدنيا بطاعة بعضهم لبعض في معاصي الله
تعالى الى بعض القول اي بالملازمة والمباكتة
والمخاصمة تنبيه مفعول ترى وجواب
لو محذوف للفهم اي لو ترى حال الظالمين
وقت وقوفهم راجعا بعضهم الى بعض القول
لرايت حالا فظيعة وامرا منكرا ويرجع حال
من ضمير موقوفون والقول مفعول ترى
وجواب لو محذوف للفهم اي لو ترى
حال الظالمين وقت وقوفهم راجعا يرجع

بالملازمه

لانه متعدي قال تعالى فان رجعك الله وقوله
تعالى يقول الذين استضعفوا اي وقع استضعا
فهم ممن هو فوقهم في الدنيا وهم الاتباع في تلك
الحال على سبيل اللوم للذين استكبروا اي اوجدوا
الكبر وطبعوا بما وجد وامر انسابه التي
ادت الى استضعافهم للاولين وهم الروس
المتبوعون لولا انتم اي لولا اضلالكم وصدكم
ايانا عن الايمان لكنا مومنين اي باتباع الرسول
تفسير لقوله تعالى يرجع فلا محل قال ابن عادل
وانتم بعد لولا مبتدا على اصح المذاهب وهذا
هو الافصح اعني وقوع ضماير الرفع بعد لولا
اي وغيره منصح خلافا للمبرد حيث جعل
خلاف هذا لحنا وان لم يرد الا في قول
زياد وكم موطن لولاي والاقيس جعل انه
ضمير نصب اوجر قام ضمير الرفع وسيبويه — مقام
جعله ضمير جر ولما لم يتضمن كلامهم
سوى قضية واحدة ذكر الجواب عنه
بقوله تعالى قال الذين استكبروا على طريق
الاستيناف للذين استضعفوا ردا عليهم

و

وانكارا لقولهم انهم هم الذين صدوهم انحن
خاصة صددناكم اي منعناكم وصددناكم عن
الهدى بعد اذ جاكم اي على السنة الرسل لم ينفع
ذلك لان المنافع ينبغي ان يكون ارجح من المقتضي
حتى يعمل عمله والذي جا به الرسل هو الهدى
والذي صدر من المستكبرين لم يكن شيا
يوجب الامتناع من قبول ما جاوا به فلم
يصح تعلقكم بالمنافع وقرا نافع وابن كثير
وابن ذكوان وعاصم باظهار الذال عند الجيم
والباقون بالادغام وامال الالف بعد الجيم
حمزة وابن ذكوان وفتحها الباقون وكذا
الاظهار والادغام في اذ تامروننا واذا وقف
حمزة على جاكم سهل الهمزة مع المد والقصر
وله ايضا ابدالها الفا مع المد والقصر بل كنتم
اي جبلة وخلقا مجرمين اي كافرين لاختياركم
لا لقولنا وتسويلنا فان قيل اذ واذا من
الظروف اللازمة للظرفية فلم وقعت اذ
مضافا اليها اجيب بانه قد اتسع في الزمان
ما لم يتسع في غيره فاضيف اليها الزمان

كما اضيف الى الجمل في قولك حينئذ وعدا اذ جاء زيد و
حج ويومئذ ولما انكر المستكبرين بقولهم انحن صددناكم
ان يكونوا هم السبب في كفر المستضعفين واثبتوا
بقولهم بل كنتم مجرمين ان ذلك بكسبهم واختيارهم كرر
عليهم المستضعفون كما قال تعالى وقال الذين استضعفوا
للذين استكبروا ردا لانكارهم صدهم بل الصاد
لنا مكر الليل والنهار اي الواقع فيهما من مكركم فابطلوا
اضرابهم باضرابهم كانهم قالوا ما الاجرام من جهتنا
بل من جهة مكركم بنا ليلا ونهارا اذ تامروننا ان نكفر
بالله اي الملك الاعظم بالاستمرار على ما كنا عليه
قبل اتيان الرسل ونجعل له اندادا اي شركا نعبدهم
من دونه فان قيل قال الذين استكبروا بغير عاطف
وقيل وقال الذين استضعفوا اجيب بان الذين
استضعفوا مر اولا كلامهم فجي بالجواب محذوف العاطف
على طريق الاستيناف ثم جي بكلام اخر للمستضعفين
فعطف على كلامهم الاول تنبيه يجوز في مكر رفع من
ثلاثة اوجه احدها الفاعلية تقديره بل صدنا
مكركم في هذين الوقتين كما مر الثاني ان يكون مبتدا
خبره محذوف اي مكر الليل صدنا الثالث

اي مكر الليل صدنا الثالث العكس اي سبب
كفركم مكركم واضافة المكر الى الليل والنهار
اما على الاسناد المجازي كقولهم ليل ماكر
والعرب تضيف الفعل الى الليل والنهار
على توسع الكلام كقول الشاعر ح
ونمت وما ليل المطي بنايم فيكون مصدر
مضاف لمرفوعه واما على الاتساع في الظرف
فجعل كالمفعول به فيكون مصدر المفعوله
قال ابن عادل وهذا احسن من قول من قال
ان الاضافة بمعنى في اي مكر في الليل لان ذلك
لم يثبت في محل النزاع وقيل مكر الليل والنهار
طول السلامة وطول الامل فيهما كقوله تعالى
فطال عليهم الامد فقست قلوبهم تنبيه
قوله تعالى اولا يرجع بعضهم الى بعض القول
يقول الذين استضعفوا بلفظ المستقبل
وقوله تعالى في الايتين الاخيرتين وقال الذين
استكبروا وقال الذين استضعفوا
بلفظ الماضي مع ان السوال والمراجعة
في القول لم يقع اشار به الى ان ذلك

Copyright © King Saud University

لابد من وقوعه فان الامر الواجب الوقوع كانه
وقع كقوله تعالى انك ميت وانهم ميتون
واما الاستقبال فعلى الاصل **واسروا** اي
الفريقان **الندامة** من المستكبرين والمستضعفين
وهم الظالمون في قوله تعالى اذ الظالمون موقوفون
يندم المستكبرين على اضلالهم واتباعهم المضلين
لما اي حين **راوا العذاب** اي حين اخفاها كل
عن رفيقه مخافة التعيير وقيل معنى
الاسرار الاظهار وهو من الاضداد اي اظهروا
الندامة قال ابن عادل ويحتمل ان يقال
انهم لما تراجعوا في القول رجعوا الى الله تعالى
بقولهم ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا
واجيبوا بان الامر دونكم فاسروا ذلك القول
وقوله تعالى **وجعلنا الاغلال** اي الجوامع التي تغل
اليد الى العنق **في اعناق الذين كفروا** يعم
الاتباع والمتبوعين جميعا وكان الاصل
في اعناقهم ولكن جا بالظاهر تنويها بذمهم وللدلالة
على ما استحقوا به الاغلال وهذه اشارة الى
كيفية عذابهم **هل يجزون** اي بهذه الاغلال **الا ما**
اي

اي الاجزاء ما **كانوا يعملون** اي بسبيل التجديد والاستمرار
ولما كان في هذا التسلية اخروية للنبي صلى الله عليه
وسلم اتبعه التسلية الدنيوية بقوله تعالى
وما ارسلنا اي بعظمتنا **في قرية** واكد النفي بقوله
تعالى **من نذير الا قال مترفوها** اي رؤساوها
الذين لا شغل لهم الا التنعم بالفاني حتى
البسهم البغي والطغيان ولذلك قالوا الرسلهم
انا بما ارسلتم اي ايها المنذرون **كافرون** اي
واذا قال المترفون ذلك تبعهم المستضعفون
وقالوا اي المترفون ايضا متفاخرين **نحن اكثر**
اموالا واولادا اي في هذه الدنيا ولو لم يرض
منا ما نحن عليه ما رزقنا ذلك فاعتقدوا
انهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم لان
المومنين نهانوا عنه لما حرمهم فعلى قياسهم
ذلك قالوا **وما نحن بمعذبين** ان الله تعالى
قد احسن الينا في الدنيا بالمال والولد
فلا يعذبنا في الاخرة ثم ان الله سبحانه
وتعالى بين خطاهم بقوله تعالى لنبيه صلى
الله عليه وسلم **قل** اي لهم **ان ربي**

Copyright © King Saud University

اي المحسن اليه بالانعام بالسعادة الباقية يبسط
الرزق اي يوسعه في كل وقت اراده بالاموال
والاولاد وغيرهما لمن يشا امتحانا ويقدر اي يضيقه
لمن يشا ابتلا بدليل مقابلته بيبسط وهذا
هو الطباق البديعي فالرزق في الدنيا لا تدل سعته
على رضى الله تعالى عنه ولا ضيقه على سخطه
فربما وسع على العاصي وضيق على المطيع
وربما عكس وربما وسع عليهما وضيق عليهما
وكم من موسر شقي وكم من معسر تقي ولكن
اكثر الناس اي كفار مكة لا يعلمون اي ليس لهم
علم ليتدبروا به ما ذكرنا من الامر فيعلمون
انه ليس كل موسع عليه في دنياه سعيد
في عقباه ولا كل مضيق عليه في دنياه شقيا
ثم بين تعالى فسادا استدلالهم بقوله
سبحانه وتعالى وما اموالكم اي ايها الخلق
الذي انتم من جملتهم وان كثرت وكرر النا
في تصريحا بابطال كل على حياله فقال
ولا اولادكم كذلك بالتي اي بالاموال
والاولاد التي تقربكم عندنا اي على ما الناس

العظمة

العظمة زلفى اي درجة عليه وقربة مكنية تنبيه
قوله تعالى بالتي تقربكم صفة للاموال والاولاد
كا تقرر ان الجمع التكسير غير العاقل يعامل معاملة
المونثة الواحدة وقال الفرا والزجاج انه حذف
من الاول لدلالة الثاني عليه قالا والتقدير وما
اموالكم بالتي تقربكم عندنا زلفى ولا اولادكم بالتي
تقربكم ولا حاجة الى هذا ونقل عن الفرا ما تقدم
من ان التي صفة للاموال والاولاد معا وهو
الصحيح وجعل الزمخشري التي صفة لموصوف
محذوف قال ويجوز ان تكون هي التقوى وهي
المقربة عند الله تعالى زلفى وحدها اي ليست
اموالكم ولا اولادكم بتلك الصفة الموصوفة
عند الله بالتقريب قال ابو حيان ولا حاجة
الى هذا الموصوف اهـ وزلفى مصدر من معنى
الاول اذ التقدير تقربكم قربى وقال الاخفش
زلفى اسم مصدر كانه قال بالتي تقربكم
عندنا تقربا واما لها حمزة والكساي محضة
وابو عمرو بين بين وورش بالفتح وبين اللفظين
والباقون بالفتح وقوله تعالى الا من امن وعمل

Copyright © King Saud University

اي تصديقا لايمانه على ذكر الاساس صالحا استثنا
من مفعول تقربكم اي الاموال والاولاد لا
تقرب احدا الا المومن الصالح الذي ينفق ماله في
سبيل الله ويعلم ولده الخير ويربيه على الصلاح
او من اموالكم واولادكم على حذف المضاف اي
الاموال واولاد من امن وعمل صالحا فاوليك
اي العالوا الرتبة لهم جزا الضعف اي ان ياخذوا
جزاهم مضاعفا في نفسه من عشرة امثال
الي ما لا نهاية له بما عملوا فان اعمالهم ثابتة محفوظ
باساس الايمان ثم زاد وقال تعالى وهم في الغرفات
اي العلالي المبنية فوق البيوت في الجنات زيادة
على ذلك امنون اي ثابت ايمانهم دايما لا خوف عليهم في
شي من بلايا اصلا واما غيرهم وهم المرادون
بما بعده فاموالهم واولادهم وبال عليهم وقرا حمزة سكون
الرا ولا الف بعد الفا على التوحيد على ارادة الجنس ولعدم
اللبس لانه معلوم ان لكل احد غرفة تخصه وقد اجمع
على التوحيد في قوله تعالى يجزون الغرفة ولان لفظ
الواحد اخف فوضع موضع الجمع مع امن اللبس
والباقون بضم الرا والف بعد الفا على الجمع

الجمع جمع سلامة وقد اجمع على الجمع في قوله تعالى
لنبوينهم من الجنة غرفا ثم بين حال المسي
وهو من يبعده ماله وولده من الله تعالى بقوله
تعالى والذين يسعون اي يجدون الشقي من غير
توبة باموالهم واولادهم في بطال اياتنا اي
حججنا على ما لها من عظمة الانتساب الينا
معجزين اي طالبين تعجيزنا الى تعجيز الاتيين
بها عن انفاذ مرادهم بها بما يلقون من
الشبه ليضلون غيرهم بما اوسعنا عليهم
واعززناهم به من الاموال والاولاد اوليك
اي هولا البعدا البغضا في العذاب اي مزيل
للعذوبة محضرون اي تحضرهم فيه الموكلون
بهم من جندنا على اهون وجه واسهله
قل اي يا اشرف الخلق لجميع الخلق ومنهم
هاولا ان ربي اي المحسن اليك بهذا البيان
وغيره يبسط الرزق اي يوسعه لمن يشا
متى شا من عباده امتحانا ويقدر اي
يضيقه له بعد البسط ابتلا قال البيضاوي
فهذا في شخص واحد باعتبار وقتين

وماسبق في شخصين فلا تكرار ولما بين بهذا البسط ان فعله بالاختيار بعد ان بين بالاول كذبهم في انه سبب السلامة من النار دل على انه الفاعل لا غيره بقوله تعالى **وما انفقتم من شي فهو يخلفه** اي فهو يعوضه لا معوض سواه اما عاجلا بالمال او بالقناعة التي هي كنز لا ينفد واما اجلا بالثواب الذي كل خلف دونه وعن سعيد بن جبير ما كان في غير اسراف ولا تقتير فهو يخلفه وعن الكلبي ما تصدقتم من صدقة وانفقتم في خير من نفقة فهو يخلفه على المنفق اما ان يعجل له في الدنيا واما ان يدخر له في الاخرة وعن مجاهد من كان عنده من هذا المال ما يقيمه فليقتصد فان الرزق مقسوم ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع ما في يده ثم يبقى في طول عمره في فقر ولا يتاول وما انفقتم من شي فهو يخلفه فان هذا في الاخرة ومعنى الاية وما كان من خلف فهو منه ودل ذلك على انه مختص بالاخلاف لانه ضمن الاخلاف لكل ما ينفق على اي وجه

كان

كان وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى انفق ينفق عليك ولمسلم يا ابن ادم انفق ينفق عليك وعن ابي هريرة ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان يقولان يقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الاخر اللهم اعط ممسكا تلفا وعنه ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نقصت احدا صدقة من مال وما زاد الله رجلا بعفو الا عزا وما تواضع احد لله الا رفعه الله عز وجل وعن عبد الحميد ابن الحسن الهلالي انبانا محمد بن المنكدر عن جابر ابن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وكل ما انفق الرجل على نفسه واهله كتب له صدقة وما وقى به الرجل عرضه كتب له بها صدقة قلت ما معنى وقى به قال ما اعطى الشاعر وذا اللسان المتقي وما انفق المومن من نفقة فعلى الله خلفها ضامنا الا ما كان من نفقة في بنيان او معصية الله عز وجل قوله قلت ما معنى يقول عبد الحميد

لمحمد بن المنكدر وهو خير الرازقين فان قيل قوله تعالى
خير الرازقين ينبئ عن كثرة الرازقين ولا رازق الا
الله تعالى اجيب بان الله تعالى هو خير الرازقين الذين
يغذونهم هذا الغذا ممن يقيمهم الله تعالى فيصنعون
الرزق اليهم لان كل من يرزق غيره من سلطان
يرزق جنده او سيد يرزق عبده او رجل يرزق
عياله فهو واسطة لا يقدر الا على ما قدره
واما هو سبحانه وتعالى فهو يوجد المعدوم
ويرزق من يطيعه ومن يعصيه ولا يضيق رزقه
باحد ولا يشغله فيه احد عن احد وعن
بعضهم الحمد لله الذي اوجدني وجعلني ممن يشتهي
فكم من مشته لا يجد وكم واجد لا يشتهي وقرا ابو عمرو
وقالون والكسائي فهو يخلفه وهو بسكون الها والباقون
بالضم ولما بين تعالى ان حال النبي صلى الله عليه
وسلم كحال من تقدمه من الانبيا وحال قومه كحال
من تقدم من الكفار وبين بطلان استدلالهم بكثرة
اموالهم واولادهم بين ما يكون عاقبة حالهم بقوله
تعالى ويوم نحشرهم اي نجمعهم جمعا بكره بعد البعث
وعم التابع والمتبوع بقوله تعالى جميعا فلم نغادر
منهم

منهم احدا وقرا حفص يحشرهم ثم يقول باليا والبا قون
بالنون ولما كانت مواقف الحشر طويلة وزلازله مواقف
مهولة قال تعالى ثم نقول للملائكة
اي توبيخا للكافرين واقناطا مما يرجون منهم
من الشفاعة اهؤلاء اي الضالون واشار
الى انه لا ينفع من العبادة الا ما كان خالصا
بقوله تعالى اياكم اي خاصة كانوا يعبدون
فهذا الكلام خطاب للملائكة وتقريع للكفار
وارد على المثل السائر اياك اعني واسمعي
يا جارة ونحوه قوله عز وجل أأنت قلت للناس
اتخذوني وامي الهين من دون الله وقد علم
سبحانه كون الملائكة وعيسى منزهين برا
مما وجه عليهم من السؤال الوارد على طريق
التقرير والغرض ان يقول ويقولوا ويسال
ويجيبوا فيكون تقريعهم اشد وتعييرهم
ابلغ وخجلهم اعظم ولذلك قالوا اي الملائكة
متبرئين منهم ملتجئين بالتنزيه خضوعا
بين يدي الجبار خوفا سبحانك تنزهك تنزيها
يليق بجلالك عن ان يستحق غيرك ان يعبد

Copyright © King Saud University

انت ولينا اي معبودنا الذي لا وصلة بيننا وبين احد الابا من دونهم اي ليس بيننا وبينهم ولاية بل عداوة وكذا كل من تقرب الى شخص بمعصية الله تعالى فانه يقسي الله تعالى قلبه عليه ويبغضه فيه فيجافيه ويعاديه ثم اضربوا عن ذلك ونفوا انهم عبدوهم على الحقيقة بقولهم بل كانوا يعبدون الجن اي ابليس وذريته الذين زينوا لهم عبادتنا من غير رضانا بذلك وكانوا يدخلون في اجواف الاصنام ويخاطبونهم ويستجيرون بهم في الاماكن المخوفة ومن هذا القسم عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد القطيفة وقيل صورت الشياطين صورة قوم من الجن وقالوا هذه صور الجن فاعبدوها ثم استانفوا قولهم اكثرهم اي الانس بهم اي الجن مومنون اي راسخون في الاشراك لا يقصدون بعبادتهم غيرهم وقيل الضمير الاول للمشركين والاكثر بمعنى الكل وقيل منهم من يقصد بعبادته بتزيين غيرهم وهم مع ذلك يصدقون ما يرد عليهم من اخبارات الجن

على

على السنة الكهان وغيرهم مع ما ترون فيها من الكذب في كثير من الاوقات ولما بطلت تمسكاتهم وتقطعت تعلقاتهم تسبب عن ذلك تعريفهم الناشي عن تنديمهم بقوله تعالى بلسان العظمة فاليوم اي يوم مخاطبتهم بهذا التبكيت وهو يوم الحشر لا يملك اي شيا من الملك بعضكم لبعض اي من المقربين والمبعدين نفعا ولا ضرا بل تنقطع الاسباب التي كانت في دار التكليف من دار الجزا التي المقصود فيها تمام اظهار العظمة لله وحده على اتم الوجوه فان قيل قوله تعالى نفعا مفيد للحسرة فما فايدة ذكر الضر مع انهم لو كانوا يملكون الضر لما نفع الكافرين ذلك اجيب بان العبارة لما كانت تقع لدفع ضرر المعبود كما يعبد الجبار ويكرم مخافة شره بين انه ليس فيهم ذلك الوجه الذي يحسن لاجله عبادتهم وقوله تعالى ونقول اي في ذلك الحال من غير امهال للذين ظلموا اي بوضع العبادة في غير موضعها عند ادخالهم النار ذوقوا عذاب النار التي كنتم اي جبلة وطبعا

Copyright © King Saud University

بها تكذبون عطف على يملك فبين المقصود من
تمهيده فان قيل قوله هاهنا التي كنتم بها
صفة للنار وفي السجدة وصف العذاب
فجعل المكذب هنا النار وجعل المكذب في
السجدة العذاب وهم كانوا يكذبون بالكل
فما فايدته اجيب بانهم كانوا متلبسين
بالعذاب مترددين فيه بدليل قوله تعالى
كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل
لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون
فوصف لهم ما لابسوه وهنا لم يلابسوه بعد
لانه عقب حشرهم وسوالهم فهو اول ما
راوا النار فقيل لهم هذه النار التي كنتم بها
تكذبون واذا تتلى عليهم اي في اي وقت
من الاوقات من اي تال كان اياتنا اي من القران
حتى حال كونها بينات اي واضحات بلسان
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قالوا ما هذا
يعنون محمد صلى الله عليه وسلم الا رجل
اي مع كونه واحد هو مثل واحد من رجالكم
وتريدون انه علية بالكثرة يريد ان يصدكم
بهذا

بهذا الذي يتلوه عما كان يعبد اباوكم من الاصنام
اي لا قصد له الا ذلك لتكونوا له اتباعا فعارضوا
البرهان بالتقليد وقالوا ما هذا اي القران وقيل
القول بالوحدانية الا افك اي كذب مصروف
عن وجهه مفترى باضافته الى الله تعالى كقوله
تعالى في حقه افكا الهة دون الله تريدون
وكقولهم للرسول اجيتنا لتافكنا عن الهتنا
وقال الذين كفروا اي ستروا ما دلت عليه العقول
من جهة القران للحق اي لا ثبت منه باعتبار
كمال الحقية فيه لما جاءهم من غير نظر ولا تامل
ان اي ما هذا اي الثابت الذي لا اثبت منه
الا سحر اي خيال لا حقيقة له مبين اي ظاهر
قال ابن عادل وهذا انكار للتوحيد وكان
مختصا بالمشركين واما انكار القران والمعجز
فكان متفقا عليه بين المشركين واهل الكتاب
فقال تعالى وقال الذين كفروا على العموم اه
ولم يحملهم على ذلك الا الحظوظ النفسانية والعلة
الشهوانية قال الطفيل بن عمرو الدوسي ذو النور
لقد اكثروا علي في امره صلى الله عليه وسلم

Copyright © King Saud University

حتى حسوت في اذني ما الكرفس خوفا من ان يخلص
اليّ شيء من كلامهم فيفتنني ثم اراد الله تعالى الخير
فقلت واثكل امي انا والله للبيب عاقل شاعر ولي
معرفة بنعت الكلام من سيئه فما لي لا اسمع منه
فان كان حقا اتبعته وان كان باطلا كنت منه على بصيرة
او كما قال قال فقصدت النبي صلى الله عليه وسلم
فقلت اعرض علي ما جيت به فلما عرضه علي
بابي وامي ما سمعت قولا قط هو احسن منه
ولا امرا اعدل منه فما توقفت في ان اسلمت ثم
سال النبي صلى الله عليه وسلم في ان يدعوا
الله في ان يعطيه اية يعينه بها على قومه فلما
اشرف على حاضر قومه كان له نور في جبهته فخشي
ان يظنوا انها مثلة فدعا بتحويله فتحول في طرف سوطه
فاعانه الله تعالى على قومه فاسلموا التنبيه في تكرير
الفعل وهو قال والتصريح بذكر الكفر وما في لام
الذين والحق من الاشارة الى القايلين والمقول فيه وما
في لما من المفاجاة الى البيت تمهيد للقول انكار
عظيم للقول وتعجب بليغ منه ولما بارز والهذا
القول من غير اثارة من علم ولا خبر من سمع

سمع بين ذلك بقوله تعالى وما اي قالوا ذلك
والحال انا ما اتيناهم اي هولا العرب من كتب
اصلا لانهم لم ينزل عليهم قط قبل القران كتاب
واتى بصيغة الجمع مع تاكيد النفي قبل كتابك
الجامع يدرسونها اي يجددون دراستها كل حين
فيها دليل على صحة الاشراك وما ارسلنا اي ارسالا
اي ارسالا لاشبهة فيه لمناسبتنا لنا من العظمة
اليهم اي خاصة بمعنى ان ذلك الرسول ماموز بهم
باعيانهم فهم مقصودون بالذات لانهم داخلون
في عموم او مقصودون من باب الامر بالمعروف
في جميع الزمان الذي قبلك اي قبل رسالتك
الجامعة لكل رسالة من نذير اي ليكون عندهم
قول منه يدعوهم الى الاشراك او ينذرهم على تركه
وهذا في غاية التجهيل لهم والتسفيه لرايهم
ثم هددهم بقوله وكذب الذين من قبلهم اي من قوم
نوح ومن بعدهم بادروا الى ما بادروا اليه
ماولا من التكذيب كان في طباعهم لما عندهم
من الجلافة والكبر وما بلغوا اي هولا معشار
ما اتيناهم اي عشرا صغيرا مما اتينا اوليك

Copyright © King Saud University

من القوة في الابدان والاموال والمكنة في كل شيء من
العقول وطول الاعمار والخلو من الشواغل **فكذبوا**
اي بسبب ما طبعوا عليه من العناد **رسلي**
اليهم **فكيف كان نكير** اي انكاري على المكذبين
لرسلي بالعقوبة والاهلاك اي هو واقع موقعه
فليحذرها ولامن مثله ولا تكرير في كذب لان
الاول للتكثير اي فعلوا التكذيب كثيرا فكان
سببا لتكذيب الرسل والثاني للتكذيب او
الاول مطلق والثاني مقيد ولذلك عطف
عليه **قل انما اعظكم** اي ارشدكم وانصح لكم
بواحدة اي بخصلة واحدة هي **ان تقوموا** اي
توجهوا نفوسكم الى تعرف الحق وعبر بالقيام
اشارة الى الاجتهاد **لله** اي الذي لا اعظم منه
على وجه الاخلاص واستحضار ما له من العظمة
بما له لديكم من الاحسان لا لارادة المغالبة
حال كونكم **مثنى** اي اثنين اثنين قال البقاعي
وقدمه اشارة الى ان غلب الناس ناقص العقل
وفرادى اي واحدا واحدا من وثق بنفسه
في رصانة عقله واصابة رايه قام وحده
ليكون

ليكون اصفى لسره واعون على خلوص فكره ومن
خاف عليها ضم اليه اخر ليذكره اذا نسي ويقومه
اذا زاغ فلم يذكر غيرهما من الاقسام لان الازدحام
يشوش الخاطر ويخلط القول ولما كان ما طلب
منهم هذا لاجله عظيما جديرا بان يهتم له
هذا الاهتمام اشار اليه باداة التراخي بقوله تعالى
ثم تتفكروا اي في امر محمد صلى الله عليه وسلم
وما جاء به ليعلموا حقيقته **ما بصاحبكم** اي رسولكم
الذي ارسل اليكم وهو محمد صلى الله عليه وسلم
من جنة اي جنون يحمله على ذلك **ان** اي ما **هو**
اي المحدث عنه بعينه **الا نذير** اي خالصا انذاره
لكم بين يدي اي قبل حلول **عذاب شديد**
اي في الاخرة ان عصيتموه روى البخاري عن
ابن عباس انه قال صعد رسول الله صلى
الله عليه وسلم الصفا ذات يوم فقال يا
صباحاه فاجتمعت اليه قريش فقالوا ما لك
فقال ارايتم لو اخبرتكم ان العدو يصبحكم او
يمسيكم اما كنتم تصدقوني قالوا بلى قال فاني
نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب

Copyright © King Saud University

تباً لك الهذا جمعتنا فانزل الله تعالى تبت يدي ابي لهب
وتب ولما انتفى عنه بهذا ما يتخيلون به نفي
امكان ان يكون لغرض امر دنيوي فنفاه بقوله
تعالى قل اي لهم يا اشرف الخلق ما اي مهما
سالتكم من اجر اي على دعائي لكم من الانذار
والتبليغ فهو لكم اي لا اريد منه شيئا وهو كناية
عن اني اسالكم على دعائي لكم الى الله تعالى اجرا
اصلا بوجه من الوجوه فاذا ثبت ان الدعا
ليس لغرض دنيوي وان الداعي ارجح الناس عقلا
ثبت ان الذي حمله على تعريض نفسه لتلك
الاخطار العظيمة انما هو امر الله الذي له الامر
كله ان اي ما اجري اي ثوابي الا على الله اي الذي
لا اعظم منه فلا ينبغي لذي همة ان يطلب شيئا الا
من عنده وهو اي والحال انه على كل شي شهيد
اي حفيظ مهيمن تام العلم باحوالي فيعلم
صدقي وخلوص نيتي وقرا نافع وابو عمرو وابن
عامر وحفص اجري في الوصل بفتح اليا
والباقون بالسكون قل اي لمن انكر التوحيد
والرسالة ولحشر ان ربي اي المحسن الي

بانواع

بانواع الاحسان يقذف بالحق اي يلقيه الى
انبيائه او يرمي به الباطل الى اقطار الافاق فيكون
وعدا باظهار الاسلام وافشائه علام الغيوب
اي ما غاب عن خلقه في السموات والارض تنبيه
في رفع علام اوجه اظهرها انه خبر ثان لان او خبر
مبتدا مضمر او بدل من الضمير في يقذف وقال
الزمخشري رفع محمول على محل ان واسمها
الدقت الا ان ذلك ليس مذهب البصريين
لانهم لم يعتبروا المحل الا في العطف بالحرف بشروط
عند بعضهم ويريد بالحمل على الضمير في يقذف انه
بدل منه لا انه نعت له لان ذلك انفرد به الكسائي
وقرا حمزة وشعبة بكسر الغين والباقون بالضم
قل لهو لا جا الحق اي الاسلام وقيل القران
وقيل كلما ظهر على لسان النبي صلى الله
عليه وسلم وقيل المراد من جا الحق اي
ظهر الحق لان كل ما جا فقد ظهر واكد تكذيب
لهم في ظنهم انهم يغلبون بقوله تعالى وما اي والحال
انه ما يبدي الباطل اي الذي انتم عليه من الكفر
يعيد اي ذهب فلم تبق منه بقية ماخوذ

من هلاك الحي فانه اذا هلك لم يبق له ابدا ولا
اعادة فجعلوا قولهم لايبدي ولا يعيد مثلا
في الهلاك ومنه قول عبيد
اقفر من اهله عبيد اصبح لايبدي ولا يعيد
والمعنى جا الحق وهلك الباطل كقوله تعالى
جا الحق وزهق الباطل وعن ابن مسعود دخل
النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول البيت
ستماية وستون صنما فجعل يطعنها بعود ويقول
جا الحق ومايبدي الباطل ومايعيد جا الحق
وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وقيل
الباطل ابليس اي ماينشي خلقا ولا يعيده
المنشي والباعث هو الله تعالى وعن
الحسن لايبدي لاهله خيرا ولا يعيده
اي لاينفعهم في الدنيا والاخرة وقال الزجاج
اي شي ينشيه ابليس ويعيده فجعله للاستفهام
وقيل الشيطان الباطل لانه صاحب الباطل
ولانه هالك كما قيل له الشيطان من شاط
اذا هلك ومن يكون غير منصرف وان جعلته
من شطن كان منصرفا ولما لم يبق بعد هذا
الالان

الالان يقولوا عنادا انت ضال ليس بك جنون ولا
كذب ولكنك قد عرض لك ما اضلك عن المحجة
قال تعالى قل اي لهولا المعاندين على سبيل
الاستعطاف بما في قولك من الانصاف
وتعليم الادب ان ضللت اي عن الطريق على
سبيل الفرض فانما اضل على نفسي اي اثم اضلالي
عليها وان اهتديت فبما اي فاهتدائي انما هو بما
يوحي الي ربي اي المحسن الي من القران والحكمة
لا بغيره فلا يمكن فيه ضلال لانه لا حظ للنفس
فيه اصلا فان قيل اين التقابل بين قوله تعالى
فانما اضل على نفسي وقوله تعالى فبما يوحي الي
ربي وانما كان يقال فانما اضل على نفسي وان
اهتديت فانما اهتدي لها كقوله تعالى من
عمل صالحا فلنفسه ومن اسا فعليها وقوله
تعالى من اهتدي فلنفسه ومن اضل فانما يضل
عليها او يقال فانما اضل بنفسي اجيب بانهما
متقابلان من جهة المعنى لان النفس كل
ما عليها فهو بسببها لانها الامارة بالسو
وما لها مما ينفعها فبهداية ربه وتوفيقه

Copyright © King Saud University

وهذا حكم عام لكل مكلف وانما امر رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان يسنده الى نفسه لان الرسول
اذا دخل تحته مع جلالة محله وسداد طريقته
كان غيره اولى به وفتح اليا من ربي عند الوصل
نافع وابو عمرو والباقون بالسكون وهم على
مراتبهم في المد ثم علل الضلال والهداية
بقوله تعالى انه اي ربي سميع اي لكل ما
يقال قريب اي يدرك قول كل ضال ومهتد
وفعله وان اخفاه ولما ابطل تعالى شبههم
وختم من صفاته بما يقتضي البطش بمن خالفه.
عطف على ولو ترى اذ الظالمون ولو ترى اي
تبصر يا اشرف الخلق اذ فزعوا اي عند الموت
او البعث او يوم بدر وجواب لو محذوف
نحو لرايت امرا عظيما فلا فوت اي فتسبب عن
ذلك الفزع انه فوت اي لهم منا لانهم في
قبضتنا ثم حقر امرهم بالبنا للمفعول
بقوله تعالى واخذوا اي عند الفزع من كل ما
نامرهم باخذهم سوا كان قبل الموت ام بعده
من مكان قريب اي القبور او من الموقف
الى النار او من صحرا بدر الى القليب
وقال

وقال الكلبي من تحت اقدامهم وقيل اخذوا من
ظهر الارض الى بطنها وحيثما كانوا فهم من الله
تعالى قريب لا يفوتون والعطف على فزعوا
اولا فوت وقالوا اي عند الاخذ ومعاينة النوا ب
والعقاب امنا به اي القران الذي قالوا انه افك
مفترى او محمد صلى الله عليه وسلم الذي قالوا
انه ساحر وانى اي وكيف ومن كيف لهم
التناوش اي تناول الايمان تناولا سهلا من
مكان بعيد اي عن محله اذ هم في الاخرة ومحله
الدنيا ولا يمكن الا برجوعهم الى الدنيا التي هي دار
العمل وهذا تمثيل لحالهم في طلبهم ان ينفعهم
ايمانهم في ذلك الوقت كما ينفع المومنين
ايمانهم في الدنيا بحال من اراد ان يتناول شيا
من علو كما يتناوله الاخر من قدر ذراع تناو لا
سهلا لا تعب فيه فان قيل كيف قال تعالى
من مكان بعيد وقد قال تعالى في كثير من
المواضع ان الاخرة في الدنيا قريب وسمى الله
الساعة في الدنيا قريبة فقال تعالى
اقتربت الساعة اقترب للناس حسابهم
لعل الساعة قريب اجيب بان الماضي

كالاسى الدابر وهو من البعد ما يكون اذ لا وصول
اليه والمستقبل وان كان بينه وبين الحاضر
سنين فانه ات فيوم القيمة الدنيا بعيدة منه
لمضيها ويوم القيمة في الدنيا قريب لاتيانه
وقرا ابو عمرو وابو بكر وحمزة والكسائي بعد الالف
بهمزة مضمومة والباقون بعد الالف بواو مضمومة
فمعناه على هذا كيف لهم تناول ما بعد عنهم
وهو الايمان والتوبة وقد كان قريبا في الدنيا
فضيعوه واما من همز فقيل معناه هذا
ايضا وقيل التناوش بالهمز من التنبش
وهو حركة في ابطاء يقال جاء ينبش اي مبطيا
متاخرا والمعنى من اين لهم الحركة فيما لا
حيلة لهم فيه قال ابن عباس يسالون الرد
فيقال وانى لهم الرد الى الدنيا من مكان
بعيد اي من الاخرة الى الدنيا وامال انى
محضة حمزة والكسائي وابو عمرو بين بين
وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون
بالفتح وقد اي كيف لهم ذلك والحال انهم قد
كفروا به اي بالذي طلب منهم ان يومنوا به
محمد صلى الله عليه وسلم او القران او البعث

من

من قبل اي في دار العمل والحال انهم حال كفرهم
يقذفون اي يرمون بالغيب ويتكلمون بما لم يظهر
لهم في الرسول صلى الله عليه وسلم من المطاعن
وهو قولهم ساحر وكاهن وفي القران سحر
شعر كهانة وقال قتادة يعني يرجمون
بالظن يقولون لا بعث ولا جنة ولا نار من مكان
بعيد اي ما غاب علمه عنهم غيبة بعيدة وهذا
تمثيل لحالهم في ذلك بحال من يرمي شيئا ولا يراه
من مكان بعيد لا مجال للظن في لحوقه وحيل
بينهم وبين ما يشتهون اي من نفع الايمان
يومئذ والنجاة من النار والفوز بالجنة
او من الرد الى الدنيا كما حكى عنهم ارجعنا
نعمل صالحا وقرا ابن عامر والكسائي بضم
الحاء وهو المسمى بالاشمام والباقون
بكسرها كما فعل اي بايسر وجه باشياعهم
اي اشياعهم من كفرة الامم ومن كان مذهبه
مذهبهم من قبل اي قبل زمانهم فان حالهم
كان كحالهم ولم يختلف امرنا في امة من الامم بل
مذهبهم كان كلما كذبت امة رسولها

اخذناها فاذا ذاقوا باسنا اذعنوا وخضعوا
فلم يقبل منهم ذلك ولا نفعهم شيئا الا الكف عن
اهلاكهم ولا لادراكهم شيا من الخير بعد
اهلاكهم ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب او
القى السمع وهو شهيد ثم علل عدم الوصول
الى قصدهم بقوله تعالى موكدا لانكارهم ان
يكون عندهم شي من شك في شي من امرهم
انهم كانوا اي في دار القبول في شك اي جميع
ما تخبرهم به رسلنا عنا من الجزا والبعث
وغير ذلك مريب اي موقع في الريبة فهو
بليغ في بابه كما يقال عجب عجيب اذ هو واقع
في المريب كما يقال شعر شاعر اي ذو شعر
فهو اسم فاعل من اراب اي اتى بالريب او دخل
فيه وارابه اوقعه في الريب ونسبة
الارابة الى الشك مجاز قال الزمخشري
الا ان بينهما فرقا وهو ان المريب من المتعدى
منقول مما يصح ان يكون مريبا من الاعيان
الى المعنى ومن اللازم منقول من صاحب
الشك الى الشك كما تقول شعر شاعر
وقول

وقول البيضاوي تبعا للزمخشري عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة سبا
لم يبق نبي ولا رسول الا كان له يوم القيمة
رفيقا ومصافحا حديث موضوع

فاطر

سورة الملائكة عليهم السلام مكية وتسمى سورة
وهي ست واربعون اية وسبعة وتسعون كلمة
وثلاثة الاف ومائة وثلاثون حرفا وهي ختام
السورة المفتتحة باسم الحمد التى فصلت فيها
النعم الاربع التي هي امهات النعم المجموعة في
الفاتحة وهي الايجاد الاول ثم الابقا الاول ثم الايجاد
الثاني المشار اليه بسورة سبا ثم الابقا الثاني
الذي هو ابهاها والمفصل امره فيها في فريقي
السعادة والشقاوة تفصيلا شافيا على انه
التي في هذه السورة النعم الاربع كما سياتي
بيانه في محله بسم الله الذي احاط بدائرة دائرة
قدرته بالممكنات الرحمن الذي عم الخلق
بعموم الرحمة الرحيم الذي شرف اهل الكرامة
بدوام المراقبة ولما اثنى سبحنه وتعالى في
التي قبلها الحشر الذي هو الايجاد الثاني وكان

Copyright © King Saud University

وكان الحمد يكون بالمنع والاعدام كما يكون بالاعطا
والانعام قال تعالى الحمد اي الاحاطة باوصاف الكمال
اعداما وايجادا لله اي وحده ولما كان الايجاد من
العدم اول دليل على ذلك قال تعالى دالا على
استحقاقه للمحامد فاطر السموات والارض ادل
اي خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق قال ابن
عباس او شاقهما لنزول الارواح من السماء
وخروج الاجساد من الارض وعن مجاهد عن
ابن عباس ما كنت ادري ما فاطر السموات
والارض حتى اختصم الي اعرابيان في بير فقال
احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها تنبيه ان جعلت
اضافة فاطر محضة كان نعتا وان جعلتها
غير محضة كان بدلا وهو قليل من حيث
انه مشتق ولما كانت الملايكة مثل الخافقين
في ان كلا منهم مبدع من العدم على غير مثال
سبق من غير مادة وكان لا طريق لعامة
الناس الى معرفتهم الا الخبر اخبر عنهم بعدها
اخبر عما طريقه المشاهدة بقوله تعالى
جاعل الملايكة رسلا اي وسايط بين الله
وبين

وبين انبيايه والصالحين من عباده يبلغونهم
رسالته بالوحي والالهام والرويا الصادقه
بينه او بينه وبين خلقه يوصلون اليهم اثار صنعه
اولي اي اصحاب اجنحة يهيوهم لما يراد منهم ثم
وصفها بقوله تعالى مثنى اي جناحين جناحين
لكل واحد من صنف منهم وثلاث اي ثلاثة ثلاثة
لصنف منهم ورباع اي اربعة اربعة لصنف اخر
منهم فهم سفرا وتون يتفاوت ما لهم من المراتب
ينزلون بها ويعرجون ويسرعون بها كما وكلهم
الله تعالى عليه فيتصرفون فيه على امرهم به
وانما لم تنصرف هذه الصفات لتكرر العدل فيها
وذلك انها عدلت عن الفاظ الاعداد عن صيغ
الى صيغ اخر كما عدل عمر عن عامر وحذام عن
حاذمة يزيد في الخلق ما يشا اي يزيد في خلق
الاجنحة وفي غيره ما تقتضيه مشيته وحكمته
والاصل الجناحان لانهما بمنزلة اليدين ثم الثالث
والرابع زيادة على الاصل وذلك اقوى للطيران
واعون عليه فان قيل قياس الشفع من الاجنحة
ان يكون في كل شق نصفه فما صورة الثلاثة

Copyright © King Saud University

احسب بان الثالث لعله يكون في وسط الظهر بين
الجناحين يمدهما بقوة اولعله لغير الطيران قال
الزمخشري فقد مر بي في بعض الكتب ان صنفا
من الملايكة لهم ستة اجنحة فجناحان يلفون بهما
اجسادهم وجناحان يطيرون بهما في الامر من
امور الله تعالى وجناحان على وجوههم حيا من الله
تعالى انتهى وروي ابن ماجه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال رايت جبريل عند سدرة
المنتهى وله ستماية جناح ينتثر من راسه الدر
والياقوت وروي انه سال جبريل ان يتراي
له في صورته فقال انك لن تطيق ذلك فقال اني
احب ان تفعل فخرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم في ليلة مقمرة فاتاه جبريل في صورته
فغشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم افاق وجبريل عليه السلام مسنده
واحدي يديه على صدره والاخرى بين كتفيه
فقال سبحان الله ما كنت اري شيا من الخلق
هكذا فقال جبريل فكيف لو رايت اسرافيل
له اثنى عشر الف جناح جناح منها بالمشرق
وجناح

وجناح بالمغرب وان العرش على كاهله وانه
ليتضال الاحايين لعظمة الله تعالى حتى يعود
مثل الوصع وهو العصفور الصغير وروي
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله
يزيد في الخلق ما يشا هو الوجه الحسن والصوت
الحسن والشعر الحسن وقيل هو الخط الحسن
وعن قتادة الملاحة في العينين والاية كما قال
الزمخشري مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق
من طول قامة واعتدال صورة وتمام في الاعضا
وقوة في البطش ومتانة في العقل وجزالة في
الراي وجراة في الراي وجراة في القلب وسماحة
في النفس وذلاقة في اللسان ولباقة في التكلم
وحسن قامة في مزاولة الامور وما اشبه
ذلك مما لا يحيط به الوصف ثم علل تعالى ذلك
كله بقوله موكدا لاجل انكارهم البعث ان الله
اي الجامع لجميع اوصاف الكمال على كل شي قدير
وتخصيص بعض الاشيا بالتخصيص دون بعض
وانما هو من جهة الارادة قال ابو جعفر بن
الزبير لما اوضحت سورة سبا انه سبحانه

Copyright © King Saud University

مالك السموات والارض ومستحق الحمد في الدنيا
والاخرة اوضحت هذه السورة ان ذلك خلقه
كما هو ملكه وانه الاهل للحمد والمستحق اذ الكل
خلقه وملكه وتجردت بسورة سبا التعريف
العباد بعظم ملكه سبحانه وتجردت هذه
للتعريف بالاختراع والخلق ولما وصف سبحانه
نفسه المقدس بالقدرة الكاملة دل على ذلك بما
يشاهده كل احد في نفسه من السعة والضيق
مع العجز عن دفع شي من ذلك واقتباسه قال
مستانفا او معللا استنتاجا ما اي مهما يفتح الله
اي الذي لا يكافيه شي للناس لان كل ما في
الوجود لاجلهم من رحمة اي من الارزاق الحسيه
والمعنوية من اللطايف والمعارف التي لا تدخل
تحت حصر قلت او كثرت فيرسلها فلا ممسك
لها اي الرحمة بعد فتحه كما يعلمه كل احد في نفسه
من انه اذا حصل له خير لا يعدمه ممن يود انه
لم يحصل ولو قدر على ازالته لازاله ولا يقدر
على تاثير ما فيه وما يمسك فلا مرسل له لطلعة
واختلاف الضميرين لان الموصول الاول

مفسر

مفسر بالرحمة والثاني مطلق بينا ولها و
الغضب وفي ذلك اشعار بان رحمته سبقت
غضبه ولما كان ربما ادعى احد فجورا حال
امساك الرحمة او النعمة انه هو الممسك قال تعالى
من بعده اي امساكه او ارساله وهو اي هو حكيم
فاعل ذلك والحال انه هو وحده العزيز اي القادر
على الامساك والارسال وغيرهما ما يقتضيه
علمه به ويتقن ما اراده على قوانين الحكمة
فلا يستطاع نقض شي منه ولما بين بما
يشاهده كل احد بنفسه انه المنعم وحده
امر بذكر نعمته بالاعتراف انها منه فان
الذكر يعود الى الشكر وهو قيد الموجود و
صيد المعدوم المفقود قال يايها الناس
اي الجميع لان جميعهم مغمورون في نعمة الله
تعالى وعن ابن عباس يريد يا اهل
مكة اذكروا بالقلب واللسان نعمت الله
اي الذي لا منعم في الحقيقة سواه عليكم
اي في دفع ما دفع عنكم من المحن وصنع ما
صنع بكم من المنن تشكروه ولا تكفروه
تنبيه نعمت هنا مجرورة في الرسم

وقف عليها ايضا ابن كثير وابو عمرو والكسائي
بالها والباقون بالتا واذا وقف الكسائي
امال الها ولما امر بذكر نعمته اكد التصريف
بانها منه وحده على وجه يبين عزته وحكمته
بقوله تعالى منبها لمن عقل موبخا لمن جحد
وزاد اهل القدر الذين يدعون انهم يخلقون
افعالهم ومنبها على نعمة الايجاد الاول
هل من خالق اي للنعم وغيرها غير الله اي
فليس للمغيرية في ذلك مدخل يستحق ان يشرك
به وقرا حمزة والكسائي بكسر الرا نعتا لخالق
على اللفظ ومن خالق مبتدا مزاد فيه
من والباقون بالرفع وفيه ثلاثة اوجه
احدها انه خبر المبتدا والثاني انه صفة
لخالق على الموضع والخبر اما محذوف واما
يرزقكم والثالث انه مرفوع اسم الفاعل
على جهة الفاعلية لان اسم الفاعل قد
اعتمد على اداة الاستفهام ولما كان جواب
الاستفهام قطعا لا بل هو الخالق وحده
قال منبها على نعمة الايجاد الاول بقوله تعالى
يرزقكم

٤٣٩

يرزقكم اي وحده فنعمة الله تعالى مع كثرتها
منحصرة في قسمين نعمة الايجاد ونعمة الابقا
ولما كانت كثرة الرزق كما هو مشاهد مع
وحدة المنبع ادل على العظمة قال من السما
اي المطر وغيره والارض اي النبات وغيره ولما
بين انه الرازق وحده لا اله الا هو فانى تؤفكون
اي من اين تصرفون عن توحيده بانه الخالق
الرازق وتشركون المسموات بمن له الملكوت
ولما بين تعالى الاصل الاول وهو التوحيد
ذكر الاصل الثاني وهو الرسالة بقوله تعالى
وان يكذبوك اي يا اشرف الخلق في مجيئك
بالتوحيد والبعث والحساب والعقاب
وغير ذلك فقد كذبت رسل من قبلك في ذلك
فان قيل فما وجه صحة جزا الشرط ومن حق
الجزا ان يعقب الشرط وهذا سابق له
اجيب بان معناه وان يكذبوك فتاس
بتكذيب الرسل من قبلك فوضع فقد كذبت
رسل من قبلك موضع فتاس استغنا بالسبب
عن المسبب اعني بالتكذيب عن التاسي فان

Copyright © King Saud University

قيل ما معنى التنكير في رسل اجيب بان معناه فقد
كذبت رسل اي رسل ذو عدد كثير واولو ايات ونذر وا
اهل اعمار طوال واصحاب صبر وعزم وما اشبه ذلك
وهذا اسلية له واحث على المصابرة قال القشيري وفي
هذا اشارة للحكما وارباب القلوب مع العوام و
الاجانب من هذه الطريقة فانهم لا يقبلون منهم الا القليل
واما الحقايق ابدا منهم في مقاسات الاذية
والعوام اقرب الى هذه الطريقة من القرا المتقشفين
ثم بين من حيث الاجمال ان المكذب في العذاب
وان المكذب له الثواب بقوله تعالى والى الله اي
وحده لان له الامور كلها ترجع الامور اي في
الاخرة فيجازيكم واياهم على الصبر والتكذيب ثم
بين تعالى الاصل الثالث وهو الحشر بقوله تعالى يايها
الناس ولما كانوا ينكرون البعث اكد قوله تعالى
ان وعد الله اي الذي له صفات الكمال بكل ما
وعد به من البعث وغيره حق اي ثابت لا خلف
فيه وقد وعد انه يردكم اليه في يوم تتقطع
فيه الانساب ولعرض عن الاحساب والانسا
فلا تغرنكم اي بانواع الخداع من اللهو

من اللهو والزينة الحياة الدنيا فانه لا يليق
بذي همة علية اتباع الدني والرضى بالدون
الزايل عن العالي الدايم ولا يغرنكم بالله اي الذي
لا يخلف الميعاد وهو الكبير المتعال الغرور
اي الذي لا يصدق في شي وهو الشيطان
العدو ولذلك استانف قوله تعالى مظهرا
في موضع الاضمار ان الشيطان اي المحترق بالغضب
البعيد عن الخير لكم اي خاصة عدو فهو في غاية
الفراغ لانه لكم بتصويب مكايده كلها اليكم
وبما سبق له مع ابيكم ادم عليه السلام ثم
وصل اذاه اليكم وايضا من عادى اباك فقد
عاداك فاجتهد وابغ الهرب منه ولا تواليه
كما قال تعالى فاتخذوه اي بغاية جهدكم عدوا
اي في عقايدكم وافعالكم ولا يوجدون منكم الا
ما يدل على معاداته ومناصبته في سركم وجهركم
قال القشيري ولا يقوى على عداوته الا بدوام
الاستعانة بالرب فانه لا يغفل عن عداوتك
فلا تغفل انت عن مولاك لحظة ثم علل
عداوته بقوله انما يدعوا حزبه اي الذين

Copyright © King Saud University

يوسوس لهم فيعرضهم لاتباعه والاعراض
عن الله تعالى ليكونوا باتباعه كونا راسخا
من اصحاب السعير وهذا غرضه لا غرض له
سواه ولكنه يجتهد فى تعمية ذلك عنهم
بان يقرر فى نفوسهم جانب الرجا وينسيهم
جانب الخوف ويريهم ان التوبة فى ايديهم
ويسوف لهم بها بالفسحة فى الامل والابقا
فى الاجل للافساد فى العمل والرحمن انما
يدعوا عباده ليكونوا من اهل النعيم كما قال
تعالى والله يدعوا الى دار السلام ثم بين
تعالى ما حال حزب الشيطان بقوله تعالى
الذين كفروا لهم عذاب شديد اى فى الدنيا
بفوات ما يأملون مع تفرقة قلوبهم واسود
ابصارهم وسفالة هممهم حتى انهم رضوان
يكون لهم الهم بجل وفى الاخرة بالسعير التى
دعاهم الى صحبتها ثم بين حزبه تعالى بقوله
تعالى والذين امنوا وعملوا اى تصديقا لايمانهم
الصالحات اى من صلاة وزكاة وصوم
ذلك من المامورات لهم مغفرة اى ستر
لذنوبهم

لذنوبهم فى الدنيا ولولا ذلك افتضحوا فى الاخرة
بحيث لا عتاب ولا عقاب ولولا ذلك لهلكوا
واجر كبير هو الحسنة والنظر الى وجهه الكريم
والمغفرة فى مقابلة الايمان فلا يؤبد مومن
فى النار والاجر الكبير فى مقابلة العمل
الصالح ونزل كما قال ابن عباس فى ابى جهل
ومشركى العرب افمن زين له سوء عمله اى قبحه
الذى من شانه ان يسوء صاحبه حالا او مالا
بان غلب وهمه وهواه على عقله فراه اى السوء
بسبب التزيين حسنا اى عملا صالحا فان
اى التسبب فى رؤية الاشيا على غير ما هى عليه
ان الله اى الذى له الامر كله يضل من يشا
فلا يرى شيئا على ما هو به فيقدم على الهلاك
البين وهو يراه عين النجاة ويهدى من
يشا فلا يشكل عليه امر ولا يفعل الا حسنا
تنبيه من موصوله مبتدا وما بعده صلته
والخبر محذوف واختلف فى تقديره فقدره الكسائى
تذهب نفسك عليهم حسرات لدلالة قوله
تعالى تسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم

حيث حوزنوا على اصرارهم بعد اتيانه بكل اية
ظاهرة وحجة باهرة ولا تذهب نفسك عليهم
اي المحزونين عليهم حسرات اي لاجل حسرات لك المتراد فه
لاجل اعراضهم جمع حسرة وهي شدة الحزن
على ما فات من الامر وقدره الزجاج واضله
الله كمن هداه وقدره غيرهما كمن لم يزين له
وهو احسن لموافقته لفظا ومعنى ونظيره
افمن كان على بينة من ربه كمن زين له سو
عمله وكمن هو اعمى في قوله تعالى افمن يعلم
انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى
وقال سعيد بن جبير نزلت هذه الاية
في اصحاب الاهوا والبدع قال قتادة
منهم الخوارج الذين يستحلون دما المسلمين
واموالهم فاما اهل الكتاب فليسوا منهم
لانهم لا يستحلون ان الله اي المحيط بجميع
صفات الكمال عليم اي بالغ العلم بما يصنعون
فيجازيهم عليهم ثم عاد تعالى الى البيان
بقوله تعالى والله اي الذي له صفات
الكمال لا شي غيره من طبيعة ولا غيرها

الذي

الذي يرسل الرياح اي اوجدها من العدم فهبوبها
دليل على الفاعل المختار لان الهوا قد يسكن وقد
يتحرك وعند حركته يتحرك الى اليمين وقد يتحرك الى
الشمال وفي حركاته المختلفة قد ينشا السحاب
وقد لا ينشا فهذه الاختلافات دليل على مسخر
مدبر موثر مقدر وقوله تعالى فتثير سحابا
عطف على ارسل لان ارسل بمعنى المستقبل
فلذلك عطف عليه واتى بارسل لتحقق
وقوعه وتثير لتصور الحال فاستحضار
الصورة البديعة الدالة على كمال الحكمة كقوله
تعالى انزل من السما ما فتصبح الارض مخضرة
ولما اسند فعل الارسال اليه تعالى وما
يفعله يكونه بقوله تعالى كن فلا يبقى في العدم
لا زمانا ولا جزوا من الزمان فلم يقل بلفظ
المستقبل لوجوب وقوعه وسرعة تكونه كانه
كان ولانه فرغ عن كل شي فهو قدر الارسال
في الاوقات المعلومة الى المواضع المعينة ولما
اسند فعل الاثارة الى الريح وهي تولف في زمان
قال تثير اي على هيئتها وقرا ابن كثير

Copyright King Saud University

وحمزة والكساي بالتوحيد والباقون بالجمع
وقوله تعالى فسقناه فيه التفات عن
الغيبة الى بلد ميت لانبات بها وقرا نافع
وحفص وحمزة والكساي بتشديد اليا
والباقون بالتخفيف فاحيينا به اي بالمطر
النازل منه وذكر السحاب كذكر المطر حيث
اقيم مقامه او بالسحاب فانه سبب
السبب او الصائر مطرا الارض بالنبات
والكلا بعد موتها اي يبسها تنبيه العدول
في سقناه واحيينا في قوله تعالى والله الذي
ارسل الرياح الى ما هو ادخل في الاختصاص
وهو المتكلم لما فيهما من مزيد الصنع
والكاف في قوله تعالى كذلك في محل رفع
اي مثل احيا الموات النشور للاموات وجه
الشبه من وجوه اولها ان الارض الميتة
قبلت الحياة كذلك الاعضا تقبل الحياة
ثانيها كما ان الريح تجمع السحاب القطع كذلك
تجمع الاعضا المتفرقة ثالثها كما انه
تسوق الريح الى الجسد والسحاب الى البلد
الميت كذلك تسوق الريح الى الجسد الميت

فان

فان قيل ما الحكمة في اختيار هذه الاية من بين الايات
مع ان الله تعالى له في كل شي اية تدل على انه
واحد اجيب بانه لما ذكر كونه فاطر السموات
والارض وذكر من الامور السماوية الارواح و
ارسالها بقوله تعالى جاعل الملايكة رسلا ذكر
من الامور الارضية الرياح وروي انه قيل لرسول
الله صلى الله عليه وسلم كيف يحيي الموتى وما
اية ذلك في خلقه فقال هل مررت بوادي اهلك
ممحلا ثم مررت به يهتز خضرا فقال نعم فقال
فكذلك يحيي الله الموتى وذلك ايته في خلقه وقيل
يحيي الله الخلق بما يرسله من تحت العرش كمني
الرجال وتنبت منه الاجساد ولما كان
الكافرون يتعززون بالاصنام كما قال تعالى
واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا
والذين امنوا بالسنتهم غير مواطات قلوبهم
كانوا يتعززون بالمشركين كما قال تعالى الذين
يتخذون الكافرين اوليا من دون المومنين
ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا
بين تعالى ان لا عزة الا لله بقوله تعالى

Copyright © King Saud University

من كان اي في وقت من الاوقات يريد العزة اي الشرف
والمنعة فلله العزة جميعا اي في الدنيا والاخرة
والمعنى ليطلبها عند الله تعالى فوضع قوله تعالى
فلله العزة جميعا موضعه استغنا به عنه
لدلالته عليه لان الشي لا يطلب الا عند صاحبه
ومالكه ونظيره قوله من اراد النصيحة فهي
عند الابرار يريد فليطلبها عندهم الا انك اقمت
ما يدل عليه مقامه وقال قتادة من
كان يريد العزة فليعتزز بطاعة الله ومعناه
الدعا الى طاعة من له العزة اي فليطلب
العزة من عند الله بطاعته كما يقال من
كان يريد المال فالمال لفلان اي فليطلب
من عنده فقد عرف انما تطلب به العزة
هو الايمان والعمل الصالح لقوله تعالى اليه
اي الى الله عزم يصعد الكلم الطيب قال
المفسرون هو قول لا اله الا الله وقيل هو قول
الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله اكبر وعن ابن مسعود قال لنا اذا
حدثتكم حديثا انباتكم بمصداقه
من

من كتاب الله عز وجل ما من عبد مسلم
يقول خمس كلمات سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر وتبارك الله الا اخذهن
ملك فجعلهن تحت جناحه ثم صعد بهن فلا
يمر على جمع من الملايكة الا استغفروا للقايلين
حتى يحيي بها وجه رب العالمين ومصداقه
من كتاب الله عز وجل قوله تعالى اليه
يصعد الكلم الطيب وقيل الكلم الطيب ذكر
الله وعن قتادة اليه يصعد الكلم الطيب
اي يتقبل الله الكلم الطيب وقيل الكلم
الطيب يتناول الذكر والدعا وقراة القران
وعن الحاكم موقوفا وعن الثعلبي مرفوعا انه
صلى الله عليه وسلم قال هو سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالها
العبد عرج به الملك الى السما فحيا بها وجه الرحمن
فاذا لم يكن عمل صالح لم يقبل والعمل الصالح
يرفعه اي يقبله فصعود الكلم الطيب والعمل
الصالح مجاز عن قوله تعالى اياهما او صعود
الكتبة بصحفها والمستكن في يرفعه لله تعالى

Copyright © King Saud University

وتخصيص العمل بهذا الشرف لما فيه من الكلفة وقال
سفيان بن عيينة العمل الصالح هو الخالص
يعني الاخلاص سبب قبول الخيرات من الاقوال
والافعال لقوله تعالى فليعمل عملا صالحا
ولا يشرك بعبادة ربه احدا فجعل نقيض الصالح
الشرك والريا تنبيه صعود الكلم الطيب
والعمل الصالح مجاز عن قبوله تعالى اياهما او
صعود الكتبة بصحفها والمستكن في
يرفعه الله تعالى وتخصيص العمل
بهذا الشرف لما فيه من الكلفة والكلم
فان العمل لا يقبل الا بالتوحيد او للعمل
فانه يحقق الايمان ويقويه قال الرازي
في اللوامع العلم انما يتم بالعمل كما قيل
العلم يهتف بالعمل فان اجاب والا ارتحل
وقد قيل

لا ترض من رجل حلاوة قوله
حتى يصدق ما يقول فعاله
فاذا وزنت مقاله بفعاله
فتوازنا فانا ذاك جماله

وقال

وقال الحسن الكلم الطيب ذكر الله تعالى والعمل
الصالح اداء فرائضه فمن ذكر الله تعالى ولم يؤد
فرائضه رد كلامه على عمله وليس الايمان
بالتمني ولا بالتحلي ولكن ما وقر في القلوب و
صدقته الاعمال فمن قال حسنا وعمل غير صالح
رده الله تعالى عليه قوله ومن قال حسنا وعمل
صالحا رفعه الله ولما بين ما يحصل العز
من علو الهمة وبين ما يكسب المذلة ويوجب
النقمة من رديء الهمة بقوله تعالى والذين
يمكرون اي يعملون على وجه الستر المكرات
السيئات اي مكرات قريش للنبي صلى الله عليه
وسلم في دار الندوة وتداورهم الراي في
احدى ثلاث حبسه وقتله واجلاؤه كما قال
تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك وقال
الكلبي معناه يعملون السيئات وقال
مقاتل يعني الشرك وقال مجاهد هم اصحاب
الزنا لهم عذاب شديد اي لا توبة وربه بما
يمكرون ومكر اولئك اي البعد من الفلاح هو
اي وحده دونه مكر من يريد بمكره الخير

Copyright © King Saud University

فان الله تعالى ينفذه ويعلي امره يبور اي
يفسد ولا ينفذ لان الامور مقدرة فلا تتغير
بسبب مكرهم كما دل عليه بقوله تعالى والله
خلقكم من تراب اي بتكوين ابيكم ادم منه
فرجه مزجا لا يمكن لغيره تميزه ثم احاله عن
ذلك الجوهر اصلا وراسا واليه الاشارة بقوله
تعالى ثم اي بعد ذلك في الزمان والرتبة
خلقكم من نطفة اي جعلها اصلا ثابتا
من ذلك الاصل الترابي ابتداء امتزاجا
منه ثم بعد انتهاء التدبير زمانا ورتبة
الى النطفة التي لا مناسبة بينها وبين
التراب دلالة على كمال القدرة والفعل
بالاختيار جعلكم ازواجا بين ذكور واناث
دلالة على اظهر مما قبلها على الاختيار
وعن قتادة يزوج بعضكم بعضا تنبيه
يصح ان يقال كما قال ابن عادل خلقكم
خطاب مع الناس وهم اولاد ادم وكلهم من
تراب ومن نطفة لان كلهم من نطفة والنطفة
من غذا والغذا ينتهي بالاخرة الى الماء
والتراب فهو من تراب صار نطفة
ولما

٤٤٥٦

ولما بين تعالى بقوله سبحانه خلقكم من تراب
كمال قدرته ثنى سبحانه وتعالى بقوله وما تحمل من
انثى ولا تضع اي حملا الا اي مصحوبا بعلمه اي في
وقته ونوعه وشكله وغير ذلك من شانه مختصا
بذلك كله حتى عن امه التي هي اقرب اليه فلا يكون
الا بقدرته فما شاء اتمه وما شاء اخرجه كما علمه
ثم بين نفوذ ارادته بقوله تعالى وما يعمر من
معمر اي وما يمد في عمر من مصيره الى الكبر
وانما سماه معمرا بما هو صاير اليه فمعناه
وما يعمر من احد وفي عود ضمير قوله تعالى ولا
ينقص من عمره قولان احدهما انه يعود على
معمر اخر لان المراد بقوله تعالى من معمر الجنس
فهو يعود عليه لفظا لا معنى لان بعد
ان فرض كونه معمرا استحال ان ينقص من
عمره نفسه كما يقال لفلان عندي درهم
ونصفه اي نصف درهم اخر والثاني
يعود على معمر نفسه لفظا ومعنى والمعنى
انه اذا ذهب من عمره حول احصي وكتب
ثم حول اخر كذلك فهذا هو

Copyright © King Saud University

النقص واليه ذهب ابن عباس وابن جبير وابو
مالك ومنه قول الشاعر
حياتك انفاس تعد فكلما
مضى نفس منك انتقصت به جزءا
وقال الزمخشري هذا من الكلام المتسامح فيه ثقة
في تاويله بافهام السامعين واتكالا على تسديدهم
معناه بعقولهم وانه لا يلتبس عليهم احالة
الطول والقصر في عمر واحد وعليه كلام الناس
المستفيض يقولون لا يثيب الله عبدا
ولا يعاقبه الا بحق قال وفيه تاويل اخر
وهو انه لا يطول عمر انسان ولا يقصر الا في
كتاب وصورته ان يكتب في اللوح ان حج
فلان او غزى فعمره اربعون سنة وان حج وغزا
فعمره ستون سنة فاذا جمع بينهما فبلغ الستين
فقد عمر واذا ترك احدهما يتجاوز به الاربعون
فقد نقص من عمره الذي هو الغاية وهو
الستون واليه اشار رسول الله صلى الله
عليه وسلم في قوله ان الصدقة والصلة
تعمران الديار وتزيدان في الاعمار وعن كعب
انه

انه قال حين طعن عمر رضي الله تعالى عنه لو ان عمر
دعى الله لاخر في اجله فقيل لكعب اليس قد قال
الله تعالى فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة
ولا يستقدمون فقال هذا اذا حضر الاجل فاما
قبل ذلك فيجوز ان يزاد وينقص وقرا هذه الاية
وقد استفاض على الالسنة اطال الله عمرك
وفسح في مدتك وعن سعيد بن جبير يكتب في
الصحيفة عمره كذا وكذا سنة كذا وكذا ثم
يكتب في اسفل ذلك ذهب يوم ذهب ثلاثة
ايام حتى ياتي على اخره وعن قتادة المعمر من بلغ
ستين سنة والمنقوص من عمره من يموت
قبل ستين سنة والكتاب في قوله تعالى الا في
كتاب اي مكتوب فيه عمر فلان كذا وعمر فلان
كذا ان عمل كذا وعمر فلان كذا ان عمل كذا وعمره
كذا ان لم يعمل كذا هو اللوح المحفوظ قاله ابن عباس
قال الزمخشري ويجوز ان يراد بكتاب الله علم
الله او صحيفة الانسان ولما كان ذلك امرا
لا يحيط به العد ولا يحصره الحد فكان في
غاية ما ينكره الجهلة قال تعالى مؤكدا

Copyright © King Saud University

لسهولته ان ذلك اي الامر العظيم من كتب الاجال
كلها وتقديرها والاحاطة بها على الله اي الذي
له جميع العزة يسير اي هين وقوله تعالى
وما يستوي البحران هذا عذب اي طيب حلو
لذيذ ملايم للطبع سايغ اي بالغ العذوبة وهذا
ملح اجاج اي جمع الى الملوحة المرارة فلا يسوغ
شرابه بل لو شرب لالم الحلق واحج البطن هاهو كا
لنا ضرب مثل للمومن والكافر وقوله تعالى ومن
كل اي الملح والعذب تاكلون اي من السمك المنوع
الى انواع تفوت الحصر لحما طريا اي منتهى المطعم
وتستخرجون اي من الملح دون العذب حلية
تلبسونها اي نسا وكم من الجواهر الدر والمرجان
وغيرهما ذكر استطرادا في صفة البحرين وما
فيهما من النعم وتمام التمثيل والمعنى كما انهما
وان اشتركا في بعض الفوايد لا يستويان
هنا حيث انهما لا يستويان فيما هو المقصود
بالذات من الما فانه خالطا احدهما ما افسده
وغيره عن كمال فطرته فلا تساوى المومن و
الكافر وان اتفقا اشتركا في بعض الصفات
كا

كالشجاعة والسخاوة لاختلافهما فيما هو
الخاصية العظمى وهي سبق احدهما على الفطرة
الاصلية دون الاخر وقيل تخرج الحلية منهما
كما هو ظاهر قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان
قال البغوي لانه قد يكون في البحر الاجاج عيون
عذبة تمتزج بالملح فيكون اللؤلؤ من ذلك انتهى
فان اصحاب المبرد وغيره قول الشافعي كل ماء
من بحر عذبا مالح فالتطهير به جايز وقالوا انه
لحن وانما يقال ملح كما قال تعالى وهذا
ملح اجاج وهم يخطيون في ذلك
وكم من عايب قولا صحيحا وافته من الفهم السقيم
ولكن تاخذ الاذهان منه على قدر القريحة والفهوم
قال البغوي واجاب اصحابنا باجوبة اصحها
ان فيه اربع لغات ملح ومالح ومليح وملاح
بضم الميم وتخفيف اللام قال عمر بن ابي ربيعة
ولو تفلت في البحر والبحر مالح
لاصبح ما البحر من ريقها عذبا
وقال الفرزدق
اسباب تروح وتغتدي واني منها غير عاد ورايح

Copyright © King Saud University

تنوفت بثوب العدم من حلة الغنا
ومن بارد عذب زلال بمالح

وقال محمد بن حازم
تلوث الوانا على كثيرة ... وخالط عذبا من اخايك مالح
وقال خالد بن يزيد بن معاوية في رملة بنت الزبير
ولو وردت ماء وكنت قبيلة
ملحا اشربيا ماءه باردا عذبا
وقال الخطابي يقال ما ملاح كما يقال اجاج
وزعاق وزلال ويقال واغما نزل الشافعي من
اللغة العالية الى التي هي ادنى للايضاح وحسما
للاشكال والالتباس لئلا يتوهم متوهم انه اراد
بالملح الفاهب فيظن ان الطهارة به جايزة
وثاني الاجوبة ان الشافعي امام في اللغة فقوله
فيها حجة وثالثها ان هذه اللفظة ليست من
كلام الشافعي ولم يذكرها بل هي من كلام المزني
وهذا ليس هذا شي وكيف ينسب الخطا الى
المزني وعنه مندوحة وقولهم لم يذكرها
الشافعي غير صحيح وقد انكره البيهقي وقال
بل سمي الشافعي البحر مالحا في كتابين

اماني

اما الى الحج والمناسك الكبرى فايدة اخرى
وهي ان ابن عمر قال في البحر التيمم احب الينا
منه وقال بحر كم هذا نار وتحت النار بحر
حتى عد سبعة ابحر وسبعة انوار ولكن روى
ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من لم يطهره البحر فلا طهره الله ويؤول
كلام ابن عمر بانه سيصير يوم القيمة نارا وبانه
مهلكه يهلك كما تهلك النار ولما كان الاكل
والاستخراج من المنافع العامة عم الخطاب
ولما كان استقرار شي في البحر دون غرق امرا
عزيزا لكنه صار لشدة الفة لا يقوم بادراك
انه من اكبر الايات دلالة على القادر المختار الا
اهل البصاير رخص بالخطاب فقال وترى
الفلك اي السفن سمى فلكا لدورانه وسفينة
لسفقه الما وقدم الظرف في قوله تعالى فيه لانه
اشد دلالة على ذلك مواخر اي جواري مستدبرة
الريح شاقة للماء بها بريح واحدة يقال
مخرت السفينة الما ويقال السحاب بنات مخر
لانها تمخر الهوا والسفن الذي اشتقت منه

السفينة قريب من الممر لانها تسفف الماء
كانها تقشره كما تخرمه ثم علق بالمخر معلله
قوله تعالى لتبتغوا اي تطلبوا طلبا شديدا من
فضله اي الله بالتوصل بذلك الى البلاد والنافعة
للتاجر وغيرها ولو جعلها ساكنة لم يترتب عليها
ذلك ولو لم يجريه ذكر في الاية ولكن فيما قبلها
ولو لم يجر لم يشكل لدلالة المعنى عليه ولعلكم
تشكرون اي وليكون حالكم بهذه الدلالة على عظيم
قدرة الله تعالى ولطفه حال من يرجى شكره
تنبيه حرف الرجا مستعار لمعنى الارادة الا
ترى يستكه به مسلك لام التعليل كانما قيل
لتبتغوا ولتشكروا ولما ذكر تعالى اختلاق
الازمنة الدالة على بديع قدرته بقوله تعالى
يولج اي يدخل الليل في النهار فيصير الظلام
ضيا ولما كان هذا الفعل في غاية الاعجاب
وكان لكثرة تكراره قد صار مالوفا فغفل
عما فيه من الدلالة على تمام القدرة نبه
عليه باعادة الفعل بقوله تعالى ويولج
النهار في الليل فيصير ما كان ضيا ظلاما
وتارة

وتارة يكون التوالج بقصر هذا وطول هذا فدل
كل ذلك على انه تعالى فاعل بالاختيار ولما ذكر
الليل والنهار ذكر ما ينشا عنهما بقوله تعالى وسخر
الشمس والقمر ثم استانف قوله تعالى كل اي كل منهما
يجري اي في فلكه لاجل اي لاجل مسمى مضروب
له لا تقدر ان يتعداه فاذا جا ذلك الاجل غرب
هكذا كل يوم الى ان ياتي الاجل الاعظم فيختل
هذا النظام بامر الملك العلام ويقيم الناس
ليوم الزحام وتكون الامور العظام ولما دل
سبحانه وتعالى على انه الفاعل المختار القادر
على ما يريد بما يشاهده كل احد في نفسه وفي
غيره وختم بما تكرر مشاهدته في كل يوم
مرتين انتج ذلك قطعا بقوله تعالى معظما
باداة البعد وميم الجمع ذلكم اي العالي المقدار
الذي فعل هذه الافعال كلها الله اي الذي
له صفة كل كمال ثم نبههم على انه لا مدبر لهم
سواه بخبر اخر بقوله تعالى ربكم اي الموجد لكم
من العدم المربي بجميع النعم لا رب لكم سواه
ثم استانف قوله تعالى له اي وحده الملك

Copyright © King Saud University

اي كله وهو مالك كل شي والذين تدعون اي
تعبدون من دونه اي غيره وهو الاصنام وغيرها
وكل شي دونه ما يملكون في حال من الاحوال و
اغرقه في النفي بقوله من قطمير وهو كما روي عن
ابن عباس لفافة النواة وهي القشرة الرقيقة
الملتفة عليها كما يتبع ادنى الاشيا فكيف بما فوقه
وليس لهم شي من الملك والاية من الاحتباك
ذكر الملك اولا دليلا على حذفه ثانيا والملك
ثانيا على حذفه اولا وقيل القطمير هو القمع
وقيل ما بين القمع والنواة نفي النواة على
الاول اربعة اشيا يضرب بها المثل للقلة
الفتيل وهو ما في شق النواة والقطمير
وهو اللفافة والنقير وهو ما في ظهر النواة
والزروف من دونه وهو ما بين القمع والنواة
ثم بين ذلك بقوله تعالى ان تدعوهم اي المعبوكا
من دونه دعا عبادة او استعانة لا يسمعوا
دعاكم اي لانهم جماد ولو سمعوا اي على سبيل
الفرض والتقدير ما استجابوا لكم اي لعدم
قدرتهم على الانتفاع ولما بين عدم الدفع
منهم في الدنيا بين عدم النفع منهم في الاخرة
ووجود

ووجود الضرر بهم في الاخرة بقوله سبحنه
ويوم القيمة اي حين ينطقهم الله تعالى
يكفرون بشرككم اي اشراككم فينكرونه ويتبرون
منه بقولهم ما كنتم ايانا تعبدون كما حكى الله تعالى
ذلك عنهم في اية اخرى ولا ينبئك اي يخبرك
ايها السامع بالامر وتخبرهم هو مثل خبير اي عالم به
اي بان المختص بالامر وحده وهو الذي يخبرك
بالحقيقة دون سائر المخبرين به لانه لا يملك
الطعن في شي مما اخبر به بخلاف غيره والمعنى
ان هذا الذي اخبرتكم به من حال الاوثان هو
الحق لاني خبير بما اخبرت به ولما اختص تعالى
بالملك ونفى عن شركائهم النفع انتج ذلك قوله
تعالى يا ايها الناس اي كافة انتم اي خاصة الفقرا
وقوله سبحنه وتعالى الى الله اعلام بان الانتقال
الا اليه ولا اتكال الا عليه وهذا يوجب عبادته
لكونه مفتقرا اليه وعدم عبادة غيره لعدم
الافتقار الى غيره فان قيل لم عرف الفقرا
اجيب بانه قصد بذلك ان يريهم انهم
لشدة افتقارهم اليه هم جنس الفقرا

Copyright © King Saud University

وان كانت الفقرا وان كانت الخلايق كلهم مفتقرين
اليه من الناس وغيرهم لان الفقر لما يتبع الضعف
وكلما كان الفقير اضعف كان احقر وقد شهد
الله تعالى على الانسان بالضعف في قوله تعالى
وخلق الانسان ضعيفا وقال تعالى الله
الذي خلقكم من ضعف ولو انكر لكان للمعنى
انتم بعض الفقرا قال القشيري والفقر على
ضربين فقر خلقة وفقر صفة فالاول عام
لكل حادث مفتقر الى خالقه في اول حال
وجوده ليبديه وينشيه وفي ثانيه ليديمه
وتبقيه واما فقر الصفة فهو التجرد ففقر
العوام التجرد عن المال وفقر الخواص التجرد
من الاعلال فحقيقة الفقر المحمود تجرد السر
عن المعلومات ولما ذكر العبد بوصفه الحقيقي
اتبعه ذكر الخالق باسمه الاعظم فقال
والله هو الغني اي المستغني على الاطلاق
فلا يحتاج الى احد ولا الى عبادة احد من خلقه
وانما امرهم بالعبادة لافتقارهم تعالى
عليهم وفي هذا رد على المشركين
حيث قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم
ان

٤٥٢

ان الله لعله محتاج الى عبادتنا حتى امرنا بها امرا بالغا
وهددنا على تركها مبالغا فان قيل قد قابل الفقر بالغنا
فما فايدة قوله تعالى الحميد اي المحمود في صنعه بخلقه
اجيب بانه لما اثبت فقرهم اليه وغناه عنهم
وليس كل غني نافعا بغناه ولانه اذا كان الغني
منعما جوادا واذا جاد وانعم حمده المنعم عليهم
واستحق عليهم الحمد ذكر الحميد ليدل به على انه
الغني النافع بغناه خلقه الجواد المنعم عليهم المستحق
بانعامه ان عبدوه وقوله تعالى ان يشا يذهبكم
اي جميعا بيان لغناه وفيه بلاغة كاملة لان قوله
تعالى ان يشا يذهبكم اي ليس اذهابكم موقوفا
الا على مشيئته بخلاف الشي المحتاج اليه فان المحتاج
الى الشي لا يقال فيه ان يشا فلان هدم داره
وانما يقال لولا حاجة الساكن الى الدار لبعتها
ثم انه تعالى زاد على بيان الاستغنا بقوله تعالى
ويات بخلق جديد اي كان يتوهم متوهم ان هذا
الملك كمال وعظمة فلو اذهبه لزال ملكه وعظمته
فهو قادر بان يخلق خلقا جديدا احسن من هذا
واجمل وعن ابن عباس يخلق بعدكم من يعبده

Copyright © King Saud University

لايشرك به شيا وما ذلك اي الامر العظيم من الاذهاب
والاتيان على الله اي المحيط بجميع صفات الكمال
خاصة بعزيز اي بممتنع ولاشاق وهو محمود
عند الاعدام كما هو محمود عند الايجاد فان
قيل استعمل تعالى العزيز تارة في القايم بنفسه
فقال تعالى في حق نفسه وكان الله قويا عزيزا
وقال في هذه السورة عزيز غفور و
استعمله تارة في القايم بغيره فقال تعالى
وما ذلك على الله بعزيز وقال تعالى
عزيز عليه ما عنتم فهل هما بمعنى واحد او
بمعنيين اجيب بان العزيز في اللغة
هو الغالب والفعل اذا كان لا يطيقه شخص
يقال هو مغلوب بالنسبة الي ذلك الفعل
فقوله تعالى وما ذلك على الله بعزيز اي ذلك
الفعل لا يغلبه بل هو هين عليه وقوله تعالى
عزيز عليه ما عنتم اي يحزنه ويوذيه
كالمشغل للغالب وقوله تعالى ولا تزر وازرة
وزر اخرى فيه حذف الموصوف للعلم به
اي ولا تحمل نفس اثمة اثم نفس اخرى

فان

فان قيل كيف التوفيق بين هذا وبين قوله تعالى
وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم اجيب
بان تلك الاية في الضالين المضلين فانهم يحملون
اثقال اضلالهم وكل ذلك اوزارهم وليس فيها
شيا من اوزار غيرهم وان تدع اي نفس مثقلة
اي بالوزر الي حملها اي من الوزر احدا يحمل
بعضه لا يحمل اي من حامل ما منه شي لا
طواعية ولا كراهية لكل امرئ شان يغنيه
ولو كان ذلك الداعي والمدعو للحمل ذا قرب
لمن دعاه فان قيل ما الفرق بين معنى قوله
تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى وقوله تعالى
وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شي
اجيب بان الاول في الدلالة على عدل
الله تعالى في حكمه وانه لا يواخذ نفسا بغير
ذنبها والثاني في ان لا غياث يومئذ لمن
استغاث حتى ان نفسا قد اثقلتها الاوزار
لو دعت ان يخفف بعض وزرها لم تجب
ولم تغث وان كان الداعي والمدعو بعض
قرابتها من اب او ولد او اخ قال ابن عباس

يلقى الاب والام ابنه فيقول يا بني احمل عني بعض
ذنوبي فيقول لا استطيع حتى ما علي تنبيه
اضمر الداعي والمدعو به لدلالة ان تدع عليه ولما
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمعهم ذلك
فلم ينفعهم نزل انما تنذر اي انذارا يفيد الرجوع عن
العمى الذين يخشون ربهم اي المحسن اليهم فيوقعون
هذا الفعل في الحال ويواظبون عليه في الاستقبال
ولما كان اولي الناس عقلا واعلاهم همة من
كان غيبته مثل حضوره قال تعالى بالغيب وهو
حال من الفاعل اي يخشونه غايبين عنه او من
المفعول اي غايبا عنهم ولما كانت الصلاة جامعة
لخضوع الظاهر والباطن وكانت اشرف العبادات
وكانت اقامتها بمعنى حفظ جميع حدودها
في كل حال ادل الطاعات على الاخلاص
قال تعالى معبرا بالماضي لان مواقيت الصلاة
مضبوطة واقاموا اي دليلا على خشيتهم الصلاة
في اوقاتها الخمسة وما يتبع ذلك من السنن
ومن تزكى اي تطهر اي بفعل الطاعات وترك المعاصي
فانما يتزكى لنفسه اذ نفعه لها والى الله

والى الله اي الذي لا اله غيره المصير اي المرجع
كما كان منه المبدا فيجازي كلا على فعله ثم لما
بين تعالى الهدى والضلالة وهدى الله تعالى
المومن ولم يهدي الكافر ضرب مثلا بقوله تعالى
وما يستوي الاعمى اي عن الهدى والبصير
بالهدى اي المومن والكافر وقيل الجاهل
والعالم وقيل هما مثلان للصنم ولله تعالى
ولا الظلمات اي الكفر ولا النور اي الايمان او ولا
الباطل ولا الحق ولا الظل اي الجنة ولا الحرور
اي النار او ولا الثواب ولا العقاب تنبيه
قال ابن عباس الحرور الريح الحارة تكون
بالنهار مع الشمس وقيل السموم تكون
بالنهار والحرور بالليل والنهار وقوله تعالى
وما يستوي الاحيا ولا الاموات تمثيل اخر
للمومن والكافر ابلغ من الاول ولذلك كرر الفعل
وقيل للعلما والجهال تنبيه زيادة لا في
الثلاثة تاكيد نفي الاستوا وجا ترتيب
هذه المغيبات على احسن الوجوه فانه تعالى
لما ضرب مثل الاعمى والبصير مثلين

Copyright © King Saud University

للمومن والكافر عقب بما لكل منهما فيه فالكافر
في ظلمة والمومن في نور لان البصير وان
كان حديد البصر لا بد له من ضوء يبصر فيه
وقدم الاعمى لان البصير فاصلة فاصله
يحسن تاخيره ولما تقدم الاعمى في الذكر
ناسب تقديم ما فيه فلذلك قدمت الظلمة
على النور ولان النور فاصلة ثم ذكر ما لكل
منهما فللمومن الظل وللكافر الحرور لاجل
الفاصلة كما مر وقولنا لاجل الفاصلة اولى
من قول بعضهم لاجل السجع لان القران
ينبوا عن ذلك وقد منع الجمهور ان يقال
في القران سجع وانما كرر الفعل في قوله تعالى
وما يستوي الاحيا مبالغة في ذلك لان
المنافاة بين الحياة والموت اتم من المنافات
المتقدمة وقدم الاحيا لشرف الحياة ولم
يقول تاكيدا في قوله تعالى الاعمى والبصير
وكررها في غيره لان المنافاة فيما بعده اتم
فان الشخص الواحد قد يكون بصيرا
اعمى فلا منافاة الا من حيث الوصف
بخلاف

بخلاف الظل والحرور والظلمات والنور فانها
منافاة ابدا لا يجتمع اثبات منهما في محل بالمنافاة
بين الظل والحرور وبين الظلمة والنور دايمة
فان قيل الحياة والموت بمنزلة العمى والبصر
فان قد يكون متصفا بالحياة ثم يتصف
بالموت اجيب بان المنافاة بينهما اتم من المنافات
بين الاعمى والبصير مشتركان في ادراكات
كثيرة ولا كذلك الحي والميت فالمنافاة بينهما
اتم من المنافاة بين الاعمى والبصير لانه قابل
الجنس بالجنس وقد يوجد في افراد العميان
ما يساوي بعض افراد البصر كالاعمى زكي له
بصيرة يساوي بصيرا بليدا فالتفاوت
بين الجنسين مقطوع به الا بين الافراد وجمع
الظلمات لانها عبارة عن الكفر والضلال
وطرقهما كثيرة متسعة ووحد النور لانه
عبارة عن التوحيد وهو واحد والتفاوت
بين كل فرد من افراد الظلمة وبين هذا الفرد الواحد
والمعنى الظلمات كلها لا تجد فيها ما يساوي
هذا الواحد ثم نبه سبحانه بقوله تعالى ان الله

Copyright © King Saud University

اي القادر على المفاوتة بين هذه الاشيا وعلى كل شي
بما له من الاحاطة بصفات الكمالات يسمع من يشا ان
الخشية والسير انما هما بيده وانما الانذار انما
هو لمن قضي بانتفاعه فيتيقظ ويجتنب وما انت
اي بنفسك من غير اقدار الله لك بمسمع اي بوجه
من الوجوه من في القبور اي الحسية والمعنوية
اسماعا ينفعهم بل الله يسمعهم ان شا فلا تذهب
نفسك عليهم حسرات ان اي ما انت الا نذير
اي تنبه القلوب الميتة بقوارع الانذار
ولست بوكيل فتقرهم على الايمان ثم بين تعالى
انه ليس نذيرا من تلقا نفسه انما هو باذنه
تعالى وارساله بقوله تعالى انا اي بما لنا من العظمة
ارسلناك اي الى هذه الامة بالحق اي الامر الكامل في
الثبات الذي يطابقه الواقع وان منه نظر
الى كثرة ما اوتيه من الدلايل على مطابقة
الواقع لما قام به تنبيه يجوز في قوله تعا
بالحق اوجه احدها انه حال من الفاعل اي
الفاعل ارسلناك محققين او من المفعول اي محقا
او نعت لمصدر محذوف اي ارسلناه متلبسا بالحق

ويجوز

ويجوز ان يكون صلة لقوله تعالى بشيرا اي
لمن اطاع ونذيرا اي لمن عصى وان اي وما
من امة الا خلا اي سلف فيها نذير اي نبي
ينذرها تنبيه الامة الجماعة الكثيرة قال تعالى
وجد عليه امة من الناس يسقون ويقال لكل
عصر امة والمراد ههنا اهل العصر فان قيل
كم من امة في الفترة بين عيسى ومحمد صلى
الله عليه وسلم لم يخل فيها نذير اجيب
بان اثار النذارة اذا كانت باقية لم تخل من
نذير الى ان تندرس وحتى اندرست اثار
نذارة عيسى بعث الله تعالى محمد صلى الله عليه
وسلم فان قيل كيف اكتفى بذكر النذير
على البشير في اخر الاية بعد ذكرهما اجيب
بانه لما كانت النذارة مشفوعة بالبشارة
لا محالة دل ذكرها على ذكرها لا سيما وقد
اشتملت الاية على ذكرهما اولا ان الانذار
هو المقصود الاهم من البعثة وان يكذبوك
اي اهل مكة فقد كذب الذين من قبلهم
اي ما اتتهم به رسلهم عن الله تعالى جاتهم

اي الامم الخالية رسلهم بالبينات اي الايات الواضحات
الدالة على صحة الرسالة من المعجزات وغيرها وبالزبر
الامور المكتوبة كصحف ابراهيم وبالكتاب اي جنس
الكتاب كالتوراة والانجيل المنير اي الواضح في
نفسه الموضح لطريق الخير والشر كما انك اتيت
قومك بمثل ذلك وان كانت طريقتك اوضح
واظهر وكتابك انور وازهر واظهر وفي هذا
تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم حيث علم
ان غيره كان مثله في تكذيبه وكان متحملا
لاذى القوم تنبيه لما كانت هذه الاشيا في
جنسهم اسند المجي بها اليهم اسنادا مطلقا
وان كان بعضها في جميعهم وهي البينات
وبعضها في بعضهم وهي الزبر والكتاب
ولما سلاه صلى الله عليه وسلم هدد
من خالفه وعصاه بما فعل في ذلك الامم
الماضية بقوله تعالى ثم اخذت اي بانواع
الاخذ الذين كفروا اي ستروا تلك الايات
المنيرة بعد طول صبر الرسل عليهم ودعايهم
لهم فكيف كان نكير اي انكاري عليهم بالعقوبة
والاهلاك اي هو واقع موقعه تنبيه

اثبت

٤٦٠
٤٥٧

اثبت ورش اليا بعد الرا في الوصل دون الوقف
والباقون بغيرها وقفا ووصلا ولما ذكر تعالى
الدلايل ولم ينتفعوا قطع الكلام معهم والتفت
الى غيرهم بقوله تعالى الم تر اي تعلم ايها
المخاطب ان الله اي الذي له جميع صفات
الكمال انزل من السما ما كما ان السيد اذا نصح
بعض عبيده ولم ينزجر يقول لغيره اسمع
ولا تكن مثل هذا ويكرر ما ذكره للاول ويكون
فيه اشعار بان الاول فيه نقيصة لا يصلح
للخطاب فيتنبه له ويدفع عن نفسه ذلك
النقيصة وايضا فلا يخرج الى كلام اجنبي
عن الاول بل ياتي بما يقاربه لئلا يسمع
الاول كلام الاخر فيترك التفكر فيما كان
وقوله تعالى فاخرجنا اي بما لنا من العظمة
به اي بالما ثمرات اي متعددة الانواع فيه
التفات من الغيبة الى التكلم وانما كان
ذلك لان المنة بالاخراج ابلغ من انزال
الما وقوله تعالى مختلفا نعت لثمرات
وقوله تعالى الوانها فاعل به ولولا ذلك

Copyright © King Saud University

لانت مختلفا ولكنه لما اسند الى جمع تكسير
غير عاقل جاز تذكيره ولوانث فقيل مختلفة
كما تقول اختلفت الوانها الجار اي مختلفة
الاجناس من الرمان والتفاح والعنب
وغيرها مما لا يحصر والصبات من الحمرة
والصفرة والخضرة ونحوها فالذي قدر
على المفاوتة بينها وهي من ماء واحد لا يستبعد
عليه ان يجعل الدلايل بالكتاب وغيره
نور الشخص او عمي لاخر ولما ذكر تعالى
بنوع سامن الماء وقدمه لانه الاصل في
التكوين اتبعه التلوين عن التراب الذي هو
ايضا شي واحد بقوله تعالى عن قابلية
التلوين ومن الجبال جدد قال الجلال المحلي
جمع جدة طريق في الجبل وغيره قال
الزمخشري الجدد الخطط والطرايق وقال ابو
الحسن الجدد دبما يخالف من الطرايق
لون ما يليها ومنه جدد الحمار للخطة السودا
وعلى ظهره وقد يكون للظبي جدتان سكيتان
تفصلان بين لون ظهره وبطنه

وبطنه بيض وحمر وصفر وقوله تعالى
مختلف صفة لجدد وقوله تعالى الوانها فاعل
به كما مر نظيره ويحتمل معنيين احدهما ان
البياض والحمرة يتفاوتان بالشدة والضعف
فرب ابيض اشد من ابيض واحمر اشد من احمر
فنفس البياض مختلف وكذلك الحمرة فلذلك
جمع الوانها فيكون من باب المشكك والثاني
ان الجدد كلها على لونين بياض وحمرة فالبياض
والحمرة وان كانا لونين الا انهما جمعا باعتبار
محلهما باعتبار محلها وقوله تعالى وغرابيب
سود فيه ثلاث اوجه احدها انه معطوف
على ضمير عطف ذي لون على ذي لون
ثانيها انه معطوف على بيض ثالثها واقتصر
عليه الجلال المحلي انه معطوف على جدد اي صخور
شديدات السواد قال الجلال المحلي يقال
كثيرا اسود وغربيب وقليلا غربيب اسود
وقال البغوي اي سود غرابيب على التقديم
والتاخير يقال اسود غربيب اي شديد
السواد تشبيها بلون الغراب اي طرايق

Copyright © King Saud University

سود وعن عكرمة هي الجبال الطوال السود
وقال الزمخشري الغرابيب تاكيد للاسود
ومن حق التوكيد ان يتبع المؤكد اصفر فاقع
ووجهه ان يضمر المؤكد قبله فيكون الذي
بعده مفسرا لما اضمر كقول النابغة والمومن
العايذات الطير يمسحها ركبان مكة بين الغيل
والسند لما موضعان والمومن اسم لله
وهو مجرور بالقسم والعايذات منصوب
بالمومن والمراد بها الحمام لما عاينت بمكة
والتجات اليها حرما التعرض والطير منصوب
بالبدل اوعطف البيان ووجه الاستدلال
بذلك ان الطير المومن دال على المحذوف وهو
منصوب المومن والعايذات الطير قال
ابو حيان وهذا لا يصح الا على مذهب من يجوز
حذف المؤكد ومن النحويين من منعه
وهو اختيار بن مالك ورد عليه بان هذا
ليس هو التاكيد المختلف في حذف موكده
لان هذا من باب الصفة والموصوف
ومعنى تسمية الزمخشري له توكيدا

من

من حيث انه لا يفيد معنى زايدا وانما يفيد
المبالغة والتوكيد في ذلك الملون والنحويون
قد يسمعوا الوصف توكيدا فقال وقد
يجي لمجرد التاكيد نحو قوله نفخة واحدة والهين
اثنين والتوكيد المختلف في حذف موكده
انما هو من باب التوكيد الصناعي ومذهب
سيبويه جوازه وقال ابن عادل الاولى
فيه ان يسمى توكيدا لفظيا اذ الاصل سود
غرابيب سود ولما ذكر تعالى والاغلب
فيه الماء مما استحال الى امر اخر بعيد من الماء
واتبعه التراب المعروف حتم بها الاغلب
فيه التراب مما استحال الى ما هو في غاية
البعد من التراب فقال تعالى ومن الناس
والدواب ولما كانت الدوابة في الاصل
طارت على الارض ثم غلب اطلاقه على ما
يركب قال والانعام ليعم الكل صريحا مختلفا
الوانه اي الوان ذلك البعض الذي ابهمه
من كذلك اي مثل الثمار والاراضي منه ما هو

Copyright © King Saud University

ذو لون ومنه ما هو ذو لونين او اكثر ولما قال
تعالى الم تر يعني الم تعلم ان الله انزل من السماء ما
وعدوا آيات الله واعلام قدرته وآثار صنعه
وما خلق من الفطر المختلفة الاجناس فهو يفعل
ما يشا قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلمو
قال ابن عباس يريد انما يخافني من خلقي
من علم جبروتي وعزتي وسلطاني فالخشية
بقدر معرفة المخشي والعلم يعلمه الله فيخشاه
ويرجوه وهذا دليل على ان العالم اعلا درجة
من العابد لقوله تعالى ان اكرمكم عند الله
اتقاكم بين تعالى ان اكرامه بقدر التقوى
والتقوى بقدر العلم لا بقدر العمل فمن ازداد منه
علما ازداد منه خشية وخوفا ومن كان
علمه به اقل كان امن قال عليه الصلاة والسلام
اني لاعلمكم بالله واشدكم له خشية وقال لو تعلمون
ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وقال
مسروق كفى بالمرء علما ان يخشى وكفى بالمرء جهلا
ان يعجب بعلمه وقال رجل للشعبي افتني ايها العالم
فقال انما العالم من خشي الله تعالى قال

السهروردي

السهروردي في الباب الثالث من معارفه
فينتفي العلم عمن لا يخشى الله تعالى كما اذا قال
انما يدخل الدار بغدادي فينتفي دخول غير
البغدادي الدار وقيل نزلت هذه الاية في ابي
بكر الصديق رضي الله عنه وقد ظهرت عليه
الخشية حتى ظهرت في فيه رائحة الكبد المشوي
فان قيل هل يختلف المعنى اذا قدم المفعول
في هذا الكلام او اخر اجيب بانه يختلف
فانك اذا قدمت اسم الله تعالى واخرت العلما
كان المعنى ان الذي يخشى الله من عباده
هم العلما دون غيرهم واذا عكست على العكس
انقلب المعنى الا انهم لا يخشون الا الله
كقوله تعالى ولا يخشون احدا الا الله وهما
معنيان يختلفان تنبيه رسم العلمو بالواو
وقوله تعالى ان الله اي المحيط بالجلال
والاكرام عزيز اي غالب على جميع امره
غفور اي لذنوب من اراد من عباده
تعليل لوجوب الخشية لدلالته على انه
معاقب للمصر على طغيانه غفور للتايب

عن عصيانه والمعاقب والمثيب حقه
ان يخشى ولما بين سبحانه العلماء بالله
تعالى وخشيتهم وكرامتهم بسبب خشيتهم
ذكر العاملين بكتاب الله اليه العاملين بما فيه بقوله
ان الذين يتلون كتاب الله اي يداومون على تلاوته
وهي شأنهم ودينهم وعن مطرف هي اية القراء وعن
الكلبي ياخذون بما فيه وقيل يعلمون ما فيه و
يعملون به وعن السدي هم اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعن عطاء هم المومنون
واقاموا الصلاة اي داموها وانفقوا مما رزقناهم
من زكاة وغيرها سرا وعلانية وقيل السر في
المسنون والعلانية في المفروض تنبيه اشار تعالى
بقوله سبحانه يتلون كتاب الله الى الذكر وبقوله
تعالى واقاموا الصلاة الى العمل البدني وبقوله
تعالى وانفقوا مما رزقناهم الى العمل المالي وفي هاتين
الايتين حكمة بالغة وهي ان قوله تعالى انما يخشى
الله اشارة الى عمل القلب وقوله تعالى يتلون كتاب
الله اشارة الى عمل اللسان وقوله تعالى واقاموا
الصلاة اشارة الى عمل الجوارح ثم ان

ثم ان هذه الاشيا الثلاثة متعلقة بجانب
تعظيم الله تعالى وقوله تعالى سرا وعلانية
حث على الانفاق كيفما تهيا فان تهيا سرا
فذاك والا فعلانية ولا يمنعه ظنه ان يكون
ريا فان ترك الخير مخافة ذلك هو عين الريا
ولما امر تعالى هولا بالمدد الاعلى بين حالهم
بقوله تعالى يرجون اي في الدنيا والاخرة تجارة
اي بما عملوا لن تبور اي تهلك بل هي باقية لانها وقعت
بالمحل من لا يضيع لديه الودايع وهي رابحة رابحة
لكونه تعالى قايم القدرة شامل العلم له الغنا
المطلق ليوفيهم اجورهم اي جزا اعمالهم بالثواب
ويزيدهم من فضله قال ابن عباس يعني سوى
الثواب ما لم تر عين ولم تسمع اذن ويحتمل
ان يزيدهم النظر اليه كما في تفسير الزيادة
وهذا هو النعمة العظمى انه غفور شكور
قال ابن عباس يغفر الذنب العظيم من
ذنوبهم ويشكر من اعمالهم وقيل غفور عند
اعطا الاجر شكور عند اعطا الزيادة
تنبيه في خبران من قوله ان الذين

Copyright © King Saud University

يتلون كتاب الله وجهان احدهما الجملة
من قوله تعالى يرجون اي ان التالين يرجون
ومن تبور صفة تجارة وليوفيهم متعلق
بيرجون او بتبورا وبمحذوف اي فعلوا ذلك
ليوفيهم وعلى الوجهين الاولين يجوز ان
تكون لام العاقبة والثاني ان الخبر انه غفور
شكور جوز هذا الزمخشري على حذف العايد
اي غفور لهم وعلى هذا فيرجون حال من
انفقوا اي انفقوا ذلك راجين ولما بين
تعالى الاصل الاول وهو وجود الله تعالى
الواحد بالدلايل في قوله تعالى الله الذي
يرسل الرياح والله خلقكم وقوله تعالى الم تر
ان الله انزل من السما ماء ذكر الاصل
الثاني وهو الرسالة بقوله تعالى والذي
اوحينا اي بعا الناس العظمة اليك من الكتاب
اي الجامع لخيري الدنيا والاخرة تنبيه من
الكتاب يجوز ان تكون من للبيان كما يقال
ارسل الي فلان من الثياب جملة وان تكون
للجنس وان تكون لابتدا الغاية لا يقال جاني

جاني كتاب من الامير وعلى هذا فالكتاب
يمكن ان يراد به اللوح يعني الذي اوحينا من
اللوح المحفوظ هو الحق اي الكامل في الثبات
ومطابقة الواقع ويمكن ان يراد به القران
وهو ما اقتصر عليه الجلال المحلي يعني الارشاد
والتبيين الذي اوحينا اليك من القران ويمكن
ان تكون من للتبعيض وهو فصل او مبتدا
وقوله تعالى مصدقا لما بين يديه اي لما تقدمه
من الكتب حال موكدة لان الحق لا ينفك عن
هذا التعريف وهذا تقرير لكونه وحيا لان
النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن قاريا كاتبا
واتى ببيان ما في كتاب الله لا يكون ذلك
الا وحيا من الله تعالى فان قيل لم يجعل
ما تقدم مصدقا للقران اجيب بان
القران كونه معجزة يكفي في تصديقه بانه
وحي واما ما تقدم فلا بد فيه من معجزة
تصدقه تنبيه قوله تعالى هو الحق اكد
من قول القايل الذي اوحينا حق اليك من
وجهين احدهما ان التعريف للخبر

يدل على ان الامر في غاية الظهور لان الخبر في الاكثر
يكون نكرة الثاني ان الاخبار في الغالب تكون
اعلاما بثبوت امر لا يعرفه السامع كقولنا
زيد قام فان السامع ينبغي ان يكون عارفا بزيد ولا
يعلم قيامه فتخبره فاذا كان الخبر معلوما فتكون
الاخبار للنسبة ليعرفان بالكلام كقولنا ان زيدا
العالم في هذه المدينة اذا كان علمه مشهورا
ان الله اي الذي له جميع صفات الكمال بعباده
لخبير اي عالم والعلم والتقنه ببواطن احوالهم بصير
اي بظواهر امورهم وبواطنها اي فهو يسكن
الخشية والعلم في القلوب على قدر ما تؤمن الكتاب
في علمهم فانت احقهم بالكمال لانك اخشاهم واتقاهم
فلذلك اتيناك هذا الكتاب المعجز الذي
هو عيار على ساير الكتب وتعقيم الخبير للدلالة
على ان العمدة في ذلك الامور الروحانية وقوله تعالى
ثم اورثنا الكتاب في معناه وجهان احدهما
انا اوحينا اليك القران ثم اورثناه من بعدك
اي حكمنا بتوريثه وقال تعالى اورثناه
وهو يريد نورثه يعبر عنه بالماضي

بالماضي لتحققه وقال مجاهد اورثنا اعطينا
لان الميراث اعطا واقتصر على هذا الجلال
المحلي وقيل اورثنا اخرنا ومنه الميراث لانه
تاخر عن الميت ومعناه اخرنا القران عن
الامم السالفه واعطيناكموه واهلناكم له
تنبيه اكثر المفسرين على ان المراد بالكتاب
القران وقيل ان المراد جنس الكتاب
الذين اصطفينا اي اخترنا من عبادنا قال ابن
عباس يريد بالعباد امة محمد صلى الله عليه
وسلم اي من الصحابة والتابعين وتابعيهم
ومن بعدهم الى يوم القيمة ونقل بن الجوزي
عن ابن عباس ان الله تعالى اورث محمد
صلى الله عليه وسلم كل كتاب انزله اي لان
الله تعالى اصطفاهم على ساير الامم وجعلهم
امة وسطا ليكونوا شهدا على الناس واختصهم
بالكرامة الانتما الى افضل رسل الله تعالى وحمل
الكتاب الذي هو افضل كتب الله تعالى
ثم قسمهم بقوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه اي في
التقصير في العمل ومنهم مقتصد اي يعمل به

Copyright © King Saud University

في اغلب الاوقات ومنهم سابق بالخيرات وهو من
يضم الى العمل به التعليم والارشاد في الارشاد
روى اسامة بن زيد في هذه الاية قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم من
هذه الاية وروى ابو عثمان الهندي قال
سمعت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه
قرا على المنبر ثم اورثنا الكتاب الذين
اصطفينا من عبادنا الاية فقال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق
ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له وروى
ابو الدردا قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم قرا هذه الاية ثم اورثنا
الكتاب الاية قال اما السابق بالخيرات
فيدخل الجنة بغير حساب واما المقتصد
فيحاسب حسابا يسيرا واما الظالم لنفسه
فيحبس في المقام حتى يدخله الهم
ثم يدخل الجنة ثم قرا الحمد لله الذي اذهب
عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور وقال
عقبة بن صهبان سالت عايشة عن
قول

قول الله عز وجل ثم اورثنا الكتاب الذين
اصطفينا من عبادنا الاية فقالت يا بني كلهم
في الجنة اما السابق بالخيرات فمن مضى على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة
واما المقتصد فمن اتبع من اصحابه حتى لحق بهم
واما الظالم فمثلي ومثلكم جعلت نفسها معنا
وقال مجاهد والحسن فمنهم ظالم لنفسه
هم اصحاب المشامة ومنهم مقتصد اصحاب
الميمنة ومنهم سابق بالخيرات السابقون
المقربون من الناس كلهم وعن ابن عباس
قال السابق المومن المخلص والمقتصد
المرايي والظالم الكافر لنعمة الله غير الجاحد
لها لانه تعالى حكم للثلاثة بدخول الجنة
وقيل الظالم الراجح السيات والمقتصد
هو الذي تساوت سياته وحسناته
والسابق هو الذي رجحت حسناته
وقيل الظالم هو الذي ظاهره خير
من باطنه والمقتصد من ساوى
ظاهره وباطنه والسابق من باطنه

Copyright © King Saud University

خير من ظاهره وقيل الظالم والموحد بلسانه الذي
تخالفه جوارحه والمقتصد هو الموحد الذي يمنع
جوارحه من المخالفة بالتكليف والسابق هو الموحد
الذي ينسيه التوحيد غير التوحيد وقيل الظالم صاحب
الكبيرة والمقتصد صاحب الصغيرة والسابق
المعصوم وقيل الظالم التالي القران غير العالم
العامل وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم
والسابق العالم وقال جعفر الصادق بدا بالظالم
اخبارا بانه لا يتقرب اليه الا بكرمه وان الظلم لا يوثر
في الاصطفا ثم ثنى بالمقتصدين لانهم بين الخوف
والرجا ثم ختم بالسابقين لئلا يامن احد مكره وكلهم
في الجنة وقال ابو بكر الوراق رتبهم هذا الترتيب
في مقامات الناس لان احوال العبد ثلاثة
معصية وغفلة ثم توبة وقربة فاذا عصى دخل
في اخبار الظالمين فاذا تاب دخل في جملة
المقتصدين فاذا صحت التوبة وكثرت العبادة
والمجاهدة دخل في عداد السابقين وقيل غير
ذلك ولما كان هذا السبق في قوة العبد
في مجاري العادات ولا يوخذ بالكسب

والاجتهاد

والاجتهاد واشار الى عظمته بقوله تعالى باذن
الله اي بتمكين من له القوة والعظمة العامة
والفعل بالاختيار وجميع صفات الكمال
وتسهيله وتيسيره لئلا يامن احد مكره
تعالى قال الرازي في اللوامح ثم من السابقين
من يبلغ محل القرب فيستغرق في وحدانيته
ذلك اي ايراثهم الكتاب والسبق اي الاصطفا
هو الفضل الكبير ولما ذكر تعالى احوالهم بين
جزاءهم ومالهم بقوله تعالى مستانفا جوابا
لمن يسال عن ذلكم جنات عدن اي اقامة
بلا رحيل لانه لا سبب للرحيل عنها وقوله
تعالى يدخلونها اي الثلاثة اصناف
خبر جنات عدن ومن دخلها لم يخرج
منها لانه لا شي يخرجه ولا هو يريد
الخروج وقرا ابو عمرو بضم اليا وفتح الخا
والباقون بفتح الخا اليا وضم الخاء ولما
كان الداخل الى مكان اول ما ينظر الى ما
فيه من النفايس قال يحلون فيها اي يلبسون
على سبيل التزين والتحلي من اساور اي بعض

Copyright © King Saud University

اساور من ذهب فمن الاولى للتبعيض والثانية
للتبيين وقوله تعالى ولولو عطف على ذهب
اومن ذهب مرصع باللولو من ذهب في صفا
اللولو وقراء نافع وعاصم بالنصب عطفا على
محل من اساور والياقوت بالجر تنبيه اساور
جمع اسورة وهي جمع سوار وذكر الاساور
من بين ساير الحلي في مواضع كثيرة كقوله
تعالى وحلوا اساور من فضة يدل على
كون المتحلي غير مبتذل في الاشغال لان كثرة
الاعمال باليد فاذا حليت بالاساور علم
الفراغ من الاعمال ولما كانت هذه الزينة لا
تليق الا على اللباس الفاخر قال تعالى
ولباسهم فيها حرير وقالوا اي ويقولون عند
دخولهم وعبر عنه بالماضي تحقيقا له الحمد لله
الذي اذهب عنا الحزن قال ابن عباس حزن
النار وقال قتادة حزن الموت وقال مقاتل
لانهم كانوا لا يدرون ما يصنع بهم وقال عكرمة
حزن السيات والذنوب وحزن رد الطاعات
وقال القاسم حزن زوال النعم وخوف العاقبة

قيل

وقيل حزن اهوال القيمة وقال سعيد بن جبير
الخبز في الدنيا وقيل هم المعيشة وقال الزجاج
اذهب الله تعالى عن اهل الجنة كل الاحزان
ماكان منها لمعاش اولمعاد اي وهذا
اولى الكل قال عليه الصلاة والسلام ليس على
اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في
نشورهم وكاني باهل لا اله الا الله ينفضون
التراب عن روسهم ويقولون الحمد لله الذى
اذهب عنا الحزن ثم قالوا ان ربنا اي
المحسن الينا مع اسائتنا لغفور اي محا
للذنوب عنا واثر للصنفين الاولين و
لغيرهما من المذنبين شكور للصنف الثالث
ولغيره من المطيعين تنبيه ذكر الله تعالى
عن هذه الثلاثة ثلاثة امور كلها تفيد
الكرامة الاول قولهم الحمد لله فان الحامد
يثاب قولهم ربنا فان الله تعالى اذا نودي
بهذا اللفظ استجاب للمنادي ما لم يكن
يطلب ما لا يجوز الثالث قولهم غفور شكور
والغفور اشارة الى ما غفر لهم في الاخرة

Copyright © King Saud University

حمدهم في الدنيا والشكور اشارة الى ما يعطيهم
الله ويزيدهم بسبب حمدهم في الاخرة وقوله
الذي احلنا دار المقامة اي الاقامة اشارة الى ان
الدنيا منزلة ينزلها المكلف ويرتحل منها الى
منزلة القبور ومن القبور الى منزلة العرصة
التي فيها الجمع ومنها التفريق الى دار البقا اما الجنة
واما الى النار اجارنا الله تعالى ومحبينا منها
وقوله من فضله اي بلا عمل منا فان حسناتنا
انما كانت منا منه تعالى اذ لا عليه واجب
متعلق باحلنا اما للعلة واما لابتدا الغاية
وقوله لا يمسنا فيها اي في وقت من الاوقات
نصب ولا يمسنا فيها لغوب حال من مفعول
احلنا الاول والثاني لان الجملة مشتملة
على ضمير كل منهما وان كان الحال من الاول
اظهر والنصب التعب والمشقة واللغوب
الفتور الناشي عنه وعلى هذا فيقال اذا
انتفى السبب انتفى المسبب فاذا قيل
اذا اكل ولم يشبع فيعلم انتفا الشبع
ولا حاجة الى قوله ثانيا فلم اشبع
بخلاف

بخلاف العكس الا ترى انه يجوز لم اشبع ولم اكل
والاية الكريمة على ما تقرر من نفي السبب
ثم نفي المسبب فما فايدته اجيب بان
النصب هو تعب البدن واللغوب تعب
النفس وقيل اللغوب الوجع وحينئذ
فالسوال زايل واجاب الرازي
بجواب قال ابن عادل ليس بذلك
فتركته ولما بين تعالى ما هم فيه من النعمة
في دار السرور التي قال فيها القايل
علياء لا تنزل الاحزان ساحتها
لو مسها حجر مسته سراء
بين ما لاعدائهم من النقمة زيادة على سرورهم
لما قاسوا في الدنيا من تكبرهم عليهم وفخورهم
بقوله تعالى والذين كفروا اي ستروا ما دلت
عليه عقولهم من شموس الايات وانوار الدلالات
لهم نار جهنم اي بما تجهموا اولياء الله الدعاة
اليه لا يقضى اي يحكم عليهم اي بموت ثاني
فيموتوا اي فيتسببوا عن القضا موتهم
فيستريحوا لقوله تعالى ونادوا يا مالك

Copyright © King Saud University

ليقض علينا ربك اي بالموت فنستريح بل العذاب
دائم تنبيه نصب فيموتوا باضمار ان ولما كانت
الشدائد في الدنيا تنفرج وان طال اسرها
قال تعالى ولا يخفف عنهم واغرق في النفي
بقوله تعالى من عذابها اي جهنم تنبيه
في الاية لطائف الاولى ان العذاب
في الدنيا ان دام قتل وان لم يقتل
يعتاده البدن ويصير مزاجا فاسدا لا
يحس به المعذب فقال عذاب نار الاخرة
ليس كعذاب الدنيا اما انه يفني واما انه
يالفه البدن بل هو في كل زمان شديد
والمعذب فيه دائم الثانية وصف
العذاب بانه لا يفتر ولا ينقطع ولا باقوى
الاسباب وهو الموت حتى يتمنون ولا
يجابون كما قال تعالى ونادوا يا مالك
ليقض علينا ربك اي بالموت الثالث
ذكر في المعذبين الاشقيا بانه لا ينقضي
عذابهم ولم يقل تعالى نزيدهم عذابا
وفي المثابين قال تعالى نزيدهم من
فضله

من فضله وقوله تعالى كذلك اما مرفوع
المحل اي الامر كذلك واما منصوبة اي مثل
ذلك الجزاء العظيم يجزي كل كفور اي كافر
بالله تعالى وبرسله وقرا ابو عمرو بيا مضمومة
وفتح الزاي ورفع كل والباقون بنون
مفتوحة وكسر الزاي ونصب كل وهم اي فعل
ذلك بهم والحال انهم يصطرخون فيها اي
يوجدون الصراخ فيها بغاية ما يقدرون
عليه من الجهد في الصياح من البكا والتوجع
يقولون ربنا اي ايها المحسن الينا اخرجنا
اي من النار نعمل صالحا ثم فسروه وبينوه
بقولهم غير الذي كنا نعمل في الدنيا فان قيل هلا
اكتفي بقولهم نعمل صالحا كما اكتفي به في قولهم
فارجعنا نعمل صالحا وما فايدة زيادة غير
الذي كنا نعمل على انه يوهم انهم يعملون صالحا
اخر غير الصالح الذي عملوه اجيب بانه
فايدته زيادة التحسر على ما عملوه من غير
الصالح مع الاعتراف به واما الوهم فزايل
بظهور حالهم في الكفر وظهور المعاصي ولانهم

Copyright © King Saud University

كانوا يحسبون انهم يحسنون صنعا فقالوا اخرجنا
نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل بحسبه صالحا فنعمله
فيقال لهم توبيخا وتقريعا اولم نعمركم اي نطل اعماركم
مع اعطائنا لكم العقول ولم نعاجلكم بالاخذ ما
اي زمانا يتذكر فيه من تذكر قال عطا وقتادة
والكلبي ثماني عشرة سنه وقال الحسن
اربعون سنه وقال ابن عباس ستون سنه
وروي ذلك عن علي وروي البزار انه صلى الله
عليه وسلم قال العمر الذي اعذر الله فيه الى ابن
ادم ستون سنه وروي البخاري انه صلى
الله عليه وسلم قال من عمره الله ستين
سنه فقد اعذر اليه في العمر وروى
الترمذي وابن ماجه عن ابي هريرة انه صلى الله
عليه وسلم قال اعمار امتي ما
بين الستين الى السبعين واقلهم
من يجوز ذلك وقوله تعالى و
جاءكم النذير عطف على اولم نعمركم لان فيه معنى
قد عمرناكم كقوله اولم نربك ثم قال ولبثت
وقال تعالى الم نشرح لك صدرك ثم قال

ثم قال تعالى ووضعنا اذ هما في معنى
ربيناك وشرحنا واختلف في النذير فقال
الاكثرون وهو محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل القران وقال عكرمة وسفيان
ابن عيينة ووكيع وهو الشيب والمعنى
اولم نعمركم حتى شبتم ويقال الشيب نذير
الموت وفي الاثر ما من شعرة تبيض الا
قالت لاختها استعدي فقد قرب الموت
ولما تسبب عن ذلك ان عذابهم لا ينفك
قال تعالى فذوقوا اي ما اعددناه لكم من
العذاب دائما ابدا فما للظالمين اي الذين
وضعوا اعمالهم واقوالهم في غير موضعها
من نصير اي في وقت الحاجة حتى يدفع
عنهم العذاب قال البقاعي وهذا عام
في كل ظالم ولما كان تعالى عالما بكل ما نفى
وما اثبت قال تعالى ان الله اي الذي
احاط بكل شيء قدرة وعلما عالم غيب السموات
والارض لا يخفى عليه خافية فلا يخفى عليه تفا
احوالهم وقوله تعالى انه عليم بذات الصدور

Copyright © King Saud University

تعليل له لانه اذا علم مضمرات الصدور قبل ان
يعلمها اربابها حتى تكون غيبا محضا كان اعلم
بغيره ويعلم انكم لو مدت اعماركم لم ترجعوا من
الكفر ابدا ولو رددتم لعدتم لما نهيتم عنه
وانه لا مطمع في صلاحكم ولما كان من انشا
شيا كان اعلم به قال تعالى هو اي وحده
لا شركاوكم ولا غيره الذي جعلكم ايها الناس
خلائف في الارض اي يخلف بعضكم بعضا وقيل
جعلكم امة واحدة خلفت من قبلها ورات
فيمن قبلها ما ينبغي ان يعتبر به وقال
القشيري اهل كل عصر خليفة عمن تقدمهم فمن
قوم هم لسلفهم جمال ومن قوم هم اراذل
واسافل تنبيه خلائف جمع خليفة وهو
الذي يقدم لبعد الانسان بما كان قايما به
والخلفا جمع خليفة قاله الاصبهاني فمن كفر
فعليه كفره اي وبال كفره ولا اي والحال انه
يزيد الكافرين اي المغطين للحق كفرهم اي الذي
هم متلبسون به ظانون انه يسعدهم وهم
راسخون فيه غير منتقلين عنه عند ربهم
اي المحسن

اي المحسن اليهم الا مقتا اي غضبا لان الكافر
السابق كان ممقوتا ولا يزيد الكافرين اي
الفريقين في صفة التغطية كفرهم الا خسارا اي
للاخرة لان العمر كراس مال من اشترى به رضا
الله تعالى ربح ومن اشترى به سخط الله تعالى
خسر ولما بين انه سبحنه وتعالى هو الذي
استخلفهم اكد بيان ذلك عندهم بامره صلى الله
عليه وسلم بما يضطرهم الى الاعتراف بقوله تعالى
قل اي لهم ارايتم اي اخبروني شركاكم اضافهم اليهم
لانهم وان كانوا جعلوهم شركاه لم ينالوا شيا
من شركته لانهم ما نقصوه شيا من ملكه
وانما شاركوا العابدين في اموالهم بالسوائب
وغيرها وفي اعمالهم فهم شركاوهم بالحقيقة
لا شركاوه ثم بين المراد من عدهم لهم شركا
بقوله تعالى الذين تدعون اي تعبدونه من
دون الله اي غيره وهم الاصنام الذين
زعمتم انهم شركا الله تعالى اروني اي اخبروني
ماذا اي الذي اي شي خلقوا من الارض
اي ليصح لكم دعوى الشركة فيهم والا فادعاوكم

ذلك فيه كذب محض ولانكم تدعون انكم ابعد الناس من
في الامور الهينة فكيف بمثل هذا ام لهم شرك اي شركة
مع الله تعالى وان قلت في السموات اي اروني ماذا خلقوا
لكم من السموات فالاية من الاحتباك حذفا ولا
الاستفهام عن الشركة في الارض لدلالة مثله في
السما ثانيا عليه وحذف الامر بالارادة ثانيا
لدلالة مثله اولا عليه ام اتيناهم كتابا ينطق على انا
اتخذنا شركا فهم الاحسن في هذا الضمير ان يعود على
الشركا لتناسق الضماير وقيل يعود على المشركين قاله
مقاتل فيكون التفاتا من خطاب الى الغيبة على بينة
اي حجة منه بان لهم مني شركة ولما كان التقدير
لا شي لهم من ذلك قال تعالى منبها على
ذميم احوالهم وسفه ارايهم وخسة هممهم
ونقصان عقولهم بل ان اي ما يعد الظالمون
اي الواضعون الاشيا غير موضعها بعضهم
بعضا الاتباع للمتبوعين بان شركاهم
تقربهم الى الله تعالى زلفى وانها تشفع و
تضر وتنفع الا غرورا اي باطلا ولما بين
تعالى حقارة الاصنام بين عظمته

سبحانه

سبحانه وتعالى بقوله تعالى ان الله اي الذي له
جميع صفات الكمال يمسك السموات اي على
كبرها وعلوها والارض على سعتها وبعدها
عن التماسك على ما تشاهدون وقوله تعالى
ان تزولا برجة عظيمة وزلزلة كبيرة يجوز ان
يكون مفعولا من اجله اي كراهة ان تزولا
وقيل لئلا تزولا ويجوز ان يكون مفعولا
ثانيا على اسقاط الخافض ان يمنعهما من
ان تزولا ويجوز ان يكون بدل اشتمال
اي يمنع زوالهما لان ثباتهما على ما هما عليه
على غير قياس لولا شامخ قدرته وباهر
عزته وعظمته فان ادعيتم عنادا ان شركاكم
لا يقدرون على الخلق لعلة من العلل فادعوهم
لازالة ما خلق الله تعالى ولما كان في هذا
دليل على انهما حادثان زايلتان اتبعه
ما هو ابين منه بقوله تعالى معبرا باداة الامكان
ولين لام قسم زالتا اي بزلزلة خراب او غير ذلك
ان اي ما امسكهما من احد من بعده جواب
القسم الموطا بلام القسم وجواب الشرط محذوف

Copyright © King Saud University

يدل عليه جواب القسم ولذلك كان فعل الشرط
ماضيا وقول البيضاوي تبعا للزمخشري
والجملة سدت مسد الجوابين فيه تجوز فالمراد
تسد هامسدهما انها تدل عليهما لا انها قائمة
مقامهما اذ يلزم ان تكون معمولة وغير معمولة
لانها باعتبار جواب القسم لا محل لها من الاعراب
وباعتبار جواب الشرط لها محل ومن في من احد
مزيدة للتاكيد ومن بعده لابتدا الغاية
والمعنى احد سواه او من بعد الزوال
انه كان اي ازلا وابدا حليما اذ امسكهما
وكانتا جديرتين بان تهدا هدا كما قال
تعالى تكاد السموات يتفطرن منه
وتنشق الارض وتخر الجبال هدا لانه لا
يستعجل الا من يخاف الفوت فينتهز الفرصة
غفورا اي محا الذنوب من رجع اليه واقبل
بالاعتراف عليه فلا يعاقبه ولا يعاتبه
ولما بلغ كفار مكة ان اهل الكتاب
كذبوا رسلهم وقالوا لعن الله اليهود
اتتهم الرسل فكذبوهم واقسموا اي
كفار

اي كفار مكة بالله الذي لا يقسم بغيره جهد ايمانهم اي
غاية جهدهم فيها لئن جاءهم نذير اي رسول ليكونن
اهدى من احدى الامم اي اليهود والنصارى
وغيرهم اي واحد منهما لما راوا من تكذيب بعضها
بعضا اذ قالت اليهود ليست النصارى على شيء
وقالت النصارى ليست اليهود على شيء فلما جاءهم
نذير اي على ما شرطوا وزيادة وهو محمد صلى
الله عليه وسلم الذي كانوا يشهدون انه خيرهم
نفسا واشرفهم نسبا واكرمهم خلقا ما زادهم اي
مجيئه شيئا مما هم عليه من الاحوال الا نفورا اي
تباعدا من الهدى لانه كان سببا في زيادتهم في
الكفر كالابل التي كانت تنفر من ربها فضلت عن
الطريق فدعاها فازدادت بسبب دعايه نفورا
فصارت بحيث يتعذر ويتعسر ردها فتبين
انه لا عهد لهم مع ادعايهم انهم اوفى الناس
ولا صدق عندهم مع جزمهم بانهم اصدق الخلق
ثم علل نفورهم بقوله تعالى استكبارا اي طلبا
لايجاد الكبر لانفسهم في الارض اي التي من
شانها السفول والتواضع والخمول فلم

Copyright King Saud University

لم تكن نفورهم لامر محمود ولا مباح ويجوز ان يكون
استكبارا بدلا من نفورا او ان يكون حالا اي حال
كونهم مستكبرين قاله الاخفش وقوله تعالى
ومكر السيء فيه وجهان اظهرهما انه عطف على
استكبارا والثاني انه عطف على نفورا وهذا
من اضافة الموصوف الى صفته في الاصل اذ الاصل
والمكر السيء والبصريون يؤولونه على حذف
موصوف اي العمل السيء الذي من شانه
ان يسوء صاحبه وغيره وهو ارادتهم
لارادتهم لاهانة امر النبي صلى الله عليه وسلم
واطفاء نور الله عز وجل وقال الكلبي هو اجتماعهم
على الشرك وقتل النبي صلى الله عليه وسلم وقرا
حمزة في الوصل بهمزة ساكنة اي بنية الوقف
اشارة الى تدقيقهم المكر واتقانه واخفائه
جهدهم والباقون بهمزة مكسورة واذا وقف
حمزة ابدل الهمزة وادغم اليا الاولى في الثانية
ووقف بهمزة مكسورة ووقف الباقون
بهمزة ساكنة **ولا** اي والحال انه لا **يحيق**
اي يحيط احاطة لازمة خسارة **المكر السيء**

اي

اي الذي هو غريق في السوء **الا باهله** اي وان
اذى غير اهله لكنه لا يحيط بذلك الغير فان
قيل كثيرا ما نرى الماكر يمكر ويفيده المكر و
يغلب الخصم بالمكر والاية تدل على عدم ذلك
اجيب باجوبة احدها ان المكر في الاية هو المكر
الذي مكروه مع النبي صلى الله عليه وسلم
من العزم على القتل والاخراج ولم يحق الا بهم
حيث قتلوا يوم بدر وغيره ثانيها انه
عام وهو الاصح ويدل له قول الزهري بلغنا
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تمكروا
ولا تعينوا ماكرا فان الله تعالى يقول
هذه الاية ولا تبغوا ولا تعينوا باغيا يقول
الله تعالى انما بغيكم على انفسكم ولا تنكثوا
ولا تعينوا ناكثا قال تعالى فمن نكث فانما
ينكث على نفسه ثالثها ان الاعمال بعواقبها
ومن مكر غيره ونفذ فيه المكر في الظاهر فهو في
الحقيقة هو الفائز والماكر هو الهالك كمثل
راحة الكافر ومشقة المسلم في الدنيا ويؤيد
هذا المعنى قوله تعالى **فهل ينظرون**

Copyright © King Saud University

اي ينتظرون الا سنة الاولين اي سنة الله تعالى
فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم رسلهم والمعنى
فهل ينتظرون الا ان ينزل بهم العذاب كما نزل
بمن مضى من الكفار ولما كان هذا النظر يحتاج
الى صفا في اللب وذكا في النفس عدل عن ضميرهم
الى خطابا على الخلق بقوله تعالى فلن تجد اي في
وقت من الاوقات لسنة الله اي طريقة الملك
الاعظم التي شرعها وحكم بها وهي اهلاك العاصين
وانجا الطايعين تبديلا اي من احد ياتي بسنة
غيرها تكون بدلا لها لانه تعالى لا مكافي له
ولن تجد لسنة الله اي الذي لا امر لاحد معه
تحويلا اي من حالة الى احق منها لانه لا مرد
لقضايه فايدة ترسم بسنت لسنت لسنت
الثلاثة بالتا المجرورة كما رايت ووقف
ابو عمرو وابن كثير والكسائي بالها والباقون
بالتا واذا وقف على الها امال الها على اصله
ولما ذكر الله تعالى الاولين وسنتهم في
اهلاكهم نبههم بتذكير حال الاولين بقوله
تعالى اولم يسيروا اي فيما مضى من الزمان
في الارض اي التي ضربوا في المتاجر بالسير
اليها

بالسير اليها في الشام واليمن والعراق فينظروا
اي فيتسبب عن ذلك السير ان يتجدد لهم نظر واعتبار
يوما من الايام فان العاقل من اذا راى شيا
تفكر فيه حتى يعرف ما ينطق به لسان حاله
ان خفي ما جرى من مقاله واشار بسوقه في
اسلوب الاستفهام الى انه لعظمه خرج عن
امثاله فاستحق السوال عن حاله كيف كان
عاقبة اي اخر امر الذين من قبلهم اي على اي حالة
تكون احدهم ليعلموا انهم ما اخذوا الا بتكذيب
الرسل فيخافوا ان يفعلوا مثل فعالهم فيكون
حالهم كحالهم فانهم كانوا يمرون على ديارهم ويرون
اثارهم واذوق امالهم وعمالهم كان دون عمالهم
وكانوا اطول منهم اعمارا واشد اقتدارا ومع
هذا لم يكونوا مثل محمد صلى الله عليه وسلم
وانتم يا اهل مكة كفرتم بمحمد ومن قبله وكانوا
اي اهلكناهم لتكذيبهم رسلنا والحال انهم
اشد منهم اي من هولا قوة وما كان الله
اي الذي له جميع العظمة واكد الاستغراق
في النفي بقوله تعالى ليعجزه اي مريدا لان
يعجزه وما انتفت ارادة العجز عنه انتفى
العجز بطريق الاولى وابلغ في التاكيد

Copyright © King Saud University

بقوله تعالى من شيء اي قل او جل بما يصل اليه
ادراكنا ادركنا بقوله تعالى في السموات اي جهة
العلو واكد بقوله تعالى ولا في الارض اي جهة
السفل انه كان اي ازلا وابدا عليما اي بالاشيا
كلها حقيرها وجليلها قديرا اي كامل القدرة
فلا يريد شيا الا كان فلما كانوا يستعجلون بالوعد
استهزا كقولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من
عندك فامطر علينا حجارة من السما او ايتنا
بعذاب اليم على ان التقدير لو عاملكم الله تعالى
معاملة المواخذة لعجل هلاككم عطف عليه
قوله تعالى اظهارا للحكم مع العلم ولو يواخذ الله
اي بماله من الصفات العلى الناس اي المكلفين
بما كسبوا اي من المعاصي ما ترك على ظهرها اي
الارض من دابة اي نسمة تدب عليها لما كان
في زمن نوح عليه السلام اهلك الله تعالى
ما على ظهر الارض الا من كان في السفينة
مع نوح فان قيل اذا كان الله تعالى يواخذ
الناس بما كسبوا فما بال الدواب اجيب
بان المطر انعام من الله في حق العباد
واذا لم يستحقوا الانعام قطعت الامطار
عنهم.

عنهم فيظهر الجفاف على وجه الارض فتموت جميع
الحيوانات وبان خلقة الدواب نعمة والمعاصي
تزيل النعم وتحل النقم والدواب اقرب النعم لان
المفرد اولا ثم المركب والمركب اما ان يكون
معدنا واما ان يكون ناميا والنامي اما ان يكون
حيوانا او نباتا والحيوان اما انسانا او غير انسان
فالدواب اعلى درجات المخلوقات في عالم العناصر للانسان
فان قيل كيف يقال لما عليه الخلق من الارض
وجه الارض وظهر الارض مع ان الظهر مقابلة
الوجه فهو كالمتضاد اجيب بان الارض
كالدابة الحاملة للاثقال والحمل يكون على الظهر
واما وجه الارض فلان الظاهر من باب والمبطن
والباطن من باب فوجه الارض ظهر لانه هو
الظاهر وغيره منها باطن وبطن ولكن لم يعاملهم
معاملة المواخذة المناقش بل يحلم عنهم
فهو يوخرهم اي في الحياة الدنيا ثم في البرزخ
الى اجل مسمى اي سماه في الاول لانقضا اعمارهم
ثم يبعثهم من قبورهم وهو تعالى لا يبدل
القول لديه لما له من صفات الكمال فاذا جا

Copyright © King Saud University

اجلهم اي الغنا الاعدامي اي قبض كل واحد منهم
عند اجله او الايجاد الانقاى ببعث كل منهم فجازاه
بعلمه فلنا الله اي الذي له الصفات العلى كان
ولم يزل بعباده الذي اوجدهم ولا شريك له
في ايجاد واحد منهم بجميع ذواتهم واحوالهم
بصيرا اي بالغ البصر والعلم بمن يستحق
العذاب ومن يستحق الثواب قال ابن عباس
يريد اهل طاعته واهل معصيته وما رواه
البيضاوى تبعا للزمخشري من انه صلى الله
عليه وسلم قال من قرا سورة الملائكة
دعته يوم القيمة ثمانية ابواب الجنة ان ادخل
من اي الابواب شئت حديث موضوع ه

سورة يس مكية

وهي ثلاث وثمانون اية وسبع مائة
وتسعة وعشرون كلمة وثلاثة الاف حرف
وتسمى ايضا القلب والدافعة والقاضية
والمعمة تعم صاحبها خير الدارين وتدفع
عنه كل سو وتقضي له كل حاجة والبيضاوي
ذكر هذه التسمية عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال

قال شيخنا القاضي زكريا لم اره لكن المثبت مقدم
على النافي بسم الله اي الذي جل ملكه عن ان يحاط
بمقداره الرحمن الذي جعل انذاره يوم الجمع رحمة
عامة الرحيم الذي انار قلوب اوليايه بالاجتهاد
ليوم لقايه وقوله تعالى يس كالم في المعنى والاعراب
وقال ابن عباس يس قسم وروي عن شعبة
ان معناه يا انسان بلغة طي على ان اصله
يا انيسين فاقتصر على شطره لكثرة النداء به
كما قيل من الله في ايمن الله وقال اكثر
المفسرين يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
قاله الحسن وسعيد بن جبير وجماعة وقال
ابو العالية يا رجل وقال ابو بكر الوراق يا
سيد البشر قال ابن عادل في ذكر هذه الحروف
اوايل السور امور تدل على انها غير خالية
من الحكمة لكن علم الانسان لا يصل اليها والذي
يدل على انها فيها حكمة هو ان الله عز وجل
ذكر من الحروف نصفها وهي اربعة عشر حرفا
نصف ثمانية وعشرين حرفا وهي
جميع الحروف التي في لسان العرب على

على قولنا الهمزة الف متحركة ثم ان الله تعالى
قسم الحروف ثلاثة اقسام تسعة احرف من
الالف الى الذال والتسعة الاخيرة من الفا الى
اليا وعشرة في الوسط من الرا الى الغين
وذكر من القسم الاول حرفين الالف والحا وترك
سبعة وترك من القسم الاخير حرفين هما
الالف واللام وذكر سبعة ولم يترك من القسم
الاول من حروف الحلق والصدر الا واحدا
لم يذكره وهو الخا ولم يذكر من القسم الاخير
من حروف الشفة الا واحدا لم يتركه وهو
الميم والقسم الاوسط ذكر منه حرفا وترك
حرفا فترك الزاي وذكر الرا وذكر السين
وترك الشين وذكر الصاد وترك الضاد
وذكر الطا وترك الظا وذكر العين وترك
الغين وليس لهذا سر يقع اتفاقا بل هو
ترتيب مقصود فهو حكمة لكنها غير معلومة
وهب ان واحدا يدعي فيها شيا فاذا
يقول في كون بعض السور مفتتحة
بحرف كسورة ن وق وص وبعضها
بحرفين كسورة حم ويس وطس وطه
وبعضها

وبعضها بثلاثة احرف كالم وطسم والر وبعضها
باربعة احرف كسورة المر والمص وبعضها بخمسة
احرف كسورة حم عسق وكهيعص وهب ان
قايلا يقول ان هذه اشارة بان الكلام اما
حرف واما فعل واما اسم والحرف كثيرا ما جا على
حرف لواو العطف وفا التعقيب وهمزة
الاستفهام وكاف التشبيه وبا الالصاق وغيرها
وجا على حرفين كمن للتبعيض واو للتخيير
وام للاستفهام المتوسط وان للشرط وغيرها
والفعل والاسم والحرف جات ثلاثة احرف
كالى وعلى في الحرف ولالي وعلي في الاسم والا
ببسالوا بالواو وعلا يعلو في الفعل والاسم
خاصة جا على ثلاثة احرف واربعة وخمسة
كعجل ومسجل وخزد هل فلجا في القران
اشارة الى ان تركيب العربية في هذه الحروف
على هذه الوجوه فماذا يقول هذا القايل في
تخصيص بعض السور بالحرف الواحد والبعض
باكثر فلا يعلم ما السر الا الله تعالى ومن اعلمه
الله به واذا علم هذا فالعبادة منها قلبية ومنها

Copyright © King Saud University

ومنها اللسانية ومنها جارحية وكل واحد منها قسمان
قسم عقل معناه وحقيقته وقسم لم يعلم اما القلبيه
مع انها البعد عن الشك والجهل ففيها ما لم يعلم دليله
عقلا وانما وجب الايمان به والاعتقاد وسمعا كا
لصراط الذي هو ارق من الشعرة واحد من السيف
ويمر عليه المومن كالبرق الخاطف والميزان الذي توزن
به الاعمال التي لا تعقل لها في نظر النار وكيفية الجنة
والنار فان هذه الاشيا وجودها لم يعلم
بدليل عقلي وانما المعلوم بالعقل امكانها ووقوعها
معلوم مقطوع به بالسمع ومنها ما علم كالتوحيد
والنبوة وقدرة الله تعالى وصدق الرسل
وكذلك في العبادات الخارجية ما علم معناه
وما لم يعلم كمقادير النصب وعدد الركعات
والحكمة في ذلك ان العبد اذا اتى بما امر به من غير
ان يعلم ما فيه من الفايدة فلا يكون الاتيان الا
لمحض الفايده فربما ياتي الفايدة وان لم يومر كما
قال العبد لعبده انقل هذه الحجارة من ها هنا
ولم يعلمه بما في النقل فنقلها ولو قال انقلها فان
تحتها كنز هو لك فانه ينقلها وان لم يومر

واذا

واذا علم هذا فكذلك في العبادات اللسانية الذكر
يجب ان يكون ما لم يفهم معناه اذا تكلم به
العبد علم انه لا يعلم غير الانقياد لامر المعبود
الالهي فاذا قال حم طس يس علم انه لا يذكر
ذلك المعنى يفهمه بل يتلفظ به امتثالا لما امر
به الله كلام بن عادل بحروفه وهو كلام دقيق
وقرايس بامالة الياء شعبة وحمزة والكسائي
والباقون بالفتح واظهر النون من يس عند
الواو والقران قالون وابن كثير وابو عمرو
وحفص وحمزة وادغم الباقون وهي واو
القسم او العطف ان جعل مقسما به ثم وصف
القران بقوله تعالى الحكيم اي المحكم بعظم النظم
وبديع المعاني وقوله تعالى انك لمن المرسلين
اي الذين حكمت عقولهم على دعوى نفوسهم
فصاروا بما وهبهم الله من القوة النورانية
وبما تخلقوا به من اوامره ونواهيه كالملايكة
الذين تقدم ذكرهم في السورة الماضية انهم
رسله جواب القسم وهو رد على الكفار حيث
قالوا لست مرسلا فان قيل المطلب تثبت

Copyright © King Saud University

بالدليل لا بالقسم فالحكمة في الاقسام اجيب
باوجه اولها ان العرب كانوا يتقون الايمان
الفاجرة وكانوا يقولون ان الايمان الفاجرة
توجب خراب العالم وصح النبي صلى الله عليه
وسلم ذلك بقوله اليمين الكاذبة تدع الديار
بلاقع ثم انهم كانوا يقولون ان النبي صلى
الله عليه وسلم يصيبه من الهتهم
وهي الكواكب عذاب والنبي صلى الله عليه
وسلم يحلف بامر الله وانزال كلامه عليه
باشيا مختلفة وما كان يصيبه عذاب
بل كان كل يوم ارفع شانا وامنع مكانا
فكان ذلك يوجب اعتقاد انه ليس
بكاذب ثانيها ان المناظرين اذا وقع بينهما
كلام وغلب احدهما الاخر بتمشية دليله
واسكته يقول المغلوب انك قررت هذا
جدالك وانت خبير في نفسك بضعف مقالتك
وتعلم ان الامر ليس كما تقول وان اقمت عليه
دليل صورة وعجزت انا عن القدح فيه وهذا
كثير الوقوع بين المتناظرين فعند هذا
لا

لا يجوز ان ياتي هو بدليل اخر لان الساكت
المنقطع يقول في الدليل الاخر ما قاله في الاول
فلا يجد امرا الا اليمين فكذلك النبي صلى الله عليه
وسلم اقام البراهين وقالت الكفرة ما هذا
الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباؤكم
وقالوا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين
فالتمسك بالايمان لعدم فايدة الدليل ثالثها
ان هذا ليس مجرد الحلف بل دليل خرج في صورة
اليمين لان القران معجزة ودليل كونه مرسلا
هو المعجزة والقران كذلك فان قيل لم لم
يذكر في صورة الدليل وما الحكمة في ذكر الدليل
في صورة اليمين اجيب بان الدليل اذا
ذكر في صورة اليمين واليمين لا تقع ولا سيما
من العظيم الا على امر عظيم والامر العظيم تتوفر
الدواعي على الاصغاء اليه فلصورة اليمين يقبل
عليه السامع لكونه دليلا شافيا يسر به
الفؤاد فيقع في السمع وفي القلب وقوله
تعالى على صراط اي طريق واسع واضح مستقيم
اي هو التوحيد والاستقامة في الامر يجوز ان

Copyright © King Saud University

يكون متعلقا بالمرسلين تقول لرسلت عليه كذا
قال تعالى وارسلنا عليهم طيرا ابابيل وان يكون متعلقا
بمحذوف على انه حال من الضمير المستكن في لمن
المرسلين لوقوعه خبرا وان يكون حالا من المرسلين
وان يكون خبرا ثانيا لانك وقرا قنبل صراط بالسين
عوضا عن الصاد وخلف بالاشمام وهو بين
الصاد والزاي والباقون بالصاد الخالصة
ولما كان كانه قيل ما هذا الذي ارسل به كان كانه
قيل جوابا هو القران الذي وقع الاقسام به وهو
تنزيل او حال كونه تنزيل العزيز اي المتصف
بجميع صفات الجلال الرحيم اي الحاوي لجميع
صفات الاكرام الذي ينعم على من يشا من عباده بعد
الانعام بايجادهم فهو الواحد المنفرد في ملكه وقرا
ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي تنزيل بالنصب
على الحال كما مر او باضمار اعني والباقون بالرفع على
انه خبر مبتدا مضمر كما مر ولما ذكر تعالى المرسل
وهو الله تعالى والمرسل اليه وهو النبي صلى الله
عليه وسلم والمرسل به وهو القران ذكر
المرسل له بقوله تعالى لتنذر قوما اي ذوي

اي ذوي باس وقوة وفطنة ما انذر اي لم تنذر
اصلا اباؤهم اي لم ينذروا في زمن الفترة فهم
اي بسبب زمان الفترة غافلون اي عن الايمان
والرشد وقوله تعالى لقد حق القول على اكثرهم
فيه وجوه اشهرها ان المراد بالقول هو قوله
تعالى لقد حق القول مني لاملان جهنم منك
وممن تبعك ثانيها ان معناه لقد سبق في علمه
تعالى ان هذا يومن وهذا لا يومن فحق القول
اي وجب وثبت بحيث لا يبدل بغيره كما قال
تعالى لا يبدل القول لدي ثالثها ان المراد
لقد حق القول الذي قال الله تعالى على
لسان الرسل من التوحيد وغيره فهم اي
بسبب ذلك لا يومنون اي بما يلقى اليهم من
الانذار بل يزيدهم عمى واستكبارا في الارض
ومكر السيء ونزل في ابي جهل وصاحبه انا جعلنا
في اعناقهم اغلالا اي بان تضم اليها الايدي لان
الغل يجمع اليد الى العنق وذلك ان ابا جهل
كان قد حلف لئن راى محمدا صلى الله عليه وسلم
يصلي ليرضخن راسه فاتاه وهو يصلي

Copyright © King Saud University

ليرميه بالحجر فاعمى الله تعالى بصره فجعل يسمع
صوته ولا يراه فرجع الى اصحابه فلم يرهم حتى
نادوه فقالوا له ما صنعت فقال ما رايته ولقد
سمعت كلاما وحال بيني وبينه كهيئة الفحل
يخطر بذنبه لو دنوت منه لاكلني فانزل الله
هذه الاية ووجه المناسبة لما تقدم انه لما قال
تعالى لقد حق القول على اكثرهم وتقدم ان المراد به
البرهان قال بعد ذلك بل عاينوا وابصروا اما
يقرب من الضرورة حيث التزقت يده بعنقه
ومنع من ارسال الحجر وهو مضطر الى الايمان ولم
يومن علم انه لا يومن اصلا وقال اهل المعاني
هذا على طريق المثل ولم يكن هناك غل اراد منعنا
هم عن الايمان بموانع فجعل الاغلال مثلا لذلك فهو
تقرير لتصميمهم على الكفر والطبع على قلوبهم بحيث لا
تغني عنهم الايات والنذر بتمثيلهم بالذين غلت
اعناقهم وقال الفرا معناه حبسناهم عن الانفاق
في سبيل الله كقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى
عنقك معناه ولا تمسكها عن النفقة ومناسبة هذا
لما تقدم ان قوله تعالى فهم لا يومنون يدخل
فيه

فيه انهم لا يصلون كقوله تعالى وما كان الله
ليضيع ايمانكم اي صلاتكم عند بعض المفسرين
والزكاة مناسبة للصلاة فكانه قال لا
يصلون ولا يزكون واختلف في عود الضمير
في قوله تعالى فهي الى الاذقان على وجهين
اشهرهما انه عائد على الاغلال لانها في المحدث
عنها ومعنا هذا الترتيب بالفا ان الغل
الغليظة وعرضه يصل الى الذقن لانه يلبس
العنق جميعه قال الزمخشري والمعنى
انا جعلنا في اعناقهم اغلالا ثقالا غلاظا بحيث
تبلغ الى الاذقان فلم يتمكن المغلول معها
من ان يطاطي راسه ثانيهما ان الضمير
يعود الى الايدي واليه ذهب الطبري وعليه
جرى الجلال المحلي لان الغل لا يكون الا في العنق
واليدين ودل على الايدي وان لم تذكر
الملازمة المفهومة من هذه الالة اعني الغل
وقرا قالون وابو عمرو والكسائي بسكون
الها والباقون بكسرها والاذقان جمع
ذقن وهو مجمع اللحيين ثم شرع

Copyright © King Saud University

اي رافعون روسهم غاضون ابصارهم فانهم
لايلتفتون لغير الحق ولا يعطفون اعناقهم
نحوه ولا يطاطيون روسهم له والاقماح رفع
الراس الى فوق كالاقناع وهو من قمح البعير
البعير راسه اذا رفعها بعد الشرب اما
لبرودة الما واما لكراهة طعمه ولما كان الرافع
راسه غير ممنوع من النظر امامه قال تعالى
وجعلنا اي بعظمتنا من بين ايديهم اي الوجه
الذي يمكنهم علمه سدا فلا يسلكون طريق
الاهتدا ولما كان الانسان اذا انسدت
عليه جهة مال الى الاخرى قال تعالى ومن
خلفهم اي الوجه الذي هو خفي عنهم سدا
فلا يرجعون الى الهداية فصارت كل جهة
يلتفت اليها مسندة فصاروا من ذلك لا
يمكنهم النظر الى الحق ولا الخلوص اليه فلذلك
قال تعالى فاغشيناهم اي جعلنا لهم على
ابصارهم بما لنا من العظمة غشاوة فهم اي
بسبب ذلك لا يبصرون اي لا يتجدد لهم
هذا الوصف من ابصار الحق وما ينفعهم

يبصر

يبصر ظاهر ولا ببصيرة باطنه وايضا الانسان مبدا
من الله تعالى ومصيره اليه فعمي الكافرين بان لا
يبصروا ما بين ايديهم من المصير الى الله تعالى وما
خلفهم من الدخول في الوجود بخلق الله تعالى وما
احاط سدان فغطى ابصارهم بحيث لا يبصروا قدامهم
وورائهم فانهم محبوسون في مطمورة الجهالة
ممنوعين عن النظر في الايات والدلايل وايضا
فان السالك اذا لم يكن له بد من السلوك طريق
اذا انسد الطريق من خلفه وقدامه والموضع
الذي هو فيه لا يكون موضع اقامته هلك فان
قيل ذكر السد من بين الايدي ومن الخلف لم يذكر
من اليمين والشمال فالحكمة في ذلك اجيب بانهم
اذا قصدوا السلوك الى الجانب اليمين او جانب الشمال
صاروا متوجهين الى شي ومولين عن شي فصار
ما اليه توجههم ما بين ايديهم فيجعل الله تعالى
السد هناك فيمنعه من السلوك فكيف ما توجه
الكافر يجعل الله تعالى بين يديه سدا وقرا حفص وحمزة
والكسائي سدا بفتح السين في الموضعين وهو لغة
فيه والباقون بالضم ولما منعوا بذلك حسن

البصر اخبر بما عن حسن السمع بقوله تعالى وسوا
عليهم اي مستو ومعتدل غاية الاعتدال أأنذرتهم
اي بما اخبرناك به من الزواجر المانعة من الكفر ام لم
تنذرهم لا يومنون لانهم ممن علم الله تعالى انهم لا
يومنون وقد سبق ايضا في البقرة تفسيره والكلام
على الهمزتين ثم بين الله الاول الناجي لانه المقصود
بالذات بقوله تعالى انما تنذر اي انذارا ينفع المنذر
فتنشأ عنه النجاة من اتبع الذكر اي القران بالتامل
فيه والعمل به وخشي الرحمن اي خاف عقابه بالغيب
اي قبل حلوله ومعاينة اهواله او في سريرته
ولا يغتر برحمته فانه كما هو رحمن رحيم منتقم
جبار فبشره اي بسبب خشيته بالغيب بمغفرة
اي لذنوبه وان عظمت وتكررت والمحصل الفعل
بمحو الذنوب عينها واثرها قال تعالى واجر
كريم اي هو الجنة فانها دار لا كدر فيها بوجه
ومقصود منها هو النظر لوجهه الكريم اللهم متعنا
وبجميعنا بالنظر الى وجهك الكريم ولما ذكر تعالى
خشية الرحمن وذكر ما يوكده وهو احيا الموتى
بقوله تعالى انا نحن اي بما لنا من

لنا من العظمة التي لا تضاهيها نحيي الموتى اي كلهم
حا بالبعث ومعنى بالانتقال اذا اردنا من
ظلم الجهل ونكتب اي جملة عند نفخ الروح شيئا
فشيئا بعده فلا يجدي التفصيل شيئا في ذلك
الاجمال ما قدموا اي واخروا من جميع افعالهم
واقوالهم واحوالهم من صالح وغيره فاكتفى باحدهما
لدلالة الاخر عليه كقوله تعالى سرابيل تقيكم
الحر اي والبرد وقيل المعنى ما اسلفوا من
الاعمال صالحة كانت او فاسدة كقوله تعالى
بما قدمت ايديهم اي بما قدمت في الوجود
واوجدته وقيل نكتب ديانته فانها قبل
الاعمال وقوله تعالى واثارهم فيه وجوه
احدها وهو مبني على التفسير الاخير
ما سنوا سنة حسنة وسيئة فالحسنة
كالكتب المصنفة والقناطر والسيئة
كالظلمات المستمرة التي وضعها ظالم والكتب
المضلة قال صلى الله عليه وسلم من سن
في الاسلام سنة حسنة فعمل بها من بعده
كان له اجرها ومثل اجر من عمل بها

Copyright © King Saud University

٤٢٢٤

من غير ان ينقص من اجورهم شيا ومن سن في الاسلام
سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه وزرها ووزر
من عمل بها من غير ان ينقص من اوزارهم شيا ثالثها
خطاهم الى المسجد لما روى ابو سعيد الخدري قال
شكت بنو سلمة بعد منازلهم عن المسجد فانزل الله
تعالى ونكتب ما قدموا وآثارهم فقال صلى الله عليه
وسلم اعظم الناس اجرا في الصلاة ابعدهم ممشا والذي
ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الامام اعظم اجرا من
الذي يصلي ثم ينام فان قيل الكتابة قبل الاحيا ثم ف
اخر في الذكر حيث قال تعالى نحي ونكتب ما قدموا
ونجيبهم اجيب بان الكتابة معظمة لاسر الاحيا
ان لم يكن الاحيا لمميتا لا يعظم في فالكتابة في سببها
ان لم تكن احيا واعادة ولا يبقى لها اثرا اصلا والاحيا
هو المعتبر والكتابة موكدة لمعظمه لامر فلهذا قدم
الاحيا لانه تعالى قال انا نحن وذلك يفيد العظمة
والجبروت والاحيا العظيم يختص بالله تعالى
والكتابة دونه تقرير التعريف الاسر العظيم
ولما كان ذلك ربما اوهم الاقتصار على ما
ذكر من احوال الادميين دفع ذلك بقوله تعالى

وكل

وكل شي من امور الدنيا والاخرة **احصيناه**
اي قبل ايجاده بعلمنا القديم احصا وحفظا و
كتبناه **في امام** وهو اللوح المحفوظ **مبين** اي لا
يخفى فيه شي من جميع الاحوال والاقوال
فهو تخصيص بعد تعميم لانه تعالى يكتب ما
قدموا وآثارهم وليست الكتابة مقتصرة
عليه بل كل شي محصي في امام مبين وهذا
يفيد ان شيا من الاقوال والافعال لا يعزب
عن علم الله تعالى ولا يفوته كقوله تعالى
وكل شي فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير
مستطر يعني ليس ما في الزبر منحصرا
فيما فعلوه بل كل شي مكتوب لا يبدل
فان العلم جف بما هو كاين فلما قال تعالى
نكتب ما قدموا بين ان قبل ذلك كتابة
اخرى فان الله تعالى كتب عليهم انهم
فعلوه وقيل ان ذلك موكد لمعنى
قوله تعالى ونكتب لان من يكتب
شيا في اوراق ويرميها قد لا يجدها فكانه
لم يكتب فقال تعالى نكتب ونحفظ

Copyright © King Saud University

ذلك في امام مبين وهو كقوله تعالى علمها عند
ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى وقوله تعالى
واضرب يعني واجعل لهم وقوله تعالى مثلا
مفعول اول وقوله تعالى اصحاب مفعول
ثان والاصل واضرب لهم مثلا مثل اصحاب
القرية فترك المثل واقيم الاصحاب مقامه في
الاعراب كقوله تعالى واسال القرية وقال
الزمخشري وقيل لا حاجة الى الاضمار بل المعنى
اجعل اصحاب القرية لهم مثلا ومثل اصحاب
القرية بهم قال المفسرون والمراد بالقرية
انطاكية وقوله تعالى اذ جاءها المرسلون الى اخره
بدل اشتمال من اصحاب القرية اي اذا جا
اهلها المرسلون اي رسل عيسى عليه السلام
واضافته الى نفسه في قوله تعالى اذ ارسلنا
اليهم اثنين لانه فعل رسوله عليه السلام
واذ ارسلنا الى اخره بدل من اذ الاولى
وفي هذه لطيفة وهي ان في القصة
ان الرسل كانوا مبعوثين من جهة عيسى
عليه السلام هو ارسالنا ورسول رسول
الله

الله باذن الله رسول الله فلا تعيرهم يا محمد ان
اوليك كانوا رسل الرسل وانهم رسل الله تعالى
فتكذيبهم كتكذيبك فتتم التسلية بقوله تعالى
اذ ارسلنا ويوجه هذا مسيلة فقهية وهي
ان وكيل الوكيل باذن الموكل عند الاطلاق وكيل
الموكل لا وكيل الوكيل حتى لا ينعزل بعزل الوكيل
اياه وينعزل اذا عزله الموكل الاول تنبيه
في بعث الاثنين حكمة بالغة وهي انهما كانا مبعوثين
من جهة عيسى عليه السلام باذن الله تعالى
فكان عليهما انهما الامر اليه والاتيان بما امر الله
تعالى والله سبحانه عالم بكل شي لا يحتاج
الى شاهد يشهد عنده واما عيسى عليه
السلام بشر فامر الله تعالى بارسال اثنين
ليكون قولهما على قومهما عند عيسى حجة تامة
وقرا ابو عمرو بكسر الها والميم في الوصل وحمزة
والكسائي بضمهما والباقون بكسرها والجميع
في الوقف بسكون الميم فكذبوهما اي مع ما لهما
من الايات لان من المعلوم ان ما ارسلنا رسولا
الا كان معه من الايات اما مثله امن عليه

Copyright King Saud University

البشر سوا كان عنا من غير واسطة او كان بواسطة
رسولنا كما كان للطفيل بن عمرو والدوسي ذوى
النورين لما ذهب الى قومه وسال النبي صلى الله
عليه وسلم ان يكون له اية فكانت نورا في جبهته
ثم سال ان تكون في غير وجهه فكانت في وسط فلما
كان المتطاو على الشي اقر لشانه واعوان على
ما يراد منه لتسبب عن ذلك قوله تعالى فعززنا
اي قوينا بثالث تقال عزز المطر الارض اي قواها
ولبدها ويقال لتلك الارض العزاز وكذا كل ارض
صلبه وتعزز لحم الناقة اي صلب وقوى والمفعول
محذوف اي فقويناهما بثالث اي فغلبناهما بثالث
لان المقصود من البعثة نصرة الحق لا نصرهما
والكل كانوا مقوين للدين بالبرهان قال وهب اسم
المرسلين يحيي ويونس واسم الثالث شمعون
وقال كعب الرسولان صادق وصدوق والثالث
سلوم وقرا شعبة بتخفيف الزاي الاولى والباقون
بتشديدها والزاي الثانية ساكنة بلا خلاف فقالوا
انا اليكم مرسلون وذلك انهم كانوا عبدة اصنام
فارسل عيسى اليهم اثنين فلما قربا من المدينة رايا

حبيبا النجار يرعى غنما فسلما عليه فقال من
انتما فقالا رسولا عيسى عليه السلام يدعوكم
من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن فقال
امعكما اية قالا نعم نشفي المريض ونبرئ الاكمه
والابرص باذن الله فقال ان لي ابنا مريضا منذ
سنين قال فانطلق بنا ننظر حاله فاتى بهما
الى منزله فمسحاه فقام باذن الله تعالى
صحيحا ففشى الخبر في المدينة وامن حبيب
النجار وشفى الله تعالى على ايديهما كثيرا من
المرضى وكان لهم ملك اسمه انطيخس وكان
من ملوك الروم فانتهى الخبر اليه فدعاهما
فقال لهما من انتما قالا رسولا عيسى عليه
السلام قال وفيما جيتما قالا ندعوك من
عبادة ما لا يسمع ولا يبصر الى عبادة من يسمع
ويبصر قال ولنا اله دون الهتنا قالا نعم من
اوجدك والهتك فقال قوما حتى انظر في
امركما وامر بحبسهما وجلد كل واحد منهما
مائة جلدة فلما كذبا وضربا بعث عيسى عليه
السلام راس الحواريين شمعون

Copyright © King Saud University

الصفاء على اثرهما ليبصرهما فدخل البلد منكرا و
جعل يعاشر حاشية الملك حتى انسوا به واوصلوا
خبره الى الملك فدعاه فرضي عشرته وانس به
واكرمه ثم قال له ذات يوم ايها الملك بلغني انك
حبست رجلين في السجن وضربتهما حين دعوا
الى غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال
الملك حال الغضب بيني وبين ذلك قال فان راى الملك
دعاهما حتى تطلع على ما عندهما فدعاهما الملك
فقال لهما شمعون من ارسلكما الى ما ههنا
قال الله تعالى الذي خلق كل شي وليس له
شريك فقال له شمعون فصفاه واوجزا
قالا يفعل ما يشا ويحكم ما يريد قال لهما
شمعون وما ايتكما قال ما يتمنا الملك فدعا
بغلام مطموس العينين موضع عينيه
كالجبهة فما زالا يدعوان ربهما حتى انشق
موضع البصر فاخذا بندقتين من الطين
فوضعهما في حدقتيه فصارتا مقلتين
يبصر بهما فتعجب الملك فقال شمعون
للملك ارايت ان سالت الهك مثل هذا
حتى

حتى يكون الشرف ولالهك فقال الملك ليس
لي عنك سر ان الهك الذي تعبده لا يسمع
ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون
اذا دخل الملك على الصنم يدخل بدخوله ويصلي
كثيرا ويتضرع حتى ظنوا انه على ملتهم ثم قال
لهما ان قدر الهكما الذي تعبدانه احيا ميتا
امنا به وبكما قالا الهنا قادر على كل شي فقال
الملك ان هنا ميت مات منذ سبعة ايام
ابن لدهقان وانا اخرته فلم ادفنه حتى يرجع
ابوه وكان غايبا فجاوا بالميت وقد تغير
واروح فجعلا يدعوان ربهما علانية وجعل
شمعون يدعو ربه سرا فقام الميت وقال
اني دخلت سبعة اودية من النار وانا احذركم
ما انتم فيه فامنوا بالله تعالى ثم قال فتحت
ابواب السما فرايت شابا حسنا يشفع لهولا
الثلاثة قال الملك ومن الثلاثة قال
شمعون وهذان واشار الى صاحبيه
فتعجب الملك لما علم فلما علم شمعون ان
قوله اثر في الملك اخبره بالحال ودعاه فامن

Copyright © King Saud University

الملك وامن قوم وكفر اخرون ثم لانوا من صاح
عليهم جبريل فهلكوا وقيل ان ابنة الملك كانت
قد توفيت ودفنت فقال شمعون للملك
اطلب من هذين الرجلين ان يحييا ابنتك فطلب
الملك منهما ذلك فقاما وصليا ودعوا وشمعون
معهما في السر فاحيا الله تعالى المراة ثم انشق
القبر عنها فخرجت وقالت اسلموا فانهما صادقان
قالت ولا اظنكم تسلمون ثم طلبت من الرسولين
ان يرداها الى مكانها فذرا ترابا على راسها
فعادت الى قبرها كما كانت وقال ابن اسحق
عن كعب ووهب بل كفر واجتمع هو وقومه
على قتل الرسل فبلغ ذلك حبيبا وهو على
باب المدينة الاقصى فجا يسعى اليهم يذكرهم
ويدعوهم الى طاعة المرسلين قالوا اي اهل
القرية للرسل ما انتم اي وان زاد عددكم
الا بشر مثلنا لا مزية لكم علينا فما وجه
الخصوصية لكم في كونكم رسلا دوننا فجعلوا
كونهم بشرا مثلهم دليلا على عدم الارسال
وهذا عام في المشركين قالوا في حق محمد
صلى

صلى الله عليه وسلم انزل عليه الذكر من بيننا
وقد استوينا في البشرية فلا يمكن الرجحان
فرد الله عليهم بقوله سبحانه وتعالى الله اعلم
حيث يجعل رسالته وبقوله تعالى الله يجتبي
اليه من يشا الى غير ذلك لتنبيه رفع بشر
لانتقاض النفي المقتضي اعمال ما بالا ثم قالوا وما
انزل الرحمن اي الرحمة فعموم رحمته مع استوائنا
في عبوديته يقتضي ان يسوي بيننا في الرحمة
فلا يخصكم بشي واغرقوا في النفي بقولهم من شي
اي وحي رسالة ان اي ما انتم الا تكذبون
اي في دعوى رسالة حالا ومالا قالوا اي الرسل
ربنا اي الذي احسن الينا يعلم اي ولذا اظهر
على ايدينا الايات انا اليكم لمرسلون استشهدوا
بعلم الله تعالى وهو يجري مجرى القسم
وزادوا اللام المؤكدة لانه جواب عن انكارهم
وما علينا الا اي وجوبا من قبل من ارسلنا
الا البلاغ المبين اي المؤيد بالادلة
القطعية من الحجج القولية والفعلية
بالمعجزات وهي ابرا الاكمه والابرص واحيا

Copyright © King Saud University

الموتى وغيرهم فكان جوابهم بعد هذا ان قالوا انا
تطيرنا اي تشاءمنا بكم وذلك ان المطر حبس عنهم مناهم
فقالوا اصابنا هذا بشؤمكم ولاستغرابكم ما
ادعوه واستقباحهم له ونفرتهم عنه قالوا لئن لم
تنتهوا عن مقالتكم هذه لنرجمنكم اي لنقتلنكم قال
قتادة بالحجارة وقيل لنشتمنكم وقيل لنقتلنكم
شر قتلة وليمسنكم منا اي لا من غيرنا عذاب اليم.
كانهم قالوا لا نكتفي برجمكم بحجر وحجرين بل نديم
ذلك عليكم الى الموت وهو العذاب الاليم او يكون
المراد ليمسنكم بسبب الرجم منا عذاب اليم
اي مولم وان قلنا الرجم الشتم فكانهم قالوا
ولا يكفينا الشتم بل شتم يودي الى الضرب و
الايلام الحسي واذا فسرنا اليم بمعنى مولم فالفعل
بمعنى مفعل قليل ويحتمل ان يقال هو من باب
قوله تعالى عيشة راضية اي ذات رضا اي عذاب
ذو الم فيكون فعيلا بمعنى فاعل وهو كثير ثم
اجابهم المرسلون بان قالوا طائركم اي شؤمكم
الذي حل بكم البلا معكم وهو اعمالكم القبيحة
التي منها تكذيبكم وكفركم فاصابكم الشوم
مى

من قبلكم وقال ابن عباس والضحاك حظكم من
الخير والشر والهمزة في قوله تعالى ائن ذكرتم
اي وعظتم وخوفتم همزة الاستفهام وجواب ب
الشرط محذوف اي تطيرتم وكفرتم وهو محل الا
لاستفهام والمراد به التوبيخ وقرا نافع وابن
كثير وابو عمرو بتسهيل الثانية وادخل قالون
وابو عمرو بينهما الفا وورش وابن كثير بغير
ادخال والباقون بتحقيقهما مع عدم الادخال
ولما كان ذلك لا يصح ان يكون سببا للتطير بوجه
اضربوا عنه بقولهم بل اي ليس الامر كما زعمتم
في ان التذكير سبب التطير بل انتم قوم
اي غركم ما آتاكم الله من القوة على القيام بما
تريدون مسرفون اي عادتكم الخروج عن الحدود
والطغيان فعوقبتم لذلك ولما كان السببات
لانه الامر بيد الله تعالى فلا هادي لمن يضل
ولا مضل لمن هدى فهو يهدي البعيد في البقعة
والنسب اذا اراد وكان بعد الدار يلزم وما
في الغالب لبعد النسب قدم مكان المجي
على فاعله بيانا لان الدعا نفع الاقصى ولم ينفع

الادنى قال تعالى وجاء من اقصى اي ابعد بخلاف ما مر في
القصص ولاجل هذا الغرض عدل عن التفسير بالقرية
وقال المدينة لانها ادل على الكبر المستلزم لبعد الاطراف
وجمع الاخلاط ولما بين الفاعل بقوله تعالى رجل بين
اهتمامه بالنهي عن المنكر وسابقته الى ازالته كما هو
الواجب بقوله تعالى يسعى اي يسرع في مشيته فوق
المشي ودون الجري وحرصا على نصيحة قومه
تنبيه في تنكير الرجل مع انه كان معلوما معروفا عند
الله تعالى فايدتان الاولى ان يكون تعظيما لشانه
اي رجل كامل في الرجولية الثانية ان يكون مفيدا
ليظهر من جانب المرسلين امر رجل من الرجال
لا معرفة لهم به فلا يقال انهم تواطوا والرجل وهو حبيب
النجار كان ينحت الاصنام وقال السدي كان
قصارا وقال وهب كان يعمل الحرير وكان سقيما قد اسرع
فيه الجذام وكان منزله عند اقصى باب في المدينة وكان
مومنا وامن بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل وجوده
حين صار من العلما بكتاب الله تعالى وراى فيه
نعت محمد صلى الله عليه
وسلم ونعته وقوله

ونعته وقوله يسعى تبصير للمسلمين وهداية
لهم ليبذلوا جهدهم في النصح ولما تشوقت
النفس الى الداعي الى اتيانه بينه بقوله تعالى
قال واستعطفهم بقوله يا قوم وامرهم
بمجاهدة النفوس بقوله اتبعوا المرسلين اي في
عبادة الله تعالى وحده فجمع بين اظهار دينه
واظهار النصيحة فقوله اتبعوا النصيحة وقوله
المرسلين لاظهار ايمانه وقدم اظهار النصيحة
على اظهار الايمان لانه ساعيا في النصيحة واما
الايمان فقد فكان قد امن من قبل وقوله
يسعى يدل على ارادة النصح فان قيل ما الفرق
بين مومن ال فرعون حيث قال اتبعون
وهذا قال اتبعوا المرسلين اجيب بان
الرجل جاءهم وفي اول مجيئه نصحهم ولم يعلموا
سيرته فقال اتبعوا هولا الذين اظهروا لكم
الدليل واوضحوا لكم السبيل واما مومن ال
فرعون فكان فيهم ونصحهم مرارا فقال
اتبعوني في الايمان بموسى وهرون عليهما السلام
واعلموا انه لو لم يكن خيرا لما اخترته لنفسي

Copyright © King Saud University

وانتم تعلمون انى اخترته ولم يكن الرجل الذي جاء من
اقصى المدينة يعلمون اتباعه لهم ولما قال اتبعوا المرسلين
كانهم منعوا كونهم مرسلين فنزل درجة وقال
اتبعوا من لا يسالكم اجرا اي اجرة لان الخلق في الدنيا
سالكون طريقة الاستقامة والطريق اذا كان فيه
دليل وجب اتباعه وعدم الاستماع من الدليل
لا يحسن الا عند احد امرين اما المطلب للدليل الاجرة
واما عدم الاعتماد على اهتدايه ومعرفة الطريق
لكن هولا لا يطلبون اجرة وهم مهتدون عالمون
بالطريق المستقيم الموصلة الى الحق فهب انهم
ليسوا بمرسلين اليسوا بمهتدين فاتبعوهم وقوله
تعالى وما لي لا اعبد الذي فطرني اصله وما لكم لا
تعبدون ولكنه صرف الكلام عنهم ليكون الكلام اسرع
قبولا حيث اراد لهم ما اراد لنفسه والمراد تقريعهم
على تركهم عبادة خالقهم الى عبادة غيره ولذلك قال
واليه ترجعون دون واليه ارجع مبالغة في التهديد
وفي البعد ولم مخاصمة القوم الى نفسه حكمة وهي
انه لو قال ما لكم لا تعبدون الذي فطركم لم يكن في
البيان مثل قوله ما لي لانه لما لي واحد
لا يخفى

لا يخفى عليه حال نفسه علم كل واحد لانه لا يطلب
العلة وبيانها من احد لانه اعلم بحال نفسه
وقوله الذي فطرني اشار به الى وجود المقتضي
وقوله الذي فطرني دليل المقتضي فان الخالق
ابتداء مالك والمالك يجب على المملوك اكرامه
وتعظيمه ومنعم بالايمان والمنعم يجب على المنعم
عليه شكر نعمته وقدم بيان عدم المانع على بيان
وجود المقتضي مع ان المستحسن تقديم
المقتضي لان المقتضي لظهوره كان مستغنيا
عن البيان فلا اقل من تقديم ما هو اولى
بالبيان للحاجة اليه واختار من الايات فطرة
نفسه لان خالق عمرو يجب على زيد عبادته
لان من خلق عمرو لا يكون الا كامل القدرة وواجب
الوجود فهو مستحق العبادة بالنسبة الى كل
مكلف لكن العبادة على زيد بخلق زيد
اظهر ايجابا تنبيه اضاف الفطرة الى نفسه
والرجوع اليهم لان الفطرة اثر النعمة وكان
على اظهر وفي الرجوع معنى الزجر وكان
بهم اليق روي انه لما قال اتبعوا المرسلين

Copyright © King Saud University

احذوه ورفعوه الى الملك فقال له افانت تتبعهم
فقال وما لي لا اعبد الذي فطرني اي شيء يمنعني
ان اعبد خالقي واليه ترجعون عند البعث
فيجزيكم باعمالكم ومعنى فطرني خلقني اختراعا
ابتدا وقيل خلقني على الفطرة كما قال تعالى
فطرة الله التي فطر الناس عليها ثم عاد الى
السياق الاول فقال اتخذ وهو استفهام
بمعنى الانكار اي لا اتخذ وبين علو رتبته
بقوله تعالى من دونه اي سواه مع دنو المرتبة
وبين عجز ما عبدوه وتعدده فقال الهة
في ذلك لطيفة وهي انه لما بين انه يعبد
الذي فطره بين ان من دونه لا تجوز
عبادته لان الكل محتاج مفتقر حادث
وقوله اتخذ اشارة الى ان غيره ليس بالهة
لان المتخذ لا يكون الها وقرانافع وابن كثير
وابو عمرو وهشام بتسهيل الثانية
بخلاف عن هشام وادخل فيهما الفا قالون
وابو عمرو وهشام وورش وابن كثير بغير
ادخال والباقون بتحقيقهما مع عدم

عدم الادخال واذا وقف حمزة فله تسهيل الثانية
والتحقيق لانه متوسط بزايد وله ايضا ابدالها
الفا ثم بين عجز تلك الالهة بقوله ان يردن الرحمن
اي العام النعمة على كل المخلوقين العابد والمعبود
بضر اي بسو ومكروه لا تغن عني شفاعتهم
شيئا اي لو فرض انهم شفعوا ولكن شفاعتهم لا
توجد ولا ينقذون اي بالنصر والمظاهرة من
ذلك المكروه ومن العذاب لو عذبني الله تعالى
ان فعلت ذلك فان قيل ما الحكمة في قوله تعالى
ان يردن الرحمن بصيغة المضارع وقال في
الزمر ان ارادني الله بصيغة الماضي وذكر هنا
باسم الرحمن وذكر المراد هناك باسم الله اجيب
بان الماضي والمستقبل مع الشرط يصير الماضي
مستقبلا لان المذكور هنا من قبل بصيغة
الاستقبال في قوله اتخذ وقوله وما لي لا اعبد
والمذكور هناك من قبل بصيغة الماضي في
قوله افرايتم تنبيه ان يردن شرط جواب
لا تغن عني الاخر والجملة الشرطية في
محل نصب صفة لالهة فائدة اثبت ورش

بين عجز

Copyright © King Saud University

اليا بعد النون في الوصل دون الوقف والباقون بغير يا
وقفا ووصلا اني اذا اي ان عبدت غير الله تعالى
لفي ضلال مبين اي خطأ ظاهر وقرأ نافع وابو
عمرو بفتح اليا وسكنها الباقون وهم على مذهبهم
في المد ولما قام الادلة ولم يبق لاحد تخلف عنه
على صرح بما لوح اليه من ايمانه بقوله اني امنت
اي اوقعت التصديق الذي لا تصديق في الحقيقة
غيره وفتح اليا نافع وابن كثير وابو عمرو
وسكنها الباقون واختلف في المخاطب بقوله
بربكم على وجهين احدها انه خاطب المرسلين قال
المفسرون اقبل القوم عليه يريدون قتله فاقبل
هو على المرسلين وقال اني امنت بربكم فاسمعون
اي اسمعوا قولي واشهدوا لي وثانيها هم
الكفار لما نصحهم وما نفعهم قال امنت فاسمعون
وثالثها بربكم فاسمعون على العموم كقول
الواعظ يا مسكين ما اكثر املك كل سامع يسمعه
فلما قال ذلك وثبت القوم عليه وثبة
رجل واحد فقتلوه وقال ابن مسعود
وطئوه بارجلهم وقال السدي
كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم

اللهم اهد قومي حتى قتلوه وقطعوه وقال الحسن
خرقوه خرقا في حلقه فعلقوه في سور المدينة
وقبره بانطاكية تنبيه في قوله فاسمعون
فوائد منها انه كلام متفكر حيث قال اسمعوا
فان المتكلم اذا كان يعلم ان لكلامه جماعة
سامعين يتفكر ومنها انه ينبه القوم ويقول
اني اخبرتكم بما فعلت حتى لا تقولوا لم اخفيت
عنا امرك ولو اظهرته لآمنا معك فان قيل
قال من قبلها ما لي لا اعبد الذي فطرني وقال
هاهنا امنت بربكم ولم يقل امنت بربي
اجيب بان ان قلنا الخطاب مع الرسل
فالامر ظاهر لانه لما قال امنت بربكم ظهر
عند الرسل انه قبل قولهم وامن بالرب الذي
دعوه اليه وقال بربكم وان قلنا الخطاب
مع الكفار ففيه بيان التوحيد لانه لما قال
اعبد الذي فطرني ثم قال امنت بربكم
فهم انه يقول ربي وربكم واحد وهو الذي
فطرني بعينه ربكم بخلاف ما لو قال امنت
بربي فيقول الكافر وانا ايضا امنت بربي.

Copyright © King Saud University

فائدة اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان مثل
صاحب يس هذا في هذه الامة كعروة بن مسعود
الثقفي حيث نادى قومه بالاسلام ونادى
على عليه بالاذان فرموه بالسهام فقتلوه
ثم انه سبحانه وتعالى بين حال هذا الذي قال
امنت بربكم بعد ذلك بقوله تعالى انجاز الى
البيان لاهل الايمان قيل اي قيل له بعد
قتله اياه فبناه للمفعول لان المقصود
المقول لا القائل له والمقول له معلوم
ادخل الجنة لانه شهيد والشهدا يسرحون
في الجنة حيث شاوا من حين الموت
وقيل لما هموا بقتله رفعه الله الى الجنة وقرا
هشام والكسائي بضم القاف وهو المسمى
بالاشمام والباقون بالكسر ولما افضى به
الى الجنة قال ياليت قومي يعلمون بما غفر لي
ربي اي بغفران ربي لي المحسن اي في الاخرى
بعد احسانه في الدنيا بالايمان في مدة
يسيرة بعد طول عمري في الكفر وجعلني من
المكرمين اي الذين اعطاهم الدرجات العلى
نصح لقومه حيا وميتا بتمني علمهم
باكرامه

باكرامه ليعلموا مثل علمه فيتنالوا ما ناله تنبيه في
قصته حث على المبادرة في مفارقة الاشرار
واتباع الاخيار والحلم عن اهل الجهل وكظم الغيظ
والتلطف في خلاص الظالم من ظلمه وانه لا يدخل
الجنة الا برحمة الله وان كان محسنا وهذا كما وقع
للانصار رضي الله تعالى عنهم في المبادرة الى الايمان
مع بعد الدار والنسب وفي قول من استشهد
منهم في بير معونة كما رواه البخاري في المغازي
عن انس بلغوا ان لقينا ربنا فرضي عنا وارضانا
وفي غزوة احد كما في السيرة وغيرها لما وجدوا
طيب مشربهم وماكلهم وحسن مقيلهم ياليت
اخواننا يعلموا ما صنع الله تعالى بنا لئلا يزهدوا
في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله تبارك
وتعالى فانا ابلغهم عنكم فانزل الله تعالى على رسوله
صلى الله عليه وسلم ولا تحسبن الذين قتلوا في
سبيل الله امواتا الاية في سورة ال عمران
وفي التمثيل بهذه القصة اشارة الى ان في قريش
من ختم بموته على الكفر ولم ينقص مما قضى له من
الاجل فالله سبحانه وتعالى لو يرد هذا الذي

Copyright © King Saud University

بغيرهم لتظهر قدرته وحكمته وما انزلنا بما لنا
من العظمة على قومه اي حبيب من بعده اي
من بعد اهلاكه او رفعه من جند من السماء
لاهلاكهم كما ارسلنا يوم بدر وفي الخندق
بل كفينا امرهم بصيحة ملك وفيه استحقار
باهلاكهم وايما بتعظيم الرسول صلى الله عليه
وسلم والا لكان تحريك ريشة من جناح
ملك كافيا في استيصالهم فان قيل ما فائدة
قوله تعالى من بعده وهو تعالى لم ينزل عليهم
من قبله اجيب بان استحقاق العذاب
كان بعده حيث اصروا واستكبروا فبين
حال الاهلاك بقوله تعالى وما كنا منزلين
اي ما كان ذلك من سنتنا وما صح في
حكمتنا ان يكون عذاب الاستيصال بجند
كثير ان اي ما كانت اي الواقعة التي
عذبوا بها الا صيحة صاحها بهم جبريل
عليه السلام فماتوا عن اخرهم واكد
امرها وحقق وحدتها بقوله تعالى
واحدة اي لحقارة امرهم عندنا ثم زاد في
تحقيرهم ببيان الاسراع في الاهلاك
بقوله

بقوله تعالى فاذا هم خامدون اي ثابت لهم الخمود
ما كانهم كانت بهم حركة يوما من الدهر
شبهوا بالنار ورمز الى ان الحي كالنار الساطعة
والميت كرمادها قال لبيد

وما المرء الا كالشهاب وضوئه
يصير رمادا بعد اذ هو ساطع

وقال المقري

وكالنار الحياة فمن رماد
اواخرها واولها دخان

قال المفسرون اخذ جبريل عليه السلام
بعضادتي باب المدينة ثم صاح بهم صيحة
واحدة فاذا هم ميتون يا حسرة على العباد
اي هؤلاء ونحوهم ممن كذبوا الرسل فاهلكوا
وهي شدة التألم ونداؤها مجاز اي هذا
اوانك فاحضري ثم بين تعالى سبب
الحسرة والندامة بقوله تعالى ما يأتيهم
من رسول اي رسول كان في اي وقت كان
الا كانوا به اي بذلك الرسول يستهزءون
والمستهزئ بالناصحين المخلصين احق

Copyright © King Saud University

احق بتحسر و يتحسر عليه وقيل يقول الله تعالى
يوم القيمة يا حسرة على العباد حين لم يؤمنوا
بالرسل ولما بين تعالى حال الاولين قال
للحاضرين الم يروا اي اهل مكة القايلين للنبي
صلى الله عليه وسلم لست مرسلا والاستفهام
للتقرير اي اعلموا وقوله تعالى كم خبرية بمعنى
كثيرا وهو مفعول لاهلكنا تقديره كثيرا
من القرون اهلكنا وهي معمولة لما بعدها
معلقة ليروا عن العمل ذهابا بالخبرية
مذهب الاستفهامية والمعنى اما اهلكنا
قبلهم كثيرا من القرون اي الامم قال
البغوي والقرن اهل كل عصر سموا بذلك
لاقترانهم في الوجود انهم اي المهلكين اليهم
اي الى اهل مكة لا يرجعون اي لا يعودون
الى الدنيا فلا يعتبرون وقيل لا يرجعون اي
الباقون لا يرجعون الى المهلكين بسبب
ولادة اي اهلكناهم وقطعنا نسلهم
ولا شك ان الاهلاك الذي يكون مع قطع
النسل اتم واعم قال ابن عادل والاول
اشهر

اشهر نقلا والثاني اظهر عقلا وقوله تعالى
ان نافية او مخففة وقوله تعالى كل اي كل
الخلائق وقرا لما ابن عامر وعاصم وحمزة بتشديد
الميم بمعنى الا والباقون بالتخفيف فاللام فارقة
وما مزيدة وقوله تعالى جميع اي مجموعون
خبر اول لدينا اي عندنا في الموقف بعد بعثهم
وقوله تعالى محضرون اي للحساب خبر ثان
وما احسن قول القائل
ولو انا اذا متنا تركنا لكان الموت راحة كل حي
ولكنا اذا متنا بعثنا ونسال بعدها عن كل شي
ولما قال تعالى وان كل لما جميع كان ذلك
اشارة الى الحشر فذكر ما يدل على امكانه قطعا
لانكارهم واستبعادهم فقال تعالى واية اي
علامة عظيمة لهم اي على قدرتنا على البعث
وايجاده له الارض اي هذا الجنس الذي
هم منه ثم وصفها بما حقق وجه التشبيه بقوله
تعالى الميتة التي لا روح لها لانه لا نبات بها
اعم من ان يكون بها نبات وفني او لم يكن بها
شي اصلا ثم استانف بيان كونها

Copyright © King Saud University

اية بقوله تعالى احييناها اي باخراج النبات منها
او باعادته لسبب المطر كما كان بعد اضمحلاله
فان قيل الارض اية مطلقا فلما خصها بهم حيث
قال تعالى واية لهم اجيب بان الاية تتعدد وتتجدد
لمن لم يعرف الشي بابلغ الوجوه واما من عرف الشي
بطريق الرؤية لا يذكر له دليل فالنبي صلى الله عليه وسلم
وعباد الله المخلصين عرفوا الله تعالى قبل الارض
والسما فليست الارض معرفة لهم تنبيه اية خبر مقدم
ولهم صفتها او متعلقة باية لانها علامة والارض
مبتدا وصفته واحييناها خبر فالجملة
مفسرة لاية وبهذا الابدا قال وقيل
تذكر الوجه الاول ولما كان
اخراج الاقوات نعمة اخرى قال
واخرجنا منها حبا اي جنس الحب كالحنطة
والشعير والارز بين عموم نفعه
بقوله فمنه اي بسبب هذا الاخراج
ياكلون اي من ذلك الحب وهو
حقيقة تعلمون ذلك علم اليقين
وعين اليقين وحق اليقين لا تقدرون

وحق اليقين لا تقدرون تدعون ان ذلك خيال
سحري بوجه من الوجوه وفي هذه الاية وامثالها
حث عظيم على تدبر القران واستخراج ما فيه
من المعاني الدالة على جلال الله تعالى وكماله
وقد انشد هنا الاستاذ القشيري في تفسيره
وعيب على من اهمل ذلك

يامن تصدر في دست الامامة في
مسايل الفقه املا وتدريسا
غفلت عن حجج التوحيد تحكمها
شيدت فرعا وما مهدت تاسيسا

ولما كان الزرع وهو ما لا ساق له اتبعه
بذكر ما له ساق بقوله وجعلنا اي بما لنا من
العظمة فيها اي الارض جنات اي بساتين
من نخيل واعناب ذكر هذين النوعين لكثرة
نفعهما وقدم النخل لانه نفع كله له خشبه
وسعفه وليفه وخوصه وعراجينه وثمره
طلعا وبسرا ورطبا وتمرا وفيه زينة دائم
لكونه لا يسقط ورقه ولما كانت الجنات
لا تصلح الا بالما قال تعالى وفجرنا اي فتحنا

Copyright © King Saud University

سبحا عظيما فيها اي الارض من العيون شيا
فحذف الموصوف واقيمت الصفة مقامه او
العيون ومن مزيدة عند الاخفش قال البقاعي
والتعريف هنا يدل على ان الارض مركبة على الما
فكل موضع منها صالح لان يتفجر منه الما ولكن
الله تعالى يمنعه من بعض المواضع بخلاف
الاشجار ليس فيها شي غالب على الارض
ففي ذلك تذكير بالنعمة في حبس الما عن بعض
الارض ليكون موضعا للسكنى ولو شا لفجر الارض
كلها عيونا كما فعل بقوم نوح فاغرق اهل الارض
كلها وقرا نافع وابو عمرو وهشام وحفص برفع
العين والباقون بالكسر ولما كان حياة كل شي
انما هي بالما اشار بذلك الى قوله تعالى ليأكلوا من
ثمره اي ثمر ما ذكر وهو الجنات وقيل الضمير يعود
على الاعناب لانها اقرب مذكور وكان من حق
الضمير ان يثنى لتقدم شيئين وهما الاعناب
والنخيل الا انه اكتفى بذكر احدهما وقيل الضمير
لله على طريقة الالتفات من التكلم الى الغيبة
وقرا حمزة والكسائي برفع الثا والميم وهو لغة

فيه

فيها وجمع ثمار والباقون بفتحهما وقوله تعالى
وما عملته ايديهم عطف على الثمر والمراد ما
يتخذ منه كالعصير والدبس فما موصولة
اي ومن الذي عملته ايديهم ويويد هذا قراة حمزة
والكسائي وشعبة بحذف الها من عملته ونافية
على قراة الباقين باثباتها اي وجدوها معمولة
ولم تعملها ايديهم ولا صنع لهم فيها وقيل اراد
العيون والانهار التي لم تعملها يد مخلوق مثل
دجلة والفرات والنيل ثم لما عدد النعم اشار
الى الشكر بقوله تعالى افلا يشكرون اي اشكروا
فهو امر بصيغة الاستفهام اي داوموا في ايقاع
الشكر والدوام على تجديده في كل حين بسبب
هذه النعم ولما امرهم الله تعالى بالشكر وشكروا
الله تعالى بالعبادة وهم تركوها وعبدوا غيره
واشركوا قال تعالى سبحان الذي خلق الازواج
اي الاصناف والانواع كلها اي وغيره لم يخلق شيا
ثم بين ذلك بقوله تعالى مما تنبت الارض فيدخل
فيه كل نجم وشجر ومعدن وغيره من كل ما يولد
منها ومن انفسهم من الذكور والاناث وقوله

Copyright © King Saud University

تعالى ومما لا يعلمون بما خلق فيه ما في اقطار السموات
وتخوم الارضين من المخلوقات العجيبة الغريبة
ولما استدل تعالى باحوال الارض وهو المكان
الكلي استدل بالليل والنهار وهو الزمان الكلي
بقوله واية لهم الليل اي على اعادة بعد افنايه
نسلخ اي نفصل منه النهار فان دلالة الزمان
والمكان متناسبة لان المكان لا يستغنى عنه
الجواهر والزمان لا تستغنى عنه الاعراض لان كل
عرض فهو في الزمان تنبيه نسلخ استعارة
تبعية مصرحة لشبه انكشاف ظلمة الليل
بكشط الجلد من الشاة والجامع ما نفعل من
ترتب احدهما على الاخر فاذا هم اي بعد اذ انتهى
للنهار الذي سلخناه من الليل مظلمون اي داخلون
في الظلام بظهور الليل الذي كان الضيا ساتره
كما يستر الجلد الشاة قال الماوردي وذلك ان ضو
النهار متداخل في الهوا فيضي فاذا خرج منه
اظلم نقله بن الجوزي عنه وقد ارشد السياق
حتما الى ان التقدير والنهار نسلخ منه الليل الذي
كان ساتره وغالبا عليه فاذا هم مبصرون
ولما

ولما ذكر الوقتين ذكر ايتهما مبتدا باية النهار بقوله
تعالى والشمس اي التي تسلخ النهار من الليل
بغيبوبتها تجري لمستقر لها اي لحد معين ينتهي
اليه دورها لا تتجاوزه فشبه بمستقر المسافر
اذا قطع مسيره وقيل مستقرها الى انتهاء سيرها
عند انقضاء الدنيا وقيام الساعة وقيل انها
تسير حتى تنتهي الى ابعد مغاربها ثم ترجع
فذلك مستقرها لا تتجاوزه وقيل مستقرها
نهاية ارتفاعها في السما في الصيف ونهاية
هبوطها في الشتا وقد صح عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال لابي ذر حين غربت الشمس تدري
اين تذهب قلت الله ورسوله اعلم قال فانها
تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستاذن
فيوذن لها ويوشك ان تسجد فلا يقبل منها
وتستاذن فلا يوذن لها يقال لها ارجعي
من حيث جيت فتطلع من مغربها فذلك
قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها ولما كان
هذا الجري على نظام لا يختل على مر السنين
ولتعاقب الاحقاب عظمه بقوله تعالى ذلك

Copyright @ King Saud University

اي الامر الباهر للعقول وزاد في عظمه بصيغة
التفصيل بقوله تعالى تقدير العزيز اي الذي لا يقدر
احد في شي من امره على نوع مغالبة وهو غالب
على كل شي العليم اي المحيط علما بكل شي الذي
يدبر الامر فيقود على نظام عجيب وناهج بديع لا يعتريه
وهن ولا يلحقه يوما نوع خلل ويحتمل ان يكون
الاشارة الى المستقر اي ذلك المستقر تقدير العزيز
العليم ولما ذكر اية النهار اتبعها اية الليل بقوله تعالى
والقمر قدرناه اي من حيث سيره منازل ثمانية
وعشرين منزلا في ثمانية وعشرين ليلة من كل
شهر ويستتر ليلتين ان كان الشهر ثلاثين
يوما وليلة ان كان الشهر تسعة وعشرين
يوما وقد ذكرنا اسامي المنازل في سورة يونس
عليه السلام فاذا صار القمر في اخر منازله
دق فذلك قوله تعالى حتى عاد بعد ان كان
بدرا عظيما كالعرجون من النخل وهو عود
العذق ما بين شماريخه الى منبته وهو منبته
في النخلة رقيقا منحنيا ثم وصفه بقوله تعالى
القديم فانه اذا عتق يبس وتقوس واصفر

فيشبه

فيشبه القمر في رقته وصفرته في راي العين في اخر
المنازل قال القشيري كان القمر يبعد عن الشمس
ولا يزال يتباعد حتى يعود بدرا ثم يدنوا فكلما
ازداد من الشمس دنوا ازداد في نفسه نقصانا
الى ان يتلاشى وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو
والقمر برفع الرا والباقون بالنصب والرفع على
الابتدا والنصب اضمار فعل على الاشتغال والوجهان
مستويان لتقدم جملة ذات وجهين وهي
قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها فاذا راعيت
صدرها رفعت لتعطف جملة اسمية على مثلها
وان راعيت عجزها نصبت لتعطف فعلية على مثلها
ولما تقرر ان لكل منازل لا تعدوها فلا يتقلب ما
هو اية ابتا الاخر بل اذا جا سلطان هذا
ذهب سلطان ذلك واذا جا ذلك ذهب هذا
قال تعالى لا الشمس التي هي اية النهار ينبغي اي
يسهل لها اي ما دام هذا الكون موجودا على
هذا الترتيب ان تدرك القمر اي تجتمع معه في
الليل فالنهار سابق الليل ولا الليل سابق
النهار اي ياتي احدهما قبل انقضا الاخر

Copyright © King Saud University

فالاية من الاحتباك لانه نفي اولا ادراك الشمس
لقوتها القمر ففيه دليل على ما حذف من الثانية
من نفي ادراك القمر للشمس اي فيغلبها وان
كان يوجد في النهار لكن من غير سلطنة فيه
بخلاف الشمس فانها لا تكون في الليل اصلا ونفي
ثانيا سبق الليل النهار وفيه دليل على حذف
سبق النهار الليل اولا كما هو مقدرة وكل اي من
الشمس والقمر في فلك محيط به وهو الجسم
المستدير والسطح المستدير والدائرة لان اهل
اللغة على ان فلكة المغزل سميت فلكة لاستدارتها
وفلك الخيمة هي الخشبة المسطحة المستديرة
التي توضع على راس العمود لئلا يمزق العمود الخيمة
وهي صفحة مستديرة فان قيل فعلى هذا تكون
السما مستديرة وقد اتفق اكثر المفسرين على
ان السما مبسوطة لها اطراف على جبال وهي
كالسقف المستوي ويدل عليه قوله تعالى والسقف
المرفوع اجاب الرازي بانه ليس في النصوص
ما يدل دلالة قاطعة على كون السما مبسوطة
غير مستديرة بل دل الدليل الحسي على كونها
مستديره

مستديرة فوجب المصير اليه والسقف المقبب
لا يخرج عن كونه سقفا وكذلك على جبال ومن
الادلة الحسية ان السما لو كانت مستوية لكان
ارتفاع اول النهار ووسطه واخره مستويا و
ليس كذلك وذكر غير ذلك من الادلة وفي هذا
كفاية ولما ذكر لها فعل العقلا من كونها على نظام
محرر لا يختل وسير مقدر لا يعوج ولا يتخلل
جمعها جمعهم بقوله تعالى يسبحون قال المنحون
قوله تعالى يسبحون يدل على انها احيا لان ذلك
لا ينطلق الا على العاقل قال الرازي اذا اراد و
القدر الذي يكون منه التسبيح فنقول به لان
كل شي يسبح بحمده واذا اراد واشيا اخر فلم
يثبت ذلك والاستعمال لا يدل كما في قوله تعالى
في حق الاصنام ما لكم لا تنطقون لا تاكلون ولما
ذكر سبحانه وتعالى ما جعل حدودا في السباحة
في وجه الفلك ذكر ما هيا به من الفلك للسباحة
على وجه الما بقوله تعالى واية لهم اي على قدرتنا
التامة انا اي على ما لنا من العظمة حملنا ذريتهم
اي اباهم الاصول قال البغوي واسم الذرية يقع

Copyright © King Saud University

على الابا كما يقع على الاولاد والالف واللام في قوله تعالى
في الفلك للتعريف اي في فلك نوح وهو المذكور في
قوله تعالى واصنع الفلك باعيننا وهو معلوم
عند العرب ثم وصف الفلك بقوله تعالى المشحون
اي المملو الموقر حيوانا ونادا وهو يتقلب في تلك
المياه التي لا ير احد قط مثلها ولا يرى ايضا وفي
ذلك فسلمها الله تعالى وايضا الادمي يرسب في
الما ويغرق فحمله في الفلك وقع بقدرته تعالى
لكن من الطبيعيين من يقول الخفيف لا يرسب
لانه يطلب جهة فوق فقال الفلك المشحون
اثقل من الثقال التي ترسب ومع هذا حمل الله
الانسان فيه مع ثقله وقال اكثر المفسرين ان الذرية
لا تطلق الا على الولد وعلى هذا فالمراد اما ان يكون
الفلك المعين الذي كان لنوح و اما ان يكون المراد
الجنس كقوله تعالى وجعل لكم من الفلك والانعام
ما تركبون وقوله تعالى وترى الفلك فيه مواخر
وقوله تعالى فاذا ركبوا في الفلك الى غير ذلك من
استعمال لام التعريف في الفلك لبيان الجنس
فان كان المراد سفينة نوح ففيه وجوه
الاول

الاول ان المراد حملنا اولادهم الى يوم القيمة
في ذلك الفلك ولولا ذلك ما بقي للاب نسل ولا
عقب وعلى هذا فقوله تعالى حملنا ذريتهم اشارة
الى كمال النعمة والنصرة مقتصرة عليكم بل
متعدية الى اعقابكم الى يوم القيمة وهذا قول
الزمخشري قال ابن عادل ويحتمل ان يقال انه
تعالى انما خص الذرية بالذكر لان الموجودين كانوا
كفارا لا فايدة في وجودهم فقال تعالى حملنا
ذريتهم اي لم يكن الحمل حملا لهم وانما كان حملا لما
في اصلابهم من المومنين كما ان يحمل صندوقا لا
قيمة له وفيه جواهر فقيل قيل انه لم يحمل الصندوق
وانما حمل ما فيه ثانيها ان المراد بالذرية الجنس
اي حملنا اجناسهم لان ذلك الحيوان من جنسه
ونوعه والذرية تطلق على الجنس ولذلك
تطلق على النسا لنهي النبي صلى الله عليه وسلم
عن قتل الذراري اي النسا لان المراة وان كانت
صنفا غير صنف الرجل لكنها من جنسه ونوعه
يقال ذراريا اي امثالنا ثالثها ان الضمير
في قوله تعالى واية لهم الليل وقال واية لهم

Copyright © King Saud University

انا حملنا ذريتهم واذا علم هذا فكانه تعالى قال
واية للعباد انا حملنا ذرية العباد ولا يلزم ان
يكون المراد بالضمير في الموضعين اشخاصا معينين
كقوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم ويذيق بعضكم
باس بعضكم وكذلك اذا تقاتل قوم ومات الكل في
القتال فقال هولاء القوم هم قتلوا انفسهم فهم في
الموضعين يكون عايدا الى القوم ولا يكون المراد
اشخاصا بل المراد ان بعضهم قتل بعضهم
فكذلك قوله تعالى اية لهم اي اية لكل بعض منهم
انا حملنا ذرية كل بعض منهم وان قلنا المراد
جنس الفلك قال ابن عادل وهو الاظهر لان
سفينة نوح لم تكن بحضرتهم ولم يعلموا من حمل فيها
فاما جنس الفلك فانه ظاهر لكل احد وقوله
تعالى في سفينة نوح وجعلناها اية للعالمين
اي بوجود جنسها ومثلها ويويده قوله تعالى
الم تر ان الفلك تجري في الاية الى شكور فان قيل
ما الحكمة في قوله تعالى واية لهم الارض واية لهم
الليل ولم يقل واية لهم الفلك اجيب بان حملهم
في الفلك هو العجب اما نفس الفلك فليس بعجب

لانه

لانه كبيت مبنية من خشب واما نفس الارض
فعجيب ونفس الليل فعجيب لا قدرة لاحد عليهما
الا الله فان قيل قال تعالى وحملناكم في البر والبحر
ولم يقل ذريتكم مع ان المقصود في الموضعين
بيان النعمة لا دفع النعمة واجيب بانه تعالى
لما قال في البر والبحر عم الخلق لان ما من احد الا وحمل
في البر والبحر واما الحمل في البحر فلا يعم فقال ان كنا
ما حملناكم بانفسكم فقد حملنا من يهمكم امره
من الاولاد والاقارب والاخوان والاصدقا
وقرا نافع وابن عامر بالف بعد اليا التحتية وكسر
الفوقانية على الجمع والباقون بغير الف وفتح
الفوقانية على الافراد واختلف في تفسير قوله
تعالى **وخلقنا لهم من مثله** اي من مثل الفلك
ما يركبون فقال ابن عباس يعني الابل فالابل
في البر كالسفن في البحر وقيل اراد به السفن
التي عملت بعد سفينة نوح عليه السلام على هيأتها
وقال قتادة والضحاك وغيرهما اراد به السفن
الصغار التي تجري في الانهار كالفلك الكبار
في البحار **وان نشا** اي لاجل ما لنا من القوة

الشاملة والقدرة التامة لغرقتهم اي مع ان هذا
الما الذي يركبونه ليس كالما الذي حملنا فيه اباهم
فلا صريخ لهم اي مغيث لهم لينجيهم ممن يزيدهم
من الغرق اي فلا غاثة لقولهم اتاهم الصريخ
ولاهم اي بانفسهم من غير صريخ ينقذون
اي يكون لهم انقاذ اي خلاص لانفسهم او غيرها
الا رحمة اي فنحن ننقذهم ان شينا رحمة منا
اي لهم لا وجوبا علينا ولا لمنفعة تعود منهم
الينا ومتاعا اي وتمتعنا اياهم بلذاتهم الى حين
اي الى انقضا اجالهم واذا قيل لهم اي من اي قايل
كان اتقوا ما بين ايديكم اي من عذاب الدنيا
كفركم وما خلفكم من عذاب الاخرة لعلكم ترحمون
اي تعاملون معاملة المرحوم بالاكرام وقال
ابن عباس ما بين ايديكم يعني الاخرة فاعملوا لها
وما خلفكم يعني الدنيا فاحذروها ولا تغتروا
بها وقال قتادة ومقاتل ما بين ايديكم
وقايع الله فيمن كان قبلكم من الامم وما خلفكم
عذاب الاخرة تنبيهان احدهما الا رحمة
منصوب على المفعول له وهذا مستثنى
مفرغ

مفرغ وقيل مستثنى منقطع وقيل على المصدر
بفعل مقدر وقيل على اسقاط الخافض
اي الا برحمة والثاني قوله تعالى فلا صريخ لهم
لهذه الجملة بما قبلها فالضمير لهم عايد على
المغرقين ثانيهما جواب اذا محذوف تقديره
اعرضوا ايدل عليه قوله تعالى بعد الا كانوا
عنها معرضين وعلى هذا فلفظ كانوا عنها
معرضين وعلى هذا فلفظ كانوا زايدة وما
تاتيهم من اية من ايات ربهم اي المحسن اليهم
الا كانوا اي مع كونها من عند من غمرهم احسانه
وعمهم فضله وامتنانه واذا قيل لهم اي من اي
قايل كان انفقوا اي على من لا شي له شرا
عليه على ما اعطاكم قال صلى الله عليه وسلم
هل ترزقون وتنصرون الا بضعفايكم انما
يرحم الله تعالى من عباده الرحما وبين تعالى انهم
يبخلون بما لا صنع لهم فيه بقوله تعالى مما رزقكم
الله اي مما اعطاكم الله الذي له جميع صفات الكمال
قال الذين كفروا اي ستروا وغطوا ما دلهم على
انوار عقولهم من الخيرات للذين امنوا اي استهزا بهم

Copyright@King Saud University

انطعم من لو يشا الله اي الذي له جميع العظمة
كما زعمتم في كل وقت يريده اطعمه وذلك ان
المومنين قالوا لكفار مكة انفقوا على المساكين
مما زعمتم انه من اموالكم ان لله تعالى وهو ما
جعلوه لله من حروثهم واموالهم قالوا انطعم
من لو يشا الله اطعمه لكنا ننظر لا نشاء ذلك
فانه لم يطعمهم مما نرى من فقرهم فنحن ايضا
لا نشا ذلك موافقة لمراد الله تعالى فيه
فتركوا التادب مع الامر واظهروا التادب
مع بعض ارادة الله المنهي عن الجري معها
والاستسلام لها وهذا ما يتمسك به البخلا
يقولون لا نعطي من احرمه الله تعالى وهذا
الذي يزعمون باطل لان الله تعالى اغنى
بعض الخلق وافقر بعضهم ابتلا فمنع الدنيا
من الفقير لا بخلا وامر الغني بالانفاق لا
حاجة الى ماله ولكن ليبلو الغني بالفقير
فيما فرض له في مال الغني فلا اعتراض لاحد
في مشيئة الله تعالى وحكمه في خلقه
وما كفاهم حتى قالوا لمن ارشده الله
الى

الى الخيرات ان اي ما انتم الا في ضلال اي محيط بكم
مبين اي في غاية الظهور وما دروا ان الضلال
انما هو لهم فان قيل قولهم من لو يشا الله اطعمه
كلام حق فلماذا ذكر في معرض الذم اجيب
بان مرادهم كان الانكار لقدرة الله تعالى
او لعدم جواز الامر بالانفاق مع قدرة الله
تعالى وكلاهما فاسد فبين تعالى ذلك بقوله
سبحانه وتعالى مما رزقكم الله فانه يدل على
قدرته ويصحح امره بالاعطا لان من كان له مع
المقر مال وله في خزانته مال مخير ان اراد اعطا
مما في خزانته وان اراد امر من عنده المال
بالاعطا ولا يجوز ان يقول من في يده مال
في خزانتك اكثر مما في يدي اعطه منه فان
قيل ما الحكمة في تغيير اللفظ في جوابهم حيث
لم يقولوا انفق على من لو يشا الله تعالى
رزقه لانهم امروا بالانفاق فكان جوابهم ان
يقولوا انتفق فكم قالوا انطعم اجيب
بان هذا بيان غاية مخالفتهم لانهم انما امروا
بالانفاق ولا باقل منه وهو الاطعام وهذا

قول القايل لغيره زيدا دينارا فيقول لا اعطيه درهما
مع ان المطابق هو ان يقول لا اعطيه دينارا ولكن
المبالغة في هذا الوجه لم تتم فكذلك هنا تنبيه
انما وصفوا المومنين لظنهم ان كلام المومنين
متناقض من تناقض كلامه يكون في غاية
الضلال قال الرازي ووجه ذلك انهم قالوا
انطعم من لو يشا الله اطعمه وهذا اشارة الى
ان الله تعالى ان شا ان يطعمهم فهو يطعمهم
فكان الامر باطعامهم امرا بتحصيل الحاصل
وان لم يشا اطعامهم لامتناع وقوع ما لم
يشا الله فلا قدرة لنا على الاطعام فكيف
تامروننا به ووجه اخر وهو انهم قالوا ان
اراد الله تجويعهم فلو اطعمناهم
يكون ذلك سعيا في ابطال فعل الله تعالى
وانه لا يجوز وانتم تقولون اطعموهم
فهو في ضلال مبين واعلم انه لم يكن في
الضلال الا هم حيث نظروا الى المراد ولم
ينظروا الى الطلب والامر وذلك لان
العبد اذا امره السيد بامر لا ينبغي

الاطلاع

الاطلاع على المقصود الذي لاجله امر به مثاله اذا اراد
الملك الركوب للهجوم على عدو بحيث لا يطلع عليه
احد وقال للعبد احضر المركوب فلو تطلع واستكشف
المقصود الذي لاجله الركوب تسبب الى ان يريد ان
يطلع عدوه على الحذر منه وكشف سره فالادب في
الطاعة هو امتثال الامر لا تتبع المراد فالله سبحنه
وتعالى اذا قال انفقوا مما رزقكم الله لا يجوز ان
يقال لم لم يطعمهم الله مما في خزاينه وقد تقدم ماله
بهذا التعلق ويقولون اي عادة مستمرة مضمومة
الى ما تقدم متى هذا وزادوا في الاستهزا بتسمية
وعدا فقالوا الوعد اي البعث الذي تهددوننا به
تارة تلويحا وتارة تصريحا عجلوه لنا ان كنتم صادقين
فيه قال الله تعالى ما ينظرون اي ينتظرون الا
صيحة ولشدة حقارة شانهم وتمام قدرته بقوله
عز وجل واحدة وهي نفخة اسرافيل المهيبة تاخذهم
وقوله تعالى وهم يخصمون قراة حمزة بسكون
الخا وتخفيف الصاد من خصم يخصم والمعنى يخصم
بعضهم بعضا فالمفعول محذوف وابو عمرو وقالون
باخفا فتحة الخا وتشديد الصاد ونافع وابن كثير

Copyright © King Saud University

وهشام كذلك الا انهم باختلاف فتحة الخا والباقون
بكسر الخا وتشديد الصاد والاصل في القراات
الثلاثة يختصمون فادغمت التا في الصاد
فنافع وابن كثير وهشام نقلوا فتحها الى الساكن
قبلها نقلا كاملا وابو عمرو وقالون اختلسا حركتها
تنبيها على ان الخا اصلها السكون والباقون حذفوا حركتها
فالتقا ساكنان كذلك فكسروا اولهما فهذه اربع قراات
ولما كانت هذه هي النفخة المميتة تسبب عنها
قوله تعالى فلا يستطيعون توصية اي يوجدوا الوصية
في شي من الاشيا ولا الى اهلهم اي فضلا عن يرجعون
اي فيروا حالهم بل يموت كل احد في مكانه حيث تفجاوه
الصيحة وربما افهم التعبير بالى انهم يريدون الرجوع
فيخطون خطوة او نحوها وفي الحديث لتقومن الساعة
وقد رفع الرجل اكلته الى فيه فلا يطعمها ولما دل
ذلك على الموت وقطعا عقبه بالبعث بقوله تعالى
ونفخ في الصور اي القرن النفخة الثانية للبعث وبين
النفختين اربعون سنة ولما كان هذا النفخ سببا
لقيامهم عنده من غير تخلف عبر تعالى بما يدل على
التعقيب والتسبب والفجاة بقوله تعالى فاذا هم اي

سخ

النور وملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ وروى ابو الدردا
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من حفظ عشر ايات
من اول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال وقال
البيضاوي وعنه عليه السلام من قرا سورة الكهف
من اخرها كانت له نورا من فوقه الى قدمه ولكن الذي
رواه احمد من قرا اول سورة الكهف كانت له نورا من
فوقه الى قدمه ومن قراها كلها كانت له نورا من الارض
الى السما وروى البغوي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من قرا اول سورة الكهف واخرها كانت له
نورا من قدمه الى راسه ومن قراها كانت له نورا من
الارض الى السما فنسال الله تعالى ان ينور قلوبنا
وان يغفر زلاتنا ولا يواخذنا بسو افعالنا وان
يفعل ذلك بوالدينا واولادنا واقاربنا واصحابنا
ومشايخنا وجميع اخواننا المسلمين واحبابنا اجمعين
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على
سيدنا محمد النبي الامي وعلى اله وصحبه وسلم
وكان الفراغ من كتابة هذا الجزء
المبارك يوم الثلاثا الموافق
لثمان وعشرين يوما
خلت من شهر الحجة
ختام سنة ١٢٦٨
والله تعالى
اعلم
م
على يد كاتبه الفقير محمد احمد الصاوي غفر الله له جميع المساوي

Copyright © King Saud University